

جَهْرُ خَطِّ الْعَرَبِ فِي عِصْوَ الْعَرَبِيَّةِ الزَّاهِرَةِ

الجزء الأول

العَصْرُ ابْتِغَاءً إِلَى
عَصْرِ صَدْرِ الْإِسْلَامِ

تأليف

أحمد زكي صفوت

وكيل كلية دار العلوم جامعة القاهرة سابقاً

المكتبة العلمية
بمبوت-السنات

تَصْوِيرٌ

الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم على ما أوليتني من نعمك السابغة ، وآلائك الضافية ، وأصلى وأسلم على
رسولك المجتبي ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وبعد : فلا مراء أن خطب العرب في عصور ازدهار اللغة مرآة يتجلى فيها ما جباهم
الله من ذلاقة اللسان ، وعذوبة البيان ، ومعرّض يتمثل فيه نتاج قرائحهم ، وثمرات
ألبابهم ، في كثير من مناحي القول ، وإنها لتعدّ - بعد القرآن الكريم والحديث
الشريف - مثالا ساميا للبلاغة العربية ، ونموذجا قويا يحتذيه المتأدب في تقويم
قلبه المعوجّ ، وشحذ لسانه الكليل ، وهي فوق ذلك ممين فيأض يستقى منه مؤرخ
الأدب العربي ما يعين له من آراء ، ومادة غزيرة يستنبط منها ما يقفه عليه البحث
من فكر .

وقد نظرت فوجدت تلك الخطب مبعثرة منشورة في كتب الأدب والتاريخ ، لا يؤلف
بينها نظام ، ولا يضم أشتاتها كتاب ، فإذا ما شئت أن تتعرف صورة الخطابة في عصر

من العصور ، أو تترجم خطيب من خطباء العربية ، ألفت الطريق أمامك وعرة شائكة ، وأنفتت وقتاً مديداً في التنقيب عن خطبه في بطون الأسفار ، بله ما يعترضك من مشاق في تحرير ألفاظها ، وتحقيق عباراتها ، لما نالها من عبث النساخ والطباع ، من التصحيف والتحريف الذي ينبهم معه معناها ، ويستغلق به تفهمها .

كل أولئك حدّا بي أن أعبد السبيل لشدة الأدب العربي إلى ذلك التراث النفيس ، الذي يتوقون إلى الارتواء من مناهله العذبة ، فلا يكادون يُسيغونها ، وَيَصْبُون إلى اجتناء ثماره الشهية ، فتحول دونها الأشواك ، وفيهم من درس اللغات الإفرنجية ، وتزود من أفكار الغربيين وآراءهم بقسط وفير ، ولكنه تغوزه جزالة اللفظ ، ورصانة الأسلوب .

استخرت الله ، فجمعت كل ما أثر عن العرب في عصور العربية الزاهرة ، من خطب ووصايا من مظانها - على قدر ما هداني إليه اطلاعي - وضمنت إليها ما دار في مجالس الملوك والخلفاء والرؤساء ، من حوار ومجاوبة ، أو جدال ومناظرة ، مما يدخل في باب الخطب ، وينتظم في سلكها ، وأودعتها ذلك السفر كي يكون لها ديوانا جامعاً ، ومرجعاً عاماً ، يسهل مراجعتها فيه ، وسميته : جهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة .

وبوّبته أربعة أبواب في ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : ويحوى الباب الأول في خطب الجاهلية ، والباب الثاني في خطب صدر الإسلام .

الجزء الثاني : ويحوى الباب الثالث : في خطب العصر الأموي .

الجزء الثالث : ويحوى الباب الرابع : في خطب العصر العباسي الأول ، وذيل الجهرة ، في خطب متفرقة .

وإذ كان الشريف الرضى رحمه الله قد أفرد خطب الإمام على كرم الله وجهه بمؤلف خاص ، وهو : « نهج البلاغة » والإمام أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور ، قد جمع في مؤلفه : « بلاغات النساء » طائفة قيِّمة من كلام بليغات النساء ، وطرائف أقوالهن . رأيت أن نقل ما ورد في هذين السفرين الجليلين بحذافيره ، ليس على الحقيقة إلا ضمهما إلى كتابي ، وتضخيمه بهما ، ولذلك اجتزأت بإيراد جملة صالحة مما جاء فيهما ، مما استدعاه المقام .

ولم أقصر على إيراد الخطبة بإحدى الروايات الواردة فيها ، بل عُنيت بالتوفيق بين الروايات المختلفة ، وإتمام بعضها من بعض ، لما في ذلك من زيادة الفائدة للقارى ، فإذا ما رأيت الخطبة مروية بصورتين يتبين فيهما الاختلاف ، أوردت الصورتين جميعا .

وقد ضبطت ألفاظها ضبطاً وافياً ، وعقبت كل خطبة بذكر مصادرها التي نقلتها عنها ، كما ذيلتها بشرح يفسر غريب ألفاظها ، ويحلّ مستغلق كلماتها ، وأوردت فيه كل ما تمس إليه الحاجة في فهمها ، من نبذ تاريخية توضح المقامات التي أقيت فيها ، إلى ما هنالك .

ولست أستطيع أن أصور للقارى مقدار ما عانيت من المتاعب في ردّ كثير من الألفاظ إلى أصولها الصحيحة ، بعد تقليبها على كل وجه ممكن ، حتى تخلص من شوائب التشويه الشائن ، الفاشى في كتب الأدب والتاريخ .

وإني أقدم كتابي هذا إلى أبناء العربية الشريفة ، وفاء بما لها في عنقي من حق واجب ، وصنيعة مشكورة ، وافة أسأل أن يجعله خالصاً لوجه الكريم ، وأن ينفع به النفع المرجو منه ، وأن يمدني بروح منه ؛ ويظللني بظلال الصحة

والعافية ، حتى أصدر ما اعتزمت إصداره بعد تمام هذا الكتاب إن شاء الله ،
وهو كتاب : « جبهة رسائل العرب في عصور المربية الزاهرة »

كي تكمل حلقة النثر العربي في تلك العصور ، إنه المستعان ، عليه توكلت
وإليه أنيب ؟

أحمد زكي صفوت

حرر بالقاهرة في { ربيع الآخر سنة ١٣٥٢ هـ
يوليو سنة ١٩٣٣ م



فهرس

مآخذ الخطب في هذا الجزء

الأمالى لأبى على القالى	: الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى	: الرابع - السابع - الثامن - الحادى
	: عشر - الرابع عشر - الخامس عشر
صبح الأعشى لأبى العباس القلقشندى	: الجزء الأول - الثانى
نهاية الأرب لشهاب الدين النويرى	: الثالث - الخامس - السابع
عيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى	: المجلد الثانى
الكامل لأبى العباس المبرد	: الجزء الأول - الثانى
العقد الفريد لابن عبد ربه	: » » - الثانى - الثالث
زهر الآداب لأبى إسحق الحضرى	: » »
البيان والتبيين للجاحظ	: » » - الثانى - الثالث
نهج البلاغة للشريف الرضى	: » »
شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد	: المجلد الأول - الثانى - الثالث - الرابع
أمالى السيد المرتضى	: الجزء الأول - الثانى
مجمع الأمثال لأبى الفضل الميدانى	: » - » »
جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى	: » - » »
خزانة الأدب لعبد القادر البغدادى	: » »

تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر : الجزء الثاني - الثالث - الرابع - الخامس -

ابن جرير الطبري : السادس

تاريخ الكامل لابن الأثير : الجزء الأول - الثاني - الثالث

مروج الذهب للمسعودي : » » - الثاني

الإمامة والسياسة لابن قتيبة : » »

المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء : » »

معجم البلدان لياقوت الحموي : » الثامن

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام : » الأول - الثاني

السيرة الحلبية لابن برهان الدين الحلبي : » »

: إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني

: بلاغات النساء لابن أبي طاهر طيفور

: شرح العميون ، شرح رسالة ابن زيدون

: لابن نباتة المصري

: أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر المكي

: المحاسن والأضداد للجاحظ

: الشعر والشعراء لابن قتيبة

: شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون

: بلوغ الأرب للسيد محمود شكرى : الجزء الأول - الثالث

: الألوسى

: مفتاح الأفكار للشيخ أحمد مفتاح

الباب الأول

الخطبة الوصائية

في

العصر الجاهلي

الخطبة

إصلاح مرثد الخير

بين سُبَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَبَيْنَ مَيْثَمِ بْنِ مَثُوبٍ

كان مرثد الخير بن ينكف قتيلا ، وكان حديثا على عشيرته ، محبا لصلاحهم ، وكان سُبَيْع بن الحرث^(١) وميثم بن مَثُوب بن ذى رعين تنازعا الشرف ، حتى تشاحنا ، وخيف أن يقع بين حبيهما شر ، فبتفاني جذماهما^(٢) ، فبعث إليهما مرثد ، فأحضرهما ليصلح بينهما ، فقال لهما :

(١) أخو علس ، وعلس هو ذو جدن .

(٢) الجذم : الأصل وكذا الجذر .

١ - مقال مرثد الخير

إِنَّ التَّخْبِطَ ^(١) وَأَمْتِطَاءَ الْمَجَاجِ ^(٢) ، وَأُسْتِحْقَابَ ^(٣) اللِّجَاجِ ، سَيَقْفُكُمْ
عَلَى شَفَا هُوَّةٍ ، فِي تَوَرُّدِهَا ^(٤) بَوَارِ الْأَصِيلَةِ ^(٥) ، وَانْقِطَاعِ الْوَسِيلَةِ ، فَتَلَاوِيًا أَمْرُكُمْ
قَبْلَ أَنْ تِكَاثَ ^(٦) الْعَهْدِ ، وَانْحِلَالِ الْعَقْدِ ، وَتَشْتَتِ الْأَلْفَةُ ، وَتَبَايُنِ الشَّهْمَةِ ^(٧) ،
وَأَنْتُمْ فِي فُسْحَةٍ رَافِهِةٍ ^(٨) ، وَقَدَمٍ وَاطِدَةٍ ^(٩) ، وَالْمَوَدَّةِ مُثْرِيَةٍ ^(١٠) ، وَالْبُقْيَا
مُعْرِضَةٍ ^(١١) ، فَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنْبَاءَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْعَرَبِ : يَمْنُ عَصَى
النَّصِيحِ ، وَخَالَفَ الرَّشِيدَ ، وَأَضْفَى إِلَى التَّقَاطُعِ ، وَرَأَيْتُمْ مَا آَلَتْ إِلَيْهِ عَوَاقِبُ
سُوءِ سَفِيهِمْ ، وَكَيْفَ كَانَ صَيُورُ ^(١٢) أُمُورِهِمْ ، فَتَلَاوُوا الْقُرْحَةَ ^(١٣) قَبْلَ
تَقَاقُمِ الثَّأْيِ ^(١٤) ، وَاسْتِفْعَالِ ^(١٥) الدَّاءِ ، وَإِعْوَازِ الدَّوَاءِ ، فَإِنَّهُ إِذَا سَفِكَتِ
الدَّمَاءُ ، أَسْتَحْكَمَتِ الشَّخَنَاءُ ، وَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ الشَّخَنَاءُ ، تَقَضَّبَتِ ^(١٦) عُرَى
الْإِبْقَاءِ ، وَشَمِلَ ^(١٧) الْبَلَاءُ .

-
- (١) التخبیط : ركوب الرجل رأسه في الشر خاصة ، أو السير على غير هدى . (٢) ركب فلان هجاج (غير مصروف) ، ووهاج مبنيا على الكسر : أى ركب رأسه . (٣) الاستحقاب : استفعال من الحقيية أو من الحقاب ، فأما الحقيية ، فأي يحمل الرجل فيه متاعه من خرج أو غيره ، والحقاب : يرمي تشد به المرأة وسطها (والبريم خيط فيه لوتان) ، وهذا مثل : إما أن يكون أراد أنه احتزم بالهجاج أو جملة في وعائه . (٤) التورد : الإشراف على المساء وغيره ، دخله أو لم يدخله . (٥) الأصل .
(٦) انتقاض : (والأنكاث جمع نكث ، وهو مانقض من الحبال ليعاد ثانية) . (٧) القرابة .
(٨) ناعمة من الرفاهية . (٩) ثابتة . (١٠) متصلة . (١١) ممكنة قد أمكنت من عرضها ، أى من جنبها وناحيتها ، يقال قد أعرض لك الظى فارمه ، أى أمكنتك من عرضه . (١٢) عاقبة .
(١٣) الجرح . (١٤) السعى والمثالى : الإفساد والجراح والقتل ونحوه . (١٥) اشتداده ، وهو أن يصير مثل الفحل . (١٦) تقطعت . (١٧) من بابي فرح ونصر .

٢ - مقال سبيع بن الحرث

فَقَالَ سَبِيعُ :

أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنَّ عَدَاوَةَ بَنِي الْعَلَاتِ ^(١) لَا تُبْرِئُهَا الْأَسَاءَةُ ^(٢) ، وَلَا تَشْفِيهَا الرُّقَاةُ ، وَلَا تَسْتَقِلُّ ^(٣) بِهَا الْكُفَاةُ ، وَالْحَسَدُ الْكَامِنُ ، هُوَ الدَّاءُ الْبَاطِنُ ، وَقَدْ عَلِمَ بَنُو أَيْبِنَا هَوْلَاءَ ، أَنَا لَهُمْ رِدْءٌ ^(٤) إِذَا رَهَبُوا ، وَغَيْثٌ إِذَا أَجْدَبُوا ، وَعَصْدٌ إِذَا حَارَبُوا ، وَمَمَرٌ إِذَا نَكَبُوا ، وَأَنَا وَإِيَّاهُمْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

إِذَا مَا عَلَوْا قَالُوا أَبُونَا وَأَمْنَا وَلَيْسَ لَهُمْ عَالِينَ أُمَّ وَلَا أَبُ

٣ - مقال ميثم بن مشوب

فَقَالَ مَيْثَمُ :

أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنَّ مَنْ نَفَسَ عَلَى ابْنِ أَبِيهِ الرَّعَامَةَ ، وَجَدَبَهُ ^(٥) فِي الْمَقَامَةِ ^(٦) ، وَاسْتَكْتَرَ لَهُ قَلِيلَ الْكَرَامَةِ ، كَانَ قَرِيفًا ^(٧) بِالْمَلَامَةِ ، وَمُؤْتَبًا عَلَى تَرْكِ الْأَسْتِقَامَةِ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْتَدُ لَهُمْ بَيْدٍ إِلَّا وَقَدْ نَالَهُمْ مِنَّا كِفَاؤُهَا ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ حَسَنَةً إِلَّا وَقَدْ تَطَلَّعَ مِنَّا إِلَيْهِمْ جَزَاؤُهَا ، وَلَا يَتَقَيُّأُ لَهُمْ عَلَيْنَا ظِلٌّ نِعْمَةٍ إِلَّا وَقَدْ قُوبِلُوا بِشَرِّهَا ^(٨) ، وَنَحْنُ بَنُو فَخْلٍ مُقَرَّمٌ ^(٩) ، لَمْ نَقْعُدْ بِنَا الْأُمَهَاتُ وَلَا بِهِمْ ، وَلَمْ نَنْزِعْنَا أَعْرَاقُ الشَّوْءِ وَلَا إِيَّاهُمْ ، فَعَلَامَ مَطَّ ^(١٠) الْخُدُودِ ، وَخَزَرُ الْعُيُونِ ^(١١)

(١) العلة: الضرة ، وبنو العلات بنو أمهات شتى من رجل واحد ، (والأخفاف : من أهمهم واحدة والآباء شتى) . (٢) جمع آس ، وهو الطليب . (٣) تمض بها وتحملها . (٤) عون . (٥) عابه . (٦) المجلس . (٧) خليقا . (٨) مثلها . (٩) القرم : السيد ، وأقرمه : جملة قرما . (١٠) مد . (١١) الخزر أن ينظر الرجل إلى أحد عرضيه . يقال إنه ليخازرلى : إذا نظر إليه بمؤخر عينه ولم يستقبله بنظره .

وَالْجَنَيفُ^(١) وَالْتَّصَعْرُ ، وَالْبَأُو وَالْتَّكْبُرُ ؟ أَلِكَثْرَةِ عَدَدٍ ، أَمْ لِفَضْلِ جَلَدٍ ، أَمْ لِعُطُولِ
مُعْتَقَدٍ^(٢) ؟ وَإِنَّا وَإِيَّاهُمْ لَكَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :
لَا هِ ابْنُ عَمِّكَ ، لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ عَنِّي ، وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي^(٣)
وَمَقَاطِعُ الْأُمُورِ ثَلَاثَةٌ : حَرْبٌ مُبِيرَةٌ^(٤) ، أَوْ سَلْمٌ قَرِيرَةٌ ، أَوْ مُدَاجَاةٌ
وَعَفِيرَةٌ^(٥) .

٤ - مقال مرثد الخيزر

فَقَالَ الْمَلِكُ :

لَا تُنْشِطُوا^(٦) عَقْلَ الشَّوَارِدِ ، وَلَا تُلْقِحُوا الْعُونَ الْقَوَاعِدَ^(٧) ، وَلَا تُؤَرِّثُوا^(٨)
نِيرَانَ الْأَحْقَادِ ، فَفِيهَا الْمُتَلَفَةُ الْمُسْتَأْصِلَةُ ، وَالْجَائِحَةُ^(٩) وَالْأَلِيلَةُ^(١٠) ، وَعَفَا بِالْحَلَمِ ،
أَبْلَادُ^(١١) الْكَلَمِ ، وَأَنْيَبُوا إِلَى السَّبِيلِ الْأَرْشَدِ ، وَالْمَنْهَجِ الْأَقْصَدِ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ
تُقْبِلُ بِزَبْرِجٍ^(١٢) الْغُرُورِ ، وَتُدْبِرُ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ ، ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ :

أَلَا هَلْ أَتَى الْأَقْوَامَ بِذُلَى نَصِيحَةٍ حَبَوْتُ بِهَا مَنَى سُبَيْمًا وَمِيمًا
وَقُلْتُ أَعْلَمَا أَنَّ التَّدَابِيرَ غَادَرْتُ عَوَاقِبُهُ لِلذَّلِّ وَالْقُلُّ جُرْهُمَا
فَلَا تَقْدَحَا زَنْدَ الْعُقُوقِ وَأَبْقِيَا عَلَى الْعِزَّةِ الْقَعَسَاءِ^(١٣) أَنْ تَهْذَمَا
وَلَا تَجْنِيَا حَرْبًا تَجْرُ عَلَيْكُمَا عَوَاقِبُهَا يَوْمًا مِنَ الشَّرِّ أَشْأَمَا

(١) التكبر ، وكذا البأو . (٢) اعتقد ضيعة ومالا : اقتناها . (٣) لاه : أراد الله ، فحذف
اللام الخافضة اكتفاء بالتي تليها ، والديان القائم بالأمر ، وتخزوني : تسوسني . (٤) مهلكة .
(٥) مسطرة وغفران . (٦) نشط العقدة : عقدها ، وأنشطها حلها ، والعقل ككتب جمع عقال ، وهو الحبل .
(٧) هو مثل ، وأصله في الإبل ، يقال : لقحت الناقة إذا حملت ، وألقحها الفحل ، ثم ضرب ذلك مثلا
للحرب إذا ابتدأت ، والعون جمع عوان ، وهي الغيب . يقال للحرب عوان إذا كان قد قوتل فيها مرة بعد مرة
(٨) تذكروا . (٩) الاستئصال . (١٠) الكحل . (١١) الأبلاد : الآثار ، جمع بلد (كالندوب
جمع ندب) . (١٢) السحاب الذي تشفره الريح والزينة . (١٣) الثابتة .

فَإِنَّ جُنَاةَ الْحَرْبِ لِلْحَيِّنِ عُرْضَةٌ تَفُوقُهُمْ مِنْهَا الذُّعَافُ الْمُقَشَّمَا^(١)
 حَذَارٍ ، فَلَا تَسْتَنْبِئُوهَا ، فَإِنَّهَا تَغَادِرُ ذَا الْأَنْفِ الْأَشْمُ مَكْشَمًا^(٢)
 فَقَالَا : لَا ، أَيُّهَا الْمَلِكُ . بَلْ نَقْبِلُ نَصْحَكَ ، وَنُطِيعُ أَمْرَكَ ، وَنُطْفِئُ النَّارَةَ^(٣) ،
 وَنَحْلُ الضَّغَائِنَ ، وَنَتَوَبُّ إِلَى السَّلَامِ .
 (الأمالي ١ : ٩٢)

هـ — طريف بن العاصي والحرث بن ذيبيان يتفاخران

عند بعض مقاول حمير

أَجْتَمَعَ طَرِيفُ بْنُ الْعَاصِي أَلَدُ وُصَى ، وَالْحَرِثُ بْنُ ذِيْبَانَ — وَهُوَ أَحَدُ الْمَعْمَرِينَ —
 عِنْدَ بَعْضِ مَقَاوِلِ^(٤) حَمِيرٍ ، فَتَفَاخَرَا . فَقَالَ الْمَلِكُ لِلْحَرِثِ : يَا حَارِثُ ! أَلَا تُخْبِرُنِي بِالسَّبَبِ
 الَّذِي أَخْرَجَكَ عَنْ قَوْمِكَ حَتَّى لَحِقْتُمُ بِالنَّعْرِ بْنِ عُمَانَ ؟ فَقَالَ : أَخْبَرْتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ . خَرَجَ
 هَجِينَانُ^(٥) مِنْ بَنِي عِيَانَ غَنَمًا لَهُمَا ، فَتَشَاوَلَا^(٦) بِسَيْفَيْهِمَا ، فَأَصَابَ صَاحِبُهُمْ عَقِبَ صَاحِبِنَا ،
 فَغَاتَ^(٧) فِيهِ السَّيْفُ ، فَتُزِفُ^(٨) ، فَمَاتَ ، فَسَأَلُونَا أَخْذَ دِيَةِ صَاحِبِنَا دِيَةَ الْهَجِينِ ، وَهِيَ
 نِصْفُ دِيَةِ الصَّرِيحِ^(٩) ، فَأَبَى قَوْمِي ، وَكَانَ لَنَا رِبَاءٌ^(١٠) عَلَيْهِمْ ، فَأَيُّنَا إِلَّا دِيَةَ الصَّرِيحِ ،
 وَأَبَوَا إِلَّا دِيَةَ الْهَجِينِ ، فَكَانَ أَسْمُ هَجِينِنَا ذُهَيْنُ بْنُ زَبْرَاءَ ، وَأَسْمُ صَاحِبِهِمْ عَنَقَشُ بْنُ
 مُهَيَّبَةَ ، وَهِيَ سَوْدَاءُ أَيْضًا^(١١) ، فَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ بَيْنَ الْحَيِّينَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهَا :

(١) تفوقهم : تسقيهم الفواق بالضم (وهو ما بين الحلبتين) والذعاف : الدم ، أو سم ساعة (وسم ذعاف)
 والمقشم : المخلوط . (٢) هو مثل : أى لا تخرجوا نبئتها ، وهو ما يخرج من البئر إذا حفرت : يريد
 لا تثيروا الحرب ، ومكشما : مقطوعا . (٣) المداوة والشحناء . (٤) جمع مقول ، والمقول والقليل
 هو الذى دون الملك الأعظم . (٥) الهجين : عربي ولد من أمة ، أو من أبوه خير من أمه (والمقرف :
 الذى أمه عربية ، وأبوه ليس بعربي) . (٦) تضاربا . (٧) أفسد . (٨) نزع الرجل إذا
 سال دمه حتى يصف . (٩) الصريح : الخالص النسب . (١٠) زيادة . (١١) كذا فى الأصل ،
 ولم يتقدم الحكم على شيء بالسواد ، فلعل الأصل : « ذهين بن زبراء وهى سوداء » .

حُلُومَكُمُ يَا قَوْمَ لَا تَغْزِبْنَهَا^(١) وَلَا تَقْطَعُوا أَرْحَامَكُم بِالْتِدَابُرِ
وَأَدُّوا إِلَى الْأَقْوَامِ عَقْلَ ابْنِ عَمِّهِمْ وَلَا تُزْهِقُوا سُبَّةً فِي الْعَشَائِرِ^(٢)
فَإِنَّ أَبْنَ زَبْرَاءَ الَّذِي قَادَ لَمْ يَكُنْ بِدُونِ خُلَيْفٍ أَوْ أُسَيْدِ بْنِ جَابِرٍ^(٣)
فَإِنْ لَمْ تَعَاطُوا الْحَقَّ فَالْسَيْفُ يَبْنِنَا وَيَنْسِكُمُ ، وَالسَيْفُ أَجُورُ جَائِرٍ
فَتَظْفَرُوا^(٤) عَلَيْنَا حَسْداً ، فَاجْمَعِ ذُووُ الْحِجْجِي مَنْ أَن نَلْحَقَ بِأَمْنٍ بَطْنٍ مِنَ الْأَزْدِ ،
فَلَحَقْنَا بِالنَّعْرِ بْنِ عَثْمَانَ ، فَوَاللَّهِ مَا فَتَّ^(٥) فِي أَعْضَادِنَا ، فَأَبْنَا عَنْهُمْ ، وَلَقَدْ أُنْأَرْنَا^(٦)
صَاحِبَنَا وَهَمَّ رَاغِمُونَ .

فَوُثِبَ طَرِيفُ بْنُ الْعَاصِي مِنْ مَجْلِسِهِ ، فَجَلَسَ بِإِزَاءِ الْحَرِثِ ، ثُمَّ قَالَ :
تَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ كَالْيَوْمِ قَوْلًا أَبْعَدَ مِنْ صَوَابٍ ، وَلَا أَقْرَبَ مِنْ خَطَلٍ^(٧) ، وَلَا أَجْلَبَ
لَقَدَّعٍ^(٨) مِنْ قَوْلِ هَذَا ؛ وَاللَّهِ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا قَتَلُوا بِهِجِينِهِمْ بَذَجًا^(٩) ، وَلَا رَقُوعًا بِهِ دَرَجًا ،
وَلَا أَنْظُوعًا^(١٠) بِهِ عَقْلًا ، وَلَا أَجْتَفُوعًا^(١١) بِهِ خَشَلًا^(١٢) ، وَلَقَدْ أَخْرَجَهُمُ الْخُوفُ عَنْ أَصْلِهِمْ ،
وَأَجْلَاهُمْ عَنْ مَحَلِّهِمْ ، حَتَّى أُسْتَلَانُوا خَشُونَةَ الْإِزْعَاجِ ، وَلَجُّوا إِلَى أَضْيَاقِ الْوِلَاجِ^(١٣) :
فَلَا وَذُلًا .

فَقَالَ الْحَارِثُ : أَسْمِعْ يَا طَرِيفُ ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا إِخَالَكَ كَافًا غَرْبًا^(١٤) لِسَانِكَ ،
وَلَا مُنْهِنِيًا^(١٥) شِرَّةَ نَزَوَانِكَ ، حَتَّى أَسْطُو بِكَ سَطُوعَةً تَسْكُفُ طِمَاحَكَ ، وَتَرْدُ

(١) لَا تَغْزِبْنَهَا - وَأَغْزَبَ : بَعَدَ وَأَبْعَدَ . (٢) الْعَقْلُ : الدِّيَّةُ ، يُقَالُ : عَقَلْتُ فَلَانًا إِذَا غَرَمْتُ
دِيَّتَهُ ، وَعَقَلْتُ عَنْ فَلَانٍ إِذَا غَرَمْتُ عَنْهُ دِيَّةَ جَنَائِيهِ . وَأَرْهَقْتُهُ عَمْرًا : كَلَفْتُهُ ذَلِكَ . (٣) قَادَ يَفُودُ :
مَاتَ (وَقَادَ يَفِيدُ : تَبَخَّرَ) . (٤) تَظْفَرُوا : تَظَاهَرُوا . (٥) أَوْهَنَ وَأَضْعَفَ . (٦) أَثَارَتُ : أَدْرَكْتُ مِنْهُ ثَأْرِي
(وَأَصْلُهُ أَثَارٌ) . (٧) خَطَلٌ . (٨) الْكَلَامُ الْقَبِيحُ ، أَقْدَعُ لَهُ إِذَا أَسْمَعَهُ كَلَامًا قَبِيحًا .
(٩) الْبَذَجُ : الْخُرُوفُ ، فَارِسِي مُرَبِّبٌ . (١٠) لُغَةٌ فِي أَعْطَا . (١١) صَرَعُوا .
(١٢) الْخَشَلُ : شَجَرُ الْمَقْلِ (الدُّومِ) وَهَذِهِ أَشْأَالُ كُلِّهَا ، يُرِيدُ أَنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا ثَأْرَهُ . (١٣) الْوِلَاجُ الْبَابُ ،
وَجِسْمُهُ الْوَلَجُ ، وَهِيَ أَيْضًا أَلْوَانُ الْحَيَّةِ وَالْأَزَقَةُ . (١٤) غَرْبُ الشَّيْءِ : حِدَهُ . (١٥) نَهْنَهُ عَنْ الْأَمْرِ فَتَنَتْهُ :
كَفَهُ وَزَجَرَهُ فَكَفَ ، وَالشِّرَّةُ : الْحِلَّةُ ، وَالنَزَوَانُ : الْوُثُوبُ .

جَاحَكَ ، وَتَسَكَّيْتَ تَتَرُّعَكَ^(١) ، وَتَقَمَّ تَسْرُعَكَ .

فقال طريف : مهلا يا حارث ، لا تَعْرِضْ لَطُحْمَةٍ^(٢) اسْتِنَانِي ، وَذَرَبِ^(٣) سِنَانِي ، وَغَرِّبْ شَبَابِي ، وَمِيسِمِ^(٤) سِبَابِي ، فَتَكُونَ كَالْأُظْلَى^(٥) الْمَوْطُوءِ ، وَالْعَجَبُ الْمَوْجُوءِ^(٦) .
فقال الحارث : إياي تخاطب بمثل هذا القول ؟ فوالله لو وطئتكَ لَأَسَخْتُكَ^(٧) ، وَلَوْ وَهَضْتُكَ^(٨) لَأَوْهَضْتُكَ^(٩) ، وَلَوْ نَفَحْتُكَ^(١٠) لَأَفَدْتُكَ .

فقال طريف متمثلاً :

وَإِنَّ كَلَامَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ لَكَالْذَّبِيلِ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِصَامُهَا
أَمَّا وَالْأَصْنَامُ الْمَحْجُوبَةُ ، وَالْأَنْصَابِ^(١١) الْمَنْصُوبَةُ ، لَنْ لَمْ تَرَبَّعْ عَلَى ظَلْمِكَ^(١٢) ،
وَتَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ ، لَأَدْعَنَّ حَزَنَكَ سَهْلًا ، وَغَمْرَكَ ضَحْلًا^(١٣) ، وَصَفَاكَ^(١٤) وَحَلَا .
فقال الحارث : أَمَا وَالله لو رُمْتُ ذَلِكَ لَمُرَّغْتَ بِالْحَضِيضِ^(١٥) ، وَأَغْصِصْتَ
بِالْجَرِيضِ^(١٦) ، وَضَاقَتْ عَلَيْكَ الرَّحَابُ ، وَتَقَطَّعَتْ بِكَ الْأَسْبَابُ ، وَلَأَلْفَيْتَ لَقَى^(١٧)

-
- (١) التمرع إلى الشر . (٢) طحمة السيل دفعته ، واستن الفرس قص وعدا لمرحه ونشاطه شوطا أو شوطين ، والاستنان : النشاط ، استن الفرس : جرى في نشاطه على سنه في جهة واحدة .
(٣) اللرب : الحدة ، وكذا الغرب . (٤) المكواة . (٥) الأظل : أسفل خف البعير .
(٦) العجب : أصل الذنب والموجوء : المدقوق (من وجأ التيس : دق عروق خصيه بين حجرين ولم يخرجهما شيئا بالخصاء) . (٧) أساخه : جعله يسبخ (أو يسوخ في الأرض) أي يغوص . (٨) كسرتك .
(٩) صرعتك صرعة لا تقوم منها . (١٠) نفحه بسيفه : تناوله . (١١) الأنصاب : حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيها عليها ويذبح لغير الله تعالى ، وقيل الأنصاب حجارة نصبت وعبدت من دون الله جمع نصب ، وقيل النصب جمع نصاب . (١٢) ربع يربع : كف ، وظلع ظلما غمز في مشيه ، واربعة على ظلمك أي إنك ضعيف فانه عما لا تطيقه وكف . (١٣) الغمر : الماء الكثير ، والضحل : الماء القليل (وكذا الضحضاح) . (١٤) الصفا : جمع صفاة وهي الحجر الصلد الضخم أو الصفا بمعنى الصفو .
(١٥) أسفل الجبل . (١٦) الجريض : الغصة من الجرض ، وهو الريق يفص به يقال جرض بريقه يجرض ابتله بالجهد على هم وحزن ، وفي المثل : حال الجريض دون القريض ، يضرب للأمر يقدر عليه أخيرا حين لا ينفع . قاله جوشن الكلابي حين منعه أبوه من الشعر فرض حزنا حتى أشرف على الهلاك ، فرق له وقال انطق بما أحببت ، فقال ذلك . (١٧) اللقى : الملقى المطروح .

تَهَادَاهُ الرُّوَامِسُ^(١) . بِالسَّهْبِ الطَّامِسِ^(٢) .

فَقَالَ طَرِيفُ : دُونَ مَا نَاجَتْكَ بِهِ نَفْسُكَ مُقَارَعَةُ أَبْطَالٍ ، وَحِيَاضُ أَهْوَالٍ ،
وَحَفْزَةُ^(٣) إِعْجَالٍ ، يُمْنَعُ مَعَهُ تَطَامُنُ الْإِمْنَالِ .

فَقَالَ الْمَلِكُ : إِيهَا^(٤) عَنَّا ! فَارَأَيْتَ كَأَيُّومٍ مَقَالَ رَجُلَيْنِ لَمْ يَقْصِبَا^(٥) ، وَلَمْ
يَثْلِبَا^(٦) ، وَلَمْ يَلْصُوا^(٧) ، وَلَمْ يَقْفُوا^(٨) .

(الأمال ١ : ٧٣)

(١) الروامس : الرياح التي ترمس أى تدفن . (٢) المستوى من الأرض ، والطامس : الدارس
(كالطامس) (٣) الحفز : الدفع . (٤) إِيهَا : كلمة زجر بمعنى حسبك (وإِيه : أمر . كلمة
استزادة واستنطاق) . (٥) لم يشتا . قصبه يقصبه إذا وقع فيه وأصله القطع . (٦) ثلبه : عابه .
(٧) لصاه : قذفه . (٨) قفاه : قذفه بأمر عظيم .

وفود العرب

يعزون سلامة ذا فائش بابن له مات

نشأ لسلامة ذى فائش ابنٌ كَأَ كُلِّ أبنَاءِ الْمَقَاوِلِ ، وكان مسروراً به يرشحه لموضعه ،
فركب ذات يوم فرساً صعباً ، فكبا به فوقه^(١) ، فجزع عليه أبوه جزعاً شديداً ، وامتنع
من الطعام ، واحتجب عن الناس ، واجتمعت وفود العرب ببابه ليعزوه ، فلامه نصحاؤه
في إفراط جزعه ، فخرج إلى الناس فقام خطبائهم يؤسونه^(٢) ، وكان في القوم الملبب
ابن عوف ، وجُعَادَةُ بن أفلح ، فقام الملبب فقال :

٦ - خطبة الملبب بن عوف

أيها الملك ، إن الدنيا تجود لتسلب ، وتعطى لتأخذ ، وتجمع لِدُشْدَتٍ ، ومُنْخَلٍ لِتُمَرٍّ ،
وتزرع الأحزان في القلوب ، بما تَفْجَأُ به من استرداد الموهوب ، وكلّ مصيبة تَخْطَأُ نَكَ
جَلَلٌ^(٣) ، ما لم تُدْنِ الأجل ، وتَقْضِ الأمل ، وَإِنْ حَادِثًا أَلَمَّ بِكَ ، فاستبد^(٤) بأقلك ،
وصفح عن أكثرك ، لمن أجل النعم عليك ، وقد تنأهت إليك أنباء من رُزِيَّ
فَصَبَرَ ؛ وَأَصِيبَ فَاغْتَفَرَ ، إِذْ كَانَ شَوَى^(٥) فِيمَا يُرْتَقَبُ وَيُحْذَرُ ، فَاسْتَشْعِرِ الْيَأْسَ عَمَّا
فَاتَ ، إِذْ كَانَ ارْتِجَاعُهُ مُمْتَنِعًا ، وَمَرَامُهُ مُسْتَصْعَبًا ، فَلِشَيْءٍ مَا ضُرِبَتْ الْأُمَى ، وَفَزِعَ
أُولُو الْأَبَابِ إِلَى حَسَنِ الْعِزَاءِ .

(١) وقص صفة : كسرهما . (٢) أساء تأسية : عزاء ، وأصله : أن يقول له لك أسوة بفلان
وفلان . (٣) الجلل : العظيم والحقير وهو هنا بالمعنى الثاني . (٤) البدة بالضم : النصيب ، واستبد به :
جعله نصيبه . (٥) الشوى : الهين اليسير ورذال المال .

٧ — خطبة جماعة بن أفلح

وقام جُماعة فقال : « أيها الملك ، لا تُشِيرْ قلبك الجزع على ما فات ، فَيَغْفَلَ دهنك عن الاستعداد لما يَأْتِي ، وَنَاضِلْ عوارِضَ الحزن بالأَنفة عن مضاهاة^(١) أفعال أَهْلِ وَهْيِ^(٢) الْقَمُولِ ، فَإِنَّ العزاءَ لِحُزْمَاءِ الرِّجَالِ ، وَالْجَزَعَ لِرَبَّاتِ الْحِجَالِ^(٣) ، وَلَوْ كَانَ الْجَزَعُ يَرُدُّ فائِئَتَنَا ، أَوْ يُنْجِي تَالِفَنَا ، لَكَانَ فِعْلاً دَنِيئًا ، فَكَيْفَ وَهُوَ بِجَانِبِ لِأَخْلَاقِ ذَوِي الْأَبَابِ ، فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ عَمَائِيَهَاتِ^(٤) فِيهِ الْأَرْذَلُونَ ، وَصَنْ قَدْرَكَ عَمَّا يَرْكَبُهُ الْخُسُوسُونَ ، وَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ أَنْ طَمَعَكَ فِيمَا اسْتَبَدَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ ، ضِلَّةٌ كَأَحْلَامِ النَّيَّامِ » .

(الأمالي ٢ : ١٠١)

٨ — تساؤل عامر بن الظرب وحممة بن رافع

عند أحد ملوك حمير

اجتمع عامر بن الظَّرِبِ الْعَدَوَانِي، وَحُمَّةُ بْنُ رَافِعِ الدَّوْسِيِّ عند ملك من ملوك حمير، فقال : تساء لا حتى أسمع ما تقولان . قال عامر لحممة : أين تحب أن تكون أياديك ؟ قال : عند ذِي الرَّثِيَّةِ^(٥) العديم ، وَذِي الْخَلَّةِ^(٦) الكريم ، والمعسر الغريم ، والمستضعف المضم . قال : من أحق الناس بالمت ؟ قال : الفقير المحتال ، والضعيف الصَّوَّال ، والعيَّ القوَّال . قال : فمن أحق الناس بالمنع ؟ قال : الحرِيسُ السَّكَّانْدُ^(٧) ، والمستميد^(٨) الحاسد ، وَالمُلْحِفُ الواجد . قال : فمن أَجْدَرُ الناس بالصَّنِيعَةِ ؟ قال : من إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ ، وَإِذَا

(١) مشاكلة . (٢) ضمف . (٣) والحجال جمع حجلة (بفتح الحين) ، وهي القبة وموضع يزين بالثياب والستور للعروس . (٤) التهافت : التتابع . (٥) الرثية : وجع المفاصل واليدين والرجلين (الروماتزم) . (٦) الخلعة الحاجة . (٧) السكائد : الذي يكفر النعمة ، والكنود الكفور : (إن الإنسان لربه لكنود) . (٨) المستميد والمستمير : المستطى .

مُنِعَ عَدَرٌ ، وَإِذَا مُوْطِلَ صَبَرَ ، وَإِذَا قَدَّمَ الْعَهْدُ ذَكَرَ . قال : من أكرم الناس عشرة ؟ قال : من إن قُرْبَ مَنْحَ ، وإن بَعْدَ مَدْحَ ، وإن ظَلِمَ صَفَحَ ، وإن ضُويقَ سَمَحَ ، قال : من ألام الناس ؟ قال : من إذا سَأَلَ خَضَعَ ، وإذا سُئِلَ مَنَعَ ، وإذا مَلَكَ كَنَعَ^(١) ، ظَاهِرُهُ جَشَعَ^(٢) ، وباطنه طَبَعَ^(٣) . قال : فمن أحلم الناس ؟ قال : من عفا إذا قَدَرَ ، وأجل إذا انتصر ، ولم تُطغِهِ عِزَّةُ الظفر . قال : فمن أحزم الناس ؟ قال : من أخذ رِقَابَ الأمور بيديه ، وجعل العواقب نُصْبَ عينيه ، ونبذ التهيّبَ دَبْرَ أذنيه^(٤) ، قال : فمن أخرج الناس ؟ قال : من ركب الخطار^(٥) ، واعتسف^(٦) العِثَارَ ، وأسرع في البِيدار ، قبل الاقتدار . قال : فمن أجود الناس ؟ قال : من بذل المجهود ، ولم يَأْسَ على المجهود . قال : فمن أبلغ الناس ؟ قال : من جَلَّى المعنى المَزِيزَ^(٧) ، باللفظ الوجيز ، وَطَبَّقَ^(٨) المَفْصِلَ قبل التحزير . قال : فمن أنعم الناس عيشاً ؟ قال : من تحلّى بالعفاف ، ورضى بالكفاف ، وَتَجَاوَزَ مَا يَخَافُ إِلَى مَا لَا يَخَافُ . قال : فمن أشقى الناس ؟ قال : من حسد على النعم ، وتسخط على الْقِسْمِ ، واستشعر الندم ، على فوت ما لم يُحْتَمَ . قال : من أغنى الناس ؟ قال : من استشعر اليأس ، وأبدى التّجمل للناس ، واستكثر قليل النعم ، وَلَمْ يَسْخَطْ عَلَى الْقِسْمِ . قال : فمن أحكم الناس ؟ قال : مَنْ صَمَتَ فَأَدَّ كَرَّ ، ونظر فاعتبر ، وَوَعِظَ فَازْدَجَرَ . قال : من أجهل الناس ؟ قال : من رأى الخُرْقَ مَغْمًا ، والتجاوز مَغْرَمًا .

(الأمالي ٢ : ٢٨٠)

٩ — خطبة عامر بن الظرب العدواني وقد خطبت ابنته

خطب صعصعة بن معاوية إلى عامر بن الظرب العدواني ابنته عمرة فقال :

-
- (١) تقبض . تكتنع جلده إذا تقبض أى مسك بخيل . (٢) الجشع : أسوأ الخرص . (٣) الدنس . (٤) جعلت الشيء دبر أذن : إذا لم ألقت إليه . (٥) جمع خطر ، وهو الإشراف على الهلاك . (٦) الاعتساف : ركوب الطريق على غير هداية وركوب الأمر على غير معرفة . (٧) الصعب . (٨) التطبيق : أن يصيب السيف المفاصل فيفصلها لا يجاوزها .

« يا مصعنة إنك جئت تشتري منى كبدى ، وأرحم ولدى عندى ، منعتك ، أو بعثك ،
النكاح خير من الأئمة^(١) ، والحسيب كفء الحسيب ، والزوج الصالح أبٌ بعد أبٍ ،
وقد أتكحتك خشية ألا أجد مثلك ، أفرّ من السر إلى العلانية ، أنصحُ ابنا ، وأودِعُ
ضعيفاً قوياً ، ثم أقبل على قومه فقال :

« يا معشر عدوان : أخرجت من بين أظهركم كرىمتكم ، على غير رغبة عنكم ،
ولكن من خُطّ له شيء جاءه ، رب زارعٍ لنفسه حاصدٌ سواء ، ولولا قسَمُ المخطوظ
على قدر الجلود ، ما أدرك الآخر من الأول شيئاً يعيش به ، ولكن الذى أرسل الحيا^(٢) ،
أثبت المرعى ، ثم قَسَمَهُ أَكْلاً^(٣) لكل فَمٍ بَقْلَةً ، ومن الماء جرعة ، إنكم ترون
ولا تعلمون ، لن يرى ما أصف لكم إلا كلُّ ذى قلب واعٍ^(٤) ، ولكل شيء راعٍ ،
ولكل رزق ساعٍ ، إما أكيسٌ وإما أحمقٌ ، وما رأيت شيئاً إلا سمعت حسه ،
ووجدت مسه ، وما رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً ، وما رأيت جاثياً إلا داعياً ، ولا غامماً
إلا خائباً ، ولا نعمة إلا ومعها بؤس ، ولو كان يُمَيِّتُ الناسَ الدَّاءَ ، لأحياهم الدواء ، فهل
لكم فى العلم العليم ؟ قيل ما هو ؟ قد قلت فأصبت ، وأخبرت فصدقت ، فقال : أموراً
شتى ، وشيئاً شياً ، حتى يرجع الميت حياً ، ويعود لاشئ شيئاً ، ولذلك خلقت الأرض
والسموات ، فتولّوا عنه راجعين ، فقال : وَيْلُهُما^(٥) نصيحة لو كان من يقبلها .

(مجمع الأمثال ١ : ٢١١ ، البيان والتبيين ٢ : ٣٧ ، والمقد القرين ٣ : ٢٢٣)

١٠ — حديث بعض مقاول حمير مع ابنه

وما دار بينه وبينهما من المساءلة حين كبرت سنه

كان لرجل من مقاول حمير ابنان ، يقال لأحدهما عمرو ، وللآخر ربيعة ، وكانا قد

(١) الأيى : الذين لأزواج لهم من الرجال والنساء الواحد منهما أيم كجيد ، سواء كان تزوج من
قبل أم لم يتزوج ، وامرأة أيم بكرا كانت أو ثيبا ، وقد آتت تميم أيماء وأيماء وأيوما ، وفى الحديث :
« أنه كان يتعوذ من الأئمة » . (٢) الحيا : المطر . (٣) الأكل : ما يؤكل والرزق . (٤) حافظ .
(٥) يقال للمستجد ويلمه أى ويل لأمه ، كقولهم : لأب لك يريدون لأب لك فركبوه وجعلوه كالشيء الواحد .

برعا في الأدب والعلم ، فلما بلغ الشيخ أقصى عمره ، وأشفى ^(١) على الفناء ، دعاها لِيَبْلُوَ ^(٢) عقولهما ، ويعرف مبلغ علمهما ، فلما حضرا : قال لعمرو - وكان الأكبر - أخبرني عن أحب الرجال إليك ، وأكرمهم عليك . قال : « السيد الجواد ، القليل الأنداد ، الماجد الأجداد ، الراسي الأوتاد ، الرفيع العماد ، العظيم الرماد ، الكثير الحساد ، الباسل الذؤاد ^(٣) ، الصادر الوراد » قال : ما تقول ياربعة ؟ قال : ما أحسن ما وصف ! وغيره أحب إلى منه ، قال : ومن يكون بعد هذا ؟ قال : « السيد الكريم ، المانع للحريم ، المفضل الحليم ، القمقام ^(٤) الزعيم ، الذي إن هم فعل ، وإن سُئِلَ بذل » .

قال : أخبرني يا عمرو بأبغض الرجال إليك ؟ قال : البرم ^(٥) القنيم ، المستخذي ^(٦) للخصيم ، المبطان ^(٧) النهيم ، العبي البكيم ، الذي إن سئل منع ، وإن هُدِّد خضع ، وإن طلب جشع ^(٨) . قال : ما تقول ياربعة ؟ قال : غيره أبغض إلى منه . قال : ومن هو ؟ قال : النثوم الكذوب ، الفاحش الغصوب ، الرغيب عند الطعام ، الجبان عند الصدام .

قال : أخبرني يا عمرو : أي النساء أحب إليك ؟ قال : الهر كولة ^(٩) اللقاء ^(١٠) ، المنكورة ^(١١) الجيدةاء ، التي يشفى السقيم كلامها ، ويبرئ الوصب ^(١٢) إلسامها ، التي إن أحسنت إليها شكرت ، وإن أسأت إليها صبرت ، وإن استعبتبها ^(١٣) أعبتبت ، الفاترة الطرف ، الطفلة ^(١٤) الكف ، العميمة الرذف . قال : ما تقول ياربعة ؟ قال : نعت فأحسن ! وغيرها أحب إلى منها . قال : ومن هي ؟ قال : « الفتانة العينين ،

(١) أشفى عليه : أشرف . (٢) ليختبر . (٣) من زاد عنه : إذا دفع . (٤) السيد (ويضم) . (٥) البرم : من لا يدخل مع القوم في الميسر . (٦) الخاضع المستكين ، والخصيم : المخاصم . (٧) من همه بطنه ، أو الرغيب لا ينتهي من الأكل . (٨) الجشع : أسوأ الخرص . (٩) المرتجة الأرداف . (١٠) الملتفة الجسم . (١١) المطوية الخلق من النساء والمستديرة الساقين ، والجيدةاء : من الجيد بالتحريك ، وهوطول الرقة ، أودقتها مع طول . (١٢) المريض . (١٣) استعبتبه : طلب إليه العتي (الرضا) وأعتبه أعطاه العتبي . (١٤) الناعمة .

الاسيلة^(١) الخدين ، الكاعب^(٢) النديين ، الرّداح^(٣) الوركين ، الشاكرة للقليل ، المساعدة للحيل^(٤) ، الرّخيمة^(٥) الكلام ، الجّماء^(٦) العظام ، الكريمة الأخوال والأعمام ، العذبة اللّثام^(٧) .

قال : فأى النساء إليك أبغض يا عمرو ؟ قال : الفتّات^(٨) الكذوب ، الظاهرة العيوب ، الطّوّاف^(٩) الهَيُوب ، العابسة القطوب ، السّبابة الوُتُوب ، التى إن ائتمنها زوجها خانتها ، وإن لان لها أهانتها ، وإن أرضاها أعضبتها ، وإن أطاعها عصته ، قال : ماتقول يا ربيعة ؟ قال : بئس والله المرأة ذكر ! وغيرها أبغض إلىّ منها . قال : وأيتهنّ التى هى أبغض إليك من هذه ؟ قال : السّليطة^(١٠) اللسان ، المؤذية للجيران ، الناطقة بالبّهتان ، التى وجهها عابس ، وزوجها من خيرها آيس ، التى إن عاتبها زوجها وتّرت^(١١) ، وإن ناطقها اتّهرته . قال ربيعة : وغيرها أبغض إلىّ منها . قال : ومن هى ؟ قال : التى شقى صاحبها ، وخزىّ خاطبها ، وافتضح أقاربها . قال : ومن صاحبها ؟ قال : مثلها فى خصالها كلها ، لا تصلح إلا له ، ولا يصلح إلا لها . قال : فصفه لى . قال : الكفور غير الشّكور ، اللّثيم الفجور ، العبوس الكالح^(١٢) ، الحرون الجامح ، الرّاضى بالهوان ، المحتال المثّان ، الضعيف الجتّان ، الجعد^(١٣) البنّان ، القنول غير الفُقول ، الملول غير الوصول ، الذى لا يرع^(١٤) عن المحارم ، ولا يرتدع عن المظالم .

قال : أخبرنى يا عمرو : أى الخليل أحب إليك عند الشّدائد ، إذا التقى الأقربان للتّجالد ؟ قال : الجواد الأنيق ، الحصان العتيق ، الكفّيت^(١٥) العريق ، الشّديد الوثيق ، الذى يفوت إذا هرب ، ويَلْحَقُ إذا طلب . قال : نعم الفرس والله نعت ! قال : فما تقول

(١) الأسيل من الحدود : الطويل المسترسل . (٢) كعب الثدى : نهـد . (٣) الثقيلة المعجزة الضخمة الوركين . (٤) الزوج . (٥) اللينة الكلام . (٦) التى ليس لعظامها حجم . (٧) المراد موضع اللّثام ، فهو على حذف مضاف . (٨) النّامة . (٩) الكثيرة الانتباه ، والهيوب : الريح المثيرة للغبار . (١٠) الطويلة . (١١) أحفظته وأغضبته . (١٢) كالج : تكشر فى عبوس . (١٣) كناية عن البخل . (١٤) ورع : كورث كف . (١٥) السريع .

يا ربيعة؟ قال : غيره أحبُّ إلىَّ منه . قال : وما هو؟ قال : الحصان الجَوَاد ، السَّلس
القيَاد ، الشَّهم الفَوَاد ، الصَّبور إذا سرى ، السابق إذا جرى .

قال : فأى الخيل أبغض إليك يا عمرو؟ قال : الجَمُوح الطَّمُوح ، النَّكُول^(١)
الأنُوح^(٢) ، الصَّنُول^(٣) الضَّعيف ، المَلُول العنيف ، الذى إن جاريته سبقتة ، وإن طالبتة
أدركته . قال : ما تقول يا ربيعة؟ قال : غيره أبغض إلىَّ منه . قال : وما هو؟ قال :
البطىء الثقيل ، الحرُّون السَّكَلِيل ، الذى إن ضربته قَمَص ، وإن دنوت منه شَمَس^(٤) ،
يدركه الطالب ، ويفوته الهارب ، وَيَقْطَع بالصاحب . قال ربيعة : وغيره أبغض إلىَّ منه .
قال : وما هو؟ قال : الجَمُوح الخَبُوط^(٥) ، الرَّاكُوز الخَرُوط^(٦) ، الشَّمُوس الصَّرُوط^(٧) ،
الْقَطُوف^(٨) فى الصعود والمهبوط ، الذى لا يُسَلِّم الصاحب ، ولا ينجو من الطالب .

قال : أخبرنى يا عمرو أى العيش أَلَدُّ؟ قال : عيش فى كرامة ، ونعيم وسلامة ،
واغتياق^(٩) مُدَامَة . قال : ما تقول يا ربيعة؟ قال : نَعَمَ الْعَيْشُ والله وصف ! وغيره
أحبُّ إلىَّ منه . قال : وما هو؟ قال : عيش فى أمن ونعيم ، وَعَزِيزٌ وغنى عَمِيم ، فى ظل
نجاح ، وسلامة مَسَاءً وصباح ، وغيره أحبُّ إلىَّ منه . قال : وما هو؟ قال : غِنَى دَائِم ،
وعيش سالم ، وظِلٌّ ناعم .

قال : فما أحبُّ السيف إليك يا عمرو؟ قال : الصَّعِيلُ الحُسَام ، الباتر المَجْذَام^(١٠) ،
المَاضِى السَّطَام^(١١) المُرْهَف^(١٢) الصَّمَصَام^(١٣) ، الذى إن هزرتة لم يَكْب^(١٤) ، وإذا
ضربت به لم يَنْب^(١٥) . قال : ما تقول يا ربيعة؟ قال : نعم السيف نعت ! وغيره أحبُّ

(١) النكول : الذى يتكل عن قرنه . (٢) الكثير الزحير . (٣) كثير الصنيل : وصنيل
الفرس : صهيله . (٤) شمس الفرس ، منع ظهره : فهو شامس وشموس . (٥) الكثير الخبط :
وهو السير على غير هدًى . (٦) الخروط : الدابة الجموح تجتذب رسلها من يد ممسكها ثم تمضى .
(٧) الكثير الضراط . (٨) قطفت الدابة : ضاق مشياً فهي قطوف . (٩) اغتياق : شرب
القبوق ، وهو ما يشرب بالمشى ، والمدامة : الخمر كالمدام . (١٠) من الجذم : وهو القطع . (١١) الحد .
(١٢) رَهَف السيف ، وأرهفه : رققه . (١٣) السيف لا ينثى كالصمصامة . (١٤) لم يعثر .
(١٥) لم يكل عن الضريبة .

إلى . قال : وما هو ؟ قال : الحسام القاطع ، ذو الرنق اللامع ، الظمان الجائع ، الذى إن هزته هتَكَ^(١) ، وإذا ضربت به بَتَكَ^(٢) . قال : فما أبغض السيوف إليك يا عمرو ؟ قال : الْفُطَارُ^(٣) الْكَهَامُ^(٤) ، الذى إن ضرب به لم يقطع ، وإن ذُبح به لم يَنْخَعِ^(٥) . قال : فما تقول يا ربعة ؟ قال : بئس السيف والله ذكر ! وغيره أبغض إلى منه . قال : وما هو ؟ قال : الطَّبِيعُ^(٦) الدَّدَانُ^(٧) ، المِعْصَدُ^(٨) المَهَانُ .

قال : فأخبرنى يا عمرو : أى الرِّماح أحبُّ إليك عند المِرَّاس ، إذا أعتكر البأس ، وأَشْتَجَرَ الدَّعَاسُ^(٩) ؟ قال : أحبها إلى المَارَنُ^(١٠) الْمُثَقَفُ ، الْمُقَوِّمُ الْمُخْطَفُ^(١١) ، الذى إذا هزته لم ينعطف ، وإذا طعنت به لم ينقصف . قال : ما تقول يا ربعة ؟ قال : « نِعَمَ الرِّمَحِ نَعْتٌ ! وغيره أحبُّ إلى منه » . قال : وما هو ؟ قال : الذَّابِلُ^(١٢) النَّسَّالُ ، الْمُقَوِّمُ النَّسَّالُ ، المَأْخِى إِذَا هَزَزْتَهُ ، النَّافِذُ إِذَا هَمَزْتَهُ .

قال : فأخبرنى يا عمرو عن أبغض الرِّماح إليك ؟ قال : الْأَعْصَلُ^(١٣) عند الطعان ، المثلَّمُ السَّنَانُ ، الذى إذا هزته انعطف ، وإذا طعنت به انقصف . قال : ما تقول يا ربعة ؟ قال : بئس الرِّمَحُ ذَكَر ! وغيره أبغض إلى منه . قال : وما هو ؟ قال : الضَّعِيفُ الْمَهْزِرُ^(١٤) ؛ الْيَابِسُ الْكَزْزُ^(١٥) ، الذى إذا أكرهته انحطم ، وإذا طعنت به انقصم . قال : انصرفا ، الآن طأب لى الموت . (الأمال ١ : ١٥٢)

(١) مزق . (٢) قطع . (٣) الذى لا يقطع ، وهو مع ذلك حديث الطبع . (٤) سيف كهام : كليل . (٥) لم يبلغ الخناع . (٦) من الطبع : أى الصدا . (٧) الذى لا يقطع . (٨) القصير الذى يمتحن فى قطع الشجر وغيرها . (٩) الطعان : دعه إذا طعنه . (١٠) المارن : مالان من الرمح ، والمثقف : المسوى بالثقاف ، وهو ماتسوى به الرماح . (١١) الخطف بضم فسكون : الضمر ، وإخطف الحشى : انطاوؤه ، ومنه فرس مخطف الحشى : أى ضامره ، ورجل مخطف كذلك ، ورمح مخطف أى دقيق . (١٢) قنا ذابل : أى دقيق لاصق بالليط (بكسر اللام ، والليطة : قشر القنأة) ، والعسال : انشديد الاضطراب إذا هزته ومنه العسالان بالتحريك ، وهو عدو فيه اضطراب ، والنسلان قريب منه . (١٣) الملتوى : الموج (١٤) مهزه كمنعه : دفعه . (١٥) الكزازة : اليبس والانقباض كز فهو كز .

١٦ - إحدى ملكات اليمن وخاطبوها

وذكروا أن ملكة كانت بسباً^(١) ، فأتاها قوم يخطبونها ، فقالت : ليصف كل رجل منكم نفسه ، وليصدق وليؤجز ، لأتقدم إن تقدمت ، أو أدع إن تركت ، على علم ، فتكلم رجل منهم يقال له مُدْرِك ، فقال : « إن أبي كان في العز الباذخ^(٢) ، والحبب الشامخ ، وأنا شرس الخليفة ، غير رعيدي^(٣) عند الحقيقة » قالت : لاعتاب على الجنادل فأرسلتها مثلاً^(٤) ، ثم تكلم آخر منهم ويقال له ضبيس بن شرس فقال : « أنا في مال أثيث^(٥) ، وخلقي غير خبيث ، وحسبي غير عثيث^(٦) ، أحذو النعل بالنعل ، وأجزى القرض^(٧) بالقرض » فقالت : لايسرك غائباً من لايسرك شاهداً ، فأرسلتها مثلاً . ثم تكلم آخر منهم ، يقال له شماس بن عباس فقال : « أنا شماس ابن عباس ، معروف بالندي والباس ، حسن الخلق في سجيّة ، والعدل في قضيّة ، مالى غير محذور على الثقل والكثرة ، وبابى غير محجوب على العسر واليسر ، قالت : الخير متبع والشر محذور ، فأرسلتها مثلاً . ثم قالت : اسمع يا مدرك ، وأنت يا ضبيس ، لن يستقيم معكما معاشرّة لعشير حتى يكون فيكما ابن عريكة^(٨) ، وأما أنت يا شماس ، فقد حلّت منى محل الأهرع^(٩) من الكنانة ، والواسطة^(١٠) من القلادة ، لدمائة^(١١) خلقك ، وكرم طباعك ، ثم اسع مجدّ أدع ، فأرسلتها مثلاً ، وتزوجت شماسا .

(مجمع الأمثال ٢ : ١١٨)

-
- (١) سباً : بلدة باليمن . (٢) العالى . (٣) الرعيدي : الجبان . (٤) قال الميداني : « يضرب في الأمر الذي إذا وقع لامرء له ، قاله أبو عمرو » . (٥) كثير : عظيم . (٦) لم أجد في كتب اللغة وصفاً من مادة عث على فعيل ، وإنما الذي فيها « رجل عث بفتح العين أى ضئيل الجسم » وسياق القواصل يرجح أن الوصف الذي هنا فعيل ، وأرى أن معناه مشين معيب من عث العثة الصوف إذا أكلته فهو عثيث بمعنى معثوث . (٧) القرض : القطع . (٨) المريكة : الطبيعة ، ورجل لين المريكة : أى سلس الخلق . (٩) الأهرع آخر سهم في الكنانة رديثاً كان أو جيداً أو هو أفضل سهامها لأنه يلدخ لشدة أو هو أردوؤها ، والمراد هنا الثاني . (١٠) واسطة المقد : الجوهرة الفاخرة التي تجمل وسطه . (١١) المائة : السهولة .

١٢ — رواد مذحج يصفون ما ارتادوا من المراعي

عن أشياخ من بنى الحرث بن كعب قالوا :

« أَجْدَبَتْ بِلَادَ مَذْحِجٍ فَأَرْسَلُوا رُؤَادًا ^(١) ، مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلًا ، فَبَعَثَتْ بَنُو زَيْدٍ رَائِدًا ، وَبَعَثَتْ النَّخَعُ رَائِدًا ، وَبَعَثَتْ جُعْفَى رَائِدًا ، فَلَمَّا رَجَعَ الرُّوَادُ قِيلَ لِرَائِدِ بْنِ زَيْدٍ : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ أَرْضًا مُوشِمَةً ^(٢) الْبِقَاعِ ، نَاتِحَةً النَّقَاعِ ^(٣) ، مُسْتَحْلِسَةً الْغَيْطَانِ ^(٤) ضَاكِكَةً الْقُرْيَانِ ^(٥) وَاعْدَةً ^(٦) وَأَحْرَ بَوَافِئَهَا ، رَاضِيَةً أَرْضُهَا عَنْ سَمَائِهَا . وَقِيلَ لِرَائِدِ جُعْفَى : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ أَرْضًا جَمَعَتْ السَّمَاءَ ^(٧) أَقْطَارَهَا ، فَأَمْرَعَتْ أَصْبَارَهَا ^(٨) ، وَدَيْبَتْ أَوْعَارَهَا ^(٩) ، فَبُطْنَانِهَا غَمَقَةٌ ^(١٠) وَظُهُرَانِهَا غَدَقَةٌ ^(١١) ، وَرِيَاضُهَا مُسْتَوْسِقَةٌ ^(١٢) ، وَرَقَاقُهَا رَائِخٌ ^(١٣) ، وَوَاطِئُهَا سَارِخٌ ^(١٤) ، وَمَاشِيهَا ^(١٥) مَسْرُورٌ ، وَمُضْطَرِئُهَا ^(١٦) مُحْشُورٌ . وَقِيلَ لِلنَّخَعِ مَا وَرَاءَكَ ؟ فَقَالَ : « مَدَاحِي ^(١٧) سَيْلٍ ، وَزُهَاءٌ ^(١٨) لَيْلٍ ،

(١) الرواد : جمع رائد ، وهو المرسل في طلب الكلاء . (٢) أوشمت الأرض : إذا بدا فيها شيء من النبات (وأوشمت السماء : إذا بدا فيها برق) . (٣) النقع : جمع نقع (كشمس) وهو الأرض الحرة الطين يستنقع فيها الماء ، وناتحة : أى راشحة ، من التتح وهو خروج العرق من الجلد . (٤) الغوط ، والغيط ، والفاط ، والفاطط : المظمن الواسع من الأرض وجمعه غوط (بالضم) وأغواط وغيطان ، وغياط ، واستحلس التبت : إذا غطى الأرض أوكاد يغطيها . (٥) القران : مجارى الماء من الربو إلى الرياض جمع قرى كفى . (٦) أى تعد تمام نباتها وخيرها ، وأحر : أخلق . (٧) السماء هنا : المطر ، يريد أن المطر جاد بها ، فطال التبت ، فصار المطر كأنه قد جمع أكنافه . (٨) مرع الوادى مثلث الرء مراعاة وأمرع : أعشب وأخصب فهو مربع ومربع ، وأصبارها : نواحيها جمع صبر بالكبر والضم . (٩) ديبت : لينت . (١٠) البطنان : جمع بطن ، وهو الغامض من الأرض أى المظمن منها ، وغمقة : ندية . (١١) الظهران : جمع ظهر ، وهو ما ارتفع يسيرا ، وغدقة : كثرة البلل والماء . (١٢) منتظمة . (١٣) الرقاق : الأرض اللينة من غير رمل ، ورأخ : مفرط اللين ، يقال : ربحن العجين إذا كثرت مائه ، ورأخ العجين يريخ . (١٤) أى تسوخ رجلاه في الأرض من لينها ، وتسوخ وتثوخ واحد . (١٥) الماشى : صاحب الماشية ، مشى الرجل وأمشى : كثرت ماشيته . (١٦) المصرم : الفقير المقل . (١٧) مداحى : جمع مدحى أسم مكان من دحا الأرض يدحوها ويدحاهم دحوا : أى بسطها . (١٨) الزهاء : الشخص ، وإنما جعل نباتها زهاء ليل لشدة خضرته .

وَعَثِلَ^(١) يَواصِي غَيلاً ، قد ارتوت أجزاؤها^(٢) ، ودُمَّتْ عَزَاؤها^(٣) ، والتبتدت
أقواؤها^(٤) ، فرايدها أُنِقَ^(٥) وراعيها سَنِقَ^(٦) فلا قَضَضَ ولا رَمَضَ^(٧) ، عازِبُها^(٨)
لا يُفْزَعُ ، ووَارِدُها لا يُنْكَمُ^(٩) ، فاخْتاروا مَرَادَ^(١٠) النخعي . (الأماك ١ : ١٨٣)

١٣ — مادار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر

وبين عامر بن جوين الطائي

وفد عامر بن جوين الطائي على المنذر بن النعمان الأكبر ، جد النعمان بن المنذر ،
وذلك بعد انقضاء ملك كِنْدَةَ ، ورجوع الملك إلى نَحْمَ ، وكان عامر قد أجاز امرأ القيس
ابن حُجْر ، أيام كان مقبياً بالجَبَلَيْنِ^(١١) ، وقال كلمته التي يقول فيها :
هُنَالِكَ لَا أُعْطَى مَلِيكاً ظَلَامَةً وَلَا سُوقَةً حَتَّى يَثُوبَ ابْنُ مَنْدَلَهَ^(١٢)

(١) الفيل : الماء الجارى على وجه الأرض ، ويواصى : يواصل . (٢) الأجزاء : جمع جزر
(بضمين) وهى التي لم يصبها المطر ، أو التي قد أكل نباتها ، أو التي لا تنبت . (٣) دمت : لين
(وروى دمت كفرج) ودمت : لان ، والعزاز : الأرض الصلبة . (٤) الأقواز جمع قوز
(كشمس) : وهو المستدير من الرمل . (٥) أى معجب بالمرعى . (٦) من سقى كفرج أى بشم واتخم ،
وراعيا : الذى يراعاها . (٧) القَضَضُ : الحصى الصغار ، يريد أن النبات قد غطى الأرض فلا ترى
هناك قَضَضاً ، والرمض : أن يحصى الحصى والحجارة من شدة الحر ، يقول : ليس هناك رمض ، لأن النبات
قد غطى الأرض . (٨) العازب : الذى يعزب بإبله أى يبعد بها فى المرعى . (٩) أى لا يمنع .
(١٠) أى مرعى . (١١) الجبلان : سلمى وأجأ (كجبل) شرق المدينة ، وهما لطبي ، قال رجل من
بنى سلامان جاور فى طي :

أَلَفْتُ مَسَاكِنَ الْجَبَلَيْنِ إِلَى رَأَيْتِ الْغَوْثَ يَأْلِفُهَا الْغَرِيبَ

(والغوث قبيلة من طيء) . (١٢) قال صاحب اللسان : « ابن مندلة رجل من سادات العرب ، قال
عمر بن جوين فيما زعم السيرافى ، أو امرؤ القيس فيما حكى الفراء :

وَأَلَيْتَ لَا أُعْطَى مَلِيكاً مَقَادِقَ وَلَا سُوقَةً حَتَّى يَثُوبَ ابْنُ مَنْدَلَهَ »

وقال الميداني فى شرح المثل « لاغزو إلا التعميق » — ج ٢ : ص ١٣١ — « يقال عقب الرجل :
وهو أن يغزو مرة ثم يثنى من سنته ، وأول من قال ذلك حنبل بن الحارث بن عمرو آكل المار (أبو امرئ) =

وكان المنذر ضَغِينًا عليه ، فلما دخل عليه قال له : يا عامر ، لَسَاءَ مَتَوًى أُتِيْتَهُ رَبِّكَ
وَتَوَيْكَ^(١) ، حين حاولت إضْبَاءَ طَلَّتِهِ^(٢) ومخالفتهُ إلى عشيره ، أما والله لو كنت
كِرِيمًا لأتُوِيْتَهُ مُكْرَمًا مُوَقَّرًا ، ولجانبتَه مُسَلَّمًا ، فقال له : أبيتَ اللعن^(٣) لقد عَلِمْتُ

= القيس) وذلك أن الحرث بن مندلة ملك الشام ، وكان من ملوك سليح من ملوك الضجاعم (سليح كجريح
قبيلة باليمن ، والضجاعم كانوا ملوكا بالشام) وهو الذى ذكره مالك بن جوين الطائى فى شعره فقال :

هناك لا أعطى رئيسا مقادة ولا ملكا حتى يثوب ابن مندله

وكان قد أغار على أرض نجد ، وهى أرض حجر بن الحارث هذا ، وذلك على عهد بهرام جور ، وكان
بها أهل حجر فوجد القوم خلوفا ، (الخلوف بالضم : الذين ذهبوا من الحى ، ومن حضر منهم أيضا) ووجد
حجرا قد غزا أهل نجران ، فاستاق ابن مندلة مال حجر ، وأخذ امرأته هند الهنود (وهى هند بنت ظالم بن
وهب بن الحرث بن معاوية) ووقع بها فأعجبها ، وكان آكل المرار شيخا كبيرا ، وابن مندلة شابا جميلا ،
فقال له : النجاء النجاء ، فإن ورائك طالبا حثيثا ، وجمعا كثيرا ، ورأيا صليبا ، وحزما وكيدا ، فخرج
ابن مندلة مغذا إلى الشام (أى مسرعا) فلما رجع حجر وجد ماله قد استيق ، ووجد هنداً قد أخذت ،
فقال : من أغار عليكم ؟ قالوا ابن مندلة ، قال : مذكم ؟ قالوا : ثمانى ليال ، فقال حجر : لاغزو إلا
التمقيب ، فأرسلها مثلاً يعنى غزوه الأول والثانى .

ثم جسد فى طلب ابن مندلة ، حتى دفع إلى واد دون منزل ابن مندلة فمكن فيه ، وبعث سدوس
ابن شيبان ، فقال له . اذهب متتكرًا إلى القوم حتى تعلم لنا علمهم ، فانطلق حتى انتهى إلى ابن مندلة ، ثم
رجع إلى حجر فحدثه بحديث امرأته مع ابن مندلة ، فضرب حجر بيده على المرار (والمرار كغراب : شجرة
مرة إذا أكلت منها الإبل تقلصت مشافرها) فأكل منها من الغضب ، فسمته العرب آكل المرار ،
(وقيل : آكل المرار هو أبوه الحارث) ، ثم خرج حتى أغار على ابن مندلة فقتله ثم قتل هنداً وأنشأ يقول :

إن من يأمن النساء بشيء بعد هند لجاهل مغرور

كل أنثى وإن تبينت منها آية الحب ، حبا خيتعور

(والخيتعور : كل شئ لا يدوم على حالة واحدة ، ويضمحل كالمراب ، وكالذى ينزل من الهواء فى شدة
الحر كنسج المنكبوت) .

وذكر أبو الفرج الأصبهاني هذه القصة فى الأغاني (١٥ : ٨٢) ولسكنه روى أن الذى أغار على
حجر هو زياد بن الهبولة قال : « ثم إن زياد بن الهبولة بن عمرو بن عوف بن ضجعم بن حماطة بن سعد
ابن سليح القضاعى أغار عليه وهو ملك فى ربيعة بن نزار ، وكان قد غزا بريعة البحرين فبلغ زيادا غزاته
فأقبل حتى أغار فى مملكة حجر فأخذ مالا كثيرا وسبى امرأة حجر . . . إلى آخر القصة » .

(١) توى المسكان وبه : نزل ، وأثواه : أضافه ، والمثوى : المنزل ، والثوى : كفى البيت المهيبا
له ، والضيف وهو المراد هنا . (٢) الطلة المعجوز ، وصبا الرجل مال إلى الجهل والفتوة وأصبته المرأة
والمراد حاولت رد عزه السالف إليه . (٣) أبيت اللعن : تحية جاهلية أى أبيت أن تأتى ماثلن به .

أبناءه أدد^(١) إني لأعزها جاراً ، وأكرمها جواراً ، وأمنعها داراً ، ولقد أقام وافراً ،
وزال شاكراً ، فقال له المنذر : « يا عامر ، وإنك لتخال هُضْبَاتِ أَجَا ذاتِ الْوَبَارِ^(٢) ،
وَأَفْنِيَّاتِ سَلَمَى ذاتِ الْأَغْفَارِ^(٣) ، مَا نَعَايَكَ مِنَ الْمَجْرِ^(٤) الْجَرَارِ ، ذِي الْقَدَرِ الْكَثَارِ^(٥)
وَالْحَصْنِ وَالْمِهَارِ^(٦) وَالرَّمَاكِ الْخَرَارِ^(٧) ، وكل ماضى الْفِرَارِ^(٨) ، بيد كل مِسْفَرٍ كَرِيمِ
النَّجَارِ^(٩) ؟ قال عامر : أبيت اللعن ، إن بين تلك الهُضْبَاتِ وَالرَّعَانِ^(١٠) وَالشَّعَابِ
وَالْمُصْدَانِ^(١١) لَفَتِيَانَا أَبْطَالَا ، وكهولا أَزْوَالَا^(١٢) ، يَضْرِبُونَ الْقَوَانِسَ^(١٣) وَيَسْتَنْزِلُونَ
الْفَوَارِسَ ، بِالرَّمَاكِ الْمَدَاعِسِ^(١٤) لَمْ يَتَّبِعُوا الرِّعَاءَ^(١٥) ، وَلَمْ تُرَشِّعْهُمْ^(١٦) الْإِمَاءُ ، فقال
الملك : يا عامر لو قد تجاوزت الخيل في تلك الشعاب صهيلاً ، كانت الأصوات قَفْقَعَةً^(١٧)
وَصَلِيلَا ، وَفَفَرَ الْمَوْتُ^(١٨) ، وَأَعْجَزَ الْقَوْتُ ، فَتَقَارَشَتِ الرَّمَاكِ^(١٩) وَحَمَى السِّلَاحُ ،
لَتَسَاقَى قَوْمُكَ كَأْسَا لَا صَحْوَ بَعْدَهَا ، فقال مهلاً أبيت اللعن ، إن شَرَابَنَا وَبِيلَ ،

(١) هو أدد بن زيد بن يشجب (بضم الجيم) بن عريب (بفتح العين) بن زيد بن كهلان بن سبأ
ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وبنو أدد : هم مذحج وطي والأشعر .
(٢) الوبار : شجرة حامضة شائكة . (٣) الْفُغْرُ بِالْتَحْرِيكِ : صغار الكَلَأِ .
(٤) المجر : الجيش العظيم . (٥) الكثير . (٦) الحصن : جمع حصان ، وهو الفرس الذكر ،
والمهارة : جمع مهر ، وهو ولد الفرس . (٧) الحرار والأحرار : جمع حر ، وهو خيار كل شيء .
(٨) الفرار : الحد الرمح والسهم والسيوف . (٩) يقال هو مسمر حرب : أى موقد نارها كأنه
آلة لسمر الحرب أى إيقادها ، والنجار : الأصل .
(١٠) الرعان : جمع رعن (كشمس) وهو أنف يتقدم الجبل ، والجبل الطويل ويجمع أيضاً على
رعون .

(١١) الشعب : بالفتح الجبل ، وبالكسر : الطريق في الجبل ، ومسيل الماء في بطن أرض ، أو ما انفرج
بين الجبلين ، المصد (كشمس وكنت) والمصاد (كسحاب) الهضبة العالية وجمعه أمصدة ومصدان .
(١٢) أزوال : جمع زول ، وهو الشجاع . (١٣) القوانس : جمع قونس كجعفر ، والقونس
والقونوس : أعلى بيضة الحديد . (١٤) المداعس : جمع مدعس ، وهو الرمح الذى لا ينثنى .
(١٥) الرعاء : بالضم والكسر ، الرعاة : جمع راع . (١٦) الترشيع : التربية .
(١٧) القفقعة : حكاية صوت السلاح ، وتحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت .
(١٨) ففر الموت فاه : أى فتحه . (١٩) تقارشت الرماح : تداخلت في الحرب .

وَحَدَّثَنَا أَلِيل^(١) ، وَمَجْمَعًا صَلِيب^(٢) ، وَلِقَاءَنَا مَهْيَب^(٣) ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَامٍ إِنَّهُ لَقَلِيلٌ بَقَاءُ
الصَّخْرَةِ الصَّرَاءِ^(٤) عَلَى وَقَعِ الْمَلَّاطِيسِ^(٥) ، فَقَالَ : أَيْبَتُ اللَعْنِ ، إِنْ صَفَاتْنَا عِزُّ
الْمَرَادِيسِ^(٦) ، فَقَالَ : لَا وَقِظَنَّ قَوْمَكَ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ . ثُمَّ لَا عُقِبَتَهُمْ بَعْدَهَا رَقْدَةٌ
لَا يَهْبُ رَاقِدُهَا ، وَلَا يَسْتَقِظُ هَاجِدُهَا^(٧) ، فَقَالَ لَهُ عَامِرٌ : إِنْ الْبَغَى أَبَادَ عَمْرًا^(٨) ،
وَصَرَعَ حُجْرًا^(٩) ، وَكَانَا أَعَزَّ مِنْكَ سُلْطَانًا ، وَأَعْظَمَ شَأْنًا ، وَإِنْ لَقِينَا لَمْ تَلْقَ أَنْكَسَا

(١) حاد ، والله تأليلاً حده . (٢) عجم الود كنصر : إذا عضه ليعرف صلابته من خوره ،
والمعجم اسم مكان منه وصليب أى صلب ، وهو كناية عن شدتهم ومنعهم . (٣) صخرة صراء : صماء .
(٤) الملتطس : كنبز ، والمملطاس : الممول الغليظ لكسر الحجارة . (٥) الصفاة : الحجر الصلد الضخم ،
ويقال ناقة عبر أسفار (بتثليث العين) أى قوية على السفر تشق مامرت به ، تقطع الأسفار عليها ، وكذا
الرجل الجرى على الأسفار الماضى فيها القوى عليها ، والمردس والمرداس : شئ صلب عريض تدك به الأرض ،
وردها دكها به وردس الحجر بالحجر (كنصر وضرب) كسره ، ومعنى العبارة إن صفاتنا تحتل ذلك المراديس
فلا تتحطم تحتها ، كناية عن صلابتهم وشدتهم . (٦) الهجود : النوم .

(٧) هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء ملك الخيرة ، وكان يلقب مضط الحجارة لشدة ملكه ، وقوة
سياسته (وهو عمرو بن هند) وأمه هند بنت الحارث بن عمرو عمة امرئ القيس بن حجر بن الحارث ،
وكان سبب قتله أنه قال يوماً لجلسائه : هل تعلمون أن أحداً من العرب يأنف أن تحتم أمه أى ؟ قالوا :
مانعها إلا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبي ؟ فإن أمه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة ، وعمها كليب وائل ،
وزوجها كلثوم بن عتاب ، وابنها عمرو ، فسكت مضط الحجارة على ما فى نفسه وبعث إلى عمرو بن كلثوم
يستزيره ، ويسأله أن تزور أمه أمه ، فقدم عمرو بن كلثوم فى فرسان من بنى تغلب ، ومعه أمه ليلى ، فنزل
على شاطئ الفرات ، وبلغ عمرو بن هند قدومه ، فأمر فضربت خيامه بين الخيرة والفرات ، وأرسل إلى
وجوه أهل ملكته ، فصنع لهم طعاماً ، ثم دعا الناس إليه فقرب إليهم الطعام على باب السراق ، وجلس هو
وعمر بن كلثوم وخواص أصحابه فى السراق ، ولأمه هند قبة فى جانب السراق ، وليلى أم عمرو
ابن كلثوم معها فى القبة « وقد قال مضط الحجارة لأمه إذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق إلا الطرف
فتحى خدمك عنك ؟ فإذا دنا الطرف فاستخدى ليلى ومريها فتناولك الشئ بعد الشئ » ، ففعلت هند
ما أمرها به ابنها ، فلما استدعى الطرف ، قالت هند ليلي : ناوليني ذلك الطبق . قالت لتقم صاحبة الحاجة إلى
حاجتها ، فألحت عليها ، فقالت ليلى : وإذلاه يا آل تغلب فسمها وادها عمرو بن كلثوم ، فثار الدم فى وجهه
والقوم يشربون ، فعرف عمرو بن هند الشر فى وجهه وثار ابن كلثوم إلى سيف ابن هند وهو معلق فى
السراق وليس هناك سيف غيره فأخذه ، ثم ضرب به رأس مضط الحجارة فقتله ، وخرج فتادى يا آل
تغلب فانتهبوا ماله وخيله ، وسبوا النساء ، وساروا فلحقوا بالخيرة (تاريخ الكامل لابن الأثير ١ :
(٨) هو حجر بن الحارث (أبو امرئ القيس) وقد تقدم خبره . (٩٧٧) .

ولا أغسّاساً^(١) ، فهبّش وضائِعك وصنائِعك^(٢) ، وهلمّ إذا بدالك ، فنحن الألى قسّطوا^(٣) على الأملاك قبلك ، ثم أتى راحلته فركبها ، وأنشأ يقول :

تَعْلَمُ (أَبَيْتَ اللَّعْنَ) أَنَّ قَنَاتَنَا تَزِيدُ عَلَى غَمْرِ الثَّقَافِ تَصْعَبًا^(٤)
أَتُوْعِدُنَا بِالْحَرْبِ ؟ أُمُّكَ هَابِلٌ رُوَيْدُكَ بَرَقًا ، لَا أَبَا لَكَ ، خُلْمًا^(٥)
إِذَا خَطَرْتَ دُونِي جَدِيلَةً بِالْقَنَا وَحَامَتِ رِجَالُ الْغَوْثِ دُونِي تَحْدُبًا^(٦)
أَبَيْتُ الَّتِي تَهْوَى ، وَأَعْطَيْتُكَ الَّتِي تَسُوقُ إِلَيْكَ الْمَوْتَ أَخْرَجَ أَكْهَبًا^(٧)
فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَارَنَا فَأَتِ تَعْتَرِفْ رِجَالًا يُذِيلُونَ الْحَدِيدَ الْمُعْقَرَبًا^(٨)
وَأَمَّا لَوْ أَبْصَرْتَهُمْ فِي مَجَاهِلِهِمْ رَأَيْتَ لَهُمْ جَمْعًا كَثِيفًا وَكَوْ كِبَا^(٩)
وَذَكَرَكَ الْعَيْشَ الرَّخِيَّ جِلَادُهُمْ وَمَلَّهَى بِأَكْنَافِ السَّيْرِ وَمَشْرَبًا^(١٠)
فَأَغْضِ عَلَى غَيْظٍ وَلَا تَرْمِ الَّتِي تَحْكُمُ فِيكَ الزَّاعِيَّ الْمُحْرَبًا^(١١)

(ذيل الأمل ص ١٧٩)

- (١) الأنكاس : جمع نكس بالكسر وهو الضعيف ، والأغساس : جمع غس بالضم وهو الضعيف أيضا .
(٢) هبش : جمع ، والوضائع : جمع وضيمة ، أنقال القوم وما يأخذها السلطان من الخراج والعشور .
والصنائع : جمع صنعة : يقال هو صنعة فلان ، وصنيعه إذا اصطنته وأدبه وخرجه ورباه ، والمعنى :
فجهز للحرب ، واجمع الأموال اللازمة لذلك واحشد رجالك المدربين على القتال . (٣) أى جاروا .
(٤) الثقاف : ماتسوى به الرماح . (٥) هبلته أمه (كفرح) فقدته ، والبرق الخلب : المطمع
المخلف . (٦) خطر الرجل بسيفه وورحمه : رفعه مرة ووضعته أخرى ، وجديلة والغوث من
طبي ، وتحذب به تعلق ، وتحذب عليه تعطف . (٧) الخرج كسبب : لونان من بياض وسواد خرج
كفرح فهو أخرج ، وظليم أخرج : وهو الذى لون سواده أكثر من بياضه كلون الرماد ، والكهبة : الدهمة
(السواد) أو غبرة مشربة سوادا ، كهب كفرح وكرم فهو أكهب وكاهب . (٨) ازداده : زاره
(اقتتل من الزيارة) واعترف الذى عرفه ، وأذال ثوبه : إذا أطال ذيله قال كبير :

على ابن أبى العاصى دلاص حصينة أجاد المسدى سردا فأذاها

والحديد : الدروع ، وشئ معقرب : أى معوج معطوف ، يريد أنها دروع مزرودة (الزرد والسرد
بالفتح : تداخل حلق الدرع بعضها فى بعض) والمعنى تجد أبطالا قد لبسوا الدروع السابغة المزرودة ، وهناك
معنى آخر وهو : يقال أذال فرسه إذا أهانه ؛ والحديد : أى القرس الحديد السير أى السريع ، والمعقرب
الشديد الخلق المجتمع . وحمار معقرب الخلق أى ملزج مجتمع شديد ، فالمنى : تجد أبطالا يجهدون فى ميدان
القتال أفراسهم كرا وصولا على الأعداء . (٩) الكوكبة : الجماعة . (١٠) السدير والخورنق :
قصران بناهما النعمان الأكبر بالحيرة . (١١) الرمح الزاعى : هو الذى إذا هز كأن كعوبه يجرى
بعضها فى بعض ليته ، والمحرب : المحدد .

١٤ - قيس بن رفاعه والحارث بن أبي شمر الغساني

كان قيس بن رفاعه يفدُ سنة إلى الثَّعْمان اللَّخْمِيَّ بالعراق ، وسنة إلى الحارث ابن أبي شمر الغساني بالشَّام^(١) ، فقال له يوماً وهو عنده : يابن رفاعه ، بلغني أنك تفضل الثَّعْمان^(٢) على ؟ قال :

« وكيف أفضله عليك أبيتَ اللعن ؟ فوالله لَقَفَاكَ أَحْسَنُ من وجهه ، ولَأُثْمُكَ أَشْرَفُ من أبيه ، ولَأَبُوكَ أَشْرَفُ من جميع قومه ، ولِسِمَّاكَ أَجُودُ من يمينه ، وَلِحِرِّ مَانِكَ أَنْفَعُ من نَدَاهُ ، وَلَقَلِيلِكَ أَكْثَرُ من كثيره ، وَلِإِدَاكَ^(٣) أَغْزَرُ من غديره ، وَلِكَرْسِيِّكَ أَرْفَعُ من سريره ، وَلِجَدُولِكَ أَغْنَى من بحوره ، وَلِيَوْمِكَ أَفْضَلُ من شهره ، وَلِشَهْرِكَ أَمَدٌ من حَوْلِهِ ، وَلِحَوْلِكَ خَيْرٌ من حُقْبِهِ^(٤) ، وَلِزَنْدِكَ أَوْرى من زنده ، وَلِجَنْدِكَ أَغْزَى من جنده ، وَإِنَّكَ لَمِنْ غَسَّانِ أَرْبابِ الْمُلُوكِ ، وَإِنَّهُ لَمِنْ نَحْمِ الْكَثِيرِ النَّوْكَ^(٥) ، فَكَيْفَ أفضله عليك^(٦) ؟ » .

(الأمالي ١ : ٢٦١ ومروج الذهب ١ : ٢٩٨)

١٥ - قيس بن خفاف البرجمي وحاتم طيء

أتى أَبُو جُبَيْلٍ قَيْسَ بْنَ خَفَّافِ الْبَرْجَمِيِّ حَاتِمَ طَيْئٍ ، فِي دِمَاءِ حَمَلِهَا عَنْ قَوْمِهِ ، فَأَسْلَمُوهُ^(٧) فِيهَا ، وَعَجَزَ عَنْهَا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا تَبِينَ مِنْ يَحْمِلُهَا عَنِّي ، وَكَانَ شَرِيفًا شَاعِرًا ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ قَالَ : « إِنَّهُ وَقَعَتْ بَيْنَ قَوْمِي دِمَاءٌ فَتَوَا كُلُّوْهَا ، وَإِنِّي حَمَلْتُهَا فِي مَالِي وَأَمْلَى ،

(١) كان المناذرة ملوك الحيرة من نَحْمٍ ، والغساسنة : ملوك الشَّام من الْأَزْدِ . فكلَّاهما من أصلٍ يعني ، وكان بينهما أحقاد وأصغان وحروب . (٢) الثَّعْمان بن المنذر . (٣) انْتَادَ : الماء القليل لا مادة له . (٤) الْحَقْبُ بِالضَّمِّ وبضمَّتَيْنِ : ثَمَانُونَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ ، وَالْأَمْرُ ، وَالسَّنَةُ أَيْضًا . (٥) النَّوْكَ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ : الْحَقُّ . (٦) وَذَكَرَ الْمُسَوْدِيُّ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ كَانَ بَيْنَ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ ، وَبَيْنَ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرٍ . (٧) خَذَلُوهُ .

فَقَدَّمْتُ مَالِي ، وَكُنْتُ أُمْلَى ، فَإِنْ تَحْمِلَهَا فَرُبَّ حَقٍّ قَدْ قَضَيْتَهُ ، وَهَمٌّ قَدْ كَفَيْتَهُ ،
وَإِنْ حَالَ دُونَ ذَلِكَ حَائِلٌ لَمْ أَذِمَّ يَوْمَكَ ، وَلَمْ أَيَأَسْ مِنْ غَدِكَ . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

حَمَلْتُ دِمَاءَ لِلْبَرَاغِمِ بَجَّةً^(١) فَجُنْتُكَ لِمَا أَسْلَمْتَنِي الْبَرَاغِمُ^(٢)

وَقَالُوا (سَفَاهَا) لِمَ حَمَلْتَ دِمَاءَنَا فَقُلْتُ لَهُمْ يَكْفِي الْحِمَالَةَ حَاتِمُ^(٣)

مَتَى آتَاهَا فِيهَا يَقْلُ لِي مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا أَخْطَأْتُكَ الْأَشْأَمُ^(٤)

فِيحْمِلُهَا عَنِّي ، وَإِنْ شِئْتَ زَادَنِي زِيَادَةٌ مَنَ حَنْتَ إِلَيْهِ الْمَكَارِمُ

يَعِيشُ النَّدَى مَا عَاشَ حَاتِمُ طَيِّئُ فَإِنْ مَاتَ قَامَتْ لِلْسَخَاءِ مَآتِمُ

يُنَادِينَ مَاتَ الْجُودُ مَعَكَ فَلَا نَرَى مَجِيئًا لَهُ مَا حَامَ فِي الْجَوِّ حَاتِمُ

وَقَالَ رِجَالُهُ أَنْهَبَ الْعَامُ مَالَهُ فَقُلْتُ لَهُمْ إِنِّي بِذَلِكَ عَالِمُ^(٥)

وَلَكِنَّهُ يُعْطَى مِنْ أَمْوَالِ طَيِّئٍ إِذَا جَلَّفَ الْمَالَ الْحَقُوقُ الْوَلَوَازِمُ^(٦)

فَيُعْطَى الَّتِي فِيهَا الْغَنَى وَكَأَنَّهُ لِتَصْغِيرِهِ تِلْكَ الْعَطِيَّةَ جَارِمُ^(٧)

بِذَلِكَ أَوْصَاهُ عَدِيٌّ وَحَشَرَجٌ وَوَعَدُ وَعَبَدُ اللَّهِ تِلْكَ الْقِمَاقِمُ^(٨)

فَقَالَ لَهُ حَاتِمُ : إِنْ كُنْتُ لِأَحِبُّ أَنْ يَأْتِيَنِي مِثْلُكَ مِنْ قَوْمِكَ ، هَذَا مِرْبَاعِي^(٩) مِنَ
النَّارَةِ عَلَى بَنِي تَمِيمٍ ، فَخُذْهُ وَافِرًا ، فَإِنْ وَفَى بِالْحِمَالَةِ ، وَإِلَّا أَكَلْتُهَا لَكَ ، وَهُوَ مَائَتَا بَعِيرٍ
سِوَى بَنِيهَا وَفِصَالُهَا ، مَعَ أُنَى لَا أَحِبُّ أَنْ تُؤَيِّسَ قَوْمَكَ بِأَمْوَالِهِمْ ، فَضَحَكَ أَبُو جُبَيْلٍ
وَقَالَ : لَكُمْ مَا أَخَذْتُمْ مِنَّا ، وَلَنَا مَا أَخَذْنَا مِنْكُمْ ، وَأَيُّ بَعِيرٍ دَفَعْتَهُ إِلَيَّ ، لَيْسَ ذَنْبُهُ
فِي يَدِ صَاحِبِهِ ، فَأَنْتَ مِنْهُ بَرِيءٌ ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ وَزَادَهُ مَائَةَ بَعِيرٍ ، فَأَخَذَهَا وَانْصَرَفَ رَاجِعًا
إِلَى قَوْمِهِ . فَقَالَ حَاتِمُ فِي ذَلِكَ :

(١) البراجم من تميم . (٢) السفاه : السفه . والحماله : الدية يحملها قوم عن قوم .
(٣) الأشأَم : ضد الأيامن . (٤) أنهب المال : جمعه نهباً يفرار عليه . (٥) أي جرفته وانتقصه .
(٦) جرم الرجل (يفتحتين) : أذنب كأجرم . (٧) جمع ققام : وهو السيد . (٨) المرباع : ربع
الغنيمة ، وكان يختص به قائد النارة وفارسها .

أَتَانِي الْبَرْجِيُّ أَبُو جُبَيْلٍ لَهْمٌ فِي حَمَلَتِهِ طَوِيلٍ
 قُلْتُ لَهُ خُذِ الْمِرْبَاعَ رَهْوًا فَإِنِّي لَسْتُ أَرْضَى بِالْقَلِيلِ ^(١)
 عَلَى حَالٍ ، وَلَا عَوَّدْتُ نَفْسِي عَلَى عِلَّانِهَا عِلَّانَ الْبَخِيلِ
 فَخَذَهَا مِنْهَا مَائِنًا بِعِيرٍ سَوَى النَّابِ الرَّذِيَّةِ وَالْفَصِيلِ ^(٢)
 فَلَا مَنْ عَلَيْكَ بِهَا ، فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَنْ يُزْرَى بِالْجَزِيلِ
 فَآبَ الْبَرْجِيُّ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ أَعْبَاءِ الْحِمَالَةِ مِنْ فَتِيلِ
 يَجْرُ الذِّلُّ يَنْفُضُ مِذْرَوِيهِ خَفِيفَ الظَّهْرِ مِنْ حَمْلِ ثَقِيلِ ^(٣)

(ذيل الأما ٢٢ ، والأغاني ٧ : ١٤٥)

١٦ - مقال قبيصة بن نعيم لا مري القيس بن حجر

قدم على امرئ القيس بن حجر الكندي بعد مقتل أبيه رجال من قبائل بني أسد
 وفيهم قبيصة بن نعيم يسألونه العفو عن دم أبيه ^(١) ، فخرج عليهم في قباء وخف وعمامة
 سوداء - وكانت العرب لا تغم بالسواد إلا في الترات - فلما نظروا إليه قاموا له ، وبدر
 إليه قبيصة فقال :

« إنك في المحلِّ والقدر ، والمعرفة بتصرف الدهر ، وما تحذنه أيامه ، وتنقل به
 أحواله ، بحيث لا تحتاج إلى تذكير من واعظ ، ولا تبصير من مجرب ، ولك من سودد
 منصبك ، وشرف أعراقك ^(٢) ، وكرم أصلك في العرب ، تحدد ^(٣) يحتمل ما حُلَّ عليه

(١) يقال : آتيك به رهوا أي آتيك به عفوًا سهلاً لا احتباس فيه . (٢) الناقة المسنة ، والرذية :
 مؤث الرذى ، وهو الضعيف من كل شيء ومن أثقله المرض . (٣) المذروان . أطراف الآلية
 بلا واحد أو هو المذرى ، ومن الرأس ناحيته ، ويقال جاء ينفض مذرويه . أي باغيا مهتداً .

(٤) وكانت بنو أسد (وهم من المضرية) خاضعة للملوك كندة ، وآخر ملك عليهم هو حجر
 أبو امرئ القيس ، وقد ثاروا عليه وقتلوه لأنه كان قد عسف في حكمه لهم ، واشتط عليهم في الإتاوة التي
 يؤدونها إليه . (٥) الأعراق : جمع عرق وهو أصل كل شيء . (٦) المحدد : الأصل .

من إقالة العثرة ، ورجوع عن المفوة ، ولا تتجاوز المهم إلى غاية إلا رجعت إليك ، فوجدت عندك من فضيلة الرأي ، وبصيرة الفهم ، وكرم الصفح ، ما يطول رغباتها ، ويستغرق طلباتها ، وقد كان الذى كان من الخطب الجليل ، الذى عمّت رزيقته نزاراً واليمن ، ولم تُخصّصْ بذلك كندة دوننا ، للشرف البارِع كان الحُجر ، التاجُ والعِمة فوق الجبين الكريم ، وإخاء الحمد وطيب الشيم ، ولو كان يُفدى هالك بالأنفُس الباقية بعده لما بخلت كرامتنا بها على مثله ، ولكنه مضى به سبيل لا يرجع أخراه على أولاه ، ولا يلحق أقصاه أدناه .

فأحمد الحالات فى ذلك أن تعرف الواجب عليك فى إحدى خلال ثلاث :
إمّا أن اخترت من بنى أسد أشرفها بيتاً ، وأعلاها فى بناء المكرّمات صوتاً ، فقدّناه إليك بنسقة^(١) ، تذهب مع شفرات حُسامك بياقى قصّرتَه^(٢) ، فنقول : رجل امتحن بهالك عزيز ، فلم يستلّ سخيمته^(٣) إلا تمكينه من الانتقام . أو فداء بما يروح^(٤) على بنى أسد من نعمها ، فهى ألوف تجاوز الحسبة ، فكان ذلك فداء رجعت به القُضْبُ^(٥) إلى أجفانها ، لم يرددها تسليط الإحن^(٦) على البرآء . وإما أن وادعّتنا إلى أن تضع الحوامل ، فتسُدّل الأُزُر ، وتُعقد الحُمر فوق الرايات .

فبكى امرؤ القيس ساعة ، ثم رفع رأسه فقال :

(١) النسم : سير عريض تشد به الرجال ، والقطعة منه نسمة . (٢) القصرة : أصل العنق .
(٣) السخيمة : الحقد . (٤) يرجع ، وأراح الإبل : ردها إلى المراح بالضم أى المأوى ، والنعم الإبل والشاة ، أو خاص بالإبل ، وهو المراد هنا . (٥) السيوف . (٦) الإحن : جمع إحنة ، وهى الحقد .

١٧ — رد امرئ القيس عليه

« لقد علمت العرب أنه لَا كُفٌّ، لِحُجْرٍ فِي دَمٍ ، وَأَنَّى لِنِ اعْتَاضَ بِهِ جَمَلًا وَلَا نَاقَةً ، فَأَكْتَسَبَ بِهِ سُبَّةَ الْأَبَدِ ، وَفَتَّ الْعَضْدِ^(١) ، وَأَمَّا النَّظَرَةُ^(٢) فَقَدْ أَوْجِبَتْهَا الْأَجِنَّةُ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهَا ، وَلَنْ أَكُونَ لِعَظْمِهَا سَبِيًّا ، وَتَسْتَعْرِفُونَ طَلَائِعَ كِنْدَةَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ، تَحْمِلُ فِي الْقُلُوبِ حَنْقًا ، وَفَوْقَ الْأُسْنَةِ عَلَقًا^(٣) » :

إِذَا جَالَتْ الْحَرْبُ فِي مَازِقٍ تُصَافِحُ فِيهِ الْمَنَايَا النَّفُوسَا
أَتَقِيمُونَ أَمْ تَنْصَرِفُونَ ؟ »

قَالُوا : « بَلِ نَنْصَرِفُ بِأَسْوَأِ الْإِخْتِيَارِ ، وَأَبْلَى الْاجْتِرَارِ ، بِمَكْرُوهِ وَأَذْيَةٍ ، وَحَرْبِ وَبَلِيَّةٍ » ثُمَّ نَهَضُوا عَنْهُ وَقَبِيصَةً يَتَمَثَّلُ :

لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَوْخِمَ الْوَرْدَ إِنْ غَدَتْ كِتَائِبُنَا فِي مَازِقِ الْحَرْبِ تُنْمَطِرُ^(٤)

فَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ : « لَا وَاللَّهِ ، وَلَسْكَنَ أَسْتَعْذِبُهُ ، فَرُؤَيْدًا ، يَنْفَرُجُ لَكَ دُجَاهَا عَنْ فُرْسَانِ كِنْدَةَ وَكِتَائِبِ خَيْرٍ ، وَقَدْ كَانَ ذِكْرُ غَيْرِ هَذَا بِي أَوْلَى ، إِذْ كُنْتُ نَازِلًا بِرَبْعِي^(٥) ، وَلَسْكَنَكَ قَلْتَ فَأَوْجِبْتَ » فَقَالَ قَبِيصَةُ : « مَا يَتَوَقَّعُ فَوْقَ قَدْرِ الْمَعَاتِبَةِ وَالْإِعْتَابِ^(٦) » فَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ : « هُوَ ذَاكَ » .

(صَبِحَ الْأَعشى ٢ : ٢١٦ وَالْأَغْنَى ٨ : ٧٢ وَالْمَثَلُ السَّائِرُ ١٠١)

(١) فته : كسره ، وهو كناية عن الضعف والوهن . (٢) الإمهال . (٣) أى دما .

(٤) تستوخمه : أى تجده وخيما . (٥) الربيع : المنزل . (٦) أعتبه : أرضاه .

١٨ — خطبة هاني بن قبيصة الشيباني

قال هاني بن قبيصة الشيباني يحرّض قَوْمَهُ يَوْمَ ذِي قَارِ^(١) :

« يَا مَعْشَرَ بَكْرٍ ، هَالِكٌ مَمْدُورٌ ، خَيْرٌ مِنْ نَاجٍ فَرُورٍ ، إِنَّ الْحَذَرَ لَا يُنْجِي مِنَ الْقَدَرِ ، وَإِنَّ الصَّبْرَ مِنْ أَسْبَابِ الظَّفَرِ ، الْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّيَّةُ ، اسْتِقْبَالُ الْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ اسْتِدْبَارِهِ ، الطَّمَعُ فِي ثَغْرِ^(٢) النَّحُورِ ، أَكْرَمُ مِنْهُ فِي الْأَعْجَازِ وَالظُّهُورِ ، يَا آلَ بَكْرٍ ، قَاتِلُوا فَمَا لِلنَّيَا مِنْ بَدٍّ » .
(الأمالي ١ : ٩٢)

١٩ — خطبة عمرو بن كلثوم

« أما بعد : فإنه لا يخبر عن فضل المراء أصدق من تركه تزكية نفسه ، ولا يعبر عنه في تزكية أصحابه أصدق من اعتمادهم بإمام برغبته ، وإثمانه بإمام على حرُمته » .
(البيان والتبيين ٢ : ٦٩)

٢٠ — أكرم بن صيفي يعزى عمرو بن هند عن أخيه

وعزى أكرم بن صيفي عمرو بن هند ملك العرب عن أخيه فقال له :
« إِنَّ أَهْلَ هَذِهِ الدَّارِ سَقَرٌ لَا يَحْلُونَ عَقَدَ الرَّحَالِ إِلَّا فِي غَيْرِهَا ، وَقَدْ أَتَاكَ مَا لَيْسَ بِمَرْدُودٍ عَنْكَ ، وَارْتَحَلَ عَنْكَ مَا لَيْسَ بِرَاجِعٍ إِلَيْكَ ، وَأَقَامَ مَعَكَ مَنْ سَيَظُنُّ عَنْكَ وَيَدْعُكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، فَأَمْسِ عِظَةً وَشَاهِدْ عَدْلَ ، فَجَعَلَ بِنَفْسِهِ ،

(١) كان من أعظم أيام العرب وأبلغها في توهين أمر الأعاجم ، وهو يوم لبني شيبان ، وكان أبرويز أغزاهم جيشا ، فظفر بنو شيبان ، وهو أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم .
(٢) جمع ثغرة بالضم : وهى نقرة النحر بين الترقوتين (والثغرة بالفتح : كل عورة منفتحة) .

وأبقى لك وعليك حكمتُه ؛ واليوم غنيمة ، وصديق أتاكَ ولم تأته ، طالت عليك غيبته ،
وستسرع عنك رحلته ؛ وغد لا تدرى من أهله ، وسيأتيك إن وجدك ، فما أحسن الشكر
للمنعم ، والتسليم للقادر ، وقد مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفروع بعد أصولها ،
واعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف منها ، وخير من الخير معطيه ، وشر من الشر
فعله .

(المقد الفريد ٢ : ٣٥ ، نهاية الأرب ٥ : ١٦٤)

٣١ — خطبة قس بن ساعدة الإيادي

خطب قس بن ساعدة الإيادي بسوق عكاظ ، فقال :

« أيها الناس : اسمعوا وعُوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو
آت آت ، ليل داج^(١) ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر^(٢) ، وبحار
تزخر^(٣) ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة^(٤) ، وأنهار مجرأة . إن في السماء لخبرا ،
وإن في الأرض لخبرا ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا فأقاموا ، أم تركوا
فناموا ؟ يقسم قس بالله قسما لا إثم فيه : إن لله ديناً هو أرضى له ، وأفضل من
دينكم الذي أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكراً . ويروى أن قسا أنشأ بعد ذلك
يقول :

في الداهيين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر

(١) مظلم . (٢) تضيء وتتلألأ . (٣) تمتلئ وترتفع . (٤) مدحوة : أى مبسطة ،

ولأنما قال مدحاة لمراعاة السجع .

ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي إلى ولا من الباقين غابر^(١)
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صار

(صبح الأعشى ١ : ٢١٢ ، وإعجاز القرآن ١٢٤ ، البيان والتبيين ١ : ١٦٨ ،
الأغاني ١٤ : ٤٠ ، المقد الفريد ٢ : ١٥٦ ، ومجمع الأمثال للميداني ١ : ٧٤)

٢٢ — قس بن ساعدة عند قيصر

وكان قس بن ساعدة يفد على قيصر ويزوره ، فقال له قيصر يوماً : ما أفضل
العقل ؟ قال : معرفة المرء بنفسه ، قال : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف المرء عند علمه ،
قال : فما أفضل المروءة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه ، قال : فما أفضل المال ؟ قال :
ما قضى به الحقوق . (الأمالي ٢ : ٩٣)

٢٣ — خطبة المأمون الحارثي

قعد المأمون الحارثي في نادى قومه ، فنظر إلى السماء والنجوم ، ثم أفكر طويلاً ،
ثم قال : « أرفعوني أسماعكم ، وأضعفوا إلى قلوبكم ، يَبْلُغُ الوعظ منكم حيث أريد ،
طَمَحَ^(٢) بالأهواء الأشر ، وَرَانَ^(٣) على القلوب الكدر ، وطخطنخ^(٤) الجَهِلُ النظر ،
إن فيما ترى لَمُفْتَبَرًا لمن اعتبر ، أرض موضوعة ، وسما مرفوعة ، وَشَمَسَ تَطْلُعُ وَتَغْرُبُ
ونجوم تسرى فتعزُبُ ، وقر تَطْلُعُهُ النحور ، وَتَمَحَّضُهُ أَدْبَارُ الشهور ، وعاجز مُثَرِّ ،
وَحَوْلٌ مُكْدٍ^(٥) ، وَشَابٌ مُحْتَضِرٌ ، وَيَفَنَ^(٦) قد غَبَرَ ، وَرَاحِلُونَ لَا يَثُوبُونَ ، وموقوفون

(١) مقيم . (٢) ارتفع وعلا وذهب . (٣) غلب . (٤) أظلم . (٥) رجل حول :
شديد الاحتيال ، وأكدى : لم ينجح ، وأصله من أكدى إذا حفر فصادف الكدية (بضم الكاف) وهي
الصفة العظيمة الشديدة . (٦) الذى يموت حدثاً ، وهو مأخوذ من الحضرة كأنه حصد أخضر ،
واليفن : الشيخ الكبير .

لَا يُفَرِّطُونَ^(١) ، وَمَطَرٌ يَرْسَلُ بِقَدَرٍ ، فَيَحْيِي الْبَشَرَ ، وَيُبْرِقُ الشَّجَرَ ، وَيُطْلِعُ النَّارَ ،
وَيَنْبِتُ الزَّهَرَ ، وَمَاءٌ يَتَفَجَّرُ ، مِنَ الصَّخْرِ الْأَيَّامِ^(٢) ، فَيَصْدَعُ الْمَدْرَ ، عَنْ أَفْنَانِ الْخَضَرِ ،
فَيَحْيِي الْأَنَامَ ، وَيُسْبِغُ السَّوَامَ ، وَيُنْمِي الْأَنْعَامَ ، إِنْ فِي ذَلِكَ لَأَوْضَحُ الدَّلَائِلِ
عَلَى الْمَدْبَرِ الْمَقْدَّرِ ، الْبَارِئِ الْمَصُورِ . بِأَيِّهَا الْعَقُولُ النَّافِرَةُ ، وَالْقُلُوبُ النَّائِزَةُ^(٣) ،
أَنْتِ تُؤَفِّكُونَ ، وَعَنْ أَى سَبِيلٍ تَعْمَهُونَ ، وَفِي أَى حَيْرَةٍ تَهْيِمُونَ ، وَإِلَى أَى غَايَةٍ
تُوفِضُونَ^(٤) ، لَوْ كُشِفَتِ الْأَغْطِيَةُ عَنِ الْقُلُوبِ ، وَتَجَلَّتِ الْغِشَاوَةُ عَنِ الْعَيُونِ ، لَعَرَّحَ
الشَّكَّ عَنِ الْيَقِينِ ، وَأَفَاقَ مِنْ نَشْوَةِ الْجَهَالَةِ مَنْ أَسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ .

(الأمل ١ : ٢٧٦)

٢٤ - بين مهلهل بن ربيعة ومرة بن ذهل بن شيبان

لَمَّا قَتَلَ جَسَّاسٌ^(٥) بِنَ مَرَّةَ بِنَ ذُهْلَ الشَّيْبَانِيَّ كَلْبِيَّ^(٦) بِنَ رَبِيعَةَ التَّغْلَبِيَّ ،
تَشْمَرًا أَخُوهُ مُهْلَهْلَ^(٧) ، وَاسْتَعَدَّ لِحَرْبِ بَكْرٍ ، وَجَمَعَ إِلَيْهِ قَوْمَهُ ، فَأَرْسَلَ رِجَالًا مِنْهُمْ

(١) يقدّمون . (٢) الصلب . (٣) النائرة النافرة ، نارت نورا بفتح النون ، ونوارا
بفتحها وكسرهما : زفرت . (٤) تفرعون .

(٥) وسبب ذلك أن البسوس بنت منقذ التيمية خالة جساس كان لها جار من جرم يقال له سعد بن
شميس ، وكانت له ناقة يقال لها سراب ، وكان كليب قد حى أرضاً من أرض العالية ، في أنف الربيع ،
فلم يكن يرعاه أحد إلا إبل جساس لمصاهرة بينهما - وكانت جلييلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب -
فخرجت سراب في إبل جساس ترعى في حى كليب ، ونظر إليها كليب فأذكرها فرماها بسهم فأصاب
ضرعها ، فولت حتى بركت بفناء صاحبها وضرعها يشخب دماً ولبناً ، فلما نظر إليها صرخ بالدل ،
فخرجت البسوس فضربت يدها على رأسها ، ونادت واذلاء وصمها جساس فسكتها ، وقال لها : ليقتلن غداً
فحل أعظم من ناقة جارك ، ولم يزل يتوقع غرة كليب حتى أمكنته منه الفرصة فقتله ، ونشبت من أجل ذلك
الحرب (حرب البسوس) بين بكر وتغلب ابني وائل أربعين سنة « وبنو شيبان بطن من بكر » .

(٦) اسمه وائل بن ربيعة بن حارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل ،
وإنما لقب كليباً لأنه كان إذا سار أخذ معه جرو كلب ، فإذا مر بروضة أو موضع يعجبه ، ضربه ثم ألقاه
في ذلك المكان وهو يصيح ويعوى ، فلا يسمع صوته أحد إلا تجنبه ولم يقربه ، وكان يقال كليب وائل ثم
اختصروا فقالوا كليب فلقب عليه . (٧) اسمه عدى بن ربيعة ، وإنما قيل له المهلهل لأنه أول من لهلهل
الشعر : أى أرقه .

إلى بنى شيان ، فأتوا مرة بن ذهل بن شيان « أبا جساس » وهو في نادي قومه ، فقالوا له :

« إنكم أنتم عظيمًا بقتلكم كليبًا بناب^(١) من الإبل ، ففقطعتم الرّحم ، وانتهكتم الحرمه ، وإنا كرهنا العجالة عليكم دون الإعذار إليكم ، ونحن نعرض عليكم خلالا أربعا ، لكم فيها مخرج ، ولنا فيها مقنع ، فقال مرة : وما هي ؟ قالوا : تحيي لنا كليبًا ، أو تدفع إلينا جساسًا قاتله فنقتله به ، أو همّا^(٢) فإنه كفّ له ، أو تمكّننا من نفسك ، فإن فيك وفاء من دمه ، فقال : « أمّا إحيائي كليبًا ، فهذا ما لا يكون ، وأمّا جساس فإنه غلام طعن طعنة على عجل ، ثم ركب فرسه ، فلا أدرى أى البلاد احتوى عليه ، وأمّا همام فإنه أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ، كلهم فرسان قومهم ، فلن يسلموه لى ، فأدفعه إليكم يُقتلُ بجريرة^(٣) غيره . وأمّا أنا فهل هو إلا أن تجول الخيل جولة غدًا ، فأكون أول قتيل بينها ؟ فأتعجل الموت ، ولكن لكم عندي خصلتان : أما إحداها فهو لاء بنيّ الباقون ، فعلقوا في عنق أيّهم شتم نسعةً ، فانطلقوا به إلى رجالكم ، فاذبحوه ذبح الجزور ، وإلا فالأف ناقة سود الحديق ، حمّر الوبر ، أقيم لكم بها كفيلا من بنى وائل ، فغضب القوم وقالوا : لقد أسأت ، تبذل لنا ولدك ، وتسومنا اللبن من دم كليب ؟ » ونشبت الحرب بينهم .

(المقد الفريد ٣ : ٧٨ ، والكامل لابن الأثير ١ : ١٩٠ ، والأغانى ٤ : ١٤١)

٢٥ — منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين

لمّا أَسَنَّ أَبُو بَرَاء : عامر بن مالك بن جعفر بن مُلَاعِب الأَسَنَّة ، تنازع في الرياسة عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر ، وعلقمة بن علاثة بن عوف بن الأخوص ابن جعفر .

(٢) هو همام بن مرة أخو جساس ، وكان نديما لجهل .

(١) الناقة المسنة .

(٣) الجريمة .

فقال علقمة : كانت لجدِّي الأحوص ، وإنما صارت لعمك بسببه ، وقد قعد عمك عنها ، وأنا استرجعتها ، فأنا أولى بها منك ، فشرى^(١) الشرَّ بينهما ، وسارا إلى المنافرة . فقال علقمة : إن شئت نافرتك ، فقال عامر قد شئت . والله إنِّي لأكرمُ منك حبسًا^(٢) ، وأثبتُ منك نسبًا ، وأطولُ منك قصبًا^(٣) .

فقال علقمة : والله لأنا خيرُ منك ليلاً ونهاراً ، فقال عامر : والله لأنا أحبُّ إلى نساءك أن أصبحَ فيهنَّ منك ، أنا أنحرُ منك للقاح^(٤) ، وخيرُ منك في الصباح ، وأطعمُ منك في السنة الشَّياح^(٥) .

فقال علقمة : أنا خيرُ منك أنراً ، وأخذُ منك بصرًا ، وأعزُّ منك نفرًا ، وأشرفُ منك ذِكْرًا . فقال عامر : ليس لبني الأحوص فضلُ على بني مالك في العدد ، وبصري ناقصٌ ، وبصرُك صحيحٌ ، ولكني أنافرك ، إنِّي أنسى منك سُمّة^(٦) ، وأطولُ منك قِمةً ، وأحسنُ منك لمةً^(٧) ، وأجعدُ منك جُعة^(٨) ، وأسرعُ منك رَحمةً ، وأبعدُ منك هِمة . فقال علقمة : أنتَ رجلٌ جَسِيمٌ ، وأنا رجلٌ قَصِيفٌ^(٩) ، وأنتَ جَمِيلٌ ، وأنا قَبِيحٌ ، ولكني أنافرك بآبائي وأنعمائي . فقال عامر : آباؤك أعماجِي ، ولم أكن لأنافرك بهم . لكني أنافرك ، أنا خيرُ منك عَقِبًا ، وأطعمُ منك جَدًّا . فقال علقمة : قد علمت أن لك عَقِبًا ، وقد أطعمت طيِّبًا ، ولكني أنافرك ، إنِّي خيرُ منك ، وأولى بالخيرات منك . فخرجت أمُّ عامر - وكانت تسمع كلامهما - فقالت : يا عامر نافرهُ ، أيكما أولى بالخيرات . قال عامر : إنِّي والله لأركبُ منك في الحماة ، وأقتلُ منك لِكَمَاةٍ^(١٠) ،

(١) استطار . (٢) الحسب : ما تعدّه من مفاخر آبائك ، أو الشرف الثابت في الآباء ، أو الكرم ، أو الشرف في الفعل أو القوال الصالح . (٣) القصب : عظام اليدين والرجلين ونحوهما ، كناية عن طول قامته . (٤) الابل : واحدتها لقوح . (٥) الشياح : القحط . (٦) السمة : القرابة ، ويروي أنا أنثر منك أمة ، أي أكثر قوما . (٧) اللمة : الشعر المجازز شحمة الأذن . (٨) مجتمع شعر الرأس . (٩) نحيف من القصف ، وهو النحافة . (١٠) جمع كى ، وهو الشجاع .

وَحَيْرٌ مِنْكَ لِمَوْتِي وَالْمَوْلَاةِ : فَقَالَ لَهُ عُلْقَمَةُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَكَبَرٌ ، وَإِنَّكَ لَفَاجِرٌ ، وَإِنِّي لَوْلَدٌ ، وَإِنَّكَ لَعَاقِرٌ ^(١) ، وَإِنِّي لَعَفٌّ ، وَإِنَّكَ لِعَاهِرٌ ، وَإِنِّي لَوَفِيٌّ ، وَإِنَّكَ لَعَادِرٌ ، فَنَقِمَ تَفَاخُرُنِي يَا عَامِرُ ؟ فَقَالَ عَامِرٌ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَنْزِلُ مِنْكَ لِلْقَفْرِ ^(٢) ، وَأَنْتَ خَرُ مِنْكَ لِلْبَكْرِ ^(٣) ، وَأَطْعَمَ مِنْكَ لِلْهَبْرَةِ ^(٤) ، وَأَطْعَمَ مِنْكَ لِلثُّغْرَةِ . فَقَالَ عُلْقَمَةُ : وَاللَّهِ إِنَّكَ لَكَلِيلُ الْبَصْرِ ، نَكِيدُ النَّظَرَ ، وَثَّابٌ عَلَى جَارَاتِكَ بِالسَّحَرِ .

فَقَالَ بَنُو خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ - وَكَانُوا يَدُاعُ مَعَ بَنِي الْأَحْوَصِ عَلَى بَنِي مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ - لَنْ تُطِيقَ عَامِرًا ، وَلَكِنْ قُلْ لَهُ أَنَا فَرَكٌ بَخِيرُنَا وَأَقْرَبْنَا إِلَى الْخَلِيطَاتِ . فَقَالَ لَهُ عُلْقَمَةُ هَذَا الْقَوْلُ ، فَقَالَ عَامِرٌ : عَيْرٌ ^(٥) وَتَيْسٌ ، وَتَيْسٌ وَعَنْزٌ . فَذَهَبَتْ مِثْلًا . نَعَمْ ، عَلَى مِائَةِ مِثْلِ الْإِبِلِ إِلَى مِائَةِ مِثْلِ الْإِبِلِ يُعْطَاهَا الْحَكَمُ ، أَيُّنَا نَفَرَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ أَخْرَجَهَا ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، وَوَضَعُوا بِهَا رَهْنًا مِنْ أَبْنَائِهِمْ عَلَى يَدَي رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ خَزِيمَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْوَحِيدِ ، فَسُمِيَ « الضَّمِين » .

وَخَرَجَ عُلْقَمَةُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي خَالِدٍ ، وَخَرَجَ عَامِرُ فَيَعْنُ مَعَهُ مِنْ بَنِي مَالِكٍ ، وَجَعَلَا مُنَافِرَتَهُمَا إِلَى أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بْنِ أُمَيَّةٍ ، فَلَمْ يَقْلُ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ، وَكَرِهَ ذَلِكَ لِحَالِهِمَا وَحَالِ عَشِيرَتِهِمَا ، وَقَالَ : أَنَا كَرَكِبَتِي الْبَعِيرُ الْأَذْرَمُ ^(٦) ، قَالَا : فَأَيُّنَا الْيَمِينُ ؟ قَالَ كِلَا كَا يَمِينُ ، وَأَبَى أَنْ يَقْضَى بَيْنَهُمَا . فَانْطَلَقَا إِلَى أَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ فَأَبَى أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمَا - وَقَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ تَحْكُمُ إِلَى قُرَيْشٍ - فَأَتِيَا عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ ،

(١) رجل عاقِر: لم يولد له ولد . (٢) القفرة: القفر . الخلاء من الأرض . (٣) البكرة :

الفتية من الإبل . (٤) الهبرة : قطعة مجتمعة من اللحم . هبرة قطعه قطعًا كبارًا ، وهبر له من اللحم هبرة قطع قطعة . (٥) العير : الحمار وغلب على الوحشي ، وهو أقوى من التيس ، أي مثل وإياك كالعير والتيس ، أو على الأقل كالتيس والعنز ، إذ التيس أقوى على النطاح من العنز ، وفي المثل : « كَانَ عَنَزَا فَاسْتَتَيْسَ » أي صار تيسًا . يضرب للذليل الضعيف يصير عزيزًا قويًا .

(٦) ذرم العظم : وراه اللحم حتى لم يبق له حجم ، وامرأة درماء لاتستبين كمهوبها ومرافقها ، وكل ما غطاه الشحم واللحم وخفى حجمه فقد ذرم .

فَأَبَى أَنْ يَقُولَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ، فَأَتِيَا غَيْلَانَ بْنَ سَلَمَةَ الثَّقَفِيَّ ، فَرَدَّاهُمَا إِلَى حَرَمَلَةَ ابْنِ الْأَشْعَرِ الْمُرِّيِّ ، فَرَدَّاهُمَا إِلَى هَرَمِ بْنِ قُطَيْبَةَ بْنِ سَنَانَ الْفَزَارِيِّ ، فَاِنْطَلَقَا حَتَّى نَزَلَا بِهِ ، وَقَدْ سَاقَا الْإِبِلَ مَعَهُمَا حَتَّى أَشْتَتَ وَأُرْبَعَتَ ، لَا يَأْتِيَانِ أَحَدًا إِلَّا هَابَ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ هَرَمٌ : لِعَمْرِى لَا حَكَمَ بَيْنَكُمَا ثُمَّ لَا فُصْلَانَّ ، فَأَعْطِيَانِي مَوْثِقًا أَطْمِئِنُّ إِلَيْهِ أَنْ تَرْضِيَا بِمَا أَقُولُ ، وَتُسَلِّمَا لِمَا قَضَيْتُ بَيْنَكُمَا ، وَأَمْرَهَا بِالْإِنْصِرَافِ ، وَوَعْدُهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ قَابِلٍ ، فَاِنْصَرَفَا ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْأَجَلَ خَرَجَا إِلَيْهِ ، وَأَقَامَ الْقَوْمَ عِنْدَهُ أَيَّامًا .

فَأَرْسَلَ هَرَمٌ إِلَى عَامِرٍ فَأَتَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِهِ عِلْقَمَةُ ، فَقَالَ يَا عَامِرُ : قَدْ كُنْتُ أَرَى لَكَ رَأْيًا ، وَأَنْ فَيْكَ خَيْرًا . وَمَا حَبَسْتُكَ هَذِهِ الْأَيَّامَ إِلَّا لِتَنْصَرِفَ عَنْ صَاحِبِكَ ، أَتَنَافَرُ رَجُلًا لَا تَفْخَرُ أَنْتَ وَقَوْمُكَ إِلَّا بِأَبَائِهِ ! فَمَا الَّذِي أَنْتَ بِهِ خَيْرٌ مِنْهُ ؟ فَقَالَ عَامِرُ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ وَالرَّحِمَ أَنْ لَا تَفْضَلَ عَلَيَّ عِلْقَمَةَ ، فَوَاللَّهِ لَنْ فَعَلْتُ لَا أَفْلِحُ بَعْدَهَا أَبَدًا . هَذِهِ نَاصِيَتِي فَاجْزُئْهَا وَاحْتَكِمْ فِي مَالِي ، فَإِنْ كُنْتُ لَا بَدَ فَاعْلَا ، فَسَوْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، قَالَ : اِنْصَرَفَ فَسَوْفَ أَرَى رَأْيِي . فَخَرَجَ عَامِرٌ وَهُوَ لَا يَشْكُ أَنْهُ يَنْفَرُهُ ^(١) عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عِلْقَمَةَ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِهِ عَامِرُ ، فَأَتَاهُ ، وَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِعَامِرٍ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ عِلْقَمَةُ بِمَا رَدَّ بِهِ عَامِرُ ، وَانْصَرَفَ وَهُوَ لَا يَشْكُ أَنْهُ سَيَفْضَلُ عَلَيْهِ عَامِرًا . ثُمَّ إِنْ هَرَمًا أَرْسَلَ إِلَى بَنِيهِ وَبَنَى أَبِيهِ : إِنْى قَائِلٌ غَدًا بَيْنَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ مَقَالَةٌ ، فَإِذَا فَعَلْتُ فَلْيَطْرُدْ بَعْضُكُمْ عَشْرَ جَزَائِرَ ، فَلْيَنْجِرْهَا عَنْ عِلْقَمَةَ ، وَيَطْرُدْ بَعْضُكُمْ عَشْرَ جَزَائِرَ ، يَنْجِرْهَا عَنْ عَامِرٍ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَ النَّاسِ لَا تَكُونْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ ، وَأَصْبَحَ هَرَمٌ مُجْلِسٌ مَجْلِسُهُ ، وَأَقْبَلَ النَّاسَ ، وَأَقْبَلَ عِلْقَمَةَ وَعَامِرَ حَتَّى جَلَسَا ، فَقَامَ هَرَمٌ فَقَالَ : يَا بَنِي جَعْفَرُ ، قَدْ تَحَاكَمْتُمَا عِنْدِي ، وَأَنْتُمَا كَرَكِبْتُمَا

(١) أَنْفَرَهُ عَلَيْهِ وَنَفَرَهُ عَلَيْهِ : قَضَى لَهُ عَلَيْهِ بِالْغَلْبَةِ .

البعير الأدرم : تقعان إلى الأرض معا ، وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه ،
وكلاهما سيد كريم ، وعمد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجزر ، فنَحَرُوا حيث أمرهم
هرم ، وفرقوا الناس ، ولم يفضل هرم أحدا منهما على صاحبه ، وكره أن يفعل ، وهما ابنا عم
فيجلب بذلك عداوة ، ويوقع بين الحيين شرا .

(الأغاني ١٥ : ٥١ ، وصبح الأعشى ١ : ٣٨٢ ، ومرح العيون ١٠٦ ، والعمدة ١ : ٢٨)

أشراف العرب بين يدي كسرى

قال كسرى^(١) للنعمان بن المنذر يوماً : هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة ؟ قال نعم ، قال فبأي شيء ؟ قال : من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ، ثم اتصل ذلك بكامل الرابع ، فالبیت من قبيلته فيه ، ويُنسب إليه ، قال فاطلب ذلك ، فطلبه فلم يصبه إلا في آل حذيفة بن بدر ، وآل حاجب بن زُرارة ، وآل ذى الجذنين ، وآل الأشعث ابن قيس بن كندة ، فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائهم ، وأقعد لهم الحكام والعدول ، وقال : ليتكلم كل منكم بماثر قومه وليصدق ، فكان حذيفة بن بدر الفزاري أول متكلم ، وكان ألسن القوم ، فقال :

٢٦ — مقالة حذيفة بن بدر الفزاري

« قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم ، والأعزّ الأعظم ، ومأثرة^(٢) للصنيع الأكرم ، فقال من حوله : ولِمَ ذاك يا أخا فزارة ؟ فقال : ألسنا الدعائم التي لا ترام ، والعِزُّ الذي لا يُضَام ، قيل صدقت ، ثم قام شاعرهم فقال :

فَزَارَةُ بَيْتِ الْعِزِّ ، وَالْعِزُّ فِيهِمْ فَزَارَةُ قَيْسٍ ، حَسْبُ قَيْسٍ نِضَالُهَا
لَهَا الْعِزَّةُ الْقَعَسَاءُ وَالْحَسْبُ الَّذِي بَنَاهُ لِقَيْسٍ فِي الْقَدِيمِ رَجَالُهَا

(١) هو كسرى أنوشروان ، حكم من سنة ٥٣١ إلى ٥٧٨ ميلادية .

(٢) المأثر بالفتح والضم : المكرمة المتوارثة .

فهيئات قد أعيأ القُرُونُ التي مضت مَآزُرُ قيسٍ تَجْدُهَا وَفَعَالُهَا
وهل أَحَدٌ إِنْ هَزَّ يَوْمًا بِكَفِّهِ إِلَى الشَّمْسِ فِي تَجَرِّي النُّجُومِ يَنَالُهَا
فَإِنْ يَصْلُحُوا يَصْلُحْ لِذَلِكَ جَمِيعُهَا وَإِنْ يَفْسُدُوا يَفْسُدْ مِنَ النَّاسِ حَالُهَا

٢٧ — مقال الأشعث الكندي

ثم قام الأشعث الكندي - وإنما أذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقربته من
النعمان بن المنذر - فقال : قد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر ، وَزَحَفَهَا الْأَكْبَرُ ،
وَإِنَّا لَغِيَاثُ الْكُرُبَاتِ ، وَمَعْدِنُ الْمَكْرُمَاتِ ، قَالُوا : وَلِمَ يَا أَخَا كِنْدَةَ ؟ قَالَ : لَأَنَا
وَرَثْنَا مَلِكَ كِنْدَةَ ، فَاسْتَظَلَّنَا بِأَفْيَانِهِ ^(١) وَتَقَلَّدَنَا مِنْ كِبِهِ الْأَعْظَمُ ، وَتَوَسَّطْنَا بِمُجْبُوحِهِ
الْأَكْرَمُ ، ثُمَّ قَامَ شَاعِرُهُمْ فَقَالَ :

إِذَا قَسَتْ أُبْيَاتُ الرِّجَالِ بَيْنَنَا وَجَدْتَ لَنَا فَضْلًا طَلَى مِنْ يَفَاخِرِ
فَمَنْ قَالَ كَلًّا أَوْ أَنَا نَا بِحُطَّةٍ يُنَافِرُنَا فِيهَا فَنَحْنُ نَخَاطِرِ
تَعَالَوْا قِفُوا كَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَيُّنَا لَهُ الْفَضْلُ فِيمَا أَوْرَثَهُ الْأَكَابِرِ

٢٨ — مقال بسطام الشيباني

ثم قام بِسْطَامُ الشَّيْبَانِي ، فقال : قد علمت العرب أنا بُنَاءُ بَيْتِهَا الَّذِي لَا يَزُولُ ،
وَمَغْرَسُ عِزِّهَا الَّذِي لَا يَحُولُ ، قَالُوا وَلِمَ يَا أَخَا شَيْبَانَ ؟ قَالَ : لَأَنَا أَذَرَكُهُمُ النَّارَ ،
وَأَضْرَبُهُمُ لِلْعَلَّكِ الْجَبَّارِ ، وَأَقْوَمُهُمُ لِلْحَكَمِ ، وَأَلَدُهُمُ لِلْخَصَمِ ، ثُمَّ قَامَ شَاعِرُهُمْ ،
فَقَالَ :

(١) جمع فوه : وهو ما كان شمسا فينسخه الظل .

لَعَمْرِي بِسَطَامَ أَحَقُّ بِفَضْلِهَا وَأَوَّلُ بَيْتِ الْعِزِّ الْقِبَابِلِ
 فَسَائِلُ - أَيْبَتِ اللَّعْنِ - عَنْ عِزِّ قَوْمِهَا إِذَا جَدَ يَوْمَ الْفَخْرِ كُلُّ مَنْقَلٍ ^(١)
 أَلَسْنَا أَعَزَّ النَّاسِ قَوْمًا وَنُصْرَةً وَأَضْرَبَهُمُ لِلْكَبْشِ بَيْنَ الْقِبَابِلِ ^(٢)
 وَقَائِعُ غُرَّتْ كُلُّهَا رَبْعِيَّةً تَذِلُ لَهَا عِزًّا رِقَابُ الْمَحَافِلِ
 إِذَا ذُكِرَتْ لَمْ يَنْكُرِ النَّاسُ فَضْلَهَا وَعَادَ بِهَا مِنْ شَرِّهَا كُلُّ وَائِلٍ ^(٣)
 وَإِنَّا مُلُوكُ النَّاسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِالنَّاسِ إِحْدَى الزَّلَازِلِ

٢٩ - مقال حاجب بن زرارة

ثم قام حاجب بن زرارة التميمي ، فقال : قد علمت مَعَدُّ أَنَا فِرْعَ ^(٤) دِعَامَتِهَا ،
 وَقَادَةُ رَحْفِهَا ، قَالُوا : وَلَمْ ذَاكَ يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ ؟ قَالَ : لِأَنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ عَدِيدًا ،
 وَأَنْجَحُهُمْ طَرًّا وَلِيدًا ، وَأَنَّا أَعْطَاهُمُ الْجَزِيلَ ، وَأَحْمَلَهُمُ الثَّقِيلَ ، ثُمَّ قَامَ شَاعِرُهُمْ ،
 فَقَالَ :

لَقَدْ عَلِمْتَ أَبْنَاءَ خِنْدِفَ أَنَّنَا لَنَا الْعِزُّ قَدِّمًا فِي الْخَطُوبِ الْإِوَائِلِ ^(٥)
 وَأَنَا كِرَامُ أَهْلٍ مُجْدٍ وَثَرَوَةٍ وَعِزٍّ قَدِيمٍ لَيْسَ بِالْمُتَضَائِلِ
 فَكَمْ فِيهِمْ مِنْ سَيِّدٍ وَابْنِ سَيِّدٍ أَغْرَّ نَجِيبٍ ذِي فَعَالٍ وَنَائِلٍ ^(٦)
 فَسَائِلِ (أَيْبَتِ اللَّعْنِ) عَنَا فَإِنَّا دَعَائِمُ هَذَا النَّاسِ عِنْدَ الْجَلَائِلِ ^(٧)

(١) أَيْبَتِ اللَّعْنِ : تَحِيَّةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، أَيْ أَيْبَتُ أَنْ تَأْتِيَ أَمْرًا تَلْعَنُ عَلَيْهِ . وَالْمُنَاقَلَةُ فِي الْمُنَاطِقِ : أَنْ تَحْدُثَ
 آخِرٌ وَيَحْدُثُكَ . (٢) الْكَبْشُ : سَيِّدُ الْقَوْمِ وَقَائِدُهُمْ . (٣) لَا جِيْءَ ، مِنْ وَأَلْ إِلَيْهِ يَثُلُ وَالَا .
 (٤) فِرْعَ كُلُّ شَيْءٍ : أَعْلَاهُ . (٥) خِنْدِفٌ : هِيَ أُمُّ مَدْرَكَةَ ، وَطَائِفَةٌ وَقَعَةُ أَبْنَاءِ الْيَاسِ بْنِ مَضَرَ بْنِ
 تَزَارِ بْنِ مَعَدٍ بْنِ عَدْنَانَ . (٦) الْفَعَالُ : اسْمُ الْفِعْلِ الْحَسَنِ ، وَالْكَرَمِ . (٧) أَيْ الْأُمُورِ الْجَلَائِلِ
 جَمْعٌ جَلِيلَةٌ .

٣٠ — مقال قيس بن عاصم السعدي

ثم قام قيس بن عاصم السعدي ، فقال : لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم في المكرمات
دعائهم ، وأثبتهم في النائبات مقاديرهم ، قالوا : ولم ذاك يا أخا بني سعد ؟ قال : لأننا
أدركهم للثار ، وأمنعهم للجار ، وأنا لا ننكل^(١) إذا حملنا ، ولا نرام إذا حللنا ،
ثم قام شاعرهم فقال :

لقد علمت قيسٌ وحذيفُ أننا وجُلُّ تميمٍ والجميعُ الذي ترى^(٢)
بأننا عمادُ في الأمور وأننا لنا الشرف الضخم المَرَكَبُ في الندى
وأننا ليوثُ الناس في كل مأزق إذا جزَّ بالبيض الجاجمُ والطلأ^(٣)
فن ذا ليوم الفخر يعدلُ عاصمًا وقيسًا إذا مرَّت ألوف إلى العلا
فهيها قد أعيا الجميع فعألهم وقاموا بيوم الفخر مَسَاعَةً مَنْ سعى
فقال كسرى حينئذ : ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه ، وأسنى حبياءهم ، وأعظم
صِلاتهم ، وكرَّم مآبهم .
(صبح الأضنى ١ : ٣٧٧ والأغانى ١٧ : ١٠٥)

(١) لا ننكص ولا نجبن . (٢) قيس بن عيلان بن مضر . (٣) الطلا : جمع طلية ،

وهي العنق .

(٤ — جمهرة خطب العرب — أول)

وفود العرب على كسرى

قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين ، فذكروا من ملوكهم وبلادهم ، فافتخر النعمان بالعرب ، وفضلهم على جميع الأمم ، لا يستثنى فارس ولا غيرها ، فقال كسرى - وأخذته عزّة الملك - يا نعمان ، لقد فكرتُ في أمر العرب وغيرهم من الأمم ، ونظرت في حالة من يقدّم على من وفود الأمم ، فوجدت للروم حظاً في اجتماع ألقبها ، وعظم سلطانها ، وكثرة مدائنها ، ووثيق بنيانها ، وأن لها ديناً يبين حلالها وحرامها ، ويردّ سفهها ، ويقيم جاهلها ، ورأيت الهند نخوا من ذلك في حكمتها وطبها ، مع كثرة أنهار بلادها وثمارها ، وعجيب صناعاتها ، وطيب أشجارها ، ودقيق حسابها ، وكثرة عددها ، وكذلك الصين في اجتماعها ، وكثرة صناعات أيديها ، وفروسيها وهمتها في آلة الحرب ، وصناعة الحديد ، وأن لها مدناً يجمعها ، والترك والخزر على ما بهم من سوء الحال في العاش ، وقلة الرّيف^(١) والثمار والحصون ، وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس ، لهم ملوك تضمّ قواصيمهم ، وتدبر أمرهم ، ولم أر للعرب شيئاً من خصال الخيز في أسردين ولا دنيا ، ولا حزم ولا قوّة ، ومع أن مما يدلّ على مهانتها وذلّها ، وصغر همتها تحيّلتهم^(٢) التي هم بها مع الوحوش النافرة ، والطير الحائرة ، يقتلون أولادهم من الفاقة ، ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة ، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولطوها ولذاتها ، فأفضل طعام ظفّر به ناعمهم لحوم الابل ، التي يعافها كثير من السباع ، لثقلها ، وسوء طعمها ، وخوف دائها ، وإن قرى أحدم ضيفاً عدّها مكرمة ،

(١) الرّيف : أرض فيها زرع وخصب ، والسمة في المأكّل والمشرب . (٢) حل المسكان وبه

يحل بالكسر والضم .

وإن اطعم أكلة عدّها غنيمة ، تنطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر بذلك رجالهم ، ما خلا هذه التَنُوخِيَّة التي أسس جدّي اجتماعها ، وشدّ مملكتها ، ومنعها من عدوّها ، فجري لها ذلك إلى يومنا هذا ، وإن لها مع ذلك آثاراً ولَبُوساً^(١) ، وقرى وحصونا ، وأموراً تشبه بعض أمور الناس - يعنى اليمين - ثم لا أراكم تستكبنون على ما بكم من الذلّة والقِلّة والفاقة والبؤس حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس ، قال النعمان : أصلح الله الملك . حقّ^(٢) لأمة الملك منها أن يسمو فضلها ، ويعظم خطبها ، وتعلو درجتها ، إلا أن عندي جواباً في كلّ ما نطق به الملك ، في غير ردّ عليه ، ولا تكذيب له ، فإن أمتنى من غضبه نطقته به ، قال كسرى : قل فأنت آمن .

٣١ - خطبة النعمان بن المنذر

قال النعمان : أما أمتك أيها الملك ، فليست تُنْزَعُ في الفضل ، لموضعها الذي هي به : من عقولها وأحلامها ، وبَسْطَةِ محالها ، وَبُحْبُوحَةِ عزّها ، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك . وأما الامم التي ذكرت ، فأى أمة تقرّئها بالعرب إلا فضلتها . قال كسرى بماذا ؟ قال النعمان : بعزّها ، وَمَنْعَتِهَا ، وحسن وجوها ، وبأسها ، وسخائها ، وحكمة ألسنتها ، وشدة عقولها ، وأنفتها ، ووفائها .

فأما عزّها ومنعتها ، فإنها لم تنزل مجاورة لآبائك الذين دوّخوا البلاد ، ووطدّوا الملك ، وقادوا الجند ، لم يطمع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل ، حصونهم ظهور خيلهم ، ومهادهم الأرض ، وسقوفهم السماء ، وجنتهم السيوف ، وعدّتهم الصبر ، إذ غيرها من الأمم إنما عزها من الحجارة والطين وجزائر البحور .

وأما حسن وجوها وألوانها ، فقد يُعرَفُ فضلهم في ذلك كلّى غيرهم : من الهند المنحرفة ، والصين المنحرفة ، والترك المشوّهة ، والروم المقشّرة .

وَأَمَّا أَنْسَابُهَا وَأَحْسَابُهَا ، فَلَيْسَتْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا وَقَدْ جَهَلَتْ آبَاءُهَا وَأَصُولُهَا وَكَثِيرًا مِنْ أَوَّلِهَا ، حَتَّى إِنْ أَحَدُهُمْ لِيُسْأَلَ عَنْ وَرَاءِ أَبِيهِ دُنْيَاً^(١) ، فَلَا يَنْسُبُهُ وَلَا يَعْرِفُهُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا يَسْمَى آبَاءَهُ أَبَا فُأْبَا ، حَاطُوا بِذَلِكَ أَحْسَابَهُمْ ، وَحَفِظُوا بِهِ أَنْسَابَهُمْ ، فَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ فِي غَيْرِ قَوْمِهِ ، وَلَا يَنْتَسِبُ إِلَى غَيْرِ نَسَبِهِ ، وَلَا يَدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ .

وَأَمَّا سَخَاؤُهَا ، فَإِنْ أَدْنَاهُمْ رَجُلًا ، الَّذِي تَكُونُ عِنْدَهُ الْبَكْرَةُ وَالنَّابُ^(٢) ، عَلَيْهَا بِلَاغُهُ^(٣) فِي مَحْوَلِهِ^(٤) وَشَبَعِهِ وَرَبِّهِ ، فَيَطْرُقُهُ الطَّارِقُ ، الَّذِي يَكْتَفِي بِالْفَلْذَةِ^(٥) ، وَيَحْتَرِزُ بِالشَّرْبَةِ ، فَيَعْقِرُهَا لَهُ ، وَيَرْضَى أَنْ يَخْرُجَ عَنْ دُنْيَاهُ كُلِّهَا فِيمَا يَكْسِبُهُ حَسَنُ الْأَحْدُوثة وَطِيبُ الذِّكْرِ .

وَأَمَّا حِكْمَةُ أَسْنَتِهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُمْ فِي أَشْعَارِهِمْ وَرَوْنَقِ كَلَامِهِمْ ، وَحَسَنَهُ وَوزَنَهُ وَقَوَافِيهِ ، مَعَ مَعْرِفَتِهِمُ الْأَشْيَاءَ ، وَضَرْبِهِمُ لِلْأَمْثَالِ ، وَإِبْلَاغِهِمْ فِي الصِّفَاتِ ، مَا لَيْسَ لَشَيْءٍ مِنَ أَلْسِنَةِ الْأَجْناسِ ثُمَّ خِيَلَهُمْ أَفْضَلُ الْخَيْلِ ، وَنَسَاؤُهُمْ أَعْفَى النِّسَاءِ ، وَلِبَاسُهُمْ أَفْضَلُ اللَّبَاسِ ، وَمَعَادِنُهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ، وَحِجَارَةُ جِبَالِهِمُ الْجَزْعُ^(٦) ، وَمُظَايَاهُمُ الَّتِي لَا يَبْلُغُ عَلَى مِثْلِهَا سَفَرٌ ، وَلَا يَقْطَعُ بِمِثْلِهَا بَلَدٌ قَفَرٌ .

وَأَمَّا دِينُهَا وَشَرِيعَتُهَا ، فَإِنَّهُمْ مَتَمَسِكُونَ بِهِ ، حَتَّى يَبْلُغَ أَحَدُهُمْ مِنْ نَشْكِهِ بِدِينِهِ أَنْ لَحْمَ أَشْهَرٍ أَحْرَمًا ، وَبِلَدٍّ مُحَرَّمًا ، وَبَيْتًا مُحْجُوجًا ، يَنْسُكُونَ فِيهِ مَنْاسِكَهُمْ ، وَيَذْبَحُونَ فِيهِ ذَبَائِحَهُمْ ، فَيَلْقَى الرَّجُلُ قَاتِلَ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى اخْتِارِهِ ، وَإِدْرَاكِ رَغْمِهِ^(٧) مِنْهُ ، فَيَحْجِزُهُ كَرَمُهُ ، وَيَمْنَعُهُ دِينُهُ عَنْ تَنَاوُلِهِ بِأَذَى .

(١) هُوَ ابْنُ عَمَى دُنْيَا بَضْمُ الدَّالِّ وَكُسْرُهَا مَعَ التَّنْوِينِ ، وَبِكُسْرِهَا بِلَا تَنْوِينٍ : أَيْ لَحْمًا .

(٢) النَّاقَةُ الْمُسْتَنَى . (٣) الْبَلَاغُ : السَّكْفَايَةُ . (٤) الْحَمُولُ وَالْأَحْمَالُ جَمْعُ حَمَلٍ .

(٥) الْقِطْعَةُ مِنَ الشَّيْءِ . (٦) الْجَزْعُ وَيَكْسَرُ : الْخَرْزُ الْيَمَانِيُّ الصِّقِيُّ فِيهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ ، تَشْبَهُ

بِهِ الْعَمِيونَ . (٧) الذَّلُّ .

وأما وفاءها ، فإن أحدهم يَلْحَظُ اللحظة ، وَبُومِيُ الإيماءة ، فهي وَلَتْ^(١) وعقدة ، لا يَحْلُمُهَا إلا خروج نَفْسِهِ ، وإن أحدهم يرفع عودًا من الأرض فيكون رهنةً بِدَيْنِهِ ، فَلَا يَغْلُقُ^(٢) رَهْنَهُ ، ولا يُخَفِّرُ^(٣) ذمته ، وإن أحدهم ليلبغه أن رجلا استجار به وعسى أن يكون نائيا عن داره ، فيصاب ، فلا يرضى حتى يُفْنِيَ تلك القبيلة التي أصابته ، أو تُفْنِيَ قبيلته ، لما أَخْفَرَ من جواره ، وإنه ليلجأ إليهم المجرم المُحْدِثُ ، من غير معرفة ولا قرابة ، فتكون أنفسهم دون نفسه ، وأموالهم دون ماله .

وأما قولك أيها الملك يَثِدُونَ أولادهم ، فإنما يفعله من يفعله منهم بالإناث أَنَفَةً من العار ، وَغَيْرَةً من الأزواج .

وأما قولك إن أفضل طعامهم لحوم الإبل - عَلَى ما وصفت منها - فما تركوا ما دونها إلا احتقارًا لها ، فَعَمَدُوا إلى أجلها وأفضلها ، فكانت سرا كبهم وطعامهم ، مع أنها أكثر البهائم شحوما ، وأطيبها لحومًا ، وَأَرْقَاهَا ألبانًا ، وأقلها غائلة^(٤) ، وأحلاها مَضَغَةً ، وإنه لا شيء من اللُّحْمَانِ يُعَالِجُ مَا يُعَالِجُ به لحمها إلا أَسْتَبَانُ فَضْلُهَا عليه .

وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضًا ، وتركهم الانقيادَ لرجل يسوسهم ويجمعهم ، فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأُمَمِ إذا أُنِسَتْ من نفسها ضَعْفًا ، وتخوفت هُيُوضَ عدوها إليها بالزحف ، وإنه إنما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد ، يُعْرِفُ فَضْلَهُمْ عَلَى سائر غيرهم ، فَيُلْقُونَ إليهم أمورهم ، وينقادون لهم بأزمتهُم ، وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم ، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكًا أَجْمَعِينَ ، مع أنفهم من أداء الخراج وَالْوَطْثِ^(٥) بِالْعُسْفِ .

(١) عهد . (٢) غلق الرهن : استحققه المرتهن ، وذلك إذا لم يفتك في الوقت المشروط .

(٣) خفر به وأخفزه : نقض عهده وغدره . (٤) شرا . (٥) الوطث : الضرب الشديد بالرجل

على الأرض .

وأما اليمن التي وصفها الملك ، فإنما أتى جدَّ الملك إليها الذي ^(١) أتاه ، عند غلبة الحبش له ، كلَّ ملك متَّسِقٍ ، وأمر مجتمع ، فأناه مسلوباً طريداً مستصرخاً ، ولولا ما وتَّرب به من يليه من العرب ، لمال إلى مجال ، ولوجد من يجيد الطعان ، ويغضب للأحرار من غلبة العبيد الأشرار .

فمجبب كسرى لما أجابه النعمان به ، وقال : إنك لأهل لموضعك من الرياسة في أهل إقليمك ، ثم كساد من كِسْوَتِهِ ، وَصَرَّحَهُ إلى موضعه من الحيرة .

فلما قدم النعمان الحيرة ، وَفَى نفسه ما فيها مما سمع من كسرى ، من تنقص العرب ، وتهجين ^(٢) أمرهم ، بعث إلى أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ ، وَحَاجِبِ بْنِ زُرَّارَةَ التميميين ، وإلى الحرث بن عُبَّاد ، وقيس بن مسعود البكرين ، وإلى خالد بن جعفر ، وعلقمة بن عُلَّاثَةَ ، وعامر بن الطُّفَيْلِ العامريين ، وإلى عمرو بن الشَّريدِ الشَّلَمي ، وعمرو بن معد يكرب الزُّبَيْدِي ، والحرث بن ظالم المُرِّي ، فلما قدموا عليه في الْخَوَرَنَقِ ، قال لهم : قد عرفتم هذه الأعاجم ، وَقُرُبَ جِوَارِ العرب منها ، وقد سمعت من كسرى مقالات ، تخوَّفُ أن يكون لها غَوْرٌ ، أو يكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خَوْلاً ، كبعض طَمَاطِطِهِ ^(٣) ، في تأديتهم الخراج إليه ^(٤) ، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله ، فاقنص عليهم مقالات كسرى ، وماردَّ عليه ، فقالوا : أيها الملك ، وفقك الله ! ما أحسن مارددت ! وأبلغ ما حجبته به ! فرنا بأمرك ، وادعنا إلى ماشئت . قال : إنما أنا رجل منكم ، وإنما ملكت وَعَزَزْتُ بمكانكم ، وما يتخوَّف من ناحيتكم ، وليس شيء أحبَّ إليَّ مما سَدَّدَ الله به أمركم ، وأصلح به شأنكم ، وأدام به عزَّكم ، والرأي أن تسبروا بجماعتكم أيها الرهط ، وتنطلقوا إلى كسرى ، فإذا دخلتم نطق كل رجل منكم

(١) هو سيف بن ذي يزن . (٢) تقييح واسمُ جان ، والمجنة من الكلام : ما يعيبه .

(٣) رجل طمطم وطمطمى « بكسر الطاءين » وطمطماني « بضمهما » : في لسانه عجمة . (٤) كان

«الفرس يعفون عرب الحيرة من دفع الأتاوة مقابل أن يقوموا بحمايتهم من كل غارة من نواحيهم .

بما حضره ، ليعلم أن العرب على غير ما ظنَّ ، أو حَدَّثَتْهُ نفسه ، ولا ينطق رجل منكم بما يُغضبه ، فإنه ملك عظيم السلطان ، كثير الأعوان ، مُتَرَفٌ ، مُتَعَجَّبٌ بنفسه ، ولا تنخزلوا^(١) له انخزال الخاضع الذليل ، وليكن أمرٌ بين ذلك ، تظهر به وثاقة حلومكم ، وَفَضْلُ منزلتكم ، وعظيم أخطاركم ، وليكن أوَّل من يبدأ منكم بالكلام أكرم ابن صفي ، ثُمَّ تتابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتكم بها ، فإنما دعاني إلى التقدمة إليكم ، على بميل كلِّ رجل منكم إلى التقدم قبل صاحبه ، فلا يكون ذلك منكم ، فيجِدَ في آدابكم مَطْمَناً ، فإنه ملك مترف ، وقادر مُسَكِّطٌ ، ثم دعاهم بما في خزائنه من طرائف حلال الملوك ، كل رجل منهم حُلَّةٌ وعمَّمةٌ عمامة ، وَخَتَمَةٌ بياقوتة ، وأمر لكلِّ رجل منهم بنجبية مَهْرِيَّة^(٢) وفرس نجبية ، وكتب معهم كتاباً :

« أما بعد : فإن الملك ألقى إليَّ من أمر العرب ما قد علم ، وأجبتُهُ بما قد فهم ، بما أحبت أن يكون منه على علم ، ولا يَتَكَلَّجُ في نفسه أن أمة من الأمم التي احتجرت دونه بما كتبتها ، وَحَمَت ما يليها بفضل قوتها ، تبلغها في شيء من الأمور ، التي يتعرَّز بها ذوو الحزم والقوَّة والتدبير والمكيدة ، وقد أوفدت إليها الملك رهطاً من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم ، فليسمع الملك ، وَلْيَغْمِضْ عن جفاء إن ظهر من منطقهم ، وليكرمني يا كرامهم ، وتعجيل سراحهم ، وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا إلى عشائهم . »

فخرج القوم في أَهْبَتِهِمْ حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن ، فدفَعُوا إليه كتاب النعمان فقرأه ، وأمر بإنزالهم إلى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم ، فلما أن كان بعد ذلك بأيام ، أمر مَرَّازِبَتَهُ^(٣) ووجوه أهل مملكته ، فحضرُوا وَجَلَسُوا على كراسي ، عن يمينه

(١) الانخزال : مشية في تناقل . (٢) النجيب : البعير والفرس إذا كانا كريمين عتيقين ،

والمهرية : نسبة إلى مهرة بن حيدان ، حتى تنسب إليه الإبل النجبية . (٣) جمع مَرَّازِبَان ، بفتح الميم وضم الزاي ؛ هو الرئيس من الفرس .

وشماله ، ثم دعا بهم على الولاء^(١) والراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه ، وأقام
الترجمان^(٢) ليؤدّي إليه كلامهم ، ثم أذن لهم في الكلام .

٣٢ — خطبة أكرم بن صيفي

فقام أكرم بن صيفي فقال :

« إنَّ أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعمها نفعاً ، وخير
الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها ، الصدق منجاة ، والكذب مهوأة ، والشر
لحاجة^(٣) ، والحزم مرَّ كَبْ صعب ، والعجز مركب وطىء . آفة الرأى الهوى ، والعجز
مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر ، حسن الظنَّ ورطة ، وسوء الظن عصمة ، إصلاح
فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعى ، من فسدت بطانته كان كالأعاص بالماء ، شرُّ
البلاد بلاد لا أمير بها ، شرُّ الملوك من خافه البريء ، المرء يعجز^(٤) لا المحالة^(٥) ، أفضل
الأولاد البرّة ، خير الأعوان من لم يراء بالنصيحة ، أحقُّ الجنود بالنصر من حسنت
سريره ، يكفيك من الزاد ما بلغك الحلّ ، حسبك من شرِّ سماعه ، الصمت حكم^(٦)
وقليل فاعله ، البلاغة الإيجاز ، من شدد نقره ، ومن تراخى تألّف . »

فتعجب كسرى من أكرم ، ثم قال : ويحك^(٧) يا أكرم ما أحكمك وأوثق
كلامك ! لولا وضمك كلامك في غير موضعه . قال أكرم : الصدق ينيء عنك
لا الوعيد . قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لسكني .

قال أكرم : ربّ قول أنفد من صول .

(١) التتابع والتوال ، مصدر وانى . (٢) ترجمان : بفتح التاء وضم الجيم وبضمهما
وبفتحهما . (٣) أى أصله اللجاجة ، وهى تماحك الخصمين وتماديهما . (٤) من بابي ضرب
وسع . (٥) الحالة : الحيلة . (٦) الحكم : الحكمة (وآتيناه الحكم صيباً) . (٧) ويح : كلمة
رحمة ، (وويل : كلمة عذاب) ، وقيل هما بمعنى واحد .

٣٣ — خطبة حاجب بن زرارة

ثمَّ قام حاجب بن زرارة التيمي فقال :

« وَرَى ^(١) زَنْدَكَ ، وَعَلَتْ يَدُكَ ، وَهَيْبَ سُلْطَانِكَ ، إِنَّ الْعَرَبَ أُمَّةٌ قَدْ غَلُظَتْ أَكْبَادُهَا ، وَاسْتَحْصَدَتْ ^(٢) مِرْيَتَهَا ، وَمُنِعَتْ دِرْسَهَا ^(٣) ، وَهِيَ لَكَ وَامِقَةٌ مَا تَأَلَّفَتْهَا ، مَسْتَرْسَلَةٌ مَا لَا يَنْتَهَا ، سَامِعَةٌ مَا سَاخَتْهَا ، وَهِيَ الْعَلَقَمُ مَرَارَةٌ ، وَالصَّابُ ^(٤) غَضَاضَةٌ ^(٥) ، وَالْعَسَلُ حَلَاوَةٌ ، وَالْمَاءُ الزَّلَالُ ^(٦) سَلَاسَةٌ ^(٧) ، نَحْنُ وَفُودُهَا إِلَيْكَ ، وَالسَّنْثَا لَدَيْكَ ، ذِمَّتُنَا مَحْفُوظَةٌ ، وَأَحْسَابُنَا مَمْنُوعَةٌ ، وَعِشَائِرُنَا فِينَا سَامِعَةٌ مَطِيعَةٌ ، إِنْ نَوَّبَ لَكَ حَامِدِينَ خَيْرًا فَلَكَ بِذَلِكَ عُمُومٌ مَحْمَدَتْنَا ، وَإِنْ نَذَمَ لَمْ نُحْصَ بِالْذَمِّ دُونَهَا » .

قال كسرى : يا حاجب ، ما أشبه حَجَرَ التَّلَالِ بِالْوَانِ صَخْرَهَا ، قال حاجب : بَلْ زَيْبِ الْأَسَدِ بِصَوْلَتِهَا ، قال كسرى : وَذَلِكَ .

٣٤ — خطبة الحارث بن عباد

ثمَّ قام الحارث بن عباد البكريّ ، فقال :

دَامَتْ لَكَ الْمَمْلَكَةُ بِاسْتِكْمَالِ جَزِيلِ حَظِّهَا ، وَعِلْوِ سِنَانِهَا ، مِنْ طَالِ رِشَاوَةٍ ^(٨) ، كَثُرَ مَتْنُهَا ^(٩) ، وَمِنْ ذَهَبِ مَالِهَا ، قَلَّ مَنُوحُهَا . تَنَاقُلُ الْأَقَاوِيلُ يُعْرِفُ اللَّبَّ ، وَهَذَا

- (١) ورى الزند بفتح الراء وكسرهما وريا ورية فهو وار وورى : خرجت ناره . وأوريته ووريته واستوريته ، والزند : العود الذى يقذف به النار جمعه زناد وأزند وأزنداد . (٢) استحصد الحبل : استحكم ، والمرة : طاقة الحبل ، والقوة : العقل . كناية عن قوتهم . (٣) الدرة : اللين كالدر . (٤) عصارة : شجر مر . (٥) هى احتمال المكروه . والدلة والمنقصة . (٦) ماء زلال : مريع المر فى الحلق بارد عذب صاف سهل سلس . (٧) سهولة . السلس : السهل اللين المنقاد . (٨) الرشاء : الحبل . (٩) المتح : نزع الماء من البئر .

مقام سَيُوجِفُ^(١) بما ينطق به الرَّكْبُ ، وتعرف به كُنْهَ حَالِنَا الْعَجَمِ والعرب ، ونحن جيرانك الأدنون ، وأعاونك الميعنون ، خيولنا جَمَّةٌ ، وجيوشنا خَمَّةٌ ، إن استنجدتنا فغير رُبُضٍ^(٢) ، وإن استطرقتنا^(٣) فغير جُهْضٍ^(٤) ، وإن طلبتنا فغير غُمُضٍ^(٥) ، لا ننشئ لِدَعْرِ ، ولا نَنفَكِرُ لَدَهْرٍ ، رماحنا طوال ، وأعمارنا قصار .

قال كسرى : أنفس عزيزة وأمة ضعيفة ، قال الحرث : أيها الملك وأنى يكون لضعيف عزّة أو لصغير مِرّة ! قال كسرى : لو قصرَ عمرُكَ ، لم تَسْتَوِلِ عَلَى لسانِكَ نَفْسُكَ . قال الحرث : أيها الملك إنَّ الفارس إذا حمل نفسه عَلَى السكتية مُقَرَّرًا بنفسه عَلَى الموت ، فهي مَنِيَّةٌ استقبلها ، وَجِنَانٌ استدبرها ، والعرب تعلم أنى أبعث الحرب قَدُمًا^(٦) ، وأحبسها وهي تَصَرَّفُ بها ، حتى إذا جاشت نارها ، وَسَعَرَتْ لظاها ، وكشفت عن ساقها ، جَعَلَتْ مَقَادَها رُحَى ، وَبَرَقَها سِيفٌ ، وَرَعَدَها زَيْبَرٌ ، ولم أَقْصُرْ عَنْ خَوْصِ خَضَخَاضِهَا^(٧) ، حتى أَنفَـمَسَ في غَمَرَاتِ بُلْجِهَا ، وأكون فُلُـكَا لفرسانى إِلَى مُجْبُوْحَةٍ كَبِشْهَا^(٨) ، فاستمطرها دَمًا ، وَأَتْرُكُ حُمَاتَهَا جَزَرَ^(٩) السَّبَاجِ وَكُلَّ نَسْرِ

(١) وجف الفرس والبعر عدا ، وأوجفته : أعديته ، يقال : أوجف فأعجب (فا أو جفتم عليه من خيل ولا ركاب) أى ما أعلمتم .

(٢) يقال : رجل ربض عن الحاجات لا ينهض فيها ، وهو هنا جمع ربوض بالفتح من ربض الشاة كبركت الناقة : أى لا انتقاعس عن نصرتك ولا نخجم . (٣) استطرقه فحلا : طلبه منه ليضرب في إبله ، هذا هو الأصل ، والمراد استعنت بنا . (٤) أجهضت الناقة والمرأة ولدها : أسقطته ناقص الخلق ، والسقط : جهيض ، وجمعه جهض ، أى أن فعلنا إذا ضرب النياق (نسكها) لم تأت بجهيض بل تنتج ، والمراد أنه إن استنجد بهم أئمر ذلك الاستنجد ولم يجب . (٥) من الغمض ، وهو النوم ، يقال ما غمضت ، ولا أغمضت ، ولا اغتمضت ، فالوصف من الأول غامض ، وللمبالغة غموض ، والجمع غمض أى فلا تنام عن نصرتك . (٦) القدم : المضى أمام أمام ، وهو يمشى القدم : إذا مضى فى الحرب . والقدم : المقدم الشجاع . وفى الحديث « طوي لعبد مغبر قدم فى سبيل الله » . (٧) الخضخاض : نفض أسود رقيق تهنا به الإبل الجرب (ولعله خضاخضها) بضم الخاء ، والخضاخض : المسكان الكثير الماء . (٨) سيد القوم وقائدهم . (٩) أى قطعا .

قَشَعَمُ^(١) . ثم قال كسرى لمن حضره من العرب : أ كذالك هو ؟ قالوا : فماله أنطق من لسانه .

قال كسرى : ما رأيت كالـيوم وفذاً أحشد ، ولا شهوداً أوفد .

٣٥ - خطبة عمرو بن الشريد

ثم قام عمرو بن الشريد السلمى ، فقال :

« أيها الملك ، نِعَمَ بالك ، ودام في السرور حالك ، إن عاقبة الكلام مُتَدَبِّرَةٌ ، وأشكال الأمور مُعْتَبِرَةٌ ، وَفِي كَثِيرِ ثِقَلَةٍ ، وَفِي قَلِيلِ بُلْغَةٍ ، وَفِي الْمُلُوكِ سَوْرَةٌ^(٢) العز ، وَهَذَا مَنْطِقٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ ، شَرُفٌ فِيهِ مَنْ شَرُفَ ، وَخَمَلٌ فِيهِ مَنْ خَمَلَ ، لَمْ تَأْتِ لَضِيْمِكَ ، وَلَمْ نَقِدْ لِسَخْطِكَ ، وَلَمْ نَتَعَرَّضْ لِرِفْدِكَ^(٣) ، إِنْ فِي أَمْوَالِنَا مُنْتَقَدًا^(٤) ، وَعَلَى عِزِّنَا مُمْتَمِدًا ، إِنْ أَرْزَيْنَا^(٥) نَارًا أَثْقَبْنَا ، وَإِنْ أَوَدَّ^(٦) دَهْرٌ بَنَا اعْتَدَلْنَا ، إِلَّا أَنَا مَعَ هَذَا الْجَوَارِكِ حَافِظُونَ ، وَلِمَنْ رَامَكَ كَافِحُونَ ، حَتَّى يُحْمَدَ الصِّدْرُ^(٧) وَيُسْتَطَابَ الْخَبَرُ » .

قال كسرى : ما يقوم قصدُ مَنْطِقِكَ بِإِفْرَاطِكَ ، وَلَا مَدْحُكَ بِذِمَّتِكَ ، قال عمرو : كفى بقليل قصدى هادياً ، وبأيسر إفراطى مُخْبِراً ، وَلَمْ يُلَمْ مَنْ غَرَبَتْ نَفْسُهُ عَمَّا يَعْلَمُ ، وَرَضَى مِنَ الْقَصْدِ بِمَا بَلَغَ . قال كسرى : ما كلُّ ما يعرف المرء ينطق به . اجلس .

(١) مسن . (٢) سورة المجد : أثره وعلامته ، وسورة السلطان : سلوته (والسورة المنزلة)

بالضم . (٣) الرfid : العطاء . (٤) انتقد الدراهم قبضها . (٥) أو قدنا . (٦) اعرج .

(٧) الرجوع .

٣٦ - خطبة خالد بن جعفر الكلابي

ثمَّ قام خالد بن جعفر الكلابي فقال :

« أحضر الله الملك إسعاداً ، وأرشدته إرشاداً ، إنَّ لكلَّ مَنْطِقٍ فُرْصَةً ، ولكلِّ حاجةٍ غَصَّةً ، وَبِئْسَ المنطقُ أَشدُّ مِنْ عِيٍّ الشُّكُوتِ ، وَبِئْسَ القولُ أَنْكَأً ^(١) مِنْ عِثَارِ الوُعْثِ ^(٢) . وما فُرْصَةُ المنطقِ عندنا إِلَّا بِمَا نَهَوَى ، وَغَصَّةُ المنطقِ بِمَا لَا نَهَوَى غَيْرُ مُسْتَسَاغَةٍ ^(٣) ، وتركى ما أعلم مِنْ نَفْسِي ، وَبُغِمْ مِنْ سَمْعِي أَنِّي لَهُ مُطِيقٌ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ تَكْلَفِي مَا أَتَخَوَّفُ وَيَتَخَوَّفُ مِنِّي ، وَقَدْ أَوْقَدْنَا إِلَيْكَ مَلَكَنَا النِّعْمَانَ ، وَهُوَ لَكَ مِنْ خَيْرِ الْأَعْوَانِ ، وَنِعْمَ حَامِلُ المَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ ، أَنْفَسْنَا بِالطَّاعَةِ لَكَ بَاخِعَةً ^(٤) ، وَرَقَابَنَا بِالنَّصِيحَةِ خَاضِعَةً ، وَأَيَّدْنَاكَ بِالْوَفَاءِ رَهِينَةً » .

قال له كسرى : نطقت بعقل ، وَتَمَوَّتَ بِفَضْلٍ ، وَعَلَوْتَ بِذَنْبٍ .

٣٧ - خطبة علقمة بن علاثة العامري

ثمَّ قام علقمة بن علاثة العامري فقال :

« نَهَجَتْ ^(٥) لَكَ سَبِيلُ الرِّشَادِ ، وَخَضَعَتْ لَكَ رِقَابُ الْعِبَادِ ، إِنْ لِلْأَقَاوِيلِ مَنَاهِجٌ ، وَلِلْأَرْاءِ مَوَالِجٌ ^(٦) وَلِلْمَوَيْصِ مَخَارِجٌ ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ ، وَأَفْضَلُ الطَّلَبِ أَنْجَحُهُ ، إِنْ أَوَّارَ كَانَتْ الْحُبَّةُ أَحْضَرْتَنَا ، وَالْوَفَادَةُ قَرَّبَتَنَا ، فَلَيْسَ مِنْ حَضْرِكَ مِنَّا بِأَفْضَلَ مِنْ عَزَبِ عَنَّاكَ ، بَلْ لَوْ قِسْتَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، وَعَلِمْتَ مِنْهُمْ مَا عَلِمْنَا ، لَوَجَدْتَ لَهُ فِي آبَائِهِ

(١) نكأ العدو ونكاه نكاية : قتل وجرح ، وأنكأ : أى أشد نكاية وقهراً . (٢) الوعث :

المكان السهل الدهس تغيب فيه الأقدام والطريق العسر . (٣) أساغ الفضة ابتلعها ، وساغ الشراب :

سهل مدخله في الخلق . (٤) خاضعة ومقرة ، بفتح بالحق أقر به وخضع له . (٥) وضعت .

(٦) مداخل ، جمع مولج . كجلس ، وليج يلج ولوجا ولجة .

دُنْيَا ، أُنْدَادًا وَكَفَاءً ، كُلُّهُمْ إِلَى الْفَضْلِ مَنْسُوبٌ ، وَبِالشُّؤْدُودِ^(١) مُوصُوفٌ ،
وَبِالرَّأْيِ الْفَاضِلِ وَالْأَدَبِ الْنَافِذِ^(٢) مَعْرُوفٌ ، يَحْمِي حِمَاهُ ، وَيُرْوِي نَدَامَاهُ^(٣) ، وَيَذُودُ
أَعْدَاهُ ، لَا تَحْمَدُ^(٤) نَارُهُ ، وَلَا يَحْتَرِزُ مِنْهُ جَارُهُ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ : مَنْ يَبْلُ الْعَرَبُ يَعْرِفُ
فَضْلَهُمْ ، فَاصْطَنَعَ^(٥) الْعَرَبُ ، فَإِنَّهَا الْجِبَالُ الرَّوَاسِي عِزًّا ، وَالْبَحُورُ الزَّوَاخِرُ طُمُئِيًا^(٦) ،
وَالنَّجُومُ الزَّوَاهِرُ شَرَفًا ، وَالْحَصَى عِدْدًا ، فَإِنْ تَعْرِفَ لَهُمْ فَضْلَهُمْ يُعْرِثُوكَ ، وَإِنْ
تَسْتَصْرِخُهُمْ^(٧) لَا يَخْذُلُوكَ .

قال كسرى : وخشى أن يأتى منه كلام يحمله على السخط عليه - حسبك
أبلغت وأحسن .

٣٨ - خطبة قيس بن مسعود الشيباني

ثم قام قيس بن مسعود الشيباني ، فقال :

« أَطَابَ اللَّهُ بِكَ الْمَرَادَ ! وَجَنَّبَكَ الْمَصَائِبَ ! وَوَقَاكَ مَكْرُوهَ الشَّصَائِبِ^(٨) !
مَا أَحَقَّنَا - إِذْ أَتَيْنَاكَ - بِإِسْمَاعِكَ مَا لَا يُحْنِقُ صَدْرَكَ ، وَلَا يَزْرَعُ لَنَا حِقْدًا فِي قَلْبِكَ !
لَمْ نَقْدَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ لِمُسَامَاةٍ ، وَلَمْ نَنْتَسِبْ لِمُعَادَاةٍ ، وَلَكِنْ لَتَعْلَمَ أَنْتَ وَرَعِيَّتُكَ وَمَنْ حَضَرَكَ مِنْ
وَفُودِ الْأُمَمِ ، أَنَا فِي الْمَنْطِقِ غَيْرُ مُحْجِجِينَ ، وَفِي النَّاسِ غَيْرُ مُقْصِّرِينَ ، إِنْ جُورِينَا فغَيْرُ
مُسْبُوقِينَ ، وَإِنْ سُوْمِينَا فغَيْرُ مُغْلُوبِينَ . »

(١) السُّؤْدُودُ بفتح الدال والسُّؤْدُودُ بضمها والسُّؤْدُودُ بضمها . (٢) الظاهر أثره .

(٣) ندأى . جمع ندمان ، وهو النديم ، وجمع النديم ندماء ، وناداه : جالسه على الشراب (ندمان
بمعنى منادم مصروف ، لأن مؤنثه ندمانة ، أما ندمان بمعنى نادم فلا يصرف لأن مؤنثه ندى :

كل فعلان فهو أنثاه فعلى غير وصف النديم بالندمان)

(٤) خد : كنصر وسمع . (٥) اختر واصطفت . (٦) طمى الماء يطمى طميا ملا ، والنبت

طال والبحر امتلا ، وهته علت . (٧) تستنجد بهم . (٨) جمع شخصية ، وهى الشدة .

قال كسرى : غير أنكم إذا عاهدتم غير وافين (وهو يُعْرَضُ به في تركه الوفاء بضمانه السَّوَادُ^(١)) قال قيس : أيها الملك ما كنتُ في ذلك إلا كَوَافٍ غَدِرَ به ، أو كخافر أَخْفِرَ بدمته . قال كسرى : ما يكون لضعيف ضمان ، ولا لدليل خَفَّارَة ، قال قيس : أيها الملك : ما أنا فيما أَخْفِرَ من ذمتي أَحَقُّ بِالْإِزَامِي العَاكِر منك فيما قتل من رَعِيَّتِكَ ، وَأَتَّهِكَ من حرمتك ، قال كسرى : ذلك لأن من اثمن الخانة^(٢) ، واستنجد الأئمة ، ناله من الخطأ ما نالني ، وليس كل الناس سواء ، كيف رأيت حاجب بن زرارة ، لِمَ يُحْكِمُ قَوَاه ، فَيُفْرِم ، وَيَعْمَدُ فَيُوفِي ، وَيَعِدُّ فَيُنْجِز ، قال وَمَا أَحَقُّهُ بذلك ، وَمَا رَأَيْتَهُ إِلَّا لِي ، قال كسرى : القوم بُزِلَ^(٣) فَأَفْضَلُهَا أَشَدُّهَا .

٣٩ خطبة عامر بن الطفيل العامري

ثُمَّ قَامَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ الْعَامِرِيُّ فَقَالَ :

« كَثُرَ فَنُونُ الْمَنْطِقِ ، وَلَبَسَ الْقَوْلُ أَعْمَى مِنْ حِنْدِسِ^(٤) الظَّلماء ، وَإِنَّمَا الْفَضْرُ فِي الْفَعَالِ ، وَالْعِجْزُ فِي النَجْدَةِ ، وَالسُّودَدُ مَطَاوَعَةُ الْقُدْرَةِ^(٥) ، وَمَا أَعْلَمَكَ بِقُدْرَانَا ، وَأَبْصَرَكَ بِفَضْلَانَا ، وَبِالْخُرَى^(٦) إِنْ أَدَاكَ^(٧) الْأَيَّامُ ، وَتَأَبَّتِ الْأَحْلَامُ أَنْ تَحْدِثَ لَنَا أُمُورًا هَا أَعْلَامُ^(٨) . قال كسرى : وَمَا تِلْكَ الْأَعْلَامُ ، قَالَ مُجْتَمَعُ^(٩) الْأَحْيَاءِ مِنْ رِييعة وَمُضَرٍّ ، عَلَى أَمْرٍ يَذْكَرُ قَالَ كَسْرَى : وَمَا الْأَمْرُ الَّذِي يَذْكَرُ ؟ قَالَ : مَالِي عِلْمٌ بِأَكْثَرِ مَا خَبَّرَنِي بِهِ نَخْبِرُ ، قَالَ كَسْرَى : مَتَى تَسْكَاهَنْتَ يَا بَنَ الطَّفِيلِ ؟ قَالَ : لَسْتُ بِكَاهِنٍ ، وَلَكِنِّي بِالرَّوحِ

(١) أي سواد العراق . (٢) الخانة والخونة : جمع خائن . (٣) البازل : الجمل في السنة

الثامنة ، والرجل الكامل في تجربته جمع بزل وبزل . (٤) الليل المظلم والظلمة . (٥) أي أن يأتي

المرء ما يقدر عليه ، فإن ذلك يبلغه السودة . (٦) خليق وجدير . (٧) نصرتنا .

(٨) أي مشهورة . (٩) اجتماع .

طاعن ، قال كسرى : فإن اتاك آت من جهة عينك العوراء ما أنت صانع ؟ قال :
ما هينيتي في قفائي بدون هيبتي في وجهي ، وما أذهب عيني عيث^(١) ، ولكن
مطاوعة العيث .

٤٠ - خطبة عمرو بن معد يكرب الزبيدي

ثم قام عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، فقال :

« إنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، فبلاغ المنطق الصواب ، وملاك النجعة^(٢)
الارتياذ ، وعقوؤ الرأي خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخبرة خير من أعتساف
الخيرة ، فاجتنب^(٣) طاعتنا بلفظك ، واكتظم بادرتنا بملكك ، وألن لنا كنفك يسلس
لك قيادنا ، وإنا أناس لم يؤقس^(٤) صفاتنا قراع منافر^(٥) من أراد لنا قضا^(٦) ، ولكن
منعنا إحانا من كل من رام لنا هضا »

٤١ - خطبة الحارث بن ظالم المري

ثم قام الحارث بن ظالم المري ، فقال :

« إن من آفة المنطق الكذب ، ومن لؤم الأخلاق اللق ، ومن خطيئ الرأي خيفة
الملك المسلط ، فإن أعلمناك أن مواجعتنا لك عن الائتلاف ، وأقبيادنا لك عن تصاف ،
فما أنت لقبول ذلك منا بخلق ، ولا للاعتماد عليه بحقيق ، ولكن الوفاء بالعهود ،
وإحكام وث العقود ، والأمر بيننا وبينك معتدل ، ما لم يأت من قبلك
ميل أو زل » .

(١) الإفساد . (٢) النجعة : طلب الكلا في موضعه . (٣) اجتنب . (٤) الوقس :

انتشار الجرب في البدن ، والتوقيس : الإجراب ، أي لم يخذش صفاتنا ويؤثر فيها . (٥) جمع متقار ،
وهو حديدة كالقأس ينقر بها . (٦) أصله الأكل بأطراف الأسنان .

قال كسرى : من أنت ؟ قال الحرث بن ظالم ، قال إن في أسماء آبائك لدليلاً على قلة وفائك ، وأن تكون أولى بالقدر ، وأقرب من الوزر . قال الحرث : إن في الحق مَغْضَبَةً . والسَرُّوُ التَّغافل ^(١) ، وإن يستوجب أحدُ الحلم لإمع القدرة ، فَلتُشَبِّه أفعالك مجلسك ، قال كسرى : هذا فتى القوم

ثم قال كسرى : قد فهمت مانطقت به خطباؤكم ، وتفنن فيه متكلموكم ، ولولا أنى أعلم أن الأدب لم يُثَقَّفْ أودَّكم ، ولم يُحكَمْ أمركم ، وأنه ليس لكم ملك يجمعكم ، فتنتطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة ، فنطقتم بما استولى على ألسنتكم ، وغلب على طباعكم ، لم أُجِزْ لكم كبراً مما تكلمتم به ، وإنى لأكره أن أُجَبَّه وفودى ، أو أُخْنِق صدورهم ، والذي أحب من إصلاح مُدَبَّرِكُمْ ، وتألف شواذكم ، والإعذار إلى الله فيما بينى وبينكم ، وقد قبلت ما كان في منطقكم من صواب ، وصدفت عما كان فيه من خلل ، فانصرفوا إلى ملسكم ، فأحسنوا موازرتهم ، والتزموا طاعته ، واردعوا سفهاءكم وأقيموا أودهم ، وأحسنوا أدبهم ، فإن في ذلك صلاح العامة . (العقد الفريد ١: ١٠١)

٤٢ - مخالس بن مزاحم وقاصر بن سلمة عند النعمان بن المنذر

كان مُخَالِسُ بْنُ مَزَاحِمِ الْكَلْبِيِّ ، وقاصِرُ بْنُ سَلَمَةَ الْجَذَامِيُّ يساب النعمان بن المنذر ، وكان بينهما عداوة ، فأتى قاصر إلى ابن فَرَثَنَى وهو عمرو بن هند أخو النعمان ابن المنذر ، وقال : إن مخالساً هجأك ، وأنشده في ذلك أبياتاً ، فلما سمع عمرو ذلك أتى النعمان ، فشكا مخالساً وأنشده الأبيات ، فأرسل النعمان إلى مخالس ، فلما دخل عليه قال : « لَا أَمَّ لَكَ ! أَتَهْجُوا امْرَأَ هُوَ مَيْتٌ خَيْرٌ مِنْكَ حَيًّا ، وهو سقيماً خيراً مِنْكَ صحيحاً . وهو غائباً خيراً مِنْكَ شاهداً ؟ فَبِحُرْمَةِ مَاءِ الْمُزْنِ ^(١) ، وَحَقِّ أَبِي قَابُوسٍ ^(٢) ، لَنْ لَاحَ لِي أَنْ ذَلِكَ كَانَ مِنْكَ ، لَأَنْزِعَنَّ غَلَصَمَتَكَ مِنْ قَفَاكَ ، وَلَا طَعِمَتَكَ لِحْمِكَ » .

قال مخالس : « أبيت اللعن ! كلا ، والذي رفع ذِرْوَتَكَ بِأَعْمَادِهَا ، وَأَمَاتَ حُسَادَكَ بِأَكَادِمِهَا ، مَا بُلِّغْتَ غَيْرَ أَقَاوِيلِ الْوُشَاةِ ، وَتَمَاتَمِ الْعُصَاةِ ، وَمَاهَجُوتُ أَحَدًا ، وَلَا أَهْجُوا امْرَأَ ذَكَرْتَ أَبَدًا ، وَإِنِّي أَعُوذُ بِجَدِّكَ الْكَرِيمِ ، وَعِزِّ بَيْتِكَ الْقَدِيمِ ، أَنْ يَنْالَنِي مِنْكَ عِقَابٌ ، أَوْ يَفَاجِئَنِي مِنْكَ عَذَابٌ ، قَبْلَ الْفَحْصِ وَالْبَيَانِ ، عَنْ أَسَاطِيرِ أَهْلِ الْبُهْتَانِ » . فدعا النعمان قاصراً فسأله ، فقال قاصر : « أبيت اللعن ! وَحَقُّكَ لَقَدْ هَجَاكَ وَمَا أُرَوَانِيهَا سِوَاهُ » فقال مخالس : « لَا يَأْخُذَنَّ أَيُّهَا الْمَلِكُ مِنْكَ قَوْلُ امْرِئٍ آفِكٍ ^(٣) ، وَلَا تُورِدْنِي سَبِيلَ الْمَهَالِكِ . وَاسْتَدِلَّ عَلَى كَذِبِهِ بِقَوْلِهِ : إِنِّي أُرْوِيْتَهُ مَعَ مَا تَعْرِفُ مِنْ عِدَاوَتِهِ » ، فعرف النعمان صدقه فأخرجهما .

فلما خرجا ، قال مخالس لقاصر : « شَقِيَ جَدُّكَ ، وَسَقُلَ خَدُّكَ ، وَبَطَلَ كَيْدُكَ ، وَلَاحَ لِلْقَوْمِ جُرْمُكَ ، وَطَاشَ عَنِّي سَهْمُكَ ، وَلَأَنْتَ أَضْيَقُ حِجْرًا مِنْ نَقَّازٍ ^(٤) ، وَأَقْلَ قُوًى مِنَ الْحَامِلِ عَلَى الْكَرَّازِ ^(٥) » فأرسلها مثلاً . (جمع الأمثال ١ : ١٤٠)

(١) المزن : السحاب أو أبيضه أو ذو الماء ، جمع مزنة . (٢) يعني نفسه وأبو قابوس كنيته . (٣) كذاب . (٤) الحجر : العقل ، والنقاز : كرمز ، وشداد : طائر أو صفار المصافير ومن قول حسان بن ثابت :

لأبأس بالقوم من طول ومن قصر
جمع البغال وأحلام المصافير

(٥) الكراز : الكبيش يحمل خرج الراعى ، أى أقل قوى من الراعى يحمل زاده على الكبيش ، وهو مثل يضرب لمن يرمى بالآؤم .

٤٣ - ضمرة بن ضمرة عند النعمان بن المنذر

قيل إن رجلاً من بني تميم يقال له ضمرة بن ضمرة، كان يُغير على مسالِح^(١) الثَّمان بن المنذر، حتى إذا عِيلَ صبر النعمان، كتب إليه أن أَدْخُلَ في طاعتي، ولك مائة من الإبل، فقبلها وأتاه، فلما نظر إليه أزدراء - وكان ضمرة دَمِيًّا - فقال: تسمع بالمُعَيْدِيَّ لا أن تراه^(٢). فقال ضمرة: مَهْلًا أيها الملك. إن الرجال لا يكأُون بالصَّيْعَانِ^(٣). وإنما المرء بأَصْفَرِيهِ قَلْبِهِ ولسانِهِ. إن قَاتَلَ قَاتِلَ بَجْنَانَ. وإن نطق نطق ببيان. قال: صدقت لله دَرَكُ، هل لك علم بالأُمُور والوُلُوج فيها؟ قال: والله إني لأُبرِمُ منها السَّحُولَ^(٤). وأَنْقُضُ منها المَقْتُول. وأُحْيِلُها حتى تَحُولَ، ثم أنظر إلى ما يَثُول. وليس للأُمُور بصاحب. مَنْ لا ينظر في العواقب. قال: صدقت، لله درك! فأخبرني: ما العَجَزُ الظاهر، والفقر الحاضر، والداءُ العَيَاءُ^(٥)، والسَّوْءُ السَّوْءُ؟ قال ضمرة:

«أما العَجَزُ الظاهر. فالشَّابُّ القليل الحيلة. اللَّزُومُ لِلْحَلِيلَةِ. الذي يحوم حولها. ويسمع قولها. فَإِنْ غَضِبَتْ تَرَضَّاهَا. وإن رَضِيتْ تَفَدَّاهَا. وأما الفقر الحاضر فالمرء لا تشبَعُ نفسه. وإن كان من ذهب خِلْسُهُ^(٦). وأما الداءُ العَيَاءُ: فجار السوء، إن كان فوقك قَهْرَكَ، وإن كان دونك هَمَزَكَ^(٧). وإن أعطيته كفرَكَ، وإن منعتَه شتمَكَ، فإن كان ذلك جارك، فأخْلِ له دارَكَ، وَعَجِّلْ منه فِرَارَكَ، وإلا فأقيم بذلَّ

(١) مسالِح جمع مسلحة بالفتح وهى الثغر. (٢) وفي رواية «تسمع بالمعدي خير من أن تراه» وهو مثل يضرب لمن خبره خير من مرآه، والمعدي تصغير المعدي نسبة إلى معد وهو حى، خفت الدال استئقالا للتشديد مع ياء التصغير، وقيل منسوب إلى معيد وهو اسم قبيلة. (٣) الصيغان جمع صاع وهو مكيال يكال به، ومعياره الذى لا يختلف أربع حفنات بكفى الرجل الذى ليس بمظلم الكفين ولا صغيرهما. وحرر بعض المحققين أن الصاع بالمصرى قد حان وثلاث. (٤) سحل الثوب: لم يرم غزله. (٥) داء عياء: لا يبرأ منه. (٦) المجلس كساء يجعل على ظهر البعير تحت رحله. (٧) الحمز: الغمز.

وصَفَّارٌ ، وَكُنْ كَكَلْبٍ هَرَّارٍ^(١) ، وَأَمَّا السُّوءُ السُّوءَاءُ : فَالْحَلِيلَةُ الصَّخَّابَةُ^(٢) ، الْخَفِيفَةُ
الْوَتَابَةُ ، السَّلِيلَةُ^(٣) السَّابَةُ ، الَّتِي تَعَجَّبُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ ، وَتَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ غَضَبٍ ،
الظَّاهِرُ عَيْبُهَا ، وَالْمَخُوفُ غَيْبُهَا ، فَزَوْجُهَا لَا يَصْلَحُ لَهُ حَالٌ ، وَلَا يَنْتَعِمُ لَهُ بَالٌ ، إِنْ كَانَ غَنِيًّا
لَا يَنْفَعُهُ غِنَاهُ ، وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا أَبَدَتْ لَهُ قِلَافَهُ^(٤) ، فَأَرَاهُ اللَّهُ مِنْهَا بَعْلَهَا ، وَلَا مَتَعَ اللَّهُ
بِهَا أَهْلَهَا .

فَأَعْجَبَ النِّعْمَانُ حُسْنَ كَلَامِهِ ، وَحُضُورَ جَوَابِهِ ، فَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ . وَاحْتَبَسَهُ قَبْلَهُ .

(جمهرة الأمثال ١: ١٨٦)

٤٤ — لَيْبِدُ بْنُ رَيْبَعَةَ يَصِفُ بِقَلَّةٍ

وَفَدَّ عَلَى الثُّعْمَانَ بْنِ الْمُنْذَرِ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ مُلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ فِي رَهْطٍ مِنْ بَنِي جَعْفَرِ
ابْنِ كِلَابٍ ، فِيهِمْ لَيْبِدُ بْنُ رَيْبَعَةَ ، فَطَمَنَ فِيهِمُ الرِّبِيعُ بْنُ زِيَادِ الْعَبْسِيِّ ، وَذَكَرَ
مَعَايِبَهُمْ — وَكَانَ نَدِيمًا لِلنِّعْمَانِ ، وَكَانَتْ بَنُو جَعْفَرٍ لَهُمْ أَعْدَاءٌ — فَلَمْ يَزَلْ بِالنِّعْمَانِ حَتَّى صَدَّ
عَنْهُمْ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ يَوْمًا ، فَأَرَاوْا مِنْهُ جَفَاءً — وَقَدْ كَانَ يَكْرَهُهُمْ وَيَقْرَهُهُمْ — فَخَرَجُوا غَضَابًا ،
وَلَيْبِدُ مَتَخَلِّفٌ فِي رَحَالِهِمْ ، يَحْفَظُ مَتَاعَهُمْ ، وَيَقْدُو بِأَيْدِيهِمْ كُلَّ صَبَاحٍ بِرَعَاهَا — وَكَانَ
أَحَدُهُمْ سَنًا — فَأَتَاهُمْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ أَمْرَ الرِّبِيعِ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْهُ فَكْتُمُوهُ ،
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا حَفِظْتُ لَكُمْ مَتَاعًا ، وَلَا سَرَّحْتُ لَكُمْ بَعِيرًا ، أَوْ تَخْبِرُونِي فِيمَ أَنْتُمْ ؟
وَكَانَتْ أُمُّ لَيْبِدٍ يَتِيمَةً فِي حِجْرِ الرِّبِيعِ ، فَقَالُوا : خَالَكَ قَدْ غَلَبْنَا عَلَى الْمَلِكِ ، وَصَدَّ عَنَّا وَجْهَهُ ،
فَقَالَ لَيْبِدُ : هَلْ تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، فَازْجِرْهُ عَنْكُمْ بِقَوْلِ مُبْضٍ مُؤَلَّمٍ ،
لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ النَّعْمَانُ بَعْدَهُ أَبَدًا ؟ قَالُوا : وَهَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالُوا : فَإِنَّا نُبْلُوكُ .

(١) هرير الكلب : صوته ، وهو دون النباح . (٢) أى كثيرة اللغط والجلبة من الصخب

بالتحريك . (٣) الطويلة اللسان من السلاطة كفصاحة . (٤) القلى : البغض والكراهية .

قال : وما ذاك ؟ قالوا : نَشَمُّ هذه البَقْلَةَ - وَقَدْ آمَهُمْ بَقْلَةٌ دَقِيقَةُ الْقَضْبَانِ ، قَلِيلَةُ الْأَوْرَاقِ ، لاصِقَةٌ بِالْأَرْضِ ، تَدْعَى التَّرَبَّةَ - فَقَالَ :

« هَذِهِ لِلتَّرَبَّةِ الَّتِي لَا تُذَكِّي ^(١) نَارًا ، وَلَا تُؤْهِلُ ^(٢) دَارًا ، وَلَا تَسْرُ جَارًا ، عُوْدُهَا ضَلِيلٌ ، وَفَرْعُهَا كَلِيلٌ ^(٣) ، وَخِيَرُهَا قَلِيلٌ ، أَقْبَحُ الْبَقُولِ مَرْعَى ، وَأَقْصَرُهَا فَرْعًا ، وَأَشَدُّهَا قَلَمًا ، فَتَعَسَّأَ لَهَا وَجَدْعًا ^(٤) ، بَلَدُهَا شَاسِعٌ ^(٥) ، وَنَبْتُهَا خَاشِعٌ ، وَآكَلُهَا جَانِعٌ ، وَالْمَقِيمُ عَلَيْهَا قَانِعٌ ^(٦) ، فَالْقَوَا بِي أَخَا بَنِي عَبَسَ ، أُرْدَدَ عَنْكُمْ بِتَعَسٍ ^(٧) وَنُكْسٍ ، وَأَتْرَكَهُ مِنْ أَمْرِهِ فِي لَبَسٍ » .

فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا بِهِ مَعَهُمْ إِلَى النِّعْمَانِ ، فَذَكَرُوا حَاجَتَهُمْ ، فَأَعْتَرَضَ الرَّبِيعُ ، فَرَجَزَ بِهِ لِبَيْدِ رَجَزٍ مَالِبٍ مَعَهُ النِّعْمَانُ أَنْ تَقْرَئَ مِنْهُ ، وَأَمْرُهُ بِالْأَنْصِرَافِ إِلَى أَهْلِهِ

(مجمع الأمثال ٢ : ٣٣ وجبهة الأمثال ٢ : ١١٦ ، الأغاني ١٤ : ٩١ ،

أبناء نجيبة الأبناء ص ١٧١ ، وأمال السيد المرقضى ١ : ١٣٥)

٤٥ - كلمات هند بنت الحُسن الإيادية

أَتَى رَجُلٌ هِنْدَ بِنْتَ الْحُسْنِ الْإِيَادِيَّةِ يَسْتَشِيرُهَا فِي امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا . فَقَالَتْ : « انْظُرْ رُمْكَاءَ ^(٨) جَسِيمَةً ، أَوْ بِيضَاءَ وَسِيمَةً ، فِي بَيْتِ جِدِّ ، أَوْ بَيْتِ حَدِّ ، أَوْ بَيْتِ عَزٍّ » قَالَ : حَاطَرَكْتِ مِنَ النِّسَاءِ شَيْئًا ، قَالَتْ : « بَلَى ، شَرُّ النِّسَاءِ تَرَكْتُ : السَّوِيدَاءُ الْمِمْرَاضُ ^(٩) ، وَالْحَمِيرَاءُ الْمَحْيَايُضُ ^(١٠) الْكَثِيرَةُ الْمِظَاطُ ^(١١) » .

وَقِيلَ لَهَا : أَيُّ النِّسَاءِ أَسْوَأُ ؟ قَالَتْ : « الَّتِي تَقْعُدُ بِالْفِتَاءِ ، وَتَمْلَأُ الْإِنَاءَ ، وَتَعْدُقُ ^(١٢) »

(١) تَذَكَّى : تَشَمَّلَ . (٢) أَى وَلَا تَوْدُمُ أَهْلَ دَارٍ مِنَ الْإِهَالَةِ (ككِتَابَةِ) وَهِيَ كُلُّ مَا يُؤْتَدَمُ

بِهِ ، وَيُقَالُ ثَرِيدَةٌ مَأْهُولَةٌ : أَى فِيهَا إِهَالَةٌ . (٣) ضَعِيفٌ . (٤) قَطْعًا . (٥) بَعِيدٌ .

(٦) أَى سَائِلٌ . (٧) التَّمَسُّ : الْهَلَاكُ .

(٨) الرَّمَكَاءُ : السَّمَرَاءُ ، وَالرَّمَكَةُ كَحَمْرَةِ لَوْنِ الرَّمَادِ . (٩) الْمِمْرَاضُ : الْمُسْقَامُ .

(١٠) الْكَثِيرَةُ الْحَيْضُ . (١١) الْمِظَاطُ : الْمَنَازِعَةُ وَالْمَشَارَةُ . (١٢) تَمْزَجُ .

ما في السَّقاء « قيل : فأى النساء أفضل ؟ قالت : « التي إذا مشت أُغْبِرَتْ »^(١) ، وإذا
 نطقت صَرَ صَرَّتْ^(٢) ، مُتَوَرِّكة جارية^(٣) ، في بطنها جارية^(٤) ، يتبعها جارية^(٥) .
 قيل : فأى الغلمان أفضل ؟ قالت : « الأسوق الأعنق »^(٦) ، الذي إن شَبَّ كأنه
 أحق « قيل : فأى الغلمان أفضل^(٧) ؟ قالت : « الأَوْيَقَصُ »^(٨) القصير العَضْدُ ، العظيم
 الحَاوِيَّة^(٩) ، الأَغْيَبِرُ الغِشاء ، الذي يُطِيعُ أمَّهُ ، ويعصى عَمَّهُ .
 (الأما ٢ . ٢٦٠)

وقيل لها : أى الرجال أحب إليك ؟ قالت : السهل النجيب ، السَّمْحُ الحَسِيدُ ،
 النَّذْبُ^(١٠) الأريب ، السيد المهيَّب ، قيل لها : فهل بقي أحد من الرجال أفضل من هذا ؟
 قالت : نعم الأَهْيَفُ الهَفْهَفُ^(١١) ، الأنِفُ العِيَّافُ ، المُفِيدُ المتَلَفُ ، الذي يُخْفِيفُ
 ولا يَخَافُ ، قيل لها : فأى الرجال أَبْقَصُ إليك ؟ قالت : الأَوْرَهُ^(١٢) النَّثُومُ ، الوَكَلُ
 السَّثُومُ ، الضَّعِيفُ الحَبِيزُومُ ، اللِّثْمُ المَلُومُ . قيل لها : فهل بقي أحد شر من هذا ؟
 قالت : نعم ، الأحقُّ النَّزَاعُ ، الضَّائِعُ المُضَاعُ ، الذي لا يُهَابُ ولا يُطَاعُ ، قالوا : فأى
 النساء أحب إليك ؟ قالت : البيضاءُ العَطِرَةُ ، كأنها ليلة قَمِرَةٍ^(١٣) قيل : فأى النساء

(١) أثارَت الفِبارَ في مشيِّها . (٢) أحلَّت صوبها . (٣) أى حاملة لها على وركها .

(٤) أى هى مثنات . (٥) الأسوق : الطويل الساق ، والأعنق : الطويل العنق .

(٦) أفعل من فسل : ككرم وعلم وعنى فسالة وفسولة فهو فسل ؛ أى رذل لا مروءة له .

(٧) الأويقص : تصغير أوقص ، وهو الذى يدنو رأسه من صدره .

(٨) ماتحوى من الأمعاء أى استدار .

(٩) النذب : الخفيف فى الحاجة الظريف النجيب ، والأريب : العاقل . (١٠) الأهيف وصف

من الهيف بالتحريك ، وهو رقة الخاصرة ، والقميص الخفهاف ، أى الرقيق الشفاف . (١١) الأوره :

الأحقق من وره كفرح . (١٢) ليلة قرة وقرأ ومقمره : فيها القمر .

أَبْغَضَ إِلَيْكَ؟ قَالَتْ : الْعِنْفُصُ ^(١) الْقَصِيرَةُ ، الَّتِي إِنْ اسْتَنْطَقْتَهَا سَكَتَتْ ، وَإِنْ سَكَتَتْ
عَنْهَا نَطَقَتْ » . (ذيل الأمال ص ١٢٠)

وَقَالَ لَهَا أَبُو هَا يَوْمًا : أَيُّ الْمَالِ خَيْرٌ؟ قَالَتْ : « النَّخْلُ ، الرَّاسَخَاتُ فِي الْوَحْلِ ،
الطَّعِمَاتُ فِي الْمَحَلِّ » ^(٢) . قَالَ : وَأَيُّ شَيْءٍ؟ قَالَتْ : « الضَّأْنُ : قَرْيَةٌ لَا وَبَاءَ بِهَا . تُنْتِجُهَا
رُخَالًا ^(٣) ، وَتَحْلُبُهَا عَلَالًا ^(٤) ، وَتَجَزُّ لَهَا جُفَالًا ^(٥) ، وَلَا أَرَى مِثْلَهَا مَالًا » . قَالَ : فَلَا بِلْ
مَالِكَ تُؤَخَّرُ مِنْهَا؟ قَالَتْ : « هِيَ أَذْكَارُ الرِّجَالِ ، وَإِرْقَاءُ الدَّمَاءِ ، وَمُهْوَرُ النِّسَاءِ » . قَالَ :
فَأَيُّ الرِّجَالِ خَيْرٌ؟ قَالَتْ :

خَيْرُ الرِّجَالِ الْمُرْهَقُونَ كَمَا خَيْرُ تِلَاعِ الْبِلَادِ أَوْطَوْهَا ^(٦)

قَالَ : أَيُّهُمْ؟ قَالَتْ : « الَّذِي يُسْأَلُ وَلَا يَسْأَلُ ، وَيُضَيَّفُ وَلَا يُضَافُ ، وَيُضْلَحُ وَلَا
يُضْلَحُ » . قَالَ : فَأَيُّ الرِّجَالِ شَرٌّ؟ قَالَتْ : « النَّصِيطُ النَّطِيطُ ^(٧) الَّذِي مَعَهُ سُوَيْطُ ^(٨) ،
الَّذِي يَقُولُ أَذْرِكُونِي مِنْ عَبْدِ بَنِي فَلَانٍ ؛ فَإِنِّي قَاتِلُهُ أَوْ هُوَ قَاتِلِي » . قَالَ : فَأَيُّ النِّسَاءِ
خَيْرٌ؟ قَالَتْ : « الَّتِي فِي بَطْنِهَا غَلَامٌ ، تَحْمِلُ عَلَى وَرِكَيْهَا غَلَامًا ، يَمْشِي وَرَاءَهَا غَلَامٌ »
قَالَ : فَأَيُّ الْجَمَالِ خَيْرٌ؟ قَالَتْ : « السَّبَّحَلُ الرَّبَّجَلُ ^(٩) ، الرَّاحِلَةُ الْفَحْلُ » . قَالَ :

(١) العنْفَص : المرأة البديهة القليلة الحياء ، والقليلة الجسم الكثيرة الحركة .

(٢) المحل : الشدة والجذب وانقطاع المطر . (٣) الرخال جمع رخل كحمل وكثف ، وهو الأنثى
من أولاد الضأن . (٤) يقال عاللت الناقة ، وهو أن تحلب أول النهار ووسطه وآخره ، والاسم علل
ككتاب . (٥) الجفال : الكثير من الصوف .

(٦) المرهق : من يقشاه الناس والأضياف . (٧) النطيط : الذي لالحية له ، والنطيط :
ذلهذريان (بكسر الهاء والراء) وهو الكثير الكلام يأتي بالخطأ والصواب عن غير معرفة .

(٨) تصغير سوط . (٩) السبحل والربجل : البعير الضخم الكثير اللحم .

أَرَأَيْتَكَ الْجَدْعَ^(١) ، قالت : لَا يَضْرِبُ ، وَلَا يَدْعُ ، قال : أَرَأَيْتَكَ الثَّغْيَ^(٢) ؟ قالت :
يَضْرِبُ ، وَضِرَابُهُ وَفِي^(٣) ، قال : أَرَأَيْتَكَ السَّدَسَ^(٤) ، قالت : ذَاكَ الْعَرَسَ^(٥) .
(نيل الأمال ص ١٠٨)

وقيل لها : أَيْ الْخَلِيلُ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قالت : « ذُو اللَّيْعَةِ الصَّنِيعِ^(٦) ، السَّالِطِ
التَّلِيعِ^(٧) ، الْأَيْدِ الضَّلِيلِ^(٨) الْمُلْهَبِ^(٩) السَّرِيعِ » فقيل لها : أَيْ الْغِيُوثُ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟
قالت : « ذُو الْهَيْدَبِ الْمُنْبَعِقِ^(١٠) ، الْأَضْحَمِ الْمُؤْتَلِقِ^(١١) الصَّخْبِ الْمُنْبَثِقِ^(١٢) » وقيل
لها : مَا مِائَةٌ مِنَ الْمَعَزِ ؟ قالت : مُؤِيلٌ يَشْفُ الْفَقْرُ مِنْ وَرَائِهِ ، مَالُ الضَّعِيفِ ، وَحِرْفَةٌ
الْعَاجِزِ « قيل : فَمَا مِائَةٌ مِنَ الصَّانِّ ؟ قالت : « قَرْيَةٌ لَا حَيَّ بِهَا » قيل : فَمَا مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ ؟
قالت : « بَخْ^(١٣) ، جَمَالٌ وَمَالٌ ، وَمُنَى الرِّجَالِ » . قيل : فَمَا مِائَةٌ مِنَ الْخَلِيلِ ؟ قالت :

(١) أَرَأَيْتَكَ : كلمة تقولها العرب بمعنى أَخْبِرْنِي ، الجدع : البعير إذا كان في السنة الخامسة .

(٢) البعير إذا كان في السادسة وألقى ثنيته . (٣) قال أبو عل : الصواب أَيْ أَيُّ بَطَى .

(٤) السدس : البعير إذا كان في الثامنة . (٥) العرس : الأسد .

(٦) ماع الفرس يبيع : جرى ، وصنعة الفرس : حسن القيام عليه ، صنعت فرسى صنعا وصنعة

(بفتح الصاد فيهما) والصنيع ذلك الفرس . (٧) السليط : الشديد ، والحديد من كل شيء ، والتليع :

الطويل المتق من التلع بفتحيتين وهو طول العنق . (٨) الأيد ككيس : القوى ، من آد يثيد أيذا أي

قوى واشتد ، والضليع وصف من ضلع كفصح ضلعة ، وهى القوة وشدة الأضلاع .

(٩) هو الذى يجتهد فى عدوه حتى يثير الغبار ، من ألهب . (١٠) الغيدب : السحاب المتدلى ،

والمُنْبَعِقُ : المنبج بالمطر . (١١) الضخم : كشمس وسبب وأحمد وغراب : العظيم من كل شيء ، واثلق

البرق وتألّق : لمع . (١٢) الصخب : وصف من الصخب كسبب وهو شدة الصوت ، والمُنْبَثِقُ : المنفجر

(١٣) بخ كقد : أى عظم الأمر وفخم ، تقال وحدها وتكرر ، بخ يخ الأول منون مكسور ، والثانى

مسكن ، ويقال فى الأفراد : بخ ساكنة الخاء ؛ وبخ مكسورة ، وبخ منونة مضمومة ، ويقال

بخ بخ مسكين ، وبخ بخ منونين مكسورين ، وبخ بخ مكسورين مشدين منونين كلمة تقال عند الرضا

والإعجاب بالشيء .

« طَفْنِي مِنْ كَانَتْ لَهُ وَلَا يَوْجَدُ » قيل : فَمَا مِائَةٌ مِنَ الْحُمْرِ ؟ قَالَتْ : عَازِبَةٌ ^(١) اللَّيْلِ ، وَخِزْيُ الْمَجْلِسِ ، لَا لَبَنَ فَيُحَلَّبُ ، وَلَا صَوْفَ فَيُجَزَّى ، إِنْ رُبِطَ عَيْنُهَا ^(٢) أَدْنَى ، وَإِنْ تَرِكَ وَلَّى ، وَقِيلَ لَهَا : مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ فِي عَيْنِكَ ؟ قَالَتْ « مَنْ كَانَتْ لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ » .
(سرح العيون ص ١٨٤)

وقالت : « أَخْبِثُ الذَّنَابُ ذُئْبُ الْقَضَا ^(٣) ، وَأَخْبِثُ الْأَفَاعِي أُنْعَى الْجَذْبِ ، وَأَسْرَعُ الظُّبَاءِ ظَبَاءُ الْحَلَبِ ^(٤) ، وَأَشَدُّ الرِّجَالِ الْأَعْجَفَ ^(٥) ، وَأَجْمَلُ النِّسَاءِ الْفَخْمَةُ الْأَسِيلَةُ ^(٦) ، وَأَقْبَحُ النِّسَاءِ الْجَهْمَةُ الْفَقْرَةُ ^(٧) ، وَآكَلُ الدُّوَابِّ الرَّغُوثُ ^(٨) ، وَأَطْيَبُ اللَّحْمِ هُوَذُهُ ^(٩) ، وَأَغْلَظُ لِلْوَاطِي الْحَصَى عَلَى الصَّفَا ، وَشَرُّ الْمَالِ مَا لَا يَزُكِي ^(١٠) وَلَا يُذَكِّي ^(١١) ، وَخَيْرُ الْمَالِ سِكَّةُ مَابُورَةٍ ^(١٢) ، أَوْ مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ ^(١٣) » .
(مجمع الأمثال ١ : ١٧٤)

(١) يقال جمل عازب : أى لا يروح على الحى من العزوب : وهو الغيبة والذهاب ، وقولها : خزى المجلس ، أى بما تحدثه من التهنيت المزعج والإدلاء . (٢) العير : الحمار (وغلب على الوحشي) ، وأدلى : أى أخرج قضيه ليبول أو يضرب . (٣) القضا : شجر له جمر يبق طولاً . (٤) الحلب : نبت ، قال حمزة : « العرب تسمى ضروريا من البهائم بضروب من المراعى تنسبها إليها ، فيقولون : ظبى الحلب ، وتيس الربلة (والربل حركة نبات شديد الخضرة) ، وشيطان الحماطة (والحماطة كسحابة : شجر شبيه بالتين ، أحب شجر إلى الحيات) . . الخ وذلك كله على قدر طباع الأمكنة والأغذية العاملة في طباع الحيوان . (٥) من المعجف بالتحريك وهو ذهاب السمن . (٦) الطويلة المسترسلة . (٧) الجهم : مؤنث الجهم وهو الوجه الغليظ المجتمع السمج ، والفقرة : القليلة القفر بالتحريك : أى الشعر . (٨) الرغوث : كل مرضعة كالمرغث . (٩) ما عاذ بالعظم من اللحم . (١٠) زكى كرضى نما وزاد كزكا يزكو . (١١) ذكى تذكية : سمن وبدن (بضم الدال) . (١٢) السكة : السطر من النخل ، والمأبورة : المصلحة ، من أبرت النخل آبره إذا لقحته وأصلحته . (١٣) مأمورة : أى كثيرة الولد ، من أمرها الله أى كثرتها وكان ينبغي أن يقال مؤمرة ، ولكنه أتبع مأبورة - اقرأ في كتاب بلاغات النساء ص ٥٧ فصلاً طويلاً في كلام هند بنت الحنيس وأغنها جمعة .

٤٦ - خطبة كعب بن لؤى

وخطب كعب بن لؤى (وهو الجد السابع للنبي صلى الله عليه وسلم) فقال :
 « اسمعوا وعُوا ، وَتَعَلَّمُوا تَعْلَمُوا ، وَتَفَهَّمُوا تَفَهَّمُوا ، لَيْلٌ سَاجِدٌ ^(١) ، وَنَهَارٌ صَاجِدٌ ^(٢) ،
 وَالْأَرْضُ مِهَادٌ ، وَالْجِبَالُ أَوْتَادٌ ، وَالْأَوَّلُونَ كَالْآخِرِينَ ، كُلُّ ذَلِكَ إِلَى بَلَاءٍ ، فَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ ،
 وَأَصْلَحُوا أَحْوَالَكُمْ . فَهَلْ رَأَيْتُمْ مِنْ هَلَكٍ رَجَعَ ، أَوْ مِيتًا نُشِرَ ، الدَّارُ أَمَامَكُمْ ، وَالظَّنُّ
 خِلَافٌ مَا تَقُولُونَ ، زَيَّنُوا حَرَمَكُمْ وَعَظُمُوهُ ، وَتَمَسَّكُوا بِهِ وَلَا تَفَارِقُوهُ ، فَمِيتَاتِي لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ
 وَسَيُخْرِجُ مِنْهُ نَبِيٌّ كَرِيمٌ ، ثُمَّ قَالَ :

نَهَارٌ وَلَيْلٌ وَاخْتِلَافُ حَوَادِثٍ	سَوَاءٌ عَلَيْنَا حُلُوهَا وَمَرِيرُهَا
يَتُوبَانِ بِالْأَحْدَاثِ حَتَّى تَأْوَبَا	وَبِالنِّعَمِ الضَّائِفِ عَلَيْنَا سُتُورُهَا ^(٣)
صُرُوفٌ وَأَنْبَاءٌ تَقْلِبُ أَهْلَهَا	لَهَا عُقْدٌ مَا يَسْتَحِيلُ مَرِيرُهَا
عَلَى غَفْلَةٍ يَأْتِي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ	فِيُخْبِرُ أَخْبَارًا صَدُوقًا خَبِيرُهَا

ثُمَّ قَالَ :

يَا لَيْتَنِي شَاهِدٌ فَخَوَاءُ دَعْوَتِهِ حِينَ الْعَشِيرَةِ تُبْنِي الْحَقَّ خِذْلَانَا ^(٤)

(صبح الأعشى ١ : ١١٢)

(١) الساجي : الساكن والدائم . (٢) لعله ضاج من ضج القوم صاحوا واجلبوا .

(٣) التأوب الرجوع . (٤) فحوى الكلام وفحواؤه معناه و مذهبه .

٤٧ — خطبة هاشم بن عبد مناف

بحث قريشاً على ما كرام زوار بيت الله الحرام

كَانَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ يَقُومُ أَوَّلَ نَهَارِ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فَيُسْنِدُ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ مِنْ تَلَقَّاءِ بَابِهَا ، فَيَخْطُبُ قُرَيْشًا ، فَيَقُولُ :

« يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَنْتُمْ سَادَةُ الْعَرَبِ ، أَحْسَنُهَا وَجُوهًا ، وَأَعْظَمُهَا أَحْلَاءًا ، وَأَوْسَطُهَا ^(١) أَنْسَابًا ، وَأَقْرَبُهَا أَرْحَامًا . يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَنْتُمْ حَيْرَانُ بَيْتِ اللَّهِ ، أَكْرَمُكُمْ بَوْلَايَتِهِ ، وَخَصَمُكُمْ بِجَوَارِهِ ، دُونَ بَنِي إِسْمَاعِيلَ ، وَحَفِظَ مِنْكُمْ أَحْسَنَ مَا حَفِظَ جَارٌ مِنْ جَارِهِ ، فَأَكْرَمُوا ضَيْفَهُ ، وَزُؤَارَ بَيْتِهِ ، فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَكُمْ شُعْنًا ^(٢) غُيْرًا مِنْ كُلِّ بَلَدٍ ، فَوَرَبُّ هَذِهِ الْبَيْتَةِ ^(٣) ، لَوْ كَانَ لِي مَالٌ يَحْمِلُ ذَلِكَ لَكَفَيْتُكُمْوه ، أَلَا وَإِنِّي أَخْرَجُ مِنْ طَيْبٍ مَالِي وَحِلَالِهِ ، مَا لَمْ يُقَطَّعْ فِيهِ رَحِمٌ ، وَلَمْ يُؤْخَذْ بِظُلْمٍ ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِيهِ حَرَامٌ ، فَوَاضِعُهُ ، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فَعَلْ ، وَأَسْأَلُكُمْ بِحُرْمَةِ هَذَا الْبَيْتِ أَلَّا يُخْرِجَ رَجُلٌ مِنْكُمْ مِنْ مَالِهِ ، لِكِرَامَةِ زُؤَارِ بَيْتِ اللَّهِ وَمَعُونَتِهِمْ إِلَّا طَيْبًا ، لَمْ يُؤْخَذْ ظَلَمًا ، وَلَمْ يُقَطَّعْ فِيهِ رَحِمٌ ، وَلَمْ يُفْتَضَبْ » .

(شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ . ٤٥٨)

(١) خيرهم : الوسط من كل شيء أعلاه (قال أوسطهم . . . وكذلك جعلناكم أمة وسطا) .

(٢) جمع أشعث : وهو ملبد الشعر مغبره . (٣) الكعبة : والبيتية بكسر الباء وضبطها وسكون

٤٨ — خطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة

تنافرت قريش وخزاعة^(١) إلى هاشم بن عبد مناف ، فخطبهم بما أذعن له الفريقان بالطاعة ، فقال في خطبته :

« أيها الناس ، نحن آل إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وبنو النضر بن كنانة^(٢) وبنو قصي بن كلاب ، وأرباب مكة ، وسكان الحرم ، لنا ذروة الحسب ، ومعدن المجد ، ولكل في كل حلف^(٣) يجب عليه نصرته ، وإجابة دعوته ، إلا مادعا إلى عقوق عشيرة ، وقطع رحم ؛ يا بني قصي : أنتم كفصتي شجرة أيهما كسيرا أوحش صاحبه ، والسياف لا يصابن إلا بغمده ، وراعى العشيرة بصييه سهمه ، ومن انحكه^(٤) اللجاج أخرجه إلى البغي .

أيها الناس : الحلم شرف ، والصبر ظفر ، والمعروف كنز ، والجود سؤدد ، والجهل سفة ، والأيام دول ، والدهر غير^(٥) ، والمرء منسوب إلى فعله ، ومأخوذ بعمله ، فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد ، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء ، وأكرموا المجلس يعمرو ناديك ، وحاموا الخليط يرغب في جواركم ، وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم ؛ وعليكم

(١) خزاعة : حى من الأزد ، سما بذلك لأنهم تخزعوا عن قومهم (أى تخلفوا عنهم وانقطعوا) إقبالهم من اليمن . وذلك أنه لما تفرقت الأزد من اليمن في البلاد نزل بنو مازن على ماء بين زيد وزعم ؛ وأقبل بنو عمرو بن هاجر فانزعوا عن قومهم فنزلوا مكة .

(٢) النضر : الجدة الثانية عشر للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقصى الجد الرابع . (٣) الخلف : في العهد بين القوم والصدقة ، والصديق يحلف أصحابه أن لا يدر به ، وقوله « لكل في كل » أى لكل في صاحبه صديق يجب عليه نصرته .

(٤) أغضبه . (٥) أى ذو غير ، وغير الدهر : أحداثه المغيرة ، جمع غيرة بالكسر ، أو مفرد وجمعه أغيار .

بمكارم الأخلاق فإنها رفعة ، وإياكم والأخلاق الدنية فإنها تضع الشرف ، وتهدم المجد ، وإن نهنته^(١) الجاهل أهون من جريرته^(٢) ، ورأس العشيرة يحمل أنقالها ، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به .

فقال قريش : « رضينا بك أبا نضلة » وهي كنيته .

(بلوغ الأرب ١ : ٣٢٢)

٤٩ — خطبة عبد المطلب بن هاشم

يهنى سيف بن ذى يزن باسترداد ملكه من الحبشة

لما ظفر سيف بن ذى يزن بالحبشة ، أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها تهنئته وتمدحه ، ومنهم وفد قريش ، وفيهم عبد المطلب بن هاشم ، فاستأذنه في الكلام فأذن له ، فقال :

« إن الله تعالى - أيها الملك - أحلك محلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ، باذخاً^(٣) شامخاً ، وأنبئك منبتاً طابت أرومته^(٤) ، وعزت جروثومته^(٥) ، وثبت أصله ، وبسقى^(٦) فرعه ، في أكرم معدن ، وأطيب موطن ، فأنت - أبيت اللعن - رأس العرب وريعمها الذى به تنحصب ، وملكها الذى به تنقاد ، وعمودها الذى عليه العباد ، ومقيلها^(٧) الذى إليه يلجأ العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا بعدهم خير خلف ، ولن يهلك من أنت

(١) نهنته عن الأمر : كفه وزجره . (٢) في الأصل « جريرته » ، وفي كتب اللغة : « حزرة

المال ؟ وحزيرته : خياره » ولا معنى لها هنا . وأرى أنها مصحفة عن « جريرته » .

(٣) عاليها ، من بذخ باذخا كفرح . (٤) أرومة : بانصم والفتح أى أصل . (٥) أصله أيضاً .

(٦) علا وطال . (٧) الملجأ .

خَلَقَهُ ، وَلَنْ يَحْمَلَ مَنْ أَنْتَ سَلَفُهُ ، نَحْنُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَهْلَ حَرَمِ اللَّهِ وَذِمَّتِهِ ، وَسَدَنَةِ بَيْتِهِ ، أَشْخَصْنَا إِلَيْكَ الَّذِي أَبْهَجَكَ بِكُشْفِ الْكَرْبِ الَّذِي فَدَحْنَا^(١) ، فَنَحْنُ وَفَدَ الْتَهْنِئَةِ ، لَا وَفَدَ الْمَرْزُوتَةِ^(٢) .

(العقد الفريد ١ : ١٠٧ ، وأنبياء نجباء الأبناء ص ١١) .

٥٠ - خطبة أبي طالب

في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة

خطب أبو طالب حين زواج النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة فقال :

« الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وجعل لنا بلداً حراماً ، وبيتاً محجوجاً ، وجعلنا الحُكَّامَ عَلَى النَّاسِ ، ثم إن محمد بن عبد الله ابنَ أَخِي مَنْ لَا يُؤَاوِزُنْ بِهِ فَتَى مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا رَجَّحَ عَلَيْهِ : بَرًّا وَفَضْلاً ، وَكِرْماً وَعَقْلاً ، وَمَجْدًا وَنُبْلًا^(٣) ، وَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قُلٌّ^(٤) ، فَإِنَّمَا الْمَالُ ظِلٌّ زَائِلٌ ، وَعَارِيَةٌ^(٥) مُسْتَرْجَعَةٌ ، وَلَهُ فِي خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَغْبَةٌ ، وَلَهَا فِيهِ مِثْلُ ذَلِكَ ، وَمَا أَحْبَبْتُمْ مِنَ الصَّدَاقِ فَعَلَى » .

(صبح الأعشى ١) ٢١٣ ، وإعجاز القرآن ١٢٦ ، وتهذيب البكمال ١ : ٤ ؛ والسرور الحلبية ١ : ١٣٣)

(١) أنقلنا . (٢) رزاه ماله : كجمل وعلم أصاب منه شيئاً رزاه ، كارتزاه ماله ، ورزاه

رزاه ومرزوة أصاب منه خيراً : أى لسنا وافدين للعطاء .

(٣) ذكاء ونجابة . (٤) قلة . (٥) مايستعار ، مشددة وقد تخفف .

خطب الكهان

٥١ - الكاهن الخزاعي ينفر هاشم بن عبد مناف

على أمية بن عبد شمس

وَلِيَّ هَاشِمٍ بَعْدَ أَبِيهِ عَبْدِ مَنْفٍ ، مَا كَانَ إِلَيْهِ مِنَ السَّقَايَةِ وَالرَّفَادَةِ^(١) ، فَحَسَدَهُ أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ عَلَى رِيَاسَتِهِ وَإِطْعَامِهِ ، وَكَانَ ذَا مَالٍ ، فَتَكَافَفَ أَنْ يَصْنَعَ صَنِيعَ هَاشِمٍ ، فَعَجَزَ عَنْهُ ، فَشَمَّتْ بِهِ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَمَضَبَ وَنَالَ مِنْ هَاشِمٍ ، وَدَعَاهُ إِلَى الْمَنَافَرَةِ ، فَكَرِهَ هَاشِمٌ ذَلِكَ لِسِنِّهِ وَقَدْرِهِ ، فَلَمْ تَدْعُهُ قُرَيْشٌ حَتَّى نَافَرَهُ عَلَى خَمْسِينَ نَاقَةً سَوْدَ الْحَدَقِ يَنْحَرُهَا بَيْطُنُ مَكَّةَ ، وَالْجَلَاءُ عَنْ مَكَّةَ عَشْرَ سَنِينَ ، فَرَضَى بِذَلِكَ أُمِيَّةُ ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا الْكَاهِنَ الْخَزَاعِيَّ - وَهُوَ جَدُّ عَمْرِو بْنِ الْحَقِّقِ ، وَمَنْزِلُهُ بِعُسْفَانَ^(٢) ، وَكَانَ مَعَ أُمِيَّةَ هَهْمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُزَيِّ الْفِهْرِيُّ ، وَكَانَتْ ابْنَتُهُ عِنْدَ أُمِيَّةَ ، فَقَالَ الْكَاهِنُ :

« وَالْقَمَرِ الْبَاهِرِ ، وَالْكَوْكَبِ الزَّاهِرِ ، وَالْقَامِ الْمَاطِرِ ، وَمَا بِالْجَوِّ مِنْ طَائِرٍ ، وَمَا اهْتَدَى بِعَلَمٍ^(٣) مَسَافِرٍ ، مِنْ مُنْجِدٍ وَغَاثٍ^(٤) ، أَقْدَسَ سَبَقِ هَاشِمٍ أُمِيَّةَ إِلَى الْمَآثِرِ ، أَوَّلٌ مِنْهُ وَآخِرُ ، وَأَبُوهُمْ هُمَا بِذَلِكَ خَابِرٌ . »

(١) السقاية : هي إسقاء الحبيج الماء المذنب ، والرفادة : خرج كانت تخرجه قريش في كل موسم من أموالها ، فتدفعه إليه ، فيصنع به طعاما للحاج يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد .

(٢) عسفان : موضع على مرحلتين من مكة . (٣) العلم : مانصب في الطريق يهتدى به .

(٤) أنجد : أنى نجدا ، وغار وأغار : أنى غورا .

فقضى لهاشم بالغلبة ، وأخذ هاشم الإبل ، فنجرها وأطمعها ، وغاب أمية عن مكة بالشأم عشر سنين ، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٦ ، والسيرة الحلبية ١ : ٤ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١٨٠)

٥٢ — عوف بن ربيعة الأسدي يتكهن بمقتل حجر بن الحارث

كان حُجْر بن الحارث (أبو امرئ القيس) ملك بني أسد ، وكان له عليهم إناوة^(١) كل سنة لما يحتاج إليه ، فبقى كذلك دهرًا ، ثم بعث إليهم من ينجي ذلك منهم ، وحجر يومئذ بهامة ، فطردوا رسله وضربوه ، فبلغ ذلك حُجْرًا ، فسار إليهم ، فأخذ سرّواتهم^(٢) وخيارهم ، وجعل يقتلهم بالعصا (فسُمُوا عبيد العصا) وأباح الأموال وصيرهم إلى تهامة ، وحبس جماعة من أشrafهم منهم عبيد بن الأبرص الشاعر ، فقال شعراً يستعطفه فيه ، ومنه قوله :

أنت المَلِكُ عليهمُ وهم العبيدُ إلى القيامة

فوقَّ لهم وعفا عنهم ، وردهم إلى بلادهم ، فلما صاروا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة بن عامر الأسدي ، فقال لهم : يا عبادي ، قالوا : لَبَّيْكَ رَبَّنَا ، فقال : « مَنْ الْمَلِكُ الصَّلْبُ^(٣) ، الْغَلَابُ غَيْرُ الْمَغْلَبِ^(٤) ، فِي الْإِبِلِ كَانَهَا الرَّبْرَبُ^(٥) ، لَا يُقْلِقُ رَأْسَهُ الصَّحْبُ ، هَذَا دَمُهُ يَنْتَعِبُ^(٦) ، وَهُوَ غَدَاً أَوَّلُ مَنْ يُسْتَلَبُ^(٧) » قالوا : ومن هو ؟ رَبَّنَا . قال : « لَوْلَا تَجَيَّشُ^(٧) نَفْسٍ جَاشِيَةٍ ، لَأَخْبَرْتَكُمْ أَنَّهُ حُجْرٌ ضَاحِيَةٌ^(٨) » .

(١) خراج . (٢) سروات جمع سراة بالفتح : وهي اسم جمع سري كفتى من سرو سروا وهو

المروءة في شرف . (٣) حجر صلب : شديد صلب ، والصلب أيضا : الشديد من الإبل ، والرجل

الطويل ، وفي الشعر والشعراء والأغاني « الأصهب » ومن معانيه الأسد . (٤) المغلب : المغلوب مرارا

(وهو أيضا المحكوم له بالغلبة . ضد) . (٥) الربرب : القطيع من بقر الوحوش . (٦) ينتعبر .

(٧) جاشت النفس وتجيشت : ارتفعت من حزن أو فزع . (٨) علانية ، يقال فعله ضاحية : أي علانية .

فركبوا كل صَعْب وذلول ، حتى بلغوا عسكر حَجْر ، فهجموا عليه في قبته
فقتلوه .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ١٨٣ ، والشعر والشعراء ، ص ٣١ ، والأغاني ٨ : ٦٣)

٥٣ — كاهن بنى الحارث بن كعب يحذرهم غزو بنى تميم

كان بنو تميم قد أغاروا على لَطِيْمَة^(١) لكسرى ، فيها مسك وعنبر وجوهر كثير ،
فأوقع كسرى بهم ، وقتل المُقَاتِلَة ، وبقيت أموالهم وذراتهم في مساكنهم لا مانع لها
وبلغ ذلك بنى الحارث بن كعب من مَذْحِج ، فشى بعضهم إلى بعض ، وقالوا اغتصموا
بنى تميم ، فاجتمعت بنو الحارث وأحلافها من زَيْد وحزم بن رِيَّان في عسكر عظيم ،
وساروا يريدون بنى تميم ، فحذرهم كاهن كان مع الحارث واسمه سَلَمَة بن المُغَفَّل ،
وقال :

« إنكم تسيرون أعقاباً^(٢) ، وتغزون أحباباً^(٣) ، سَفَدًا وَرَبَابًا ، وتردون
مياهاً جِبَابًا^(٤) ، فتلقون عليها ضِرَابًا ، وتكون غنيمتكم تراباً^(٥) ، فأطيعوا
أمرى ولا تغزوا تيماً » ولكمهم خالفوه وقَاتَلُوا بنى تميم ، فهزموها هزيمة نَكْرَاء .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ٢٢٧ ، والأغاني ١٥ : ٧٠)

(١) اللطيمة : العير تحمل الطيب وبز التجار .

(٢) أى يسير بعضكم عقب بعض ، فريقاً في إثر فريق . وقد ذكر ابن الأثير أنهم كانوا نحو ثمانية
آلاف ، ولا يعلم في الجاهلية جيش أكثر منه ومن جيش كسرى بلى قار ومن يوم جبلة . وروى أبو الفرج
الأصبهاني أنه اجتمع من مذحج ولفها اثنا عشر ألفاً . (٣) هذه الفاصلة والفاصلتان قبلها ، وردت في
الأصل محرفة هكذا : « إنكم تسيرون أعيانا ، وتغزون أحيانا ؛ سمدًا وريانا » .

(٤) الجباب والأجباب جمع جب : وهو البئر الكثيرة الماء البعيدة القمر . (٥) أورد صاحب
الأغاني من هذه الفقر الست ، الفقرة الأولى والرابعة والسادسة ، وعزاها إلى المأمور الحارثي وهو كاهن أيضاً

٥٤ — أحد كهان اليمن يفصل في أمر هند بنت عتبة

كان الفاكه بن المغيرة الخزومي أحد فتيان قريش ، وكان قد تزوج هند بنت عتبة ، وكان له بيت للضيافة يفساه الناس فيه بلا إذن ، فقال ^(١) يوما في ذلك البيت ، وهند معه ، ثم خرج عنها وتركها نائمة ؛ فجاء بعض من كان يفسى البيت ، فلما وجد المرأة نائمة ولّى عنها ، فاستقبله الفاكه بن المغيرة ، فدخل على هند وأنها ، وقال : من هذا الخارج من عندك ؟ قالت : والله ما انتهت حتى أنبهتني ، وما رأيت أحدا قط ، قال : الحق بأبيك ، وخاض الناس في أمرهم ، فقال لها أبوها : يا بنية العار ^(٢) وإن كان كذبا ، بُدّني شأنك ، فإن كان الرجل صادقا دَسَسْتُ عليه من يقتله ، فيقطعُ عنك العار ، وإن كان كاذبا حاكته إلى بعض كهان اليمن ، قالت : والله يا أبتِ إنه لكاذب ، فخرج عتبة فقال : إنك رميت ابنتي بشيء عظيم ، فإما أن تُبَيِّنَ ما قلت ، وإلا فحاكى إلى بعض كهان اليمن ، قال : ذلك لك ، فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش ، ونسوة من بني مخزوم ، وخرج عتبة في رجال ونسوة من بني عبد مناف ، فلما شارفوا بلاد الكاهن تغير وجه هند ، وكسفَ بالها ، فقال لها أبوها : أي بنية ، ألا كان هذا قبل أن يشتهر في الناس خروجنا ؟ قالت : يا أبتِ والله ما ذلك لمكروه قبلى ، ولكنكم تأتون بشراً مخطئاً ويصيب ، ولعله أن يُسمَنى بِسْمَةٍ تبقى على السنة العرب ، فقال لها أبوها : صدقت ، ولكنى سأخبرُهُ لَكَ ، فصفرَ بفرسه ، فلما أدلى عمدَ إلى حبة بُرٍّ ، فأدخلها في إحليله ، ثم أوكى ^(٣) عليها وسار ، فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحو لهم ، فقال له عتبة : إنا أتيناك في أمر ، وقد حَبَأْنَا لَكَ خبيثةً ، فها هي ؟ قال : بُرّة في

(١) قال قتيلا وقيلولة ومقيلا : نام في القائلة وهي نصف النهار . (٢) أى اتق العار .

(٣) الوكاه ككتاب : حبل يشد به رأس القربة ، ووكاها وأوكاها وأوكى عليها شدّ فيها بالوكاه .

كَمَرَةٍ^(١) ، قال : أريد أبينَ من هذا ، قال : « حَبَّةُ بُرٍّ ، في إحليل مُهر » قال : صدقت ، فانظر في أمر هؤلاء النسوة ، فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن ، ويقول : قومي لشأنكِ ، حتى إذا بلغ إلى هند مسح يده على رأسها وقال : « انهضى غير رَقَّاه »^(٢) ولا زانية ، وَتَلَدِينَ مَلِكًا يَسَى معاوية .

فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها ، فنثرت يده من يدها ، وقالت : إليك عني ، والله لأحرِصَنَّ أن يكون ذلك الولد من غيبك ، فتزوجها أبوسفیان ، فولدت له معاوية .

(المقد الفريد ٣ : ٢٢٤ ، وصباح الأعشى ١ : ٣٩٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ ص ١١١)

٥٥ — خمسة نفر من طيٍّ يمتحنون سواد بن قارب الدوسي

خرج خمسة نفر من طيٍّ من ذوى الحِجَا والرأى ، منهم بُرْجُ بن مُسْهِر ، وهو أحد المُعَمَّرِينَ . وَأَنْثِفُ بن حارثة بن لَأَمٍ ، وعبد الله بن سعد بن الحُشْرِجِ أبو حاتم طيٍّ ، وعارف الشاعر ، ومُرَّة بن عَبْدِ رُغَيْي ، يريدون سَوَاد بن قَارِب الدَّوْسِي ، ليمتحنوا علمه ، فلما قرؤوا من السِّمَرَةِ ، قالوا : لِيَخْتَبَأُ كُلُّ رَجُلٍ مَنَا خَبِيئًا ، ولا يُخْبِرْ به صاحبه ، ليسأله عنه ، فإن أصاب عَرَفْنَا عِلْمَهُ ، وإن أخطأ ارتحلنا عنه ، فَخَبَأَ كل رجل منهم خبيئًا ، ثم صاروا إليه ، فأهدوا له إِبِلًا وطُرْقًا من طُرْفِ الحَيْرَةِ ، فضرب عليهم قبة ، ونَحَرَ لهم ، فلما مضت ثلاث دُعَاهِم ، فدخلوا عليه .

فحكلم بُرْجُ - وكان أسنهم - فقال : « جَادَكَ السَّحَابُ ، وَأَمْرَعُ لَكَ الْجَنَابُ »^(٣)

(١) الكرة : رأس الذكر . (٢) الرقَّاه : البنى التي تكتسب بالفجور ، من الرقاقة كفصاحة وهي الكسب والتجارة ، هذا ماورد في ابن أبي الحديد ، وفي غيره « رسحاء » والرسحاء : القبيحة ، والرسحاء أيضا : القليلة لحم المعز والفخزين والأول أنسب . (٣) أمرع : أخصب ، والجناب : ماحول الدار .

وضفت عليك النعم الرغاب^(١) ، نحن أولو الآكال^(٢) ، والحدائق والأغيال^(٣) ،
والنعم الجفال^(٤) ، ونحن أصهار الأملاك ، وفُرسانُ العراك - يُورَى عنهم أنهم من
بكر بن وائل - .

فقال سواد : « السماء والأرض ، والنعم والبرص^(٥) ، والقرص والقرص^(٦) ،
إنكم لأهل المضاب الشم ، والنخيل العم^(٧) ، والصخور الصم ، من أجأ العيطاء ،
وسلمى ذات الرقبة السطماء^(٨) » .

قالوا : إنا كذلك ، وقد خبأ لك كل رجل منا خبيثاً ، لتخبرنا باسمه وخبيثه ،
فقال لبرج : « أقسم بالضياء والخلق^(٩) ، والنجوم والفلك ، والشروق والدلك^(١٠) ،
لقد خبأت بُرثن فرخ^(١١) ، في إغليط مزخ^(١٢) ، تحت آسرة الشرخ^(١٣) » قال :
ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا ؟ قال : أنت بُرج بن مُسهر ، عصرة المعير^(١٤) ، وئمال^(١٥)
المحجر^(١٥) » .

-
- (١) الضافي : السابغ الكثير ، ويقال : خير فلان ضاف على قومه : أى سابغ عليهم ، والرغاب :
الواسعة الكثيرة جمع رغبة . (٢) الآكال : جمع أكل (كقفل وعنق) الرزق والحظ من الدنيا .
(٣) الأغيال جمع غيل كشمس : وهو الماء الجارى على وجه الأرض . (٤) الجفال :
الكثيرة . (٥) النمر : الماء الكثير ، ويقال : رجل غمر الخلق إذا كان واسع الخلق سخياً ، والبرص :
الماء القليل ، ويقال فلان يبرص حقه . أى يأخذه قليلاً قليلاً .
(٦) القرص : ماتعطيه لتقصاه ، والقرص : ما فرضته على نفسك فوهبته أوجدت به لغير ثواب .
(٧) الشم : الطوال ، وكذا العم . (٨) أجأ وسلمى : جبلا طيئ ، والعيطاء : الطويلة ؛ وكذا
السطماء . (٩) الخلك : شدة السواد . (١٠) دلكت الشمس دلوكا : غربت أو اصفرت ؛ والدلك
وقت الدلوك . (١١) البرثن : ظفر كل مالا يصيد من السباع والطيور مثل الحمام والضب والفأرة فإذا كان
ما يصيد ؛ قيل لظفره مخلب . (١٢) المرخ : شجر تقدح منه النار ، والإغليط : وعاء ثمر المرخ ،
والعرب تشبه به آذان الخيل . (١٣) الآسرة والإسار : القيد الذى يشد به خشب الرجل ، وشرخا الرجل
جانبيه . (١٤) المعير : الذى ذهب ماله ، والعصرة : الملجأ والنجاة .
(١٥) ئمال : الغياث الذى يقوم بأمر قومه ؛ والمحجر : الملجأ (بصيغة اسم المفعول) المضيق عليه .

ثم قام أنيف بن حارثة ، فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال : « والسحاب والتراب ، والأصباب والأحدا ب^(١) والنعم الكتاب^(٢) ، لقد خبأت قطعة فسيط^(٣) ، وقذة مريط^(٤) ، في مدرّة من مدى ميط^(٥) » قال : ما أخطأت شيئا ، فمن أنا ؟ قال : أنت أنيف ، قارى الضيف ، ومعمل السيف ، وخالط الشتاء بالصيف .

ثم قام عبد الله بن سعد . فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم بالسّوام العازب^(٦) ، والوقير الكارب^(٧) : والمجدّ الراكب ، والمشيح الحارب^(٨) ، لقد خبأت نفّاة فنّ^(٩) ، في قطيع قد مرّ^(١٠) ، أو أديم قد جرّ » . قال : ما أخطأت حرفا فمن أنا ؟ قال : أنت ابن سعد النّوال ، عطاؤك سجال^(١١) ، وشرّك عّضال ، وعمدك حّوال ، وبيتك لا ينال .

ثم قام عارف ، فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم بنفّنّف اللوح^(١٢) »

(١) الأصباب : جمع صيب كسبب : وهو ما نخفض من الأرض ؛ والأحدا ب : جمع حدب كسبب أيضا : وهو ماعلا . (٢) النعم : الكثيرة . (٣) القطعة : ما قطعته بفيك ؛ والقطم بأطراف الأستنان ، والفسيط : قلامة الظفر . (٤) القذة : الريشة ؛ والمريط من السهام : الذى قد تمرط ريشه أى نتف (٥) المدرّة : قطعة طين يابسة ؛ والمدى : جدول صغير يسيل فيه ما هريق من ماء البئر ؛ والمطيطه : الماء الخائر فى أسفل الخوض .

(٦) السوام : المال الراعى من الإبل ؛ والعازب : البعيد . (٧) الوقير : القطيع من الغنم ، والكارب : القريب . (٨) المشيح : الجاد ؛ فى لغة هذيل ؛ وفى غيرها الحاذر ؛ والحارب : السالب حربه حربا كطلبه طلبا : سلبه ماله . (٩) النفّاة : ما تنفّته من فيك ؛ والفنن : واحد أفنان الأشجار وهى أغصانها . (١٠) القطيع : ما يقطع من الشجر ؛ ومرن وجرن : لان .

(١١) أى متداول بين الناس ، لكل فريق منه نصيب . (١٢) النفّنّف واللوح واحد ، وهما الهواء وإنما أضاف لما اختلف اللفظان ، فكأنه أضاف الشيء إلى غيره .

والماء المسفوح^(١) ، والقضاء المندوح^(٢) ، لقد خَبَاتَ زَمَّةً طَلًّا أَعْفَرُ^(٣) ، في زِعْنَةٍ^(٤) أَدِيمٍ أَحْمَرٍ ، تحت حِلْسٍ نِضْوٍ أَدْبَرُ^(٥) » قال : ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا ؟ قال : « أنت عارف ذو اللسان الْعَضْبُ ، والقلب النَّدْبُ^(٦) ، وَالْمَضَّاءُ الْفَرْبُ^(٧) ، مَنَاعُ السَّرْبِ^(٨) وَمُيَبِّحُ النَّهْبِ » .

ثم قام مُرَّةٌ بنُ قَبْدِ رُضَى ، فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم بالأرض والسماء ، والبروج والأنواء^(٩) ، والظلمة والضياء ، لقد خَبَاتَ دِمَّةً^(١٠) ، في رِمَّةً^(١١) ، تحت مَشِيطِ لِمَّةً^(١٢) » . قال : ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا ؟ قال : « أنت مُرَّةٌ ، السريع الكُرَّةُ ، البَطِيُّ الْفَرَّةُ ، الشديد الْمِرَّةُ^(١٣) » .

قالوا : فأخبرنا بما رأينا في طريقنا إليك ، فقال : « وَالنَّاظِرُ مِنْ حَيْثُ لَا يُرَى ، وَالسَّامِعُ قَبْلَ أَنْ يُنَاجَى ، وَالْعَالِمُ بِمَا لَا يُدْرَى ، لقد عَنَّتْ لَكُمْ عُقَابٌ عَجَزَاهُ^(١٤) ، فِي شَغَانِيْبٍ^(١٥) دَوْحَةٌ جَرْدَاءُ ، تَحْمِلُ جَدَلًا^(١٦) ، فَمَارِيْمٌ^(١٧) إِمَّا يَدًا وَإِمَّا رِجْلًا » ، فقالوا . كذلك ، ثم منه ؟ قال : « سَنَحَ آكَمٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّرْقِ^(١٨) ، سَيْدُ أَمَقٍ^(١٩) » ،

-
- (١) المصبوب . (٢) الواسع . (٣) الطلا : ولد الظبي ساعة يولد ، والصغير من كل شيء ، والأعفر من الظباء ما يعلو بياضه حمرة ، والزمنة : الشمرات المتدليات في رجل الأرنب .
(٤) زعانف الأديم : أطرافه مثل اليدين والرجلين ، ومالا خير فيه جمع زعنفة بكرم الزاى والنون ، ومنه قيل لردال الناس الزعانف .
(٥) الحلس للبعير كالبردعة للحافر ، والنضو : المهزول من الإبل وغيرها ، والأدبر : الذى أصابه الدبر (بالتحريك) وهو قرحة الدابة . (٦) الذكي . (٧) الحد . (٨) السرب بالفتح : الماشية كلها ، وبالكسر القطيع من الظباء والنساء وغيرها . (٩) الأنواء : جمع نوء (كسهم) النجم : مال للغروب . (١٠) السمّة : القملة . (١١) الرمة : العظام البالية .
(١٢) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، والمشيط : المشوط .
(١٣) المرة : القوة . (١٤) العجزاء : التى ابيض ذنبها ، (وفي غير هذا الموضع : التى كبرت عجزيتها) . (١٥) الشغانيب جمع شغنوب كمصفور وهو الغصن الناعم الرطب ، والدوحة : الشجرة العظيمة . (١٦) الجدل : العضو وجمعه جدول . (١٧) تجادلتم . (١٨) الشرق : الشمس ، والعرب تقول لا أفعل ذلك ما طلع شرق ، وشرقت الشمس : طلعت ، وأشرقت : أضاءت . (١٩) السيد : الذئب والأماق : الطويل .

على ماء طَرَقَ^(١) » قالوا : ثم ماذا ؟ قال : « ثم تيس أفرق^(٢) ، سَدَدَ في أْبَرَقَ^(٣) ، فرماه الغلام الأزرق ، فأصاب بين الوايلة^(٤) والمِرْفَقِ » . قالوا : صدقت ، وأنت أعلم من تحمل الأرض ، ثم ارتحلوا عنه .

(الأمالي ٢ : ٢٩٢)

٥٦ - حديث مصاد بن مذعور القيني

كَانَ مَصَادُ بْنُ مَذْعُورٍ الْقَيْنِي رَئِيسًا ، قَدْ أَخَذَ مِرْبَاعَ^(٥) قَوْمِهِ دَهْرًا ، وَكَانَ ذَا مَالٍ ، فَفَنَدَ ذَوْدُ^(٦) مِنْ أَذْوَادِهِ ، فَخَرَجَ فِي بَغَائِهَا^(٧) ، قَالَ : فَإِنِّي لِنِي طَلَبُهَا ، إِذْ هَبَطْتُ وَادِيًا شَجِيرًا^(٨) كَثِيفَ الظَّلَالِ ، وَقَدْ تَفَسَّخْتُ أَيْنًا^(٩) ، فَأَنْتَحْتُ رَاحِلَتِي فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ، وَحَطَطْتُ رَحْلِي ، وَرَسَعْتُ^(١٠) بِمِعْرِي ، وَاضْطَجَعْتُ فِي بُرْدِي ، فَإِذَا أَرْبَعُ جَوَارٍ ، كَأَنَّهُنَّ اللَّالِي ، يَرَعَيْنَ بَهْمًا لَهْنًا ، فَلَمَّا خَالَطْتُ عَيْنِي السَّنَةُ ، أَقْبَلَنَ حَتَّى جَلَسَنَ قَرِيبًا مِنِّي ، وَفِي كَفِّ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ حَصِيَّاتٌ تَقْلِبْنِ ، فَخَطَّتْ إِحْدَاهُنَّ ثُمَّ طَرَقَتْ^(١١) ، فَقَالَتْ : « قُلْنَ يَا بَنَاتِ عَرَافٍ ، فِي صَاحِبِ الْجَمَلِ النَّيَافِ^(١٢) ، وَالْبُزْدِ الْكُثَافِ^(١٣) ، وَالْجِرْمِ^(١٤) الْخُفَافِ^(١٥) » ، ثُمَّ طَرَقَتْ الثَّانِيَةَ ، فَقَالَتْ :

(١) الطرق : الماء الذي بولت فيه الإبل ، يقال : ماء طروق ومطروق .

(٢) الأفرق من الشاء : البعيد ما بين خصييه . (٣) سد في الجبل : صعد ، والأبرق والبرقاء والبرقة كفرصة : غلظ من الأرض فيه حجارة ورمل ، وجبل أبرق : إذا كان فيه لوانان .

(٤) الوايلة : رأس العضد الذي يلي المنكب . (٥) المرباع : ربع النخلة ، وكان يختص به الرئيس في الجاهلية . (٦) ند : شرد ، والذود : ثلاثة أبخرة إلى المشرة ، أو خمسة عشر ، أو عشرون ، أو ثلاثون . (٧) طلبها . (٨) كثير الشجر . (٩) تمبا وكلالا .

(١٠) شدت رسفه . (١١) الطرق : ضرب الكاهن بالخصي .

(١٢) جمل نياف ككتاب وشداد : طويل في ارتفاع . (١٣) الكثيف . (١٤) الجسد .

(١٥) الخفيف .

« مُضِلُّ أَذْوَادٍ عَلَاكِدٍ ^(١) ، كُومٌ صَالَاخِدٍ ^(٢) ، مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ مَمَقَاخِدٍ ^(٣) ، وَأَرْبَعٌ جَدَائِدٍ ^(٤) ، شُسُفٌ صَمَارِدٍ ^(٥) » ، ثُمَّ طَرَقَتِ الثَّلَاثَةُ فَقَالَتْ : « رَعَيْنَ الْفَرْعَ ^(٦) » ، ثُمَّ هَبَطْنَ الْكَرْعَ ^(٧) ، بَيْنَ الْعَقِدَاتِ وَالْجَرَعِ ^(٨) . فَقَالَتِ الرَّابِعَةُ : « لِيَهْبِطَ الْغَائِطُ الْأَفْيَحُ ^(٩) ، ثُمَّ لِيُظْهَرَ فِي الْمَلَا الصَّحْصَحِ ^(١٠) ، بَيْنَ سَدِيرٍ وَأَمْلَحٍ ^(١١) ، فَهَنَّاكَ الذَّوْدُ رِتَاعٌ بِمَنْعَرَجِ الْأَجْرَعِ » قَالَ : فَقُمْتُ إِلَى جَمْلِي فَشَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلَهُ وَرَكِبْتُ ، وَوَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُنَّ مَنْ هُنَّ وَلَا يَمَنَّ هُنَّ ؟ فَلَمَّا أَدْبَرْتُ ، قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : « أَبْرَحُ ^(١٢) » فَقَتَّى إِنْ جَدَّ فِي طَلَبٍ ، فَهَلْهُ غَيْرُهُنَّ نَشَبَ ^(١٣) ، وَسَيُثَوِّبُ عَنْ كَثَبٍ ^(١٤) ، فَفَرَّعَ قَلْبِي وَاللَّهِ قَوْلَهَا ، فَقُلْتُ : وَكَيْفَ هَذَا ، وَقَدْ خَلَقْتُ بِيَوَادِيَّ عَرَجًا عُكَاكِسًا ^(١٥) ؟ فَرَكِبْتُ السَّهْمَ ^(١٦) الَّذِي وَصَفَ لِي ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْمَوَاضِعِ ، فَإِذَا ذَوْدِي رَوَاتِعٌ ، فَضَرَبْتُ أَعْجَازَهُنَّ ،

-
- (١) أَضَلْ دَابَّتُهُ : فَقَدَهَا ، وَالْعَلَاكِدُ : الصَّلَابُ الشَّدَادُ جَمْعُ حَلَكْدٍ كَجَمْفَرٍ وَزَبْرَجٍ وَتَقْنَعُ . (٢) بِعِيرٍ أَكُومٍ ، وَنَاقَةٌ كُومَاءُ : عَظِيمَةُ السَّامِ وَالْجَمْعُ كُومٌ ، وَالصَّلَاخِدُ : الْعِظَامُ الشَّدَادُ ، وَاحِدُهَا صِلَاخِدٌ بِالضَّمِّ . (٣) الْمَقَاخِدُ جَمْعُ مَقْعَدٍ ، وَهِيَ الْغَلِيظَةُ السَّامُ (وَالْمَقْعَدَةُ كَرْقَبَةٌ : السَّامُ أَوْ أَصْلُهُ) . (٤) الْجَدَائِدُ جَمْعُ جَدُودٍ كَصَبُورٍ : وَهِيَ الَّتِي انْقَطَعَ لِبْنُهَا . (٥) شُسُفٌ جَمْعُ شَاسَفٍ : وَهُوَ الْيَابِسُ ضَمْرًا وَهَزَالًا ، وَالصَّمَارِدُ جَمْعُ صَمَرْدٍ كَزَبْرَجٍ : الْقَلِيلَةُ الْبَنُ . (٦) الْفَرْعُ جَمْعُ فَرْعَةٍ وَهِيَ أَعْلَى الْجَبَلِ . (٧) الْكَرْعُ : مَاءُ السَّمَاءِ يَنْزِلُ فَيَسْتَنْقِعُ ، وَصَمَّى كَرَعًا لِأَنَّ الْمَاشِيَةَ تَكْرَعُ فِيهِ . (٨) الْعَقِدَاتُ جَمْعُ عَقْدَةٍ : وَهِيَ مَاتِعْقِدٌ مِنَ الرَّمْلِ ، وَالْجَزْعُ جَمْعُ جَرَعَةٍ بِالسَّكُونِ وَيَحْرُكُ : الرَّمْلَةُ الطَّيِّبَةُ الْمُنْبَتُّ لِأَوْعُوثَةٍ فِيهَا ، أَوْ الْأَرْضُ ذَاتُ الْحَزُونَةِ تَشَاكُلُ الرَّمْلَ أَوْ الدَّعْصَ لَا يَنْبَتُ ، أَوْ الْكَتِيبُ جَانِبٌ مِنْهُ رَمْلٌ وَجَانِبٌ حِجَابَةٌ كَالْأَجْرَعِ وَالْجَرَعَاءُ . (٩) الْغَائِطُ : الْمَطْمُنُّ مِنَ الْأَرْضِ ، وَالْأَفْيَحُ : الْوَاسِعُ . (١٠) الْمَلَا : الْفُضَاءُ ، وَالصَّحْصَحُ وَالصَّحْصَحَانُ : مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ . (١١) سَدِيرٌ وَأَمْلَحُ : مَوْضِعَانِ . (١٢) أَشَدُّ . (١٣) الْمَالُ الْأَصِيلُ مِنَ النَّاطِقِ وَالصَّامِتِ . (١٤) يَثُوبُ : يَرْجِعُ ، وَالْكَثَبُ : الْقَرَبُ . (١٥) الْعَرَجُ : نَحْوُ خَمْسَائَةٍ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالْكَامِسُ وَالْفَكَابِسُ : الْكَثِيرُ . (١٦) الطَّرِيقُ .

حتى أشرفت على الوادى الذى فيه إبل ، فإذا الرّعاة تدعو بالويل ، فقلت ما شأنكم ؟ قالوا : أغارت بهزّاه على إبلك ، فأسحفتها^(١) ، فأمسيت والله مالى مال غير الذّود ، فرمى الله فى نواصيهن بالرّغس^(٢) ، وإنى اليوم لا كثر بنى القمين مالا .

(الأمالي ١ : ١٤٣)

٥٧ - حديث خنافر بن التّوءم الحميرى مع رثيه شصار

كان خنافر بن التّوءم الحِميرى كاهنًا ، وكان قد أوتى بَسْطَةً فى الجسم ، وسَعَةً فى المال ، وكان عاتياً ، فلما وفدت وفود اليمين على النّبي صلى الله عليه وسلم وظهر الإسلام أغار على إبل لمرادٍ فاكتسحها ، وخرج بأهله وماله ، ولحق بالشّحر ، خالف جودان بن يحيى الفرضيمى ، وكان سيداً منيعاً ، ونزل بواد من أودية الشّحر مُحْضَباً كثير الشجر من الأيكة والعرين^(٣) قال خنافر : وكان رثى^(٤) فى الجاهلية لا يكاد يقغيب عنى ، فلما شاع الإسلام فقدته مدة طويلة ، وساءنى ذلك ، فبينما أنا ليلةً بذلك الوادى نائماً ، إذ هوى هوىّ العقاب ، فقال : خنافر ؟ فقلت : شصار ؟ فقال : أسمع : أقل ، قلت : قل : أسمع ، فقال : « عهْ تَقَمْ ، لكل مدةٍ نهاية ، وكل ذى أمدٍ إلى غاية ، قلت : أجل ، فقال : كل دَوَلَةٌ إلى أجل ، ثم يُتَاح لها حَوْلٌ »^(٥) ، أننُسَخَت النّحل ، ورجعت إلى حقائقها المِلل ، إنك سَجِيرٌ^(٦) مَوْصُول ، والنّضح لك مَبْذُول ، وإنى آنستُ^(٧) بأرض الشام نفراً من آل العذام^(٨) ، حُكَّامًا على الحُكَّام ، يَذْبُرُونَ^(٩) ذارَونَقي من الكلام ، ليس

(١) استأصلتها . (٢) الرغس : البركة والنعاء .

(٣) الأيكة : الشجر الملتف الكثير ، والغبيضة تنبت السدر والأراك ، أو الجاعة من كل الشجر ،

والعرين : جماعة الشجر . (٤) الرثى : ما يترامى للإنسان من الجن فيحب .

(٥) الحول : التحول . (٦) السجير : الصديق ، والشجير : الغريب ، وقيل يقال السجير

والشجير للصديق . (٧) أبصرت . (٨) العذام : قبيلة من الجن ، كذا قيل .

(٩) ذبرت الكتاب : قرأته (وذبرته أيضا : كتبه كزبرته) .

بالشعر المؤلف ، ولا السجع المتكاف « فأصغيتُ فزُجِرْتُ ، فعادت فظُلِفْتُ »^(١) ، قلت :
 بم تهينُمونَ^(٢) ، وإلّا مَ تَعَزَّوْنَ^(٣) ؟ قالوا : « خِطَابُ كُبَّار »^(٤) ، جاء من عند الملك
 الجبَّار ، فاسمع يا صِصَارُ ، عن أصدق الأخبار ، واسلُك أوضح الآثار ، تنجُ من أوارِ^(٥)
 النار ، قلت : وما هذا الكلام ؟ فقالوا : « فُرْقَانٌ بَيْنَ الكفر والإيمان ، رسول من
 مُصَرٍّ ، من أهل المدَر ، ابْتُعِثَ فظهر ، فجاء بقولٍ قد بهَرَ ، وأوضح نهَجًا قد دَثَرَ ، فيه
 مواعِظُ لمن اعتبر ، ومَعَاذُ لمن ازدَجَرَ ، أَلَّفَ بِالْأَيِّ الكُبَرِ » قلت : ومن هذا المبعوث
 من مُصَرٍّ ؟ قال : « أَحْمَدُ خَيْرِ البشر ، فَإِنْ آمَنْتَ أُعْطِيتَ الشَّعْرَ »^(٦) ، وإن خالفت
 أُصْلِيتَ سَقَرٌ ، فَأَمَنْتُ يا خنافر ، وأقبلتُ إليك أبادر ، فجانِبِ كل كافر ، وشايِعِ كل
 مؤ من طاهر ، وإلّا فهو الفراق ، لاعن تلاقٍ » ، قلت : من أين أبغى هذا الدين ؟ قال :
 من ذات الإِحرَيْنِ^(٧) والنَفَرِ اليَمَانَيْنِ ، أهل المساء والطين ، قلت : أَوْضِحْ ، قال :
 « الْحَقُّ يَبْثُرُ بِذَاتِ النَّخْلِ ، وَالْحَرَّةُ ذَاتِ النَّعْلِ »^(٨) ، فهناك أَهْلُ الطَّوْلِ والفضل ،
 والمواساةِ وَالْبَذْلِ ، ثُمَّ امْلَسْ^(٩) عني ، فَبِثْ مذعوراً أراعى الصباح ، فلما بَرَقَ لي
 النور ، امتطيت راحلتى ، وآذَنْتُ^(١٠) أُمَيْدِي ، واحتملتُ بأهلى ، حتى وَرَدْتُ
 الجَوْفَ ، فَرَدَدْتُ الإِبِلَ على أربابها ، بحولها وَسَقَايَها^(١١) ، وأقبلتُ أريد صنعاء ،
 فأصبتُ بها مُعَاذَ بن جَبَلٍ أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته على الإسلام ،
 وَعَلَّمَنِي سُورًا من القرآن ، فمنَّ الله على بالهدى بعد الضلالة ، والعلم بعد الجهالة .

(الأمالي ١ : ١٣٣)

(١) منعت . (٢) الهيمنة : الصوت الخفى . (٣) تتسبون . (٤) كبير .
 (٥) الأوار : حر النار . (٦) الشبر بالسكون : الخير وحرك للسجع . (٧) الحررة
 (بالفتح) أرض ذات حجارة نخرة سود وتجمع على حررات وحرار وحرين وأحرين . (٨) النعل :
 المكان الغليظ من الحررة . (٩) أفلت . (١٠) أعلمت . (١١) الحول جمع حائل وهى الأنثى
 من أولاد الإبل ، والسقاب جمع سقب كشمس وهو الذكر .

٥٨ شافع بن كليب الصدفي يتكهن بظهور النبي صلى الله عليه وسلم

قَدِمَ عَلَى تَبِعِ الْآخِرِ مَلِكِ الْيَمَنِ ، قَبْلَ خُرُوجِهِ لِقِتَالِ الْمَدِينَةِ ^(١) ، شَافِعُ بْنُ كَلَيْبِ
الْصَدْفِيِّ ^(٢) ، وَكَانَ كَاهِنًا ، فَقَالَ لَهُ تَبِعٌ : هَلْ تَجِدُ لِقَوْمِ مَلِكِ يَؤُوزِي مَلِكِي ؟ قَالَ : لَا ،
إِلَّا مُلْكَ غَسَّانَ ، قَالَ : فَهَلْ تَجِدُ مَلِكًا يَزِيدُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ :

« أَجِدُهُ لِبَارٍ مَبْرُورٍ ، وَرَائِدٍ ^(٣) بِالْقَهْورِ ^(٤) ، وَوَصْفٍ فِي الزُّبُورِ ، فَضَلَّتْ

(١) قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : « كَانَ تَبِعُ الْآخِرِ حِينَ أَقْبَلَ مِنَ الْمَشْرِقِ بَعْدَ أَنْ مَلَكَ الْبِلَادَ جَمَلَ طَرِيقَهُ عَلَى
الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ حِينَ مَرِّهَا فِي بَدَايَتِهِ لَمْ يَهْجِ أَهْلَهَا ، وَخَلَفَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ ابْنًا لَهُ ، فَقَتَلَ غِيلَةً ، فَقَدِمَهَا وَهُوَ
جَمْعٌ عَلَى تَخْرِيبِهَا وَاسْتِصْصَالِ أَهْلِهَا ، فَجَمَعَ لَهُ الْأَنْصَارُ حِينَ سَمِعُوا ذَلِكَ وَخَرَجُوا لِقِتَالِهِ ، فَتَزَعَمَ الْأَنْصَارُ أَنَّهُمْ
كَانُوا يَقَاتِلُونَهُ بِالنَّهَارِ وَيَقْرُونَهُ بِاللَّيْلِ ، فَيَعْبِجُهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ ، وَيَقُولُ : وَاللَّهِ إِنْ قَوْمَنَا لَكِرَامٌ ، فَبَيْنَا هُوَ عَلَى
ذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ حَبْرَانِ مِنَ أَحْبَارِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي قَرِيطَةَ عَالِمَانِ رَاسِخَانِ فِي الْعِلْمِ ، فَقَالَا لَهُ : قَدْ سَمِعْنَا مَا تَرِيدُ أَنْ
تَفْعَلَ ، وَإِنَّكَ إِنْ أَبَيْتَ إِلَّا ذَلِكَ ؛ حِيلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، وَلَمْ نَأْمَنْ عَلَيْكَ عَاجِلَ الْعُقُوبَةِ ، فَقَالَ : وَلِمَ ذَلِكَ ؟
قَالَا : إِنَّهَا مَهَاجِرٌ (بِفَتْحِ الْجِيمِ) نَبِيٌّ يَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْحَرَمِ مِنْ قَرِيشٍ تَكُونُ دَارُهُ وَقَرَارُهُ ، فَانْتَهَى عَمَّا كَانَ يَرِيدُ ،
وَأَعْجَبَهُ مَا سَمِعَ مِنْهُمَا ، وَاتَّبَعَهُمَا عَلَى دِينِهِمَا ، وَكَانَ هُوَ وَقَوْمُهُ أَصْحَابَ أَوْثَانٍ ، وَخَرَجَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْيَمَنِ
فَدَعَا قَوْمَهُ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ فَأَبَوْا عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَطْبَقُوا عَلَى دِينِهِ ، فَمِنْ هُنَاكَ وَعَنْ ذَلِكَ كَانَ أَوَّلُ الْيَهُودِيَّةِ بِالْيَمَنِ (سِيرَةُ
ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١١ ، وَالْكَامِلُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ١ : ١٤٦) .

(٢) الصَّدْفِيُّ نَسَبُهُ إِلَى صَدْفٍ كَكَتِفٍ : بَطْنٌ مِنْ كُنْدَةَ . (٣) الرَّائِدُ فِي الْأَصْلِ : الْمُرْسَلُ فِي
طَلَبِ الْكَأَلِ مِنَ الرُّودِ وَهُوَ الطَّلَبُ ، يَعْنِي بِهِ نَبِينَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَدْ كَانَ رَائِدًا لِأَمْتِهِ يَرْتَادُهَا
الْخَيْرِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي أَوَّلِ خُطْبَةٍ خُطِبَهَا بِمَكَّةَ حِينَ دَعَا قَوْمَهُ : « إِنْ الرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ » .
(٤) جَاءَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ : « الْقَهْرُ (كَشَمْسٍ) أَسَافِلُ الْحِجَازِ مَائِلِي نَجْدًا مِنْ قَبْلِ الطَّائِفِ .
وَأَشَدُّ لِحْدَاشِ بْنِ زَهْرٍ :

دَعَا جَانِبِي ، إِنْ سَأَزَلَ جَانِبًا
لَكُمْ وَاسْمَا بَيْنَ الْيَمَامَةِ وَالْقَهْرِ
وَأَقُولُ : هَذَا الْوَصْفُ يَنْطَبِقُ عَلَى مَكَّةَ فَهِيَ وَاقِعَةٌ جَنُوبِي الْحِجَازِ . . . الخ . فَاَلْمَعْنَى : « أَجِدُ مَلِكًا يَزِيدُ
عَلَى مُلْكِكَ لِرَائِدٍ يَظْهَرُ بِتِلْكَ الْبِقَاعِ » أَمَّا كَلِمَةُ الْقَهْورِ فَلَمْ أَجِدْهَا فِي مَعْجَمٍ ، وَلَعَلَّ الْكَاهِنَ جَمَعَ « الْقَهْرُ »
عَلَى قَهْوَرٍ ، لِإِقَامَةِ الْفَاصِلَةِ ، أَوْ هُوَ عَلَى حَدِّ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

يَزِلُ الْغَلَامُ الْخُفَّ عَنْ صَهْوَاتِهِ كَمَا زِلْتَ الصَّفَوَاءُ بِالْمُنْزَلِ

أُمِّيَّة فِي الشُّفُور^(١) ، يَفْرِجُ الظُّلَمَ بِالنُّورِ ، أَحَدُ النَّبِيِّ ، طَوَّبَى لَأُمَّتِهِ حِينَ يَحْيَى ، أَحَدُ
بَنِي لُؤَيٍّ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي قُصَيٍّ .

فَنَظَرَ تَبِعَ فِي الزُّبُورِ ، فَإِذَا هُوَ يَجِدُ صِفَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ١٦٤)

٥٩ - سَطِيحُ الذَّنْبِيِّ^(٢) يَعْبُرُ رُؤْيَا رَبِيعَةَ بِنَ نَصْرِ اللَّخْمِيِّ

وَرَأَى رَبِيعَةُ بِنَ نَصْرِ اللَّخْمِيِّ مَلَكًا أَلْمِينَ - وَقَدْ مَلَكَ بَعْدَ تَبَعِ الْآخِرِ - رُؤْيَا هَالَتَهُ ،
فَلَمْ يَدْعُ كَاهِنًا ، وَلَا سَاحِرًا ، وَلَا عَاطِقًا ، وَلَا مَنَجَّمًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ إِلَّا جَمَعَهُ إِلَيْهِ ،
فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالَتْنِي وَفَطَعْتُ^(٣) بِهَا ، فَأَخْبِرُونِي بِهَا وَتَأْوِيلَهَا ، قَالُوا لَهُ :
اقْصُصْهَا عَلَيْنَا نَخْبِرَكَ بِتَأْوِيلِهَا ، قَالَ : إِنِّي إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ بِهَا لَمْ أَطْمَئِنِّ إِلَى خَبْرِكُمْ عَنْ تَأْوِيلِهَا
فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ تَأْوِيلَهَا إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا قَبْلَ أَنْ أَخْبِرَهُ بِهَا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ : فَإِنْ كَانَ
الْمَلِكُ يَرِيدُ هَذَا ، فَلْيَبْعَثْ إِلَى سَطِيحِ وَشَقٍّ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْهُمَا فِيهَا ، يُخْبِرَانِهِ
بِمَا سَأَلَ عَنْهُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمَا ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ سَطِيحٌ قَبْلَ شَقٍّ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا

(١) السَّفَرُ (كَحَمَلٍ) الْكِتَابُ الْكَبِيرُ ، أَوْ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ التَّوْرَةِ ، وَفِي كُتُبِ اللُّغَةِ أَنَّهَا تَجْمَعُ عَلَى
أَسْفَارٍ ، وَلَعَلَّهُ جَمْعُهَا عَلَى سَفُورٍ لِلْمَحَافَظَةِ عَلَى السَّجْعِ أَيْضًا .

(٢) اسْمُهُ رَبِيعُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ مَازَنْ بْنِ ذَنْبِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ مَازَنْ غَسَّانٍ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ الذَّنْبِيُّ
نِسْبَةً إِلَى ذَنْبِ بْنِ عَدِيٍّ ، وَكَانَ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ قِيلَ عَاشَ ثَلَاثَةَ سِنِينَ وَقِيلَ سَبْعِمِائَةَ ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ رَأْسٌ
وَلَا عُنُقٌ ، وَأَنَّ وَجْهَهُ كَانَ فِي صَدْرِهِ ، وَأَنَّهُ كَانَ جَسَدًا مَلَقَى لِأَجْوَارِحِ لَهُ ، وَكَانَ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْجُلُوسِ إِلَّا
إِذَا غَضِبَ ، فَإِنَّهُ يَنْتَفِخُ فَيَجْلِسُ ، وَكَانَ لَهُ سُرِيرٌ مِنَ الْجَرِيدِ وَالْحَوْصِ ، إِذَا أَرَادَ نَقْلَهُ إِلَى مَكَانٍ يَطْوِي مِنْ
رَجْلَيْهِ إِلَى جَمْعِمَتِهِ كَمَا يَطْوِي الثَّوبَ فَيُوضَعُ عَلَى ذَلِكَ الدَّرَمَرِ ، وَإِذَا أَرَادَ اسْتِخْبَارَهُ لِيُخْبِرَ عَنِ الْمَغِيْبَاتِ يَحْرُكُ
كَأَنَّهُ يَحْرُكُ سَقَاءَ اللَّبَنِ فَيَنْتَفِخُ وَيَمْتَلِئُ وَيَعْلُوهُ النَّفْسُ فَيَسْأَلُ فَيُخْبِرُ عَمَّا يَسْأَلُ عَنْهُ ، (كَذَا) وَأَنَّ كَاهِنَةً بَقِيَ سَعْدُ
ابْنِ هَذِيمٍ وَكَانَتْ بِأَعَالَى الشَّامِ لَمَّا حَضَرَتْهَا الْوَفَاةُ طَلَبَتْ سَطِيحًا وَشَقًّا (وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ) وَتَفَلَّتْ فِي فَهْمَا ،
وَذَكَرَتْ أَنَّ سَطِيحًا يَخْلِفُهَا فِي كِهَانَتِهَا ، ثُمَّ مَاتَتْ فِي يَوْمِهَا ذَلِكَ .

(٣) فَطَعَ بِالْأَمْرِ كَفَرَحَ فُطَاعَةً : إِذَا هَالَهُ وَغَلِبَهُ .

هالتقى وَفَظَّتْ بِهَا ، فَأَخْبَرَنِي بِهَا ، فَإِنَّكَ إِن أَصَبْتَهَا أَصَبْتَ تَأْوِيلَهَا . قَالَ : أَفَعَلَ
« رَأَيْتَ حُمَةً ^(١) » ، خَرَجْتَ مِنْ ظُلْمَةٍ ^(٢) ، فَوَقَمْتَ بِأَرْضِ تَهْمَةٍ ^(٣) ، فَأَكَلْتُ مِنْهَا كُلَّ
ذَاتِ جُجْمَةٍ ^(٤) » ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا أَخْطَأْتَ مِنْهَا شَيْئًا يَسْطِيعُ ، فَمَا عِنْدَكَ فِي تَأْوِيلِهَا ؟
فَقَالَ : « أَخْلِفُ بِمَا بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ ^(٥) مِنْ حَنْشٍ ، لِيَهْبِطَنَّ أَرْضُكُمْ الْحَبَشُ ، فَلْيَمْلِكَنَّ
مَا بَيْنَ أُبَيْنَ ^(٦) إِلَى جُرَشٍ ^(٧) » فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : وَأَبِيكَ يَا سَطِيع . إِنْ هَذَا لَنَا لِنَاظِ
مُوجِعٍ ، فَتَى هُوَ كَأَنَّ ، أَفَى زَمَانِي هَذَا أَمْ بَعْدَهُ ؟ قَالَ : « لَا ، بَلْ بَعْدَهُ بِحِينَ ، أَكْثَرَ
مِنْ سِتِينَ أَوْ سَبْعِينَ ، يَمْضِينَ مِنَ السِّنِينَ » قَالَ : أَفِيدُومُ ذَلِكَ مِنْ مَلِكِهِمْ أَمْ يَنْقَطِعُ ؟
قَالَ : « لَا ، بَلْ يَنْقَطِعُ لِيَضْعُ وَسَبْعِينَ مِنَ السِّنِينَ ، ثُمَّ يُقْتَلُونَ بِهَا أَجْمَعِينَ ، وَيُخْرَجُونَ
مِنْهَا هَارِبِينَ » قَالَ : وَمَنْ يَلِي ذَلِكَ مِنْ قَتْلِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ ؟ قَالَ : « يَلِيهِ إِرَامٌ ^(٨)
ذِي يَزَنَ ، يُخْرِجُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدَنَ ، فَلَا يَتْرَكَ أَحَدًا مِنْهُمْ بِالْيَمَنِ » قَالَ : أَفِيدُومُ ذَلِكَ مِنْ
سُلْطَانِهِ أَمْ يَنْقَطِعُ ؟ قَالَ : « بَلْ يَنْقَطِعُ » قَالَ : وَمَنْ يَقْطَعُهُ ؟ قَالَ « نَبِي زَكَّى » ، يَأْتِيهِ الْوَحْيُ
مِنْ قَبْلِ الْعَلِيِّ » قَالَ : وَعَمَّنْ هَذَا النَّبِيُّ ؟ قَالَ : « رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ ، بَنُ مَالِكِ
ابْنِ النَّضْرِ ، يَكُونُ الْمَلِكُ فِي قَوْمِهِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ » قَالَ : وَهَلْ لِلدَّهْرِ مِنْ آخِرٍ ؟ قَالَ :

(١) الحُمَةُ وتَجْمَعُ عَلَى حِمَمٍ : اللَّفْحَةُ وَالرَّمَادُ وَكُلُّ مَا احْتَرَقَ مِنَ النَّارِ ، وَتَطْلُقُ الْحُمَةُ عَلَى الْجَمْرِ بِجَازَا
باعتبار ما يثول إليه وهو المراد هنا . (٢) الظُّلْمَةُ : الظُّلَامُ ، وَسَرَى فِي تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا أَنَّهَا إِشَارَةٌ إِلَى
الْأَحْبَاشِ السُّودِ . (٣) التَّهْمَةُ بِالتَّحْرِيكِ : الْأَرْضُ الْمُتَّصِيَةُ إِلَى الْبَحْرِ ، كَالْتَّهْمِ مُحَرَّكَةً أَيْضًا كَأَنَّهَا
مُصْدِرَانِ مِنْ تَهَامَةٍ ، لِأَنَّ التَّهَامَ مُتَّصِيَةٌ إِلَى الْبَحْرِ وَيُقَالُ أَيْضًا : أَرْضُ تَهْمَةٍ كَفَرَحَةٍ أَيْ شَدِيدَةِ الْحَرِّ ، مِنْ
التَّهْمِ بِالتَّحْرِيكِ وَهُوَ شِدَّةُ الْحَرِّ وَفِي ابْنِ الْأَثِيرِ « تَهْمَةٌ » بِالْبَاءِ يُقَالُ : أَرْضُ تَهْمَةٍ كَفَرَحَةٍ أَيْ كَثِيرَةِ الْبَهْمِ ،
وَالْبَهْمِ بِالضَّمِّ اسْمُ نَبْتٍ ، وَالضَّبِطُ الْأَوَّلُ عِنْدِي أَرْجَحُ . (٤) أَيْ كُلِّ نَفْسٍ . (٥) الْحَرَّةُ : أَرْضُ
ذَاتِ حِجَارَةٍ سَوْدَ نَحْرَةٍ ، (٦) مُخْلَافُ الْيَمَنِ مِنْهُ مَدِينَةُ عَدَنَ . (٧) مُخْلَافُ الْيَمَنِ مِنْ جِهَةِ مَكَّةَ .

(٨) الْإِرَامُ كَعَنْبٍ وَكَتِفٌ : الْعِلْمُ (بِالتَّحْرِيكِ) أَوْ خَاصُّ بَعَادٍ ، وَالْعِلْمُ سَيِّدُ الْقَوْمِ ، أَيْ يَتَوَلَّاهُ سَيِّدُ بَنِي

ذِي يَزَنَ ، وَهُوَ سَيْفُ بَنِي يَزَنَ .

« نعم . يومٌ يُجْمَعُ فيه الأولون والآخرون ، يَسْعَدُ فيه المحسنون ، ويشقى فيه السيئون » .
قال : أَحَقُّ مَا تُخْبِرُنَا بِاسْطِيح ؟ قال : « نعم ، وَالشَّقِّقِ ، وَالْفَسَقِ ^(١) ، وَالْفَلَقِ ^(٢) »
إِذَا انشَقَّ ، إِنْ مَا أَنْبَأْتُكَ بِهِ لَحَقَّ » .

٦٠ شق أنمار ^(٣) يعبر رؤيا ربيعة بن نصر أيضا

ثم قدم عليه شقٌّ ، فقال له كقولهِ لَسْطِيح ، وكتبه ما قال سطيح ، لينظر أبتفتان أم مختلفان ، قال : « نعم ، رَأَيْتَ حُمَةً ، خَرَجَتْ مِنْ ظِلَّةٍ ، فَوَقَعَتْ بَيْنَ رَوْضَةٍ وَأَكْمَةٍ فَأَكَلَتْ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ نَسَمَةٍ » . فلما سمع الملك ذلك قال : مَا أَخْطَأْتُ يَا شَقَّ مِنْهَا شَيْئًا ، فَمَا عِنْدَكَ فِي تَأْوِيلِهَا ؟ قال : « أَحْلِفْ بِمَا بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ مِنْ إِنْسَانٍ ، لَيَنْزِلَنَّ أَرْضَكُمْ السُّودَانُ ، فَلْيَغْلِبُنَّ عَلَى كُلِّ طِفْلَةٍ ^(٤) الْبَنَانُ . وَلَيَمْلِكَنَّ مَا بَيْنَ أُبَيْنَ إِلَى نَجْوَانَ ^(٥) »
فقال له الملك : وَأَيْلِكَ يَا شَقَّ ، إِنْ هَذَا لَنَا لِفَائِظٌ مُوجِعٌ ، فَتَى هُوَ كَأَنَّ : أَوَى زَمَانِي أَمْ بَعْدَهُ ؟ قال : « لَا ، بَعْدَهُ بَزْمَانٌ ، ثُمَّ يَسْتَنْقِذُكُمْ مِنْهُمْ عَظِيمٌ ذَوْشَانٌ ، وَيُذِيقُهُمْ أَشَدَّ الْهَوَانِ » قال : وَمِنْ هَذَا الْعَظِيمِ الشَّأْنُ ؟ قال : « غَلَامٌ لَيْسَ بِدَنِيٍّ وَلَا مُدَنَّ ^(٦) ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْتِ ذِي يَزَنَ ^(٧) » قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : « بَلْ يَنْقَطِعُ بِرَسُولٍ

(١) الشفق : الحمرة في الأفق من الغروب إلى قريب العتمة ، والفسق : ظلمة أول الليل .

(٢) الفلق : الصبح أو ما انفلق من عوده . (٣) هو شق بن مصعب بن يشكر بن رهم بن أقرل

أبن قيس بن عبقر بن أنمار بن نزار ، وزعموا أنه كان شق إنسان (أي نصفه) له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة . (٤) مؤنث طفل : وهو الرخص الناعم من شيء . (٥) مخلاف شمال اليمن .

(٦) الدف : مسهل عن دفعه ، والدفن : المقصر عما ينبغي له أن يفعله ، وفي ابن الأثير « مزن »

بالزاي والمزن : المهتم ، من أزننته بكذا أي اهتمته به .

(٧) وخبر ذلك أن زرعة بن كعب الملقب بذي نواس أحد ملوك التباينة باليمن (وكان قد تهود وتعصب

لليهودية وحمل عليها قبائل اليمن) اضطهد نصارى نجران لأن يهوديا بنجران عدا أهلها على ابنيها له فقتلوهما ظلما ، فتوسل إلى ذي نواس باليهودية ، واستنصره عليهم ، فحمى له ولدينه وغزاهم ، ويقال إن رجلا من =

مُرْسَل ، يأتي بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل . قال : وما يوم الفصل ؟ قال : « يوم تُجْزَى فيه الولاية ، يدعى فيه من السماء بِدَعَوَات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، وَيُجْمَعُ فيه بين الناس للديقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات » قال : أحق ما تقول ؟ قال : « إى ورب السماء والأرض ، وما بينهما من رَفَع وخفض ، إن ما أنبأتك به لحق ما فيه أَمْضُ ^(١) » .

فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالوا ، فجهز بنيهِ وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس ، يقال له سابور فأسكنهم الحيرة . فن بقيّة ولده النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر .

(تاريخ الطبري : ٩٩ وسيرة ابن هشام ١ : ٨ ، والكامل لابن الأثير : ١٤٦)

٦١ - وفود عبد المسيح بن بقليلة على سطّيح

عن ابن عباس رضي الله عنه قال :

« لما كان ليلة ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ارتجّ إيوان كسرى ، فسقطت منه أربع عشرة شُرْفَة ، فعظم ذلك على أهل مملكته ، فإ كان أوشك أن كتب إليه

= أهل نجران أفلت من القتل ، وسار إلى قيصر الروم يستنجد به على ذى نواس ، فبعث قيصر إلى نجاشي الحبشة يأمره بنصرة النصارى ، فجهز جيشا إلى اليمن ، فركبوا البحر إليها ، ولقيهم ذو نواس فيمن معه فدارت الدائرة عليه ، وملكت الحبشة اليمن ، ولما طال البلاء من الحبشة على أهلها خرج سيف بن ذى يزن الحميري وقدم على قيصر يوستنيان يستنجد به على الحبشة فأبى ، وقال : الحبشة على دين النصارى ؛ فرجع إلى كسرى أنوشروان واستعان به ، فأمدّه بجيش من كانوا في سجنونه ؛ فقاتلوا الأحباش وهزموهم ؛ واسترد سيف عرش آبائه على فريضة يؤديها كل عام للفرس حتى قتل ؛ فأرسل كسرى عاملا على اليمن واستمرت عماله إلى أن كان آخرهم باذان فأسلم ؛ وصارت اليمن إلى الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) أى شك أو باطل .

صاحب اليمن يخبره أن بحيرة ساوة^(١) غاضت تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب السماوة يخبره أن وادي السماوة^(٢) انقطع تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب طبرية أن الماء لم يجر تلك الليلة في بحيرة طبرية ، وكتب إليه صاحب فارس يخبره أن بيوت النيران تحمدت تلك الليلة ، ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة ، فلما تواترت الكتب أبرز سريره وظهر لأهل مملكته فأخبرهم الخبر ، فقال الموبذان^(٣) : أيها الملك إني رأيت تلك الليلة رؤيا هالتي ، قال له : وما رأيت ؟ قال : رأيت إبلا صعباً ، تقود خيلاً عرباً ، قد اقتحمت دجلة وانتشرت في بلادنا ، قال : رأيت عظيماً فاعظيما في تأويلها ؟ قال : ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن أرسل إلى عاملك بالبحيرة يوجه إليك رجلاً من علمائهم ، فإنهم أصحاب علم بالحدثان ، فبعث إليه عبد المسيح بن بقليلة القسائي . فلما قدم عليه أخبره كسرى الخبر ، فقال له : أيها الملك ، والله ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن جهزني إلى خال لي بالشام يقال له سطيح . قال : جهزه ، فلما قدم إلى سطيح وجده قد احتضر ، فناداه فلم يجبه ، وكله فلم يرد عليه ، فقال عبد المسيح :

أَصَمُّ أَمْ بِسْمِ غَطْرِيفُ الْيَمَنِ يَا فَاصِلَ الْخُطَّةِ أُغَيِّتَ مَنْ وَمَنْ^(٤)
أَتَاكَ شَيْخٌ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ أَيْبُضُ فَضْفَاضِ الرَّدَاءِ وَالْبَدَنِ^(٥)
رَسُولٌ قَلِيلِ الْعُجْمِ يَهْوِي لِلْوَتَنِ لَا يَرْهَبُ الرَّعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنِ^(٦)

(١) هكذا في المقد الفريد ، وفي السيرة الحلبية « وورد عليه كتاب من صاحب إيليا (بالشام) يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة » وفي معجم البلدان : « ساوة مدينة حسنة بين الرى وهمدان في وسط ، بينها وبين كل واحد من همدان والرى ثلاثون فرسخاً ، وفي حديث سطيح في أعلام النبوة : « وخمدت نار فارس وغارت بحيرة ساوة . . . الخ » ومنه يستفاد أنها في فارس .

(٢) موضع بين الكوفة والشام . (٣) الموبذان والموبذ : فقيه الفرس وحاكم المجوس .

(٤) الغطريف : السيد الشريف . (٥) الفضفاض : الواسع .

(٦) القليل : الملك ؛ أو هو دون الملك الأعلى .

فرفع إليه رأسه وقال : « عبد المسيح ، على جمل مُشِيح^(١) ، إلى سَطِيح ، وقد أوفى على الضَّرِيح^(٢) ، بعثك ملك بني ساسان ، لارتجاج الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبدَّان ، رأى إبلا صِعَابًا ، تقود خَيْلًا عِرَابًا ، قد اقتحمت في الواد ، وانتشرت في البلاد . يا عبد المسيح : إذا كثرت التَّلَاوة^(٣) ، وظهر صاحب الهراوة^(٤) ، وفاض وادى السماء ، وَغَاضَتْ بِحِيْرَة ساوة ، وخذت نار فارس ، فليست بابل للفرس مُقَامًا ، ولا الشام لسطيح شَامًا ، يملك منهم ملوك وملكات^(٥) ، عدد سقوط الشُّرَفَات ، وكل ما هو آت آت » ثم قال :

إِنْ كَانَ مُلْكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ فَإِنْ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَارًا دَهَارِيرُ^(٦)
 مِنْهُمْ بَنُو الصَّرْحِ بِهَرَامٍ وَإِخْوَتُهُ وَالْهُرْمُزَانَ وَسَابُورَ وَسَابُورَ
 فَرَبِّمَا أَصْبَحُوا يَوْمًا بِمَنْزِلَةٍ تَهَابُ صَوْنَهُمُ الْأَسْدُ الْمَهَاصِيرُ^(٧)
 حَبُّوا الْمَطِيَّ وَجَدُّوا فِي رِحَالِهِمْ فَمَا يَقُومُ لَهُمْ سَرْجٌ وَلَا كُورُ^(٨)
 وَالنَّاسُ أَوْلَادَ عَلَاتٍ فَمَنْ عِلْمُوا أَنْ قَدْ أَقْلَ فَمُحْقُورٌ وَمَهْجُورُ^(٩)
 وَالْخَيْرَ وَالشَّرَّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ فَالْخَيْرُ مُتَّبِعٌ وَالشَّرُّ مُحْذُورُ

(١) جاد سريع . (٢) أى القبر ؛ والمراد الموت . (٣) أى تلاوة القرآن .

(٤) الهراوة : العصا للضخمة ؛ وصاحبها هو النبی صلی الله علیه وسلم لأنه كان يمسك العصا كثيرا عند مشيه . (٥) قال صاحب السيرة الحلبية : « لم أقف على أنه ملك منهم من النساء إلا واحدة وهى بوران ؛ ملكت سنة ثم هلكت » .

(٦) أفرطهم : تركهم وزال عنهم ؛ قال تعالى : « لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ، وَأَنَّهُمْ

مُقَرَّبُونَ »

أى متروكون فيها ؛ ودهر دهارير : أى شديد (كليلة ليلاء ويوم أيوم).

(٧) المهاصير جمع مهصار أو مهصير وهو الأسد من المحصر وهو الكسر والجذب والإمالة .

(٨) الكور : الرجل بأداته . (٩) أولاد اللغات : أولاد أمهات شتى من رجل واحد .

ثم أتى كسرى فأخبره بما قاله سطيح فغضب ذلك ، ثم تعزّى ، فقال : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا يدور الزمان ، فهلكوا كلهم في أربعين سنة ، وكان آخر من هلك منهم في أول خلافة عثمان رضى الله عنه .

(تاريخ الطبرى ٢ : ١٣٢ والمقد الفريد ١ : ١٠٨ ، والسيرة الحلبية ١ : ٧٠ ، والمختصر في أخبار البشر

لأبي الفداء ١ : ١١٠) .

٦٢ - شق وسطيح ينبئان بأصل ثقيف

عن ابن الكلبي قال : « كان قسي^(١) - وهو ثقيف^(٢) - مقبلا باليمن ، فضاق عليه موضعه ونبأ^(٣) به ، فأتى الطائف ، وهو يومئذ منازل فهم وعدوان بن عمرو بن قيس ابن عيلان ، فأتته إلى الطرب المدوانى ، فوجده نائما تحت شجرة فأيقظه ، وقال : من أنت ؟ قال : أنا الطرب ، قال : على ألية^(٤) إن لم أقتلك ، أو تحلف لى كنز وجمتى ابنتك ، ففعل ، وانصرف الطرب وقسي^(٥) معه ، فلقية ابنه عامر بن الطرب ، فقال : من هذا معك يا أبت ؟ فقص قصته ، قال عامر : لله أبوه ! لقد ثقف^(٦) أمره ، فسمى يومئذ

(١) هو أبو القبيلة المشهورة ، وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ؛ وقد اختلف النسابون في نسب ثقيف ، فقال قوم : إنهم من هوازن ، وهو القول الذى يزعمه الثقفيون ؛ وعليه جمهور الناس ، ويزعم آخرون أن ثقيفا من إياد بن نزار ابن معد بن عدنان ؛ وأن النخع أخوه لأبيه وأمه ؛ ثم افترقا؛ فصار أحدهما في عداد هوازن والآخر في عداد مذحج ؛ وقال قوم آخرون إن ثقيفا من بقايا ثمود من العرب القديمة التى بادت وانقرضت . قال الحجاج على المنبر : يزعمون أنا من بقايا ثمود فقد كذبهم الله بقوله : « وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى » وقال مرة أخرى : ولئن كنا من بقايا ثمود لما نجاع صالح إلا خيارهم - اقرأ كلمة عن نسب ثقيف في شرح ابن أبي الحديد م ٢ ص ٣٩٢ ؛ والمقد الفريد ٣ : ٨ ، والأغانى ٤ : ٧٤ ؛ ومروج الذهب ٢ : ٦٨ ؛ وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٣ . (٢) نبأ به منزله : لم يوافقه . (٣) الألية : البين . (٤) ثقف ككرم وفرح : صار حاذقا خفيضا فطنا . وثقف الشيء كفرح : ظفر به .

ثَقِيْفًا ، وَعُيِّرَ الظَّرْبَ بِتَزْوِيْجِهِ قَسِيًّا ، وَقِيلَ زَوْجَتَ عَبْدًا ، فَسَارَ إِلَى الْكَهَانِ يَسْأَلُهُمْ ، فَانْتَهَى إِلَى شَيْقَ بْنِ مُصْعَبِ الْبَجَلِيِّ ، وَكَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنْهُ . فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ قَالَ : إِنَّا قَدْ جِئْنَاكَ فِي أَمْرٍ فَمَا هُوَ ؟ قَالَ : « جِئْتُ فِي قَسِيٍّ ، وَقَسِيٌّ عَبْدٌ يُيَادُ ، أَبَقَ ^(١) لَيْلَةَ الْوَادِ ، فِي وَجِّ ^(٢) ذَاتِ الْأَنْدَادِ ، فَوَالِي سَعْدًا لِيُفَادَ ، ثُمَّ لَوْى بِغَيْرِ مَعَادٍ » يَعْنِي سَعْدُ بْنُ قَيْسِ ابْنِ عَيْلَانَ بْنِ مَضَرَ ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى سَطِيحِ الذَّئْبِيِّ حَتَّى مَنَ غَسَّانَ ، وَيُقَالُ إِنَّهُمْ حَيٌّ مِنْ قُضَاعَةَ نَزُولٍ فِي غَسَّانَ . فَقَالُوا : إِنَّا جِئْنَاكَ فِي أَمْرٍ فَمَا هُوَ ؟ قَالَ : « جِئْتُ فِي قَسِيٍّ ، وَقَسِيٌّ مِنْ وَلَدِ ثَمُودِ الْقَدِيمِ ، وَلَدَتْهُ أُمُّهُ بِصَحْرَاءَ تَرِيمٍ ^(٣) ، فَالْتَقَطَهُ يُيَادُ وَهُوَ عَدِيمٌ ، فَاسْتَعْبَدَهُ وَهُوَ مُلِيمٌ ^(٤) » . فَرَجَعَ الظَّرْبَ وَهُوَ لَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ فِي أَمْرِهِ . وَقَدْ وَكَّدَ عَلَيْهِ فِي الْحَلْفِ وَالتَّزْوِيْجِ ، وَكَانُوا عَلَى كُفْرِهِمْ يُوفُونَ بِالْقَوْلِ ، فَلِهَذَا يَقُولُ مَنْ قَالَ إِنَّ ثَقِيْفًا مِنْ ثَمُودَ ، لِأَنَّهُ يُيَادُ مِنْ ثَمُودَ .

(الْأَغْنَى ٤ : ٧٥)

٦٣ — تَنَافَرُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ وَالثَّقَفِيِّينَ إِلَى عَزَى سَلْمَةَ الْكَاهِنِ

كَانَ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ مَالٌ بِالطَّائِفِ يُقَالُ لَهُ : ذُو الْمَرْمِ ^(٥) ، فَغُلِبَ عَلَيْهِ خِنْذِفُ ابْنِ الْحَارِثِ الثَّقَفِيُّ ، فَتَنَافَرَهُمْ عَبْدِ الْمَطْلَبِ إِلَى عَزَى سَلْمَةَ الْكَاهِنِ - أَوْ إِلَى نَفِيلِ ابْنِ عَبْدِ الْعَزَى جَدِّ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ^(٦) - فَخَرَجَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ مَعَ ابْنَةِ الْحَارِثِ ، وَلَيْسَ لَهُ يَوْمَئِذٍ غَيْرُهُ ، وَخَرَجَ الثَّقَفِيُّونَ مَعَ صَاحِبِهِمْ ، وَحَرَّبُ بْنُ أُمَيَّةٍ مَعَهُمْ عَلَى عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فَفَنِدَ مَاءَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فَطَلَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَسْقَوْهُ ، فَأَبَوْا ، فَبَلَغَ الْعَطَشُ مِنْهُ كُلَّ مَبْتَلَعٍ ، وَأَشْرَفَ

(١) هرب . (٢) وج : اسم واد بالطائف . (٣) رام يريم ربما : تباعد .

(٤) الأُم فهو ملِيم : أتى ما يلام عليه .

(٥) ضبطه في القاموس المحيط بفتح فسكون ؛ والصحيح أنه بالتحريك كما يدل على ذلك الأسجاع

الآتية . (٦) وعبارة معجم ياقوت : « فتنافرهم عبد المطلب إلى الكاهن القضاعي وهو سلمة بن أبي حية فخرجوا إليه إلى الشام » .

على الهلاك ، فبينما عبد المطلب يُشير بعيره ليركب ، إذ فجّر الله له عينا من تحت جِرائه ، فحَدَّ الله وعلم أن ذلك منه ، فَشَرِبَ وشرب أصحابه رِيَّهم وتزودوا منه حاجتهم ، وَفَدَّ ماءَ الثَّقَفِيِّينَ ، فطلبوا إلى عبد المطلب أن يسقيهم فَأَنعَمَ عليهم ، فقال له ابنةُ الحارثِ لَأُخَنِّينَ على سيفي حتى يخرج من ظهري ، فقال عبد المطلب : لَأُسْقِيَنَّهُمْ فلا تفعل ذلك بنفسك فسقام ، ثم انطلقوا ، حتى أَتوا السكاكِنَ ، وقد خَبَثُوا له رأسَ جَرَادَةٍ ، في خُرْزَةٍ مَزَادَةٍ^(١) ، وجعلوه في قِلَادَةٍ كلب لهم يقال له سَوَّار ، فلما أَتوا السكاكِنَ إذا هم ببقرتين تسوقان بينهما بَخْرَجًا^(٢) كلتاها تزعم أنه ولدها ، وَلَدَتَا في ليلة واحدة ، فأكل النَّمِيرُ أَحَدَ الْبَخْرَجَيْنِ . فهما تَرُأْمان^(٣) الباقي ، فلما وقفنا بين يديه . قَالَ السكاكِنُ : هل تدرون ما تريد هاتان البقرتان ؟ قَالُوا : لا . قَالَ السكاكِنُ : « ذهب به ذو جَسَدٍ أَرْبَدٍ^(٤) ، وَشِدْقٍ مُرْمَعٍ^(٥) ، وَنَابٍ مُعَلِقٍ^(٦) ، ما للصغرى في ولد الكبرى حقٌّ » ففَضَى به للكبرى ، ثم قَالَ : ما حاجتكم ؟ قَالُوا : قد خَبَأْنَا لك خَبْنًا ، فَأَنْبِئْنَا عَنْهُ ، ثم نَخْبِرُكَ بِحاجتنا ، قَالَ : « خَبَأْتُمْ لِي شَيْئًا طَارَ فسطع ، فتصوَّب فوقع ، في الأرض منه بُقْعٌ ، فقالوا : لَادَهُ ، أَى بَيْتِهِ . قَالَ : « هُوَ شَيْءٌ طَارَ ، فاستطار ، ذُو ذَنْبٍ جَرَّارٌ ، وساق كَأَلْمِنْشَارٍ ، ورأس كَأَلْمِسْمَارٍ » فقالوا : لادَهُ ، قَالَ : « إِنْ لادَهُ فَلَادَهُ^(٧) » ، هُوَ

(١) المَزَادَةُ : الراوية ، والخُرْزَةُ : السير يخرز به . (٢) البَخْرَجُ : ولد البقرة .

(٣) رُبَّمَا وَلَدَهَا : عطف عليه ولزمته . (٤) من الرَبْدَةِ (كصفرة) : لون إلى الغبرة .

(٥) رمع كنع رمعانا (بالتحريك) وترمع : تحرك واضطرب ، وقوله رمع : اسم فاعل من رمع

المضمف ، يشير إلى أنه مفترس كاسر . (٦) من أعلق الصائد إذا علق الصيد في حبالته أى نشب .

(٧) روى ابن الأعرابي إلامه فلادهُ ساكن الهاء . ويروى إلامه فلادهُ مكسور الهاء منونة ، قاله ياقوت في معجمه : « يقول إن لم يكن قولي بيانًا فلا بيان » وقال الزنجشیری في المستصفي : « إن لادهُ فلادهُ بفتح الدال ويكسر ، وهى كلمة فارسية معناها الضرب قد استعملتها العرب في كلامها . وأصله أن الموتور كان يلقى واتره فلا يتعرض له فيقال له ذلك ، والمعنى إنك إن لم تضربه الآن فلا تضربه أبداً ، والتقدير إن لا يكون ده فلا يكون ده : أى إن لا يوجد ضرب الساعة ، فلا يوجد ضرب أبداً ، ثم اتسموا فيه فضربوم مثلاً في كل شيء لا يقدم عليه الرجل ، وقد حان حينه ووجب إحداثه من قضاء دين قد حل أو حاجة طلبت ، أو ما أشبه ذلك من الأمور التي لا يسوغ تأخيرها » . وقال المنذرى : « قالوا معنا إلا هذه فلا هذه ، يعنى أنه الأصل لإلامه فلادهُ بالذال المعجمة ، فمربت بالذال غير المعجمة كما قالوا يهودا ثم عرب فقبل يهودا » .

رأس جَرَادَة ، في خُرُز مَزَادَة ، في عُتُق سَوَارِ ذِي الْقِلَادَة » ، قالوا : صدقت ،
فأخبرنا فيمَ اختصمنا إليك ؟ قال : « أَحْكُمُ بِالضِيَاءِ وَالظُّلَمِ ، وَابَيْتِ وَالْحَرَمِ ، أَنْ الْمَالُ
ذَا الْحَرَمِ ، لِلْقُرَشِيِّ ذِي الْكُرَمِ » ففضى بينهم ، ورجعوا إلى منازلهم على حكمه .

(جمع الأمثال ١ : ٣٠ ومجمع البلدان ٨ : ٤٦٠)

وروى الجاحظ لعزى سلمة أنه قال :

« وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَالْعُقَابِ وَالصَّقَعَاءِ ^(١) ، وَاقِعَةُ بَيْقَعَاءِ ^(٢) ، لَقَدْ نَفَرَ الْمَجْدُ
بَنَى الْعُشْرَاءِ ^(٣) ، لِلْمَجْدِ وَالسَّنَاءِ ^(٤) . »
(البيان والتبيين ١ : ١٥٩)

٦٤ — منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية ^(٥)

تنافر عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية إلى النجاشي ملك الحبشة ، فأبى أن
ينفِرَ بينهما ، فجلا بينهما نفيل بن عبد العزى بن رياح ، فقال لحرب :

(١) الصقعة بالضم : بياض في وسط رهوس الطير وغيرها ، وهو أصقع ، وهي صقعاء (والصقعاء
أيضا الشمس) . (٢) البقعاء : اسم ماء . (٣) المشراء : قوم من فزارة ، ونفريه عليه : قضى له
عليه بالغلبة . (٤) السناء : الرقة .

(٥) وسبب ذلك أن عبد المطلب كان له جار يهودي يقال له أذينة ، يتجر وله مال كثير ، فغاض ذلك
حرب بن أمية ، وكان يُدِيمُ عبد المطلب ، فأغرى به فتيانا من قريش ليقتلوه ، ويأخذوا ماله ، فقتله عامر
ابن عبد مناف بن عبد الدار ؛ وصخر بن عمرو بن كعب التيمي ، جد أبي بكر رضي الله عنه ، فلم يعرف
عبد المطلب قاتله ، فلم يزل يبحث حتى عرفهما ، وإذا هما قد استجارا بحرب بن أمية ، فأقى حربا ولامه
وطلبهما منه فأخفاهما ؛ فتغالظا في القول ؛ حتى تنافرا إلى النجاشي فلم يدخل بينهما ، فجعلا بينهما نفيل
ابن عبد العزى جد عمر بن الخطاب فنفر عبد المطلب عليه ؛ فترك عبد المطلب مناداة حرب ، ونادم عبد الله
ابن جلعان التيمي ، وأخذ من حرب مائة ناقة ؛ فدفعها إلى ابن عم اليهودي ، وارتمج ماله إلا شيئا هلك ،
ففرمه من ماله .

« يا أبا عمرو : أنتافر رجلا هو أطول منك قامّة ، وأعظم منك هامة ، وأوسم منك وسامة ^(١) ، وأقل منك ملامّة ، وأكثر منك ولّة ، وأجزل صفداً ^(٢) ، وأطول منك مذوداً ^(٣) ، وإني لأقول هذا وإنك لبعيد الغضب ، رفيع الصوت في العرب ، جلد المريّة ^(٤) ، جليل العشيرة ، ولكنك نافرت مُنفراً .

فغضب حرب وقال : إن من انتكاس ^(٥) الزمان أن جعلت حكما .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٦ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١٨١)

٦٥ - ما أمر به عبد المطلب بن هاشم في منامه من حفر زمزم

ولّى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرّفاة بعد عمه المطلب ، وشرف في قومه ، وعظم شأنه ، ثم إنه حفر زمزم ، وهى بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، التى أسقاه الله منها ، وكانت جرّهم قد دفنتها ^(٦) ، وكان سبب حفره إياها أنه قال :

« بينا أنا نائم بالحجر إذ أتانى آت فقال : احفر طيبة ، قلت : وما طيبة ؟ فذهب وتركنى ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى ، فتمت فيه ، فجاءنى فقال : احفر برة ، قلت : وما برة ؟ فذهب وتركنى ، فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعى ،

(١) الوسامة : الحسن والجمال . (٢) الصفد : العطاء . (٣) الملود : اللسان .

(٤) المريّة : الحبل الشديد الفتل ، والعزيمة . (٥) أى انقلاب الزمان من انتكس أى وقع

على رأسه ، وفى الطبري : انتكاث بالناء من انتكاث الحبل وهو انتقاضه .

(٦) وذلك أن جرهم لما استخفت بأمر البيت الحرام ؛ وارتكبوا الأمور العظام ، قام فيهم رئيسهم مضاض بن عمرو خطيبا وعظّمهم فلم يرعوا ، فلما رأى ذلك منهم عمد إلى غزالين من ذهب كانا فى الكعبة وما وجد فيها من الأموال أى السيوف والدروع التى كانت تهذى إليها ، ودفنها فى بئر زمزم ، وكانت قد نصب ماؤها فحفروها مضاض بالليل وأعرق الحفر ودفن فيها ذلك وطم البئر ، وما زالت مطمومة إلى زمن عبد المطلب .

فمنمت فيه ، فجاءني فقال : احفر المذنونة . قلت : وما المذنونة ؟ ^(١) فذهب عني ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فمنمت فيه ، فجاءني فقال : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لا تندم ، فقلت : وما زمزم ؟ قال : « تراث من أبيك الأعظم ، لا تُنزف أبداً ولا تُدم » ^(٢) ، تسقى الحجاج الأعظم ، مثل نعام جاف لم يقسم ^(٣) ، ينذر فيها ناذر لمنعم ، تكون ميراثاً وعقد محكم ، ليس كـ بعض ما قد تعلم ، وهي بين الفرث والدم ^(٤) ، عند نقرة الغراب الأعصم ^(٥) ، عند قرية النمل .

فلما بين له شأنها ، ودله على موضعها ، وعرف أنه قد صدق . غدا بمقوله ومعه ابنه الحارث ليس له ولد غيره ، فحفر بين أساف ونائلة ، في الموضع الذي تنحر فيه قريش لأصنامها ، وقد رأى الغراب ينقر هناك ، فلما بدا له الطوى ^(٦) كبر ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٥ ، والسيرة الحلبية ١ : ٣١ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٩٠)

(١) طيبة ، وبرة ، والمذنونة : أسماء لزمزم . (٢) نذرت البئر : نذرت كنزفت بالضم ، وبئر ذمة بالفتح وذميم وذميمة : قليلة الماء لأنها تدم . (٣) جفل النعام : أسرع وذهب في الأرض ، ولم يقسم : لم يفرق . (٤) أى في محلها ، والفرث : السرجين في الكرش ، وذلك بين إساف ونائلة ، (وإساف ككتاب وسحاب : صنم وضعه عمرو بن لحي على الصفا ، ونائلة على المروة تجاه الكعبة) ، وكانت قريش تذبح عندهما ذبائحها التي تقترب بها . (٥) الأعصم : قيل أحمر المنتقار والرجلين ، وقيل أبيض البطن ، وقيل أبيض الجناحين ، وقيل أبيض إحدى الرجلين . (٦) الطوى : البئر .

خطب الكواهن

٦٦ - الشعناء الكاهنة تصف سبعة إخوة

كانت عَثمَةُ بنتُ مطرود البَجَلِيَّة ذات عقل ورأى مُسْتَمَع في قومها ، وكانت لها أخت يقال لها خَوْد ، وكانت ذات جمال وَمِيسَم^(١) وعقل ، فخطب سبعة إخوة غِلْمَة من بطن الأزْد خودا إلى أيها ، فَأَتَوْه وعليهم الحُللُ اليمانية ، وتحتم النجائب الفُرّه^(٢) ، فقالوا : نحن بنو مالك بن غَفِيلَةَ ذى النَحْيَيْنِ ، فقال لهم : انزلوا على الماء ، فزولوا ليلتهم ، ثم أصبحوا غَادِينَ في الحُلل والهيئة ، ومعهم رَبِيبَةٌ^(٣) لهم يقال لها الشعناء : كاهنة ، فَمَرَوْا بِوَصِيدِهَا^(٤) يتعرضون لها ، وكلهم وَسِيم جميل ، وخرج أبوها ، فجلسوا إليه ، فرحَّبَ بهم ، فقالوا : بلغنا أن لك بنتًا ، ونحن كما ترى شَبَاب ، وكلنا يَمْنَع الجانب ، وَيَمْنَح الراغب ، فقال أبوها : كلِّم خِيار ، فأقيموا ترى رأينا ، ثم دخل على ابنته ، فقال : ما تَرَيْن ، فقد أَتَاكِ هؤلاء القوم ؟ فقالت : « أَنْكِحْنِي على قدرى ، ولا تَشْطُطْ في مَهْرِي ، فَإِنْ تُحْطِئْنِي أَحْلَامُهُمْ ، لا تُحْطِئْنِي أجسامُهُمْ ، لعلى أُصِيب وَلَدًا ، وَأَكْثُرُ عَدَدًا » فخرج أبوها ، فقال : أخبروني عن أفضلكم .

قالت ربيبتهم الشعناء الكاهنة : « أَسْمِعْ أَخْبِرْكَ عَنْهُمْ : هم إخوة ، وكلهم أُسْوَة^(٥) .

(١) الميسم والوسامة : أثر الحسن . (٢) النجائب جمع نجيب : وهو البعير والفرس إذا كانا

كريمين عتيقين ، والفره : (كقفل وركع وكتب) جمع فاره ، وهو من الدواب الجيد السير الذشيط

الخفيف . (٣) الربيبية : الحاضنة . (٤) الوصيد : الفناء (بالكسر) والعتبة .

(٥) الأسوة : القدوة .

أما الكبير فإليك ، جَرِيءُ قَاتِكِ ، يُتَعَبُ السَّنَابِكُ ^(١) ، ويستصفر المهالك . وأما الذى يليه فالغمر ، بحرٌ غَمَرٌ ^(٢) ، يَقْصُرُ دونه الفخر ، نَهْدٌ ^(٣) صَقَر . وأما الذى يليه فَعَلَقَمَةٌ ، صَلِيبُ الْمَعْجَمَةِ ^(٤) ، مَنِيْعُ الْمَشْتَمَةِ ^(٥) ، قليلُ الْجَمْعَةِ ^(٦) . وأما الذى يليه فعاصِم ، سَيِّدُ نَاعِمٍ ^(٧) ، جَلْدٌ صَارِم ، أَبِيُّ حازم ، جيشُهُ غَانِم ، وَجَارُهُ سالم . وأما الذى يليه فثَوَاب ، سَرِيعُ الْجَوَاب ، عَتِيدُ الصَّوَاب ^(٨) ، كَرِيمُ النَّصَاب ^(٩) ، كَلَيْثُ الْغَاب . وأما الذى يليه فُدْرِك ، بَذُولٌ لِمَا يَمْلِك ، عَزُوبٌ ^(١٠) عما يترك ، يُفْنَى وَيُهْلِك . وأما الذى يليه فَجَنْدَل ، لِقَرْنِهِ مُجَدَّل ^(١١) ، مُهْلٌ ^(١٢) لما يَحْمَل ، يُعْطَى وَيَبْذُل ، وعن عدوه لَا يَنْكُل ^(١٣) .

فشاورت أختها فيهم ، فقالت أختها عثمة : « تَرَى الْفَتَيَانَ كَالنَّخْلِ ، وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ ؟ » ^(١٤) اسمعى منى كلمة ، إن شَرَّ الغريبة يُعْلَن ، وخيرها يُدْفَن ، انكحى فى قومك ولا تَفْرُكْ الأجسام ، فلم تقبل منها ، وبعثت إلى أبيها : أنكحنى مدركا ، فأنكحها أبوها على مائة ناقة ورُعَاتِهَا ، وَحَمَلَهَا مدرك ، فلم تلبث عنده إلا قليلا ، حتى صَبَّحَهُم فوارسٌ من بنى مالك بن كِنَافَةَ ، فاقْتَلَوْا ساعة ، ثم إن زوجها وإخوته وبنى عامر انكشفوا ، فَسَبَّوْهَا فِيمَنْ سَبَّوْا ، فبينما هى تسير بكت ، فقالوا : ما يُبْشِكِيكَ ، أَعْلَى فراق زوجك ؟ قالت : قَبَّحَهُ اللهُ ، قالوا : لقد كان جميلا ! قالت : قَبَّحَ اللهُ جمالا

(١) السنايك جمع سنبك كقنفذ : وهو طرف الحافر ، أى أنه يجهد الخيل فى حومة الوغى .

(٢) الغمر : معظم البحر ، والكريم : الواسع الخلق .

(٣) النهْد : الأسد ، والكريم . (٤) من عجم المود إذا عضه ليعرف صلابته من خوره .

(٥) المشتمة : مصدر شتم ، والمعنى : أنه فى حرز من أن يشتم ويسب عرضه ، لحسن فعله وكرم خلقه

(٦) الجمجمة : إخفاء الشيء فى الصدر .

(٧) نعم كسمع ونصر وضرب فهو ناعم : أى ذو تنعم وترفة . (٨) العتيد : الحاضر المهيأ .

(٩) الصاب : الأصل . (١٠) بعيد . (١١) جدله : صرعه على الجدالة (كسحابة)

وهى الأرض . (١٢) حامل . (١٣) نكل عنه كضرب ونصر وعلم : نكص وجبن .

(١٤) الدخلى : ما يبطن فى الشيء ، وهو مثل يضرب للرجل له منظر ولا مخبر له .

لَا نَفْعَ مَعَهُ ، إِنَّمَا أَبْكِي عَلَى عَصِيَانِي أُخْتِي ، وَقَوْلُهَا : « تَرَى الْفَتَيَانَ كَالنَّخْلِ ، وَمَا يَدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ » وَأَخْبَرْتَهُمْ كَيْفَ خَطَبُوهَا ، فَقَالَ لَهَا رَجُلٌ مِنْهُمْ يُسَكِّنِي أَبَا نَوَاسٍ شَابٌ أَسْوَدُ أَفْوَهٌ ^(١) مُضْطَرِبُ الْخَلْقِ : أَتَرْضَيْنَ بِي ، عَلَى أَنْ أَمْنَعَكَ مِنْ ذُنَابِ الْعَرَبِ ؟ فَقَالَتْ لِأَصْحَابِهِ : أَكْذَلِكَ هُوَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، إِنَّهُ مَعَ مَا تَرْضَيْنَ لَيْمَنْعَ الْحَلِيلَةِ ^(٢) ، وَتَتَّقِيهِ الْقَبِيلَةَ ، قَالَتْ : هَذَا أَجْمَلُ جَمَالٍ ، وَأَكْمَلُ كَمَالٍ ، قَدْ رَضِيتُ بِهِ ، فَزَوَّجُوهَا مِنْهُ .
(مجمع الأمثال للميداني ١ : ٩١)

٦٧ — طريفة الخير تسكنهن بسيل العرم وخراب سد مأرب

قال عبد الملك بن عبد الله بن بَدْرُونَ في شرح قصيدة الوزير عبد المجيد بن عبدون ، التي قالها في رثاء دولة بني الأفطس بالأندلس :

كَانَ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْيَمَنِ فِي أَوَّلِ تَمْزِيْقِهِمْ ، عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ مُزَيْقِيَاءَ ^(٣) ، وَكَانَ سَبَبَ خُرُوجِهِ ، أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ كَاهِنَةٌ ، يُقَالُ لَهَا « طَرِيفَةُ الْخَيْرِ » ، وَكَانَتْ رَأَتْ فِي مَنَامِهَا أَنَّ سَحَابَةً غَشِيَتْ أَرْضَهُمْ فَأَرَعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ ، ثُمَّ صَعَقَتْ ، فَأَحْرَقَتْ كُلَّ مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ ، فَفَزِعَتْ طَرِيفَةُ لِذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا ، وَأَنْتِ الْمَلِكُ عَمْرًا ، وَهِيَ تَقُولُ : « مَا رَأَيْتُ الْيَوْمَ ، أَزَالَ عَنِّي النَّوْمَ ، رَأَيْتُ غَيْمًا رَعَدَ وَبَرَقَ ^(٤) طَوِيلًا ، ثُمَّ صَعَقَ ، فَمَا وَقَعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا احْتَرَقَ » ، فَلَمَّا رَأَى مَا دَاخَلَهَا مِنَ الْفَزَعِ سَكَنَهَا ، ثُمَّ إِنْ عَمْرًا دَخَلَ حَدِيقَةَ لَهُ ، وَمَعَهُ جَارِيتَانِ مِنْ جَوَارِيهِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ طَرِيفَةَ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ وَخَرَجَ مَعَهَا وَصِيفٌ ^(٥) ، لَهَا اسْمُهُ سِنَانٌ ، فَلَمَّا بَرَزَتْ مِنْ بَيْتِهَا عَرَضَ لَهَا ثَلَاثُ مُنَاجِدٍ مُنْتَصِبَاتٍ عَلَى

(١) الأفوه : وصف من الفوه بالتحريك ، وهو سعة الفم . (٢) الزوجة .

(٣) لقب بذلك ، لأنه كان يلبس كل يوم حلتين ، ويمزقهما بالعشى ، يكره العود فيهما ، ويأنف

أن يلبسهما غيره . (٤) رعدت السماء وبرقت (كنصر) ، وأرعدت السماء وأبرقت ، وأنكر الأصمعي

الرباعي فيهما . (٥) الوصيف : الخادم والخادمة .

أرجلهن ، واضعات أيديهن على أعينهن - وهى دواب تشبه اليرابيع^(١) - فقدمت إلى الأرض واضعة يديها على عينيها ، وقالت لوصيفها : إذا ذهبت هذه المناجيد فأخبرنى ، فلما ذهبت أعلمها ، فانطلقت مسرعة ، فلما عارضها خليج الحديقة التى فيها عمرو ، وثبت من الماء سُلْحَفَاة . فوقعت فى الطريق على ظهرها ، وجعلت تروم الانقلاب فلا تستطيع ، وتستعين بذنبها ، فتَحْشُو التراب على بطنها من جَنَبَاتِه ، وتَقْذِفُ بالبَوْل قَذْفًا ، فلما رأتهما طريقة جلست إلى الأرض ، فلما عادت السلحفاة إلى الماء ، مضت إلى أن دخلت على عمرو وذلك حين انتصف النهار فى ساعةٍ شديدة الحرِّ ، فإذا الشجر يتكفأ من غير ريح ، فلما رآها عمرو استعجيا منها ، وأمر الجاريتين بالتنحى ، ثم قال لها يا طريفة : فكهنت وقالت : « والثور والظلماء ، والأرض والسماء ، إن الشجر لهالك ، وليعودن الماء كما كان فى الزمان السالك » . قال عمرو : ومن خبرك بهذا ؟ قالت : « أخبرتنى المناجيد ، بسنين شدايد ، يقطع فيها الولد الوالد » قال : ما تقولين ؟ قالت . « أقول قول النذمان لهفًا ، لقد رأيت سُلْحَفَاة^(٢) ، تَجْرُفُ التراب جَرْفًا ، وتَقْذِفُ بالبَوْل قَذْفًا ، فدخلت الحديقة ، فإذا الشجر من غير ريح يتكفأ » قال عمرو : وما ترين ؟ قالت : « داهية دهياء ، من أمور جسيمة ، ومصائب عظيمة » قال : وما هو ؟ وَيَلَكِ ! قالت : « أجل ، إن فيه الويل ، وما لك فيه من قِيل^(٣) ، وإن الويل فيما يحىء به السيل » فألقى عمرو نفسه عن فراشه ، وقال : ما هذا يا طريفة ؟ قالت : « هو خطب جليل ، وحزن طويل ، وخلف قليل » قال : وما علامة ما تذكرين ؟ قالت « اذهب إلى السد ، فإذا رأيت جُرْدًا يُكْثِرُ بيديه فى السد الحفر ، ويقلب برجليه من أجل الصخر ، فاعلم أن غمر الغمر^(٤) »

(١) اليربوع : دوية نحو الفأرة لكن ذنبه وأذناه أطول منها ؛ ورجلاه أطول من يديه عكس الزرافة .

(٢) يقال : سلحفاة وسلحفاء وسلحفا ، ويقال أيضا سلحفا ساكنة اللام مفتوحة الحاء .

(٣) قال قتيلا : نام فى القائلة ، وهى نصف النهار ، والمراد هنا الإقامة والمكث .

(٤) الغمر : الماء الكثير .

وَأَنْ قَدْ وَقَعَ الْأَمْرُ . قَالَ : وَمَا هَذَا الَّذِي تَذَكِّرِينَ ؟ قَالَتْ : « وَعَدْتُ مِنْ اللَّهِ نَزْلَ ، وَبَاطِلَ بَاطِلٍ ، وَنَكَالَ بَنَى نَكَلٍ ، فَيَغْيِرُكَ يَا عَمْرُو فليَكُنِ الشَّكْلُ ^(١) ، فَاَنْطَلِقْ عَمْرُو فَإِذَا الْجُرْذُ يَقْلَبُ بِرَجْلَيْهِ صَخْرَةً مَا يَقْلِبُهَا خَمْسُونَ رَجُلًا ، (كَذَا) فَرَجَعَ إِلَى طَرِيفَةٍ فَأَخْبَرَهَا الْخَبِيرُ وَهُوَ يَقُولُ :

أَبْصَرْتُ أَمْرًا عَادَنِي مِنْهُ أَلَمْ وَهَاجَ لِي مِنْ هَوْلِهِ بَرْحُ السَّقَمِ ^(٢)
 مِنْ جُرْذٍ كَفَحَلٍ خِنْزِيرِ الْأَجَمِ أَوْ كَبَشٍ صِرْمٍ مِنْ أَفَارِيقِ الْقَمِ ^(٣)
 يَسْتَحَبُّ صَخْرًا مِنْ جَلَامِيدِ الْعَرَمِ لَهُ مَخَالِيبُ وَأَنْيَابُ قُضْمٍ ^(٤)
 مَا فَاتَهُ سَحْلًا مِنَ الصَّخْرِ قُضْمٍ ^(٥)

فَقَالَتْ طَرِيفَةٌ : وَإِنْ مِنْ عِلَامَاتٍ مَا ذَكَرْتَ لَكَ أَنْ تَجْلِسَ فِتْأَسْرَ بِزَجَاجَةٍ فَتَوْضِعَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَإِنْ الرِّيحُ تَمْلُؤُهَا مِنْ تَرَابِ الْبَطْحَاءِ ^(٦) ، مِنْ سِهْلَةٍ ^(٧) الْوَادِي وَرَمَلِهِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْجِنَانَ مُظَلَّلَةٌ لَا يَدْخُلُهَا شَمْسٌ وَلَا رِيحٌ ، فَأَمْرُ عَمْرُو بِزَجَاجَةٍ فَوْضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَمْ يَمَكُثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى امْتَلَأَتْ مِنْ تَرَابِ الْبَطْحَاءِ ، فَأَخْبَرَ عَمْرُو طَرِيفَةً بِذَلِكَ وَقَالَ لَهَا : مَتَى يَكُونُ هَٰذَا السَّدُّ ؟ قَالَتْ لَهُ : فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سَبْعِ سَنِينَ . قَالَ : فَفِي أَيِّهَا يَكُونُ ؟ قَالَتْ : « لَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَوْ عَلِمَهُ أَحَدٌ لَعَلَّمْتُهُ ، وَلَا تَأْتِي عَلَى لَيْلَةٍ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَبْعِ السَّنِينَ إِلَّا ظَنَنْتُ الْمَلَائِكَةَ فِي غَدَا ، أَوْ فِي مَسَاءِهَا ، ثُمَّ رَأَى عَمْرُو فِي نَوْمِهِ سَيْلَ الْعَرَمِ ، وَقِيلَ لَهُ : آيَةٌ ذَلِكَ أَنَّ تَرَى الْحَصْبَاءَ فِي سَعَفِ النَّخْلِ ، فَفَنَظَرَ إِلَيْهَا ، فَوَجَدَ الْحَصْبَاءَ فِيهَا قَدْ

(١) الثَّكَلُ كَسَبَبٍ وَقَفْلٌ : الْمَوْتُ وَالْمَلَائِكَةُ .

(٢) الْبَرْحُ : الشَّدَّةُ . (٣) الْأَجَمُ جَمْعُ أَجْمَةٍ : وَهِيَ الشَّجَرَةُ الْكَثِيرُ الْمُلْتَفِّ ، وَالصَّرْمُ : الْجَمَاعَةُ وَالْفَرْقَةُ تَجْمَعُ عَلَى فَرْقٍ ، وَجَمْعُ الْجَمْعِ أَفْرَاقٌ ، وَجَمْعُ جَمْعِ الْجَمْعِ أَفَارِيقُ ، وَالْجَلَامِيدُ جَمْعُ جَلْمُودٍ كَصَفْوَرٍ : الصَّخْرَةُ . (٤) الْعَرَمُ : السَّدُّ يَعْتَرِضُ بِهِ الْوَادِي (وَمِنْ مَعَانِيهِ أَيْضًا الْمَطَرُ الشَّدِيدُ ، وَالْجُرْذُ ، وَوَادٍ جَاءَ السَّيْلُ مِنْ قَبْلِهِ) . (٥) سَحْلُهُ كَمَنْعٍ : قَشْرُهُ وَنَحْتُهُ ، وَقُضْمُهُ : كَسْرُهُ .

(٦) الْبَطْحَاءُ وَالْأَبْطَحُ : مَسِيلٌ وَاسِعٌ فِيهِ دِفَاقُ الْحَصَى . (٧) السَّهْلَةُ بِالْكَسْرِ : تَرَابٌ كَالرَّمْلِ يَحْيَى بِهِ الْمَاءُ ، وَأَرْضٌ سَهْلَةٌ كَفَرْحَةٍ : كَثِيرَتَا .

ظهرت ، فلم أن ذلك واقع ، وأن بلادهم مستخرّب ، فسكنم ذلك وأخفاء ، وأجمع على بيع كل شيء له بأرض مأرب^(١) وأن يخرج منها هو وولده^(٢) ، فخرج ثم أرسل الله تعالى على السد^(٣) السيل فهدمه . (شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص ٩٨)

* * *

(١) مأرب : مدينة باليمن ، وكانت في الزمان الأول قاعدة التبابعة ، وهي مدينة بلقيس ، بينها وبين صنعاء نحو أربع مراحل ، وتسمى سبأ باسم بانها سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .
(٢) وقد خشي أن يستنكر الناس عليه ذلك ، فأمر أحد أولاده إذا دعاه لما يدعوه إليه أن يتأني عليه ، وأن يفعل ذلك به في الملاء من الناس ، وإذا لطمه ، يرفع هو يده ويلطمه ، ثم صنع طعاما وبعث إلى أهل مأرب أن عمرا صنع يوم مجد وذكر ، فاحضروا طعامه . فلما جلس الناس للطعام جلس عنده ابنه الذي أمره بما أمر ؛ فجعل يأمره بأمور فيتأني عليه وينهاه فلا ينتهي ، فرفع عمرو يده فلطمه على وجهه فلطمه ابنه ؛ وكان اسمه ملكا ، فصاح عمرو واذلاه يوم فخر عمرو بهيجه صبي ويضرب وجهه ، وحلف ليقتله ، فلم يزالوا بعمرو يرغبون إليه حتى تركه ، فقال : والله لا أقيم بموضع صنع بي فيه هذا : ولا ييمن أموالى حتى لا يرث منها بعدى شيئا ، فقال الناس بعضهم لبعض : اغتصموا غضب عمرو واشتروا منه أمواله قبل أن يرضى فابتاع الناس منه كل أمواله التي بأرض مأرب ، وفشا بعض حديثه فيما بلغه من شأن سيل العرم ، فقام ناس من الأزدي فباعوا أموالهم ، فلما أكثروا البيع استنكر للناس ذلك فأمسكوا أيديهم عن الشراء ، ولما اجتمعت إلى عمرو أمواله أخبر الناس بشأن سيل العرم ، ولما خرج عمرو من اليمن خرج لخروجه منها بشر كثير ، فنزلوا أرض عك فحاربهم عك . فارتحلوا عنها ، ثم اصطلحوا ويقوا بها حتى مات عمرو بن عامر ، وتفرقوا على البلاد ، فذهب من صار إلى الشام ، وهم أولاد جفنة بن عمرو بن عامر ، ومنهم من صار إلى يثرب ، وهم ابنا قبيلة الأوس والخزرج ، وأبوهما حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وصارت أزد الشراة إلى أرض الشراة ؛ وأزد عمان إلى عمان ، وصار ملك ابن فهم إلى العراق ، ثم خرجت بعد عمرو بيسير من أرض اليمن طيى فزلت جبل طيى أجأ وسلمى ، ونزلت ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر تهامة ، وسموا خزاعة لانخراصهم من إخوانهم وتمزقوا في البلاد كل هزق .

(٣) كان السد فيما يذكر قد بناه لقمان الأكبر بن عاد ، وكان رصفه لحجارة السد بالرصاص والحديد ويقال إن الذي بناه كان من ملوك حير ، وذلك أن الماء كان يأتي أرض سبأ من الشجر وأودية الين ، فردموا ردما بين جبلين وحبسوا الماء ، وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض ، فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث ، فأخصبوا وكثرت أموالهم ، فلما كذبوا رسولهم أرسل الله عليهم سيل العرم

وقال أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني :

وسارت القبائل من أهل مأرب حين خافوا سيل العرم ، وعليهم مزيقياء ، ومعهم

طريقة الكاهنة ، فقالت لهم :

« لَا تَوُثُّوا مَكَّةَ حَتَّى أَقُولَ ، وَمَا عَلَّمَنِي مَا أَقُولُ إِلَّا الْحَكِيمُ الْمُحَكَّمُ ، رَبُّ

جَمِيعِ الْأُمَمِ ، مِنْ عَرَبٍ وَعَجَمٍ » قالوا لها : ما شأنك يا طريقة ؟ قالت : خذوا البعير

الشَّدَقَمَ ^(١) ، فخذضُّوه بالدم ، تَكُنْ لَكُمْ أَرْضُ جُرُومِ ^(٢) ، جيران بيته المُحَرَّمِ .

(الأغاني ١٣ : ١٠٥)

* * *

وروى الميداني في مجمع الأمثال قال :

« أَلْقَتْ طَرِيقَةُ الْكَاهِنَةِ إِلَى عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ الَّذِي يَقَالُ لَهُ مَزِيْقِيَا بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ ،

وكَانَتْ قَدْ رَأَتْ فِي كَهَانَتِهَا ^(٣) أَنَّ سَدَّ مَأْرِبٍ سَيَخْرُبُ ، وَأَنَّهُ سَيَأْتِي سَيْلُ الْعَرَمِ ، فَيُخْرَبُ

الْجَنْتَيْنِ ^(٤) ، فَبَاعَ عَمْرِو بْنُ عَامِرٍ أَمْوَالَهُ ، وَسَارَ هُوَ وَقَوْمُهُ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مَكَّةَ ، فَأَقَامُوا بِمَكَّةَ

وَمَا حَوْلَهَا ، فَأَصَابَتْهُمْ الْحُمَّى ، وَكَانُوا يَبْلُدُونَ فِيهِ مَا الْحُمَّى ، فَدَعَا طَرِيقَةُ فَشَكُوا

إِلَيْهَا الَّذِي أَصَابَهُمْ ، فَقَالَتْ لَهُمْ : قَدْ أَصَابَنِي الَّذِي تَشْكُونَ ، وَهُوَ مُفَرَّقٌ بَيْنَنَا . قَالُوا :

فَمَا تَأْمُرِينَ ؟ قَالَتْ :

(١) الواسع الشدق . (٢) وكانوا يسكنون مكة ، فأرسل إليهم عمرو أن افسحوا لنا في بلادكم

حتى نقيم قدر مانستريح ونرسل روادا إلى الشام وإلى الشرق ، فعيثا بلغنا أنه أمثل لحقنا به ، فأبت ذلك جهرهم إباء شديدا ، وقالوا : لا والله مانحجب أن ينزلوا فيضيقوا علينا مراتبنا ومواردنا ، وكانت الحرب بين

الفريقين ، وانهزمت جهرهم فلم يفلت منهم إلا الشريد .

(٣) كهن كهانة بالفتح فهو كاهن ، وحرفته الكهانة بالكسر .

(٤) قال تعالى : « لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ،

كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ » .

« من كان منكم ذا همٍّ بعيد ، وجَلٍّ شديد ، ومَزَاد^(١) جديد ، فليَلْحَقْ بقصر عمانَ المشيد^(٢) ، فكانت أزدُ عُمانَ ، ثم قالت : من كان منكم ذا جَلَدٍ وقَسَر^(٣) ، وصَبْرٍ على أزَمَاتِ الدهر ، فعليه بالأَرَاك^(٤) من بطنِ مُر^(٥) ، فكانت خُرَاعَة ، ثم قالت : من كان منكم يريد الراسياتِ في الوَحْل ، المَطْعِمَاتِ في الحَلِّ^(٦) ، فليَلْحَقْ بِثَرِبِ ذات النخل ، فكانت الأَوْسُ والخَزَرَج ، ثم قالت : من كان منكم يريد الخَمْرَ الخَمِير ، والملُكَ والتَّامِير ، وَيَلْبَسُ الدِّيَابَجَ والحَرِير ، فليَلْحَقْ بِبُصْرَى وَغَوِير ، (وهما من أرض الشام) ، فكان الذين سكنوها من آلِ جَفْنَة من غَسَّانَ ، ثم قالت : من كان منكم يد الثياب الرِّقَاقَ ، والخليل العِتَاقَ ، وكنوزَ الأرزاقِ ، والدِّمَّ المَهْرَاقَ ، فليَلْحَقْ بأَرْضِ العراقِ ، فكان الذين سكنوها آلَ جَذِيمة الأبرش ، ومن كان بالحيرة وآلِ مُحَرَّق^(٧) .
(مجمع الأمثال : ١ : ١٨٦)

٦٨ — حديث زبراء الكاهنة مع بني رثام من قضاة

كان ثلاثة أَبْطُنٍ من قُضَاةٍ بَحْتُورِينَ^(٨) بين الشَّخْرِ وَحَفَرِ مَوْتٍ : بنو نَاعِبٍ ، وبنو دَاهِنٍ ، وبنو رِثَامٍ وكانت بنو رثام أَقْلَهُمْ عَدَدًا ، وَأَشَجَّهُمْ لِقَاءً وكانت لبني رِثَامٍ عَجُوزٌ تسمى خُوَيْلَةَ ، وكانت لها أُمَةٌ من مُوَلَّدَاتِ العرب تسمى زَبْرَاءَ ، وكان يَدْخُلُ على خُوَيْلَةَ أربعون رجلاً ، كُلُّهُمْ لها مُحَرَّمٌ ، بنو إِخْوَةٍ وبنو أَخَوَاتٍ ، وكانت خُوَيْلَةُ عَقِيماً ، وكان بنو نَاعِبٍ ، وبنو دَاهِنٍ متظاهرين على بني رِثَامٍ ، فاجتمع بنو رِثَامِ ذات يوم في عُرْسٍ لهم ، وهم سبعون رجلاً ، كلهم شجاع بَيْثِيس^(٩) ، فَطَعِمُوا وأَقْبَلُوا على شَرَابِهِمْ ، وكانت

(١) المَزَاد والمَزَايِد جمع مَزَادَة : وهى الراوية . (٢) المشيد : المرفوع ، قال مسلم بن الوليد في رثاء يزيد بن يزيد : أما هدت لمصره نزار ؟ بلى ، وتَقَوَّضَ المجد المشيد .

(٣) قسره على الأمر : قهره . (٤) الأَرَاك : القِطْعَة من الأرض ، وموضع بمرقات ، وجبل بهذيل . (٥) مر بن أد بن طابخة . (٦) الحَل : الشدة والجذب . (٧) هو عمرو بن هند ، لأنه حرق مائة من بني تميم . (٨) متجاورين . (٩) البَيْثِيس : الشجاع ، من يؤس ككرم بأساً .

زبراء كاهنةً ، فقالت لخويلة : انطلقى بنا إلى قومكِ أَنْذِرْهُمْ ، فأقبلت خويلة تتوَكَّأ على زَبْرَاءَ ، فلما أبصرها القوم ، قاموا إجلالاً لها . فقالت : « يَا ثَمَرُ الْكَبَادِ ، وَأَنْدَادُ^(١) الأولاد ، وشَجَا^(٢) الحُسَادِ ، هذه زَبْرَاءُ ، تخبركم عن أنبياء ، قبل انْجِسَارِ الظَّلَمَاءِ ، بالمؤْيِدِ^(٣) الشَّنْعَاءِ ، فاسمعوا ما تقول » . قالوا : وما تقولين يا زبراء ؟ قالت :
« وَاللُّوحِ^(٤) الْخَافِي ، وَاللَّيْلِ الْغَاسِقِ^(٥) ، وَالصَّبَّاحِ الشَّارِقِ ، وَالنَّجْمِ الطَّارِقِ^(٦) ، وَالزُّنِ الْوَادِقِ^(٧) ، إِنْ شَجَرَ الْوَادِي لَيَأْدُو خَتْلًا^(٨) ، وَيَخْرُمُقِي أَنْيَابًا عُصْلًا^(٩) ، وَإِنْ صَخَرَ الطَّوْدُ لَيُنْذِرُ تُسْكَلًا^(١٠) ، لَا تَجِدُونَ عَنْهُ مَعْلًا^(١١) » .
فوافقت قومًا أَشَارَى^(١٢) سُكَارَى ، فقالوا : « رِيحٌ خَجُوجٌ^(١٣) ، بَعِيدَةٌ مَا بَيْنَ الْفُرُوجِ ، أَنْتَ زَبْرَاءُ بِالْأَبْلَقِ النَّتُوجِ^(١٤) » .
فقالت زبراء : « مَهْلًا يَا بَنِي الْأَعِزَّةِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَشْمُ ذَفَرَ^(١٥) الرِّجَالِ تَحْتَ الْحَدِيدِ »

(١) أنداد : جمع ند بالكسر ، وهو المثل والنظير . (٢) الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه . (٣) المؤيد : الداهية والأمر العظيم . (٤) اللوح بالضم والفتح (والضم أعلى) : الهواء بين السماء والأرض . (٥) غسق الليل كجلس : اشتدت ظلمته . (٦) الطارق : في الأصل ، كل من أتى ليلاً ، ثم استعمل في النجوم لطلوعها ليلاً . (٧) المزن : السحاب أو أبيضه أو ذو الماء ، والوادي من ودق المطر كوعد : قطر . (٨) أدوت له آدو أدوا إذا ختلته وخدعته (ودأيت له ، ودألت له أيضا) والختل : الخدع . (٩) حرق أنيابه : إذا حك بعضها ببعض ، والعرب تقول عند الغضب يفضبه الرجل على صاحبه : « هو يحرق على الأرم » والأرم كسكر : الأضراس ، والعصل : المعوجة جمع أعصل . (١٠) الطود : الجبل ، والفكل : اللفقد . (١١) المحل : المنجى .
(١٢) الأشر محرقة : المرح . (١٣) الخجوج : السريعة المر .

(١٤) الأبلق : وصف من البلق محرقة ، وهو ارتفاع البياض في قوائم الفرس إلى الفخذين ، والأبلق لا يكون نتوجا ، والعرب تضرب هذا مثلا للشيء الذي لا ينال ، تقول « طلب الأبلق العقوق » ، فلما فاتهُ أراد ببيض الأنوق « والعقوق كصبور : الحامل ، والأنوق كصبور أيضا : الذكر من الرخم ولا يبيض له ، هذا قول بعض اللغويين . فالمنى أنه طلب مالا يمكن ، فلما لم يجد طلب أيضا مالا يكون ولا يوجد ، وعامتهم يقولون : الأنوق الرخمة وهي تبيض في مكان لا يوصل فيه إلى بياضها إلا بعد عناء . فالمنى أنه طلب مالا يقدر عليه ، فلما لم ينله طلب ما يجوز أن يناله . (١٥) الذفر : حمة الريح ، يكون في التَّن والطيب (والذفر لا يكون إلا في التَّن) .

فقال لها فتى منهم يقال له هَذِيلُ بن مُنْقِذٍ : « يَا خَذَاقِ ^(١) ، والله ما تَسْمِينُ إِلَّا ذَفَرَ إِبْطِيكَ » فانصرفت عنهم وارتاب قوم من ذوى أَسَنَانِهِمْ ، فانصرف منهم أربعون رجلاً ، وبقي ثلاثون ، فَرَقَدُوا فِي مَشَرَبِهِمْ ، وَطَرَقَهُمْ بَنُو دَاهِنَ وَبَنُو نَاعِبَ ، ففقتلوهم أجمعين ، وأقبلت خُوَيْلَةُ مع الصبح ، فوفقت على مصارعهم ، ثم عَمَدَتْ إِلَى خَنَاصِرِهِمْ ، فَقَطَعَتْهَا وَانْتَظَمَتْ مِنْهَا قِلَادَةً ، وَأَلْقَتْهَا فِي عُنُقِهَا ، وَخَرَجَتْ حَتَّى لَحِقَتْ بِمَرْضَاوِي بْنِ سَعُوَةَ الْمَهْرِيِّ ، وَهُوَ ابْنُ أَخْتِهَا فَأَنَاخَتْ بِفَنَائِهِ ، فَاسْتَعَدَّتْهُ عَلَى بَنِي دَاهِنَ وَبَنِي نَاعِبَ ، فَخَرَجَ فِي مَنَسِيرٍ ^(٢) مِنْ قَوْمِهِ ، فَطَرَقَهُمْ فَأَوْجَعَ فِيهِمْ .

(الأمال ١ : ١٢٦)

٦٩ - كَاهِنَةُ ذِي الْخَلِصَةِ تَتَكَهَّنُ بِمَا فِي بَطْنِ رُقِيَّةَ بِنْتِ جِشَمٍ

زَعَمُوا أَنَّ رُقِيَّةَ بِنْتَ جِشَمٍ بن معاوية ولدت مُمَيَّزًا وَهَلَالًا وَسَوَاءً ، ثُمَّ اعْتَاطَتْ ^(٣) فَأَتَتْ كَاهِنَةَ بَذَى الْخَلِصَةِ ^(٤) ، فَأَرَتْهَا بَطْنَهَا ، وَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ وَلَدْتُ ثُمَّ أُعْتِطْتُ ، فَفَطَرْتُ إِلَيْهَا وَمَسَّتْ بَطْنَهَا ، وَقَالَتْ :

« رَبِّ قَبَائِلَ فِرْقِي ، وَبَجَالِسَ حِلْقِي ، وَظُنُنْ ^(٥) حَزُونِي ^(٦) ، فِي بَطْنِكَ رُقِيَّةٌ ^(٧) . »

(١) خَذَاق : كناية عما يخرج من الانسان ، يقال : خنق ومزق وزرق .

(٢) المنسر من الخيل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، أو من الأربعين إلى الخمسين ، أو إلى الستين

أو المائة إلى المائتين ، وقطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير .

(٣) اعتاطت المرأة : لم تحمل سنين من غير عقر . (٤) ذو الخلصة محرقة وبضمتين : بيت كان

يدعى للكعبة البانية للضم ، كان فيه صنم اسمه الخلصة . (٥) الظنن والظلمات جمع ظلمة : وهي الهودج سواء كان فيه امرأة أم لا ، والمرأة مادامت في الهودج ، ويقال ، الظلمة في الأصل وصف للمرأة في هودجها ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت في بيتها ، لأنها تصير مظلومة (أي يظلم بها زوجها ، فهي فعيلة بمعنى مفعولة) . (٦) الحزق والحزقة (بكسر الحاء) والحازقة والحزيق والحزيقة والحزاقة (بالفتح) الجماعة ، والجمع حزائق وحزيق وحزق (بضمين) . (٧) أي وضع وأصل الزق : رمى الطائر بذرقه ، والمضى :

رب جنين تتشعب منه قبائل متفرقة ، ويتناسل منه ذكران يتعلقون في المجالس والأندية وجهايات من النسوة قد أودع بطنك .

فلما نَحَضَّتْ^(١) بربيعة بن عامر^(٢) ، قالت : إني أعرف ضَرْطِي بهلال ، « أى هو غلام ، كما أن هلالاً كان غلاماً » .
(مجمع الأمثال ١ : ٣٢١)

٧٠ - رأى سلمى الهمدانية فى حريم المرادى

أغار رجل من « مُرَادٍ » يقال له « حَرِيم » على إبل عمرو بن بَرَّاقَة الهمدانيّ وخيل له ، فذهب بها ، فأتى عمرو سلمى الهمدانية ، وكانت بنت سيّدِهِمْ ، وعن رأيها كانوا يَصْدُرُون ، فأخبرها أن حريماً المرادى أغار على إبله وخيله ، فقالت : « وَالْخَفَوِ وَالْوَمِيضِ^(٣) ، وَالشَّقَقِ كَالْأَحْرِيزِ^(٤) ، وَالْقَلَّةِ وَالْخَضِيضِ^(٥) ، إن حريماً لمَنيعُ الْحِيزِ^(٦) ، سَيِّدُ مَزِيرِ^(٧) ذُو مَعْقِلٍ حَرِيْز ، غَيْرَ أَنِي أَرَى الْحِمَّةَ^(٨) سَتَظْفَرُ مِنْهُ بِعَثْرَةٍ ، بِطَيْئَةِ الْجَبْرَةِ ، فَأَغِرْ وَلَا تُنْكَعْ^(٩) » فأغار عمرو ، فاستاق كلَّ شَيْءٍ له ، فأتى حريم بعد ذلك يطلب إلى عمرو أن يرد عليه بعض ما أخذ منه ، فامتنع وَرَجَعَ حريم .

(الأمالى ٢ : ١٢٣)

(١) نَحَضَّتْ كسبح ومنع وعنى : أخذها الطلق .

(٢) هو ربيعة بن عامر بن صمصمة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة

ابن قيس بن عيلان بن مضر ومن نسله بنو كلاب بن ربيعة بن عامر وبنو جعفر بن كلاب بن ربيعة .

(٣) الخفو : اللعان الضعيف ، والوميض : أشد من الخفو . (٤) الاحريض : العنصر .

(٥) القلة : أعلى الرأس والجبل وكل شَيْء ، والخضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل .

(٦) الناحية . (٧) مزير : فاضل ، من قولهم هذا أَمَز من هذا أى أفضل منه .

(٨) الحمّة : القدر (محرّكة) ، وقيل هى واحد الحمام (بالكسر) .

(٩) نكعه عن الأمر (كنعه) رده ودفعه .

٧١ - تنافر العجفاء بنت علقمة وصواحباتها إلى الكاهنة السعدية

روى أن العجفاء بنت علقمة السعدية ، وثلاث نسوة من قومها ، خرجن فاتخذن بروضة يتحدثن فيها ، قوافين بها ليلاً في قر زاهر ، وليلة طُلقة ساكنة ، وروضة مُنشِبة خِصبة ، فلما جلسن قلن : ما رأينا كالليلة ليلةً ، ولا كهذه الروضة روضةً أطيبَ ريحاً ولا أنضر ، ثم أفضنَ في الحديث ، فقلن : أيُّ النساء أفضل ؟ قالت إحداهن : الخُرود^(١) الوُدود الوُلود . قالت الأخرى : خيرهن ذات العَناء^(٢) ، وطيبِ الثناء ، وشدة الحياء . قالت الثالثة : خيرهن السَّموع الجموع ، النَّفوع غير المنوع . قالت الرابعة : خيرهن الجامعة لأهلها ، الوادعة الرافعة ، لا الواضعة . قلن : فأى الرجال أفضل ؟ قالت إحداهن : خَيْرُهُم الحَظ^(٣) الرِّضَى ، غير الحَظِل^(٤) البَطِي . قالت الثانية : خيرهم السيد الكريم ، ذو الحَسَبِ العميم ، والجِدِّ القَدِيم . قالت الثالثة : خيرهم السَّخِي ، الوَفَى الرِّضَى ، الذى لَا يُغَيِّر^(٥) الحرَّة ، ولا يتخذ الضَّرَّة . قالت الرابعة : وأبيكن ، إن في أبي لَنَفْتَكُن ، كَرَمِ الأخلاق ، والصدق عند التَّلَاق ، والقَنَاج^(٦) عند السَّبَاق ، ويحمده أهل الرفاق . قالت العجفاء عند ذلك : كل فتاة بأبيها مُعْجِبة .

وفي بعض الروايات أن إحداهن قالت : إن أبى يُكْرَمُ الجار ، ويُعْظَمُ الخِطَار^(٧) ، وينَحَرُ العِشَار^(٨) ، بعد الحُورِ^(٩) ، ويَحْمِلُ الأمور الكبار ، ويَأْنف من الصغار ، فقالت

(١) الخرود والخريد والخريدة : الحية الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة .

(٢) الكفاية والمنفعة . (٣) الحظي : ذو الخطوة والمكانة عند روجه ، والحظية كذلك .

(٤) رجل حظل ككتف وشداد وصبور : مقتر يحاسب أهله بما ينفق عليهم ، وفي مجمع الأمثال

« غير الحظال ، ولا التبال » والتبال بالتشديد من التبل (يفتح فكون) وهو الحقد .

(٥) أغار امرأته : تزوج عليها . (٦) الفوز والظفر .

(٧) الخطار جمع خطر كسبب وهو السبق يتراهن عليه . (٨) المشار جمع عشراء كنفساء وهي

من النوق التي مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية . (٩) الحوار بالضم وقد يكرس : ولد الناقة ساعة تضعه أو إلى أن يفصل عن أمه .

الثانية : إن أبي عظيم الخطر ، منيع الوزر^(١) ، عزيز النفر ، يُحمد منه الوزر والصدر ،
فقلت الثالثة : إن أبي صدوق اللسان ، حديد الجنان ، رذوم^(٢) الجفان ، كثير
الأعوان ، يُروى السنان ، عند الطعان ، قالت الرابعة : إن أبي كريم النزال ، مُنيف
المقال ، كثير النوال ، قليل السؤال ، كريم الفعل .

ثم تنافرن إلى كاهنة معهن في الحى ، فقلن لها : اسمعى ما قلنا ، واحكى بيننا واغدىلى ،
ثم أعدن عليها قولهن ، فقلت لهن : « كل واحدة منكن ماردة^(٣) ، بأبيها واجدة^(٤) ،
على الإحسان جاهدة ، لصواحبها حاسدة ، ولكن اسمعن قولى : خيرُ النساء المُبقية
على بعلها ، الصابرة على الضراء مخافة أن ترجع إلى أهلها مُطلقة ، فهى تؤثر حظ زوجها
على حظ نفسها ، فتلك الكريمة الكاملة ، وخير الرجال الجوادُ البطل ، القليل الفشل ،
إذا سأل الرجل ، ألفاه قليل العِلل ، كثير النفل^(٥) » ، ثم قالت : كل واحدة منكن
بأبيها مُعجبة .

(مجمع الأمثال ٢ : ٥٤ وجمهرة الأمثال ٢ : ١٣٣)

٧٢ - عفيراء الكاهنة تعبر رؤيا مرثد بن عبد كلال

روى أن مرثد بن عبد كلال قفل من غزاة غزاها بغنائم عظيمة ، فوفد عليه زعماء
العرب وشعراؤها وخطباؤها يهنئونه ، ورفع الحجاب عن الوافدين ، وأوسعهم عطاء ،
واشتد سروره بهم ، فبينما هو كذلك إذ نام يوماً فرأى رؤيا فى المنام أخافته وأذعرته
وهالته فى حال منامه ، فلما انتبه أنسبها حتى لم يذكر منها شيئاً ، وثبت ارتياعه فى نفسه
بها ، فانقلب سروره حزناً ، واحتجب عن الوفود حتى أساءوا به الظن ، ثم إنه حشر
الكهَّان فجعل يخلو بكاهن بكاهن ، ثم يقول له : أخبرنى عما أريد أن أسألك عنه ،

(١) الوزر : الملجأ . (٢) الرذوم : القصة الممتلئة تنصبب جوانبها .

(٣) أى قد بلغت الغاية . (٤) وجد به (بالكسر) أحبه . (٥) النفل : الهبة .

فيجيبه الكاهن بأن لا علم عندي ، حتى لم يدع كاهناً عليه إلا كان إليه منه ذلك ، فتضاعف قلقه ، وطال أرقه ، وكانت أمه قد تكهنت ، فقالت له : أبيت اللعن أيها الملك ، إن الكواهن أهدى إلى ما تسأل عنه ، لأن أتباع الكواهن من الجان ، أطف وأظرف من أتباع الكهّان ، فأمر بحشر الكواهن إليه ، وسألهم كما سأل الكهّان ، فلم يجد عند واحدة منهم علماً بما أراد علمه ، ولما يئس من طلبته سلاً عنها ، ثم إنه بعد ذلك ذهب يتصيد ، فأوغل في طلب الصيد ، وانفرد عن أصحابه ، فرفعت له آيات من ذراً^(١) جبل ، وكان قد لَفَحَهُ الهجير ، فعَدَلَ إلى الآيات ، وقصد بيتاً منها كان منفرداً عنها ، فبرزت إليه منه عجوز ، فقالت له : أنزل بالرحب والسعة ، والأمن والدعة ، والجفنة المددعة^(٢) ، والملمبة المترعة^(٣) ، فنزل عن جواده ، ودخل البيت ، فلما احتجب عن الشمس ، وخفقت عليه الأرواح^(٤) ، نام فلم يستيقظ حتى تصبّر الهجير ، فجلس يمسح عينيه ، فإذا هو بين يديه فتاة لم يرها قوَّماً ولا جمالا ، فقالت : « أبيت الأمن أيها الملك الهمام ! هل لك في الطعام ؟ » فاشتد إشفاقه وخاف على نفسه كما رأى أنها عرفته ، وتصام عن كلماتها ، فقالت له : « لا حذر ، فذاك البشر ، فجدك الأكبر ، وحظنا بك الأوفر » . ثم قربت إليه ثريداً وقديداً وخينساً^(٥) ، وقامت تذبُّ عنه ، حتى انتهى أكله ، ثم سقته لبناً صريفاً وضريباً^(٦) ، فمرب ما شاء ، وجعل يتأملها مُقْبِلَةً ومُدْبِرَةً ، فلأت عينيه حسناً ، وقلبه هوَّي ، فقال لها : ما اسمك يا جارية ؟ قالت : اسمي عَفِيرَاء ، فقال لها : يا عفراء ، من الذي دَعَوْتِه بالملك الهمام ؟ قالت : « مرثد العظيم الشَّان ، حاشِر الكواهن والكهّان ، لِمُعْضِلَةِ بُعد عنها الجان » ، فقال يا عفراء :

(١) أي في كنفه وستره . (٢) الجفنة : القصعة ، والمددعة : التي ملئت بقوة ثم حركت حتى تراص ما فيها ، ثم ملئت بعد ذلك . (٣) العلبة : قدح ضخم من جلود الإبل أو من خشب يحلب فيها ، والمترعة : المملوءة . (٤) الأرواح ، والرياح جمع ريح . (٥) القديد : اللحم المقدد ، أو ما قطع منه طولاً ، والحيس : تمر يخلط بسمن وأقط ، فيمجن شديداً ثم يندر منه نواه (والأقط شيء يتخذ من المخيض الغني) . (٦) الصريف : اللبن ساعة حلب ، والضريب : اللبن يحلب من عدة لقاح في إناء .

أتعلمين تلك العضلة؟ قالت: «أجل أيها الملك، إنها رؤيا متنام، ليست بأضغاث»^(١)
 أحلام». قال الملك: أصبت يا عفراء، فما تلك الرؤيا؟ قالت: «رأيت أعاصير»^(٢) زوابع
 بعضها لبعض تابع، فيها لهب لاعم، ولها دُخان ساطع، يَقْفُوها نهر مُتَدَاْفِع، وسمعت
 فيما أنت سامع، دُعاء ذى جرسٍ^(٣) صَادِعٍ: هَلُمُّوا إِلَى الْمَشَارِعِ^(٤)، فَرَوَى جَارِعٌ^(٥)،
 وَغَرِقَ كَارِعٌ^(٦) فقال الملك: أَجَلٌ، هذه رؤياي، فما تأويلها يا عفراء؟ قالت:
 «الأعاصير الزوابع، ملوكٌ تَبَاجِعُ»^(٧)، والنهر علم واسع، والداعي نبيٌ شافع، والجارع
 وَلِيٌّ تَابِعٌ، والكارِعُ عدوٌّ منازع». فقال الملك: يا عفراء، أَسْلِمَ هذا النبي أم حرب؟
 فقالت: «أَقْسِمُ بِرَافِعِ السَّمَاءِ، وَمُنْزِلِ الْمَاءِ مِنَ الْعَمَاءِ»^(٨)، إِنَّهُ لِمُطِلُّ الدَّمَاءِ»^(٩)، وَمُنْطَقُ
 الْعَقَائِلِ نُطْقَ الْإِمَاءِ»^(١٠). فقال الملك: إلام يدعو يا عفراء؟ قالت: «إلى صلاة
 وصيام، وَصَلَةِ أَرْحَامٍ، وَكَسْرِ أَصْنَامٍ: وَتَعْطِيلِ أَزْلَامٍ»^(١١)، واجتناب آثام» فقال الملك:

(١) أضغاث أحلام: رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها. (٢) الأعاصير جمع إعصار وهو
 الريح التي تهب من الأرض كالعمود نحو السماء، أو التي فيها العصار بالكسر وهو الغبار الشديد.

(٣) الجرس: الصوت. (٤) المشارع جمع مشرعة وهي مورد الشاربة. (٥) جارع: فاعل
 من جرع الماء كسمع ومنع إذا بلعه. (٦) كارع فاعل من كرع في الماء كسمع ومنع تناوله بفيه من
 موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بآناه. (٧) التبايع جمع تبع كسكر: ملوك الهين.

(٨) العماء: السحاب الكثيف. (٩) انظر قوله عليه الصلاة والسلام في خطبته في حجة الوداع
 «وإن دماء الجاهلية موضوعة». (١٠) العقائل: كرائم النساء جمع عقيلة، والنطق جمع نطق ككتاب
 والنطاق والمنطقة: ما تشد به المرأة وسطها للمهنة، ونطقها تنطقا: ألپسها النطاق فتنطقت وانتطقت
 ومنطق النساء أى يسبين فيشددن للنطق على أوساطهن للخدمة كالإماء. (١١) الأزلام جمع زلم كسيب
 قدام كان العرب يستقسمون بها في الجاهلية (أى يطلبون معرفة ما قم لهم) وذلك أنهم كانوا إذا قصدوا
 فعلا من تجارة أو سفر أجالوا ثلاثة قدام (القداح جمع قدح بالكسر وهو السهم قبل أن يراش) وكانت
 عند أصنامهم، أحدها مكتوب عليه: أمرني ربى، والثاني: نهاني ربى، والثالث: غفل، فإن خرج
 الأول مضوا في الأمر، أو الثاني أحجموا عنه، أو الثالث أجالوها ثانية حتى يخرج أحد الأولين.

يا عفيراء ، إذا ذَبَحَ قَوْمَهُ فَمِنْ أَعْضَادِهِ^(١) ؟ قالت : أَعْضَادُهُ غَطَارِيفُ^(٢) يَمَانُونَ ، طَأْثَرُهُمْ بِهِ مَيِّمُونَ ، يُغْزِيهِمْ قَيْغَزُونَ ، وَيُدْمِثُ^(٣) بِهِمُ الْحَزُونَ ، وَإِلَى نَصْرِهِ يَغْتَزُونَ .
فَأَطْرَقَ الْمَلِكُ يُؤَامِرُ^(٤) نَفْسَهُ فِي خِطْبَتِهَا ، فَقَالَتْ : « أَيْتَ اللَّعْنِ أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنْ تَابَعِيَ غَيَّورٌ ، وَلَأَمْرِي صَبُورٌ ، وَنَا كَحَى مَثْبُورٌ ، وَالْكَلْفُ بِي ثُبُورٌ^(٥) » . فَهَضَّ الْمَلِكُ وَجَالَ فِي صَهْوَةٍ^(٦) جَوَادِهِ ، وَانْطَلَقَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا بِمَائَةِ نَاقَةٍ كَوْمَاءَ^(٧) .

(بلوغ الأرب ٣ : ٢٩٦)

-
- (١) الأعضاد : الأنصار جمع عضد ، والذبح معروف ، والمراد هنا إذا قطعوه وتركوا نصرته .
(٢) الغطاريف جمع غطريف وهو السيد الشريف . (٣) يسهل ، والحزون جمع حزن كشمس وهو ما غلظ من الأرض . (٤) يشاور . (٥) الثبور : الهلاك . (٦) الصهوة : مقعد الفارس من ظهر فرسه . (٧) الكوماء : الناقة العظيمة السنام .

الوصايا

٧٣ - وصية أوس بن حارثة لابنه مالك

عاش الأوس بن حارثة دهرًا ، وليس له ولد إلا مالك ؛ وكان لأخيه الخزرج خمسة : عمرو ، وعوف ، وجُشَم ، والحرث ، وكعب . فلما حضره الموت ، قال له قومه : قد كنا نأمرُكَ بالتزويج في شبابك ، فلم تَزَوِّجْ حتى حضرَكَ الموت ، فقال الأوس : « لم يَهْلِكْ هالك ، تركَ مثْلَ مالك ، وإن كان الخزرج ذا عدد ، وليس لمالك ولد ، فلعلَّ الذي استخرج العَذْقَ ^(١) من الجرِيمة ^(٢) ، والنار من الوِثِمة ^(٣) ، أن يجعل لمالك نسلا ، ورجالا بُسْلا ^(٤) ، يا مالك ، المَنِيَّةُ ولا الدَنِيَّةُ ، والعتاب قبل العقاب ، والتجُلُّد لا التبلد ، وأعلم أن القبر خير من الفقر ، وَشَرُّ شَارِبِ المَشْتَفِ ^(٥) ، وأقبح طَاعِمِ المُقْتِفِ ^(٦) ، ودهاب البصر خير من كثير من النظر ، ومن كرم الكريم ، الدفاع عن الحريم ، وَمَنْ قَلَّ ذَلٌّ ، وَمَنْ أَمِرَ ^(٧) قَلَّ ، وخير الغنى القناعة ، وشَرُّ الفقر الضراعة ، والدهر يومان ، فيوم

(١) العَذْق : النخلة يحملها والعَذْق (بكسر العين) القنومنها . (٢) النواة .

(٣) الوِثِمة : الحجارة ، وثمة : كسره ودقه . ووثم الفرس الأرض : ربحها بخوافره . ومن أيمان العرب لا والذي أخرج العَذْق من الجرِيمة . والنار من الوِثِمة ، وقولهم : لا والذي شقهن خمسا من واحدة يعنون الأصابع ، وقولهم : لا والذي أخرج قاذبة من قوب يعنون فرخا من بيضة . لا والذي وجهي زعم بيته (بالتحريك) أى قصده وحذاه . (٤) شجعانا : جمع باسل .

(٥) المَشْتَقَى ، اشتف ما في الإناء شربه كله . واشتف إذا شرب الشفافة (بالضم) ، وهى البقية

تبقى في الإناء . (٦) الآخذ بمجلة ، ومنه سعى القفاف وهو من يسرق الدراهم بين أصابعه .

(٧) أمر كفرح أمرا وأمرة : كثروتم فهو أمر وأمره الله وأمره كمنصره كثره : (وإذا أردنا أن

هلك قرية أمرنا مترفها) . أى كثرتنا .

لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر، فكلأها سَيْنَحَسِر^(١)،
فإنما تَعَزُّ^(٢) من ترى ويعزك من لا ترى، ولو كان الموت يُشْتَرَى، لسلم منه أهل الدنيا،
ولسكن الناس فيه مستوون، الشريف الأبلج، واللَّيِّم المَعْلَهَج^(٣)، وَالْمَوْتُ الْمُفِيتُ،
خير من أن يقال لك هَبَيْت^(٤)، وكيف بالسلامة، لمن ليست له إقامة، وثمرٌ من المصيبة
سوء الخلف، وكل مجموع إلى تلف، حَيَّاكَ إِلَهك.

(الأمالي ١ : ١٠٢، وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٤)

٧٤ - وصية ذي الإصبع العدو أنى لا بنه أسيد

لما أُحْتُضِر^(٥) ذو الإصبع دعا ابنه أسيداً، فقال له : يا بني إن أباك قد فنى وهو
حى، وعاش حتى سَمَّ العيش، وإنى موصيك بما إن حفظته بَلَّغْتَ فى قومك ما بلغته،
فاحفظ عني. أَلِنْ جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وَأَبْسُطْ لهم وجهك
يطيعوك، وَلَا تَسْتَأْثِرْ عليهم بشيء يسودوك، وأكرم صفارهم كما تكرم كبارهم،
يُكْرِمُكَ كبارهم، وَيَكْبُرْ على مودتك صفارهم، واسمح بمالك، وَأَحْمِرْ حَرِيمَكَ،
وَأَعَزِّزْ جارك، وَأَعِنْ مَنْ أَسْتَعَانَ بك، وأكرم ضيفك، وأسرع النهضة فى الصريخ^(٦)،
فإن لك أَجْلاً لَا يَمْدُوكَ، وَصُنْ وجهك عن مسألة أحد شيئاً، فبذلك يتم سُودُوكَ.

(الأغاني ٣ : ٦)

(١) ينكشف . (٢) تغلب . عزه يعزه كتنصره عزا، وعزير كضرب عزا وعزة صار عزيزاً .

(٣) المتناهى فى الدناءة والألوم . (٤) الأحمق الضعيف . (٥) حضره الموت .

(٦) أى فى وقت الصريخ وهو نداء المستغيث .

٧٥ - وصية عمرو بن كلثوم لبنيه

أوصى عمرو بن كلثوم التَّغْلَبِيَّ ، فقال : يَا بَنِيَّ إِنِّي قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْعَمْرِ مَا لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي وَأَجْدَادِي ، وَلَا بَدٌّ مِنْ أَمْرِ مُقْتَبِلٍ ، وَأَنْ يَنْزِلَ بِي مَا نَزَلَ بِالْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ، وَالْأُمَمَاتِ وَالْأَوْلَادِ ، فَاحْفَظُوا عَنِّي مَا أُوصِيكُمْ بِهِ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا عَيَّرْتُ رَجُلًا قَطُّ أَمْرًا إِلَّا عَيَّرَ بِي مِثْلَهُ ، إِنْ حَقَّ فَقَطًّا ، وَإِنْ بَاطَلَ فَبَاطِلًا ، وَمَنْ سَبَّ سُبًّا ، فَكَفُّوا عَنِ الشَّتْمِ فَإِنَّهُ أَسْلَمَ لِأَعْرَاضِكُمْ ، وَصَلَوْا أَرْحَامَكُمْ ، تَعَمَّرُوا دَارَكُمْ ، وَأَكْرَمُوا جَارَكُمْ يَحْسُنْ ثَنَاؤُكُمْ ، وَزَوَّجُوا بَنَاتَ الْعَمِّ بَنِي الْعَمِّ ، فَإِنْ تَعَدَّيْتُمْ بِهِنَ إِلَى الْغُرَبَاءِ ، فَلَا تَأْتُوا بِهِنَ إِلَّا كَفَاءً ، وَأَبْعَدُوا بَيُوتَ النِّسَاءِ مِنْ بَيُوتِ الرِّجَالِ ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ ، لَوْ أَعَفْتُ لِلذِّكْرِ ، وَمَتَى كَانَتْ الْمَعَايِنَةُ وَاللِّقَاءُ ، فِي ذَلِكَ دَاءٌ مِنَ الْأَدْوَاءِ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَغَارُ لَغَيْرِهِ ، كَمَا يَغَارُ لِنَفْسِهِ ، وَقُلَّ مَنْ أَنْتَهَكَ حَرَمَةَ لَغَيْرِهِ إِلَّا أَنْتَهَيْتَ حَرَمَتَهُ ، وَأَمْنَعُوا الْقَرِيبَ مِنْ ظُلْمِ الْغَرِيبِ ، فَإِنَّكَ تَذِلُّ عَلَى قَرِيبِكَ ، وَلَا يَحِلُّ بِكَ ذُلُّ غَرِيبِكَ ، وَإِذَا تَنَازَعْتُمْ فِي الدِّمَاءِ فَلَا يَكُنْ حَقُّكُمْ لِلْقَاءِ ، فَرُبَّ رَجُلٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ ، وَوَدَّ خَيْرٌ مِنْ خَلْفٍ ، وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فَعَوًا ، وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فَأَوْجُزُوا ، فَإِنْ مَعَ الْإِكْثَارِ يَكُونُ الْإِهْذَارُ ^(١) ، وَمَوْتُ عَاجِلٍ خَيْرٌ مِنْ ضَنْئِ آجِلٍ ، وَمَا بَكَيْتَ مِنْ زَمَانٍ إِلَّا دَهَانِي بَعْدَهُ زَمَانٌ ، وَرَبَّمَا شَجَانِي مَنْ لَمْ يَكُنْ أَمْرُهُ عَنَانِي ، وَمَا عَجَبْتُ مِنْ أَحْدُوثة إِلَّا رَأَيْتُ بَعْدَهَا أُعْجُوبَةً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَشْجَعَ الْقَوْمِ الْعَطُوفُ ، وَخَيْرُ الْمَوْتِ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيُوفِ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا رُويَةَ لَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَلَا فِيمَنْ إِذَا عُوْتِبَ لَمْ يُعْتَبَ ^(٢) ، وَمَنْ النَّاسُ مِنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ ، وَلَا يَخَافُ شَرُّهُ ، فَبَكُوْهُ ^(٣) خَيْرٌ مِنْ دَرِّهِ ، وَعَقُوقُهُ خَيْرٌ مِنْ بَرِّهِ ، وَلَا تُبَرِّحُوا فِي حَبْكُمُ ، فَإِنَّهُ مِنْ بَرَّحٍ فِي حَبٍّ ، آلَ

(١) أهذر : هذى . (٢) لم يرض . (٣) بكأت الناقة بكنا قل لبنيها .

ذلك إلى قبيح بفض ، وكم قد زارني إنسان وزرته ، فانقلب الدهر بنا فَبَرَّتْهُ^(١) ، واعلموا أن الحكيم سليم ، وأن السيف كلیم ، إني لم أمت ولكن هَرِمْتُ ، ودخلتني ذلة فسكت ، وضعف قلبي فَأَهْتَرْتُ^(٢) ، سلمكم ربكم وحياءكم .

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٥ والأغانى ٩ : ١٧٨)

٧٦ - وصية الحرث بن كعب لبنيه

وأوصى الحرث بن كعب بنيه فقال :

« يَا بَنِيَّ قَدْ أَنتَ عَلَى مائة وستون سنة ، ما صاغت يميني يمين غادر ، ولا قَعِيتَ لنفسِي مِخْلَةً^(٣) فاجر ، ولا صَبَوْتُ بَابَنَةَ عم ولا كَنَّةً^(٤) ، ولا بُحْتُ لصديق بسرٍّ ، ولا طَرَحْتُ عن مومسة قِنَاعًا ، ولا بقي على دين عيسى بن مريم - وروى : على دين شعيب - من العرب غیری وغير تميم بن مرة ، وأسد بن خُزَيْمَةَ ، فموتوا على شريعتي ، واحفظوا وصيتي ، وإلهكم فاتقوا ، يَكْفِيكُمْ مَا أَهَمَّكُمْ ، ويصلح لكم حالكم ، وإيَّاكم ومعصيته ، فَيُحِلَّ بكم الدَّمَارَ ، وَبُوحَشَ مِنْكُمْ الدِّيارَ . كونوا جميعاً ولا تفرّقوا ، فتكونوا شَيعَةً ، وَبُزُّوا قبل^(٥) أَنْ تُبَزُّوا ، فموت في عزٍّ خير من حياة في ذلٍّ وعجز ، وكل ما هو كائن كائن ، وكل جمع إلى تباین ، والدهر ضربان ، ضرب بلاء ، وضرب رخاء ، واليوم يومان ، يوم حَبْرَةٍ ، ويوم عَبْرَةٍ ، والناس رجلان ، رجل لك ، ورجل عليك ، زَوَّجُوا النساءَ الْأَكْفَاءَ ، وإلَّا فانتظروا بهن القضاء ، وليكن أطيب طيبهن

(١) باره : جر به . (٢) اهتر بالضم : ذهب العقل من كبر أو مرض أو حزن وقد اهتر فهو مهتر

بفتح التاء شاذ ، وقيل اهتر بالبناء للمجهول .

(٣) الخلة : الصداقة المختصة لا خلل فيها تكون في عفاف وفي دعارة (والخلة أيضا الصديق لذكر

والأنثى والواحد والجميع) . (٤) السكنة : امرأة الابن أو الأخ جمعه كزائن .

(٥) بزه : سلبه ، وفي المثل : من عزبز ، أي من غلب سلب .

الماء ، وإياكم وَالْوَزْهَاءُ^(١) ، فإنها أدوا الداء ، وإن ولدها إلى أَفَن^(٢) يكون ، لا راحة لقاطع القرابة ، وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم ، وآفة العدو اختلاف الكلمة ، والتفضل بالحسنة ، يبق السيئة ، والمكافأة بالسيئة دخول فيها ، وعمل السوء يزيل النعماء ، وقطيعة الرحم تورث الهم ، وانتهاك الحرمة ، يزيل النعمة ، وعقوق الوالدين يُعْقِبُ النكد ، ويخرب البلد ، وَيَحَقِّقُ العدد ، والإسراف في النصيحة ، هو النصيحة ، والحقد يمنع الرِّفْد ، ولزوم الخطيئة ، يعقب البلية ، وسوء الرِّعَة^(٣) ، يقطع أسباب المنفعة ، والضاثن تدعو إلى التباين ، يا بَنِي ، إني قد أكلت مع أقوام وشربت ، فذهبوا وَغَبَرَتْ ، وَكَأَنِّي بِهِمْ قد أَحَقَّتْ ، ثم قال :

أكلت شبابي فأفنيته وأبليت بعد دهورٍ دهورا
ثلاثة أهلين صاحبهم فبادوا وأصبحت شيخاً كبيراً
قليل الطعام ، عسير القيام قد ترك الدهر خطوئى قصيرا
أبيت أراعى نجوم السماء أقلبُ أمرى بطوناً ظهوراً

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٤)

٧٧ - وصية عامر بن الطرب العدو أنى لقومه

وَكَانَ عامر بن الطَّرِبِ العدو أنى سيدَ قومه ، فلما كبر وخشى عليه قومه أن يموت ، اجتمعوا إليه وقالوا : إنك سيدنا وقائلنا وشريفنا ، فاجعل لنا شريفاً وسيداً وقائلاً بعدك ، فقال :

« يا معشر عَدُوَّان : كلّفتُمونى بغيّاً ، إن كنتم شرفتمونى فإنى أريتكم ذلك من نفسى ، فأنتى لكم مثلى ؟ افهموا ما أقول لكم ، إنه من جمع بين الحق والباطل لم

(١) الحمقاء : من وره كفرح : حمق فهو أوره .

(٢) ضعف الرأى والعقل . (٣) الرعة : الطريقة .

يَجْتَمَعُ لَهُ ، وَكَانَ الْبَاطِلُ أَوْلَى بِهِ ، وَإِنْ الْحَقُّ لَمْ يَزَلْ يَنْفِرُ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَلَمْ يَزَلْ الْبَاطِلُ يَنْفِرُ مِنْ الْحَقِّ .

يَا مَعْشَرَ عَدْوَانٍ : لَا تَشْتَمُوا بِالذَّلَّةِ ، وَلَا تَفْرَحُوا بِالْعِزَّةِ ، فَبِكُلِّ عَيْشٍ يَعْيشُ الْفَقِيرُ مَعَ الْغَنِيِّ ، وَمَنْ يَرَى يَوْمًا يُرَى بِهِ ^(١) ، وَأَعِدُّوا لِكُلِّ أَمْرٍ جَوَابَهُ ، إِنْ مَعَ السَّفَاهَةِ النَّدَامَةُ ، وَالْعُقُوبَةُ نَكَالٌ فِيهَا ذِمَامَةٌ ^(٢) ، وَلِلْيَدِ الْعُلْيَا ^(٣) الْعَاقِبَةُ ، وَالْقَوْدُ ^(٤) رَاحَةٌ ، لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ ، وَإِذَا شِئْتَ وَجَدْتَ مِثْلَكَ ، إِنْ عَلَيْكَ كَمَا أَنْ لَكَ ، وَلِلْكَثْرَةِ الرَّعْبُ ، وَلِلصَّبْرِ الْغَلْبَةُ ، وَمَنْ طَلَبَ شَيْئًا وَجَدَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْهُ يَوْشَكَ أَنْ يَقَعَ قَرِيبًا مِنْهُ .

(مجمع الأمثال ٢ : ١٨٣)

٧٨ — وصية دويد بن زيد لبنيه

لَمَّا حَضَرَتْ دُوَيْدَ ^(٥) بَنُ زَيْدٍ الْوَفَاةُ قَالَ لِبَنِيهِ :

« أَوْصِيكُمْ بِالنَّاسِ شَرًّا ، لَا تَرْحَمُوا لَهُمْ عَبرَةً ، وَلَا تُقِيلُوا عَثْرَةَ ^(٦) ، قَصِّرُوا الْأَعْنَةَ ، وَطَوَّلُوا الْأَسِنَّةَ ، وَاطْعَنُوا شَرًّا ^(٧) ، وَاضْرَبُوا هَبْرًا ^(٨) ، وَإِذَا أُرْدْتُمْ الْحَاجِزَةَ ،

(١) أَيْ مَنْ رَأَى يَوْمًا عَلَى عَدُوهِ رَأَى مِثْلَهُ عَلَى نَفْسِهِ .

(٢) الذِمَامَةُ بِالْفَتْحِ وَيَكْسَرُ ، وَالذِّمَّةُ : الْعَهْدُ ، وَالْكَفَالَةُ : الْحَقُّ ، وَالْحَرَمَةُ . (٣) الْيَدِ الْعُلْيَا

الْمَطْيِيَّةُ ؛ وَالسُّفْلَى : السَّائِلَةُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « الْيَدِ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » ؛ وَهُوَ حَثٌّ عَلَى الصَّدَقَةِ .

(٤) الْقَوْدُ : الْقَصَاصُ . (٥) هُوَ دَوِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ نَهْدٍ الْحِمَيْرِيُّ ، وَكَانَ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ . قِيلَ عَاشَ

أَرْبَعِمِائَةٍ وَسِتًّا وَخَمْسِينَ سَنَةً ، (قَالُوا : وَلَا يَمُدُّ الْعَرَبُ مَعْمَرًا إِلَّا مِنْ عَاشِ مِائَةٍ وَعَشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا) .

(٦) أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ : دَفَعَهُ مِنْ سَقُوطِهِ . (٧) الطَّعْنُ فِي الْجَوَانِبِ يَمِينًا وَشِمَالًا .

(٨) هَبْرُ اللَّحْمِ : قَطْعُهُ قِطْعًا كَبَارًا ، وَالْهَبْرَةُ (بِالْفَتْحِ) الْقِطْعَةُ الْمَجْتَمِعَةُ مِنْهُ وَضَرْبُ هَبْرٍ وَهَبِيرٌ هَابِرٌ :

أَيْ يَقْطَعُ اللَّحْمَ .

فقبل المناجزة ، والمرء يَنْجِزُ لا الحَالَةَ ، بِالْجِدِّ لا بِالْكَدِّ ، التَّجَلُّدُ ولا التَّبَلُّدُ ، والمنِّيَّةُ ولا الدِّنِّيَّةُ ، ولا تَأْسُوا على قَائِتٍ وإن عَزَّ قَدُّهُ ، ولا تَحْنُوا إلى ظَاغِينَ وإن أَلِفَ قُرْبَهُ ، ولا تَطْمَعُوا فَتَطْمَعُوا^(١) ، ولا تَهِنُوا فَتَهْزَعُوا^(٢) . ولا يَكُونَنَّ لَكُمْ المِثْلُ السَّوُّ « إنَّ المَوْصِيَّينَ بنو سَهْوَانِ^(٣) » إذا مِتُّ فَأَرْجِيُوا^(٤) خَطَّ مَضْجَعِي ، ولا تَصْنُوا على بَرِّ خُبِّ^(٥) الأرض ، وما ذلكِ مِمَّا دَرِيَ إلى رَوْحَا^(٦) ، ولكن حَاجَةَ نَفْسٍ خَامَرَهَا الإِشْفَاقُ » .

قال أبو بكر بن دُرَيْدٍ في حديث آخر إنه قال :

اليَوْمَ يُدْنِي لِذُوَيْدٍ بَيْتَهُ يَارُبَّ نَهَبٍ صَالِحٍ حَوَيْتُهُ
وَرَبِّ قِرْنٍ بَطْلٍ أَرْدَبْتُهُ وَرُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيْتُهُ^(٧)
وَمِعْصَمٍ مَخْضَبٍ ثَنَيْتُهُ لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بَلَى أَبْلَيْتُهُ^(٨)
أَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ

(أمالى السيد المرتضى ١ : ١٧١)

(١) الطبع محركة : اللدنس . (٢) الوهن الضعف ، والخرافة : (كناية) اللين والرخاوة

خرع : ككرم ، وخرع كفرج ضعف وانكسر ، فهو خرع ، وخرع .

(٣) قال الميداني في مجمع الأمثال « ١ : ٦ » : « هذا مثل تخبط في تفسيره كثير من الناس ، قال

بعضهم : إنما يحتاج إلى الوصية من يسهو ويفغل ، فأما أنت فغير محتاج إليها لأنك لا تسهو ، وقال بعضهم يريد بقوله بنو سهوان جميع الناس لأن كلهم يسهو ، والأصوب في معناه أن يقال : إن الذين يوصون بالشيء يستولى عليهم السهو حتى كأنه موكل بهم ؛ يضرب لمن يسهو عن طلب شيء أمر به ، والسهوان السهو ، ويجوز أن يكون صفة أى بنو رجل سهوان ، وهو آدم عليه السلام حين عهد إليه فسها ونسى ، يقال رجل سهوان وساه ، أى إن الذين يوصون لابد أن يسهوا لأنهم بنو آدم عليه السلام .

(٤) أرحبه : وسعه .

(٥) الرحب : بالضم مصدر ؛ وبالفتح وصف . (٦) أى راحة ، أو هو بالضم أى وما ذاك

بمراجعة إلى روحى . (٧) الغيل : الساعد الريان الممتلئ . (٨) المعصم : موضع السوار أو اليد ، وهو المراد هنا .

٧٩ — وصية زهير بن جناب الكلبي

وأوصى زُهير بن جناب الكلبي^(١) بنيه فقال :

« يَا بَنِيَّ : قد كَبُرَتْ سِنِّي ، وبلغت حَرَسًا^(٢) من دهرى ، فأحكمتنى التجارب ،
والأمور تجربة واختبار ، فاحفظوا عني ما أقول وَعُوهُ ، إياكم وآخوَر عند المصائب ،
والتواكُل عند النوائب ، فإن ذلك داعية للغم ، وشماتة للعدو ، وسوء ظن بالرب ،
وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترِّين ، ولها آمنين ، ومنها ساخرين ، فإنه ما سَخِر قوم
قَطُّ إِلَّا ابْتُلُوا ، وَلَكِنْ تَوَقَّعُوهَا ، فَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ^(٣) تَعَاوَرُهُ الرِّثَامَةُ ،
فَقُصِّرْ دُونَهُ ، ومجاوِز لموضعه ، وواقع عن يمينه وشماله ، ثم لا بد أنه مصيبه » .

(أمال السيد المرتضى ١ : ١٧٣)

٨٠ — وصية النعمان بن ثواب العبدي لبنيه

كَانَ لِلنَّعْمَانِ بْنِ ثَوَابِ الْعَبْدِيِّ بَنُونَ ثَلَاثَةٌ : سَعْدٌ وَسَعِيدٌ وَسَاعِدَةٌ ، وَكَانَ أَبُوهُمْ
ذَا شَرَفٍ وَحِكْمَةٍ ، وَكَانَ يُوصِي بَنِيَهُ ، وَيُحْمِلُهُمْ عَلَى أَدَبِهِ ، أَمَا ابْنُهُ سَعْدٌ فَكَانَ شَجَاعًا
بَطْلًا مِنْ شَيَاطِينِ الْعَرَبِ ، لَا يَقَامُ لِسَبِيلِهِ ، وَلَمْ تَفْتَهُ طَلِيَّتُهُ قَطُّ ، وَلَمْ يَفِرَّ عَنْ قِرْنٍ ؛
وَأَمَا سَعِيدٌ فَكَانَ يُشَبِّهُ أَبَاهُ فِي شَرَفِهِ وَسُودَدِهِ ؛ وَأَمَا سَاعِدَةٌ فَكَانَ صَاحِبَ شَرَابٍ وَنَدَامَى
وَإِخْوَانٍ ، فَلَمَّا رَأَى الشَّيْخُ حَالَ بَنِيهِ دَعَا سَعْدًا ، وَكَانَ صَاحِبَ حَرْبٍ ، فَقَالَ :

(١) هو زهير بن جناب بن هبل الكلبي ، قيل عاش مائتين وعشرين سنة ، وقيل مائتين وخسين ،

وقيل أربعمائة وخسين ، وكان يدعى الكاهن لصحة رأيه .

(٢) الحرس من الدهر : الطويل ، وحرس : كسمع عاش زمانا طويلا .

(٣) الغرض : الهدف ، وتعاوره (تتداوله) أى تتداوله .

« يَا بُنَيَّ إِنْ الصَّارِمَ يَنْبُؤُ ، وَالْجَوَادَ يَكْبُؤُ ، وَالْأَثَرَ يَعْقُؤُ ^(١) ، فَإِذَا شَهِدْتَ حَرْبًا ، فَرَأَيْتَ نَارَهَا تَسْتَعِيرُ ، وَبَطْلَهَا يَنْخَطِرُ ، وَبِحَرْهَا يَزْخَرُ ، وَضَعِيفَهَا يُنْصَرُ ، وَجَبَانَهَا يَجْشُرُ ، فَأَقِيلَ الْمَكْتُ وَالْإِنْتَظَارَ ، فَإِنْ الْفِرَارَ غَيْرَ عَارٍ ، إِذَا لَمْ تَكُنْ طَالِبَ ثَارٍ ، فَإِنَّمَا يُنْصَرُونَ ^(٢) م » ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ صَيْدَ رَمَاحٍ ، وَنَظِيحَ نِطَاحِهَا .

وَقَالَ لِابْنِهِ سَعِيدَ ، وَكَانَ جَوَادًا : « يَا بُنَيَّ لَا يَبْخُلُ الْجَوَادُ ، فَاذْهَبْ الطَّارِفَ ^(٣) وَالتَّلَادَ ^(٤) ، وَأَقِيلَ التَّلَاحَ ^(٥) ، تَذَكَّرْ عِنْدَ السَّمَاحِ ، وَابْلُغْ ^(٦) إِخْوَانَكَ ، فَإِنْ وَفَّيَهُمْ قَلِيلَ ، وَاصْنَعِ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ مُحْتَمِلِهِ » .

وَقَالَ لِابْنِهِ سَاعِدَةَ ، وَكَانَ صَاحِبَ شَرَابٍ : « يَا بُنَيَّ إِنْ كَثُرَ الشَّرَابُ ، تَفْسَدَ الْقَلْبُ ، وَتَقَلَّلَ الْكَسْبُ وَتُجِدَّ اللَّعِبُ ^(٧) ، فَأَبْصِرْ نَدِيمَكَ ، وَاحْتَمِ حَرِيمَكَ ، وَأَثْنُ غَرِيمِكَ ^(٨) وَاعْلَمْ أَنَّ الظُّمَأَ الْقَامِحَ ^(٩) ، خَيْرٌ مِنَ الرَّيِّ الْفَاضِحِ ، وَعَلَيْكَ بِالْقَصْدِ فَإِنْ فِيهِ بَلَاغًا » .
(مجمع الأمثال ١ : ٤٨)

٨١ — وصية قيس بن زهير لبني النمر بن قاسط

جَاوَرِ قَيْسَ بْنَ زُهَيْرِ الْعَنْبَسِيِّ ^(١) بَعْدَ يَوْمِ الْهَبَاءَةِ النَّمِرِ بْنِ قَاسِطٍ ، وَتَزَوَّجْ مِنْهُمْ ، وَأَقَامْ فِيهِمْ حَتَّى وَلَدَ لَهُ ، فَلَمَّا أَرَادَ الرَّحِيلَ عَنْهُمْ قَالَ :

(١) عفا الأثر : درس ومحى . (٢) أى طلاب النار . (٣) الطارف والطريف : المسند ، والتالد ، والتلبد ، والتلاد ، والمتلد : المال القديم الأصل الذى ولد عندك .
(٤) التلاحى : التنازع ، ولاحاه ملاحاة ولاء نازعه . (٥) اختبر . (٦) أى تجعله جدا ؛ والجد (بالكسر) ضد الهزل . (٧) الغريم : الملين (وهو الدائن أيضا) . (٨) معناه المعش الشاق خير من رى يفضح صاحبه ، وقح البعير قوحا : رفع رأسه عند الحوض وامتنع من الشرب فهو قامح ، وقح البعير : اشتد عطشه حتى فتر شديدا .

(٩) هو صاحب حرب داحس والغبراء ، وكان من قصته أنه تراهن هو وحذيفة بن بدر سيد بني ذبيان على فرسهما داحس (فرس قيس) والغبراء (فرس حذيفة) — وقيل إنهما تراهنا على داحس والغبراء فرسى قيس ، والخطار والحنفاء فرسى حذيفة — وتواضعا الرهان على مائة بعير ، ثم قادوها إلى رأس =

« يا معشر النمر : إن لكم على حقاً ، وأنا أريد أن أوصيكم ، فأمركم بخصال ،
وأنها كم عن خصال ، عليكم بالأنفة ، فإن بها تُدرك الحاجة ، وتُنال الفرصة ، وتسويد
من لا تُعابون بتسويده ، وعليكم بالوفاء ، فإن به يعيش الناس ، وبإعطاء من يريدون
إعطاءه قبل المسألة ، ومنع من يريدون منعه قبل الإلحاح ، وإجارة الجار على الدهر ،
وتنفيس المنازل عن بيوت اليتامى ، وخطط الضيف بالعيال .

وأنها كم عن القدر ، فإنه عار الدهر ، وعن الرّهان ، فإن به تُسكّلت مالكا أخى
وعن البغى ، فإنه قتل زُهَيْرًا أبى^(١) ، وعن الإيعاء في الفضول ، فتعجزوا عن الحقوق ،
وعن السّرّف في الدماء ، فإن يوم الهبابة^(٢) ألزمنى العار ، ومنع الحُرّم إلا من الأكفاء ،

= الميدان ، وفي طرف الغاية شعاب كثيرة ، فأكن حل بن بدر في تلك الشعاب فتياذا على طريق الفرسين ،
وأمرهم إن جاء داحس سابقاً أن يردوا وجهه عن الغاية ، فأرسلوها فأحضروا ، فلما شارب داحس الغاية
ودنا من الفتية ، وثبوا في وجهه فردوه عنها ؛ ولم قيس بذلك ؛ وبعث حذيفة بن بدر ابنه مالكا إلى
قيس يطلب منه حق سبق ؛ فقال قيس كلا لأمطلنك به ، فتناول ابن حذيفة من عرض قيس وشتمه وأغلظ
له ؛ وكان إلى جنب قيس رمح قطعته به فذق صلبه ، واجتمع الحيان وأدوا ذبة المقتول ، وأخذها حذيفة
دفعا للشر ، ثم إن قومه نهموه فعاد الشر بينهم ، وقامت الفتن بين الحيين ، وهذا حذيفة على مالك بن زهير
أخى قيس فقتله ؛ وكان الربيع بن زياد عهدهما معزّل الحرب ، فلما سمع بمقتل ابن أخيه مالك شق ذلك عليه
وقاتل بنى ذبيان ، ثم توالى أيام الحروب بينهم ، وكان أعظمها يوم الهبابة حتى أصلح بينهم الحرث بن عوف
وهرم بن سنان المريان ؛ وحلّا ديات القتل ثلاثة آلاف بعير .

(١) وسبب مقتل زهير بن جذيمة العبسي أبى قيس ، أن هوازن بن منصور كانت تؤقّ الإتاوة زهير
ابن جذيمة — ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد — فأنت مجوز من هوازن إلى زهير بسمن في نحي (النحي
كحمل الزق ، أو ما كان للسمن خاصة) فاعتذرت إليه ؛ وشكت السنين اللواقى تتابعن على الناس « فذاقه فلم
يرض طعمه ، فدعها أى دفعها بقوس في يده فسقطت فبدت عورتها ، فغضب من ذلك هوازن وحقدته
إلى ما كان في صدرها من الغيظ ، وكانت يومئذ قد كثرت بنو عامر بن صعصعة فثاروا إليه فقاتلوه حتى
قتلوه .

(٢) وكان حذيفة بن بدر وأخوه نزلام مع أصحابهما في جفر الهبابة ، فاتبعهم قيس ومن معه حتى
أدركهم فيه ، وقد أرسلوا خيولهم ونزعوا سلاحهم (وكان حذيفة قد أخذ غلامين من بنى عبس ، فقتلتهما
وهما يسفيثان يا أبتاه حتى ماتا) فشد قيس والربيع ومن معهما عليهم ، وهم ينادون لبيك لبيك ، يعنى أنهم =

فَإِنْ لَمْ تَصِيْبُوا لَهُنَّ الْاَكْفَاءَ . فَإِنْ خَيْرَ مِنَّا كَهْنُ الْقُبُورِ ، (أَوْ خَيْرَ مَنَازِلِهَا) ، وَاعْلَمُوا أَنِّي كُنْتُ ظَالِمًا مَظْلُومًا ، ظَلَمْنِي بَنُو بَدْرَ بِقَتْلِهِمْ مَا لَكَأَخِي ، وَظَلَمْتَهُمْ بِأَنْ قَتَلْتُ مِنْ لَا ذَنْبَ لَهُ .

(العقد الفريد ٣ : ٢٢٤ ، وآمال السيد المرتضى ١ : ١٤٩ ، وسرح العيون ص ٩٠)

٨٢ — وصية حصن بن حذيفة لبنيه

وَأَوْصَى حِصْنُ بْنُ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرِ الْقَزَارِيَّ بْنَ بَدْرِ فَقَالَ :

« اَسْمَعُوا مِنِّي مَا أَوْصِيَكُم بِهِ : لَا يَتَكَلَّمْ آخِرُكُمْ عَلَى أَوْلَسِكُمْ ، فَإِنَّمَا يُدْرِكُ الْآخِرُ مَا أَدْرَكَهُ الْأَوَّلُ ، وَأَنْسَكِحُوا الْكُفَّءَ الْغَرِيبَ ، فَإِنَّهُ عِزٌّ حَادِثٌ ، وَإِذَا حَضَرَكُمْ أَمْرَانِ ، فَخُذُوا بِخَيْرِهِمَا صَدْرًا^(١) ، فَإِنْ كُلُّ مَوْرِدٍ مَعْرُوفٌ ، وَاصْحَبُوا قَوْمَكُمْ بِأَجَلِ أَخْلَاقِكُمْ ، وَلَا تُخَافُوا فِيمَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الْخِلَافَ يُرَى بِالرَّئِيسِ الْمَطَاعِ ، وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فَارْبَعُوا^(٢) ، ثُمَّ قُولُوا الصَّدَقَ ، فَإِنَّهُ لَأَخِيرُ فِي السَّكْذِبِ ، وَصُونُوا الْخَيْلَ فَإِنَّهَا حُصُونُ الرِّجَالِ ، وَأَطِيلُوا الرِّمَاحَ فَإِنَّهَا قُرُونُ الْخَيْلِ ، وَأَعِزُّوا الْكَبِيرَ بِالْكَبَرِ ، فَإِنِّي بِذَلِكَ كُنْتُ أَغْلِبُ النَّاسَ ، وَلَا تَغْزُوا إِلَّا بِالْعِيُونِ^(٣) ، وَلَا تَسْرِّحُوا حَتَّى تَأْتُمُوا الصَّبَاحَ^(٤) ، وَأَعْطُوا عَلَى حَسَبِ الْمَالِ ، وَأَعْجِلُوا الضَّيْفَ بِالْقَرَى^(٥) ، فَإِنْ خَيْرَهُ أَعْجَلُهُ ، وَاتَّقُوا فَضِيحَاتِ الْبَغْيِ ، وَفَلَتَاتِ الْمَزَاحِ ، وَلَا تُجِيرُوا عَلَى الْمُلُوكِ ، فَإِنْ أَيْدِيَهُمْ أَطُولَ مِنْ أَيْدِيكُمْ .

(آمال السيد المرتضى ٢ : ١٦٨)

= يجيبون نداء الصبية لما قتلوا ينادون يا ابتاه ، فنادى بهم الله والرحم ، فلم يقبلوا منهم ، وقتلوا حذيفة وحلأ أخاه ، ومثلوا بحذيفة فقطعوا مذاكيره وجعلوها في فيه وجعلوا لسانه في استه ، وأسرف قيس في التكاية والقتل ، وكانت فزارة تسمى هذه الوقعة البوار ، ولكن قيساً ندم بعد ذلك ورثى حل بن بدر ، وهو أول من رثى مقتوله .

(١) الصدر : الرجوع . (٢) ربع : كنع انتظر وتجبس ، وربع الحبل : قتله من أربع طاقات .

والمعنى إذا حدثت فتأنوا وتعملوا ، أو فأحكموا القول . (٣) العيون : جمع عين ، وهي خيار كل

شيء . (٤) الصباح الغارة : أي ولا تسرحوا مقاتلتكم حتى تأمنوا الغارة .

(٥) قرى الضيف يقريه قرى : أحسن إليه ، والقرى أيضا ما قرى به الضيف .

٨٣ - وصية لأكرم بن صيفي

كتب النعمان بن خزيمة الباروقي إلى أكرم بن صيفي : «مَثَلٌ لَنَا مِثَالًا نَأْخُذُ بِهِ»^(١)
فقال :

« قَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ »^(٢) فَعَرَفْتُ حُلُولَهُ وَمُرَّهُ . عَيْنٌ عَرَفَتْ فَذَرَفَتْ^(٣) ،
إِنْ أُمَامِي مَالًا أَسَامِي^(٤) . رَبُّ سَامِعٍ يَخْبِرُ لَمْ يَسْمَعْ بِعُذْرِي . كُلُّ زَمَانٍ لِمَنْ فِيهِ .
فِي كُلِّ يَوْمٍ مَا يُكْرَهُ . كُلُّ ذِي نُصْرَةٍ سَيُخَذَلُ . تَبَارَوْا فَإِنَّ الْبِرَّ يَنْبِي^(٥) عَلَيْهِ الْعُدَدُ
وَكُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ فَإِنَّ مَقْتَلَ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَيْهِ . إِنْ قَوْلَ الْحَقِّ لَمْ يَدْعُ لِي صَدِيقًا .
الْصَّدَقُ مَنْجَاةٌ لَا يَنْفَعُ مَعَ الْجُزَعِ التَّبَقُّ . وَلَا يَنْفَعُ مِمَّا هُوَ وَاقِعُ التَّوَقُّ ، سَتُسَاقُ إِلَى مَا أَنْتَ
لَا قِيَّ . فِي طَلَبِ الْمَعَالِي يَكُونُ الْعَنَاءُ . الْإِنْتِصَادُ فِي السَّعْيِ أَبْقَى لِلْجَنَامِ^(٦) مِنْ لَمْ يَأْسَ^(٧)
عَلَى مَا فَاتَهُ وَدَعَّ بَدَنَهُ ، وَمَنْ قَنَعَ بِمَا هُوَ فِيهِ قَرَّتْ عَيْنُهُ . التَّقَدُّمُ قَبْلَ التَّنَدُّمِ^(٨) .
أَصْبَحُ عِنْدَ رَأْسِ الْأَمْرِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصْبِحَ عِنْدَ ذَنْبِهِ . لَمْ يَهْلِكْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ .
وَيْلٌ لِعَالَمٍ أَمَرَ مِنْ جَاهِلِهِ . يَتَشَابَهُ الْأَمْرُ إِذَا أَقْبَلَ ، فَإِذَا أَدْبَرَ عَرَفَهُ الْكَيْسُ وَالْأَحْق .
الْوَحْشَةُ ذَهَابُ الْأَعْلَامِ^(٩) . الْبَطَرُ عِنْدَ الرِّخَاءِ خُحُقُ . وَالْعَجْزُ عِنْدَ الْبَلَاءِ أَفْنٌ^(١٠) . لَا تَقْضَبُوا

-
- (١) هكذا روى أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال : وذكر الميداني أن أكرم وصى بها بنيه حين
جميعهم ، والرواية الأولى أطول بكثير من الثانية ، وقد جمعت بين الروایتين . (٢) للناقة شطران :
قادمان وآخران ، فكل خليفين من أخلافها شطر (والخلف بالكسر لها كالضرع للبقرة) وأشطره بدل
من الدهر ؛ والمعنى أنه اختبر شطري الدهر خيره وشره فعرف ما فيه ، وهو مثل يضرب فيمن جرب الدهر .
(٣) ذرفت عينه كضرب : سال دمعها ، وذرفت العين دمعها أسالته ؛ وهو مثل يضرب لمن رأى
الأمر فعرف حقيقته . (٤) ساماه : باراه في السمو . (٥) يزيد ، وفي مجمع الأمثال « يبق » .
(٦) أي أبقى للقوة ، من جم الفرس جماما (بالفتح) ترك الضراب فتجمع ماؤه ، وجم المساء يجم
بضم الجيم وكسرهما جموما كثر واجتمع ، والبر تراجع ماؤها ؛ والجمام بالفتح أيضا : الراحة .
(٧) يحزن . (٨) أي ففكر في التقدم قبل أن تندم . (٩) الأعلام جمع علم : وهو سيد القوم .
(١٠) الأفن : ضعف الرأي والعقل ، وفي الأصل آمن وهو تحريف .

من اليسير ، فر بما جنى الكثير . لا تُجيبوا فيما لم تُسألوا عنه . ولا تضحكوا مما لا يُضحك منه . حيلةٌ من لا حيلةَ له الصبر . كونوا جميعاً فإن الجمع غالب ، تثبّتوا . ولا تسارعوا فإن أحزم الفريقين الرّكين . رب عَجَلَةٍ تَهَب رَيْثاً . ادْرِعُوا الليل واتخذوه جَمَلًا . فإن الليل أخفى للويل . ولا جماعة لمن اختلف . تناهوا في الديار ولا تباغضُوا . فإنه من يجتمع يَتَقَعَّقُ (١) عَمَدُهُ . أَلْزَمُوا النساءَ المَهَابَةَ (٢) نِعَمَ لَهُوَ الْفَرَّةُ (٣) الْمِغْزَل . إن تعيش ترَ ما لم تره . قد أقرَّ صامِتٍ . المِكْثَار كحاطِبٍ (٤) لَيْلٍ . من أكثر أسقط (٥) . لا تجهلوا سِراً إلى أمة . لا تَفَرَّقُوا في القبائل ، فإن الغريب بكل مكانٍ مظلوم ، عاقِدُوا الثَّرْوَةَ (٦) . وإياكم والشائِظَ (٧) فإن مع الْقِلَّةِ الذَّلَّةُ : لو سُئِلَتِ العارية قالت أُنْغِي لأهلي ذُلًّا . الرسول مُبَلِّغٌ غَيْرُ مُلُومٍ . من فَسَدَتْ بِطَانَتُهُ غَصَّ بالماء . أساءَ سَمْعًا فأساءَ جَابَةً (٨) . الدَّالُّ على الخير كفاعله . إن المسألةَ مِنْ أضعفِ الْمَسْكَنَةِ . قد تجوع الحرة

(١) تقعقع : اضطرب وتحرك . وفي الأصل عنده بدل عمده وهو تحريف ، وهذا مثل . معناه لا بد من الافتراق بعد الاجتماع ، أو معناه إذا اجتمع القوم وتقاربوا وقع بينهم الشر فتفرقوا ، أو من غبط بكثرة العدد واتساق الأمر فهو بمرض الزوال والانتشار . (٢) أي أن هبكم ويوقرنكم ، وفي الأصل « المهانة » وهو تصحيف .

(٣) الشريفة . (٤) الحاطب : الذي يجمع الحطب ؛ وهو حاطب ليل : أي مخطط في كلامه .

(٥) أسقط كلمة ؛ وأسقط في كلمة أي أخطأ .

(٦) عاقدوا : حالفوا ، والثروة : كثرة العدد من الناس . (٧) يقال هم وشيظة في قومهم أي حشوفهم . (٨) جابة بمعنى إجابة ، اسم وضع موضع المصدر ، ومثلها الطاعة والطاقة والغارة والعاردة . قال المفضل : أول من قال ذلك سهيل بن عمرو ، وكان تزوج صفية بنت أبي جهل بن أبي هشام ، فولدت له أنس بن سهيل ، فخرج معه ذات يوم ؛ فوقف بحزورة مكة (والحزورة كقسورة : الرابية الصغيرة) فأقبل الأخنس بن شريق الثقفي ، فقال : من هذا ؟ قال سهيل : ابني ؛ قال الأخنس : حيالك الله يا فتى ! قال : لا ، والله ما أمي في البيت ، انطلقت إلى أم حنظلة تطحن دقيقاً ، فقال أبوه : أساء سمعا فأساء جابة فأرسلها مثلاً .

ولا تأكل بثدييها^(١) . لم يجز سالكُ القصدِ ، ولم يعمَ قاصِدُ الحق . من شَدَدَ نَفَرٍ ، ومن تراخى تألَّف . الشرف التغافل . أوفى القول أوجزه . أصوب الأمور تركُ الفضول . التفرير مِفْتَاحُ البؤس . التواني والعجز ينتجان الهلكة . لكل شيء ضراوة^(٢) . أحوج الناس إلى الغنى من لا يصلح له إلا الغنى ، وهم الملوك . حُبُّ المدح رأسُ الضياع . رضا الناس غاية لا تُبْلَغ . لا تَكْرَهْ سُخْطَ مَنْ رِضاهُ الْجَوْرُ معالجة العفاف مَشَقَّة فتعوذ بالصبر . اقصر لسانك على الخير وآخر الفضب ، فإن القدرة من ورائك ، من قَدَرَ أزمع ، أمرُ أعمال المقتدرين الانتقام ، جاز بالحسنة ولا تسكافي بالسيئة ، أغنى الناس عن الحقد مَنْ عَظُمَ عن المجازاة . مَنْ حَسَدَ مَنْ دونه قلَّ عُدْرُهُ ، من جعل لِحُسْنِ الظن نصيباً رَوَّحَ عن قلبه ، عي الصمت أحمد من عي المنطق ، الناس رجلان محترس ومحترس منه كثير النصيح يَهْجُمُ على كثير الظنَّة^(٣) ، من ألحَّ في المسألة أبرم^(٤) ، خير السخاء

(١) أى لا تعيش بسبب ثدييها وبما يعلن عليها من أجرة الإرضاع ، يضرب فى صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب ، وذكروا أن أول من قاله الحارث بن سليل الأسدي ، وكان شيخا كبيرا وكان حليفا لعلقة بن خصفة الطائي ، فزاره فنظر إلى ابنته الزباء ، وكانت من أجمل أهل دهرها فأعجب بها ، فقال له : أتيتك خاطبا ، وقد ينكح الخاطب ، ويدرك الطالب ، ويمنح الراغب ، فقال له علقمة : أنت كفء كريم يقبل منك الصفو ، ويؤخذ منك العفو ، فأقم نظرك فى أمرك ، ثم انكفأ إلى أمها فقال إن الحارث بن سليل سيد قومه حسبا ومنصبا وبيتا ، وقد خطب إلينا الزباء ، فلا ينصرفن إلا بحاجته فقالت امرأته لاينتها : أى الرجال أحب إليك ؟ الكهل الجحجح (أى السيد) ، الواصل المناخ ، أم الفتى الوضاح ؟ قالت ، لا بل الفتى الوضاح ، قالت : إن الفتى يقبرك ، وإن الشيخ يبرك ، وليس الكهل الفاضل ، الكثير النائل ، كالحديث السن ، الكثير المن ، قالت : يا أمته ، إن الفتاة تحب الفتى كحب الرعاء أنيق الكلا ، قالت : أى بنية ، إن الفتى شديد الحجاب ، كثير العتاب ، قالت إن الشيخ يبل شبابي ، ويدنس ثيابي ، ويشمت بى أقرابي ، فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها ، فتزوجها الحرث على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم ، فابتنى بها ثم رحل بها إلى قومه ، فبينما هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهى إلى جانبه إذ أقبل إليه شباب من بنى أسد يعتلجون ، (أى يتصارعون ويتقاتلون) فتنفست الصعداء ثم أرخت عينيها بالبكاء ، فقال لها : مايكيك ؟ قالت : مالى وللشيوخ ، الناهضين كالقروخ ؛ فقال لها شكلكم أمك تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها ، الحق بأهلك فلا حاجة لى فيك .

(٢) يقال : ضرى الكلب بالصيد (كفروح) ضراوة أى تعود ، وكلب ضار ؛ وأضراره صاحبه هوده وأضراره به : أغراه ، وضراره أيضا تضرية . (٣) التهمة . (٤) أبرمه : أضجره وأمله .

ما وافق الحاجة ، الصمت يكسب المحبة ، لن يغلب الكذب شيئاً إلا غلبَ عليه الصدق ، القلب قد يُتَّهم وإن صدق اللسان ، الانقباض عن الناس مَكْسَبَةٌ للعداوة ، وتقريبهم مكسبة لقرين السوء ، فكن من الناس بين القرب والبعد . فإن خير الأمور أوساؤها ، فُسُولَةٌ^(١) الوزراء أضر من بغض الأعداء ، خير القُرَنَاءِ المرأةُ الصالحة ، وعند الخوف حُسْنُ العمل ، من لم يكن له من نفسه زاجرٌ لم يكن له من غيره واعظ ، وتمكّن منه عدوه على أسوأ عمله ، لن يَهْلِكَ امرؤ حتى يَمَلَّ^(٢) الناس عَتِيدَ فعله ويشتد على قومه ، ويُعْجَبَ بما ظهر من مروءته ، ويعتر بقومه ، والأمر يأتية من فوقه ، ليس للمختال في حسن الثناء نصيب ، لا تَمَاءُ مع العَدَمِ ، إنه من أتى المكروه إلى أحد بدأ بنفسه . العيُّ أن تتكلم فوق ما تسد به حاجتك ، لا ينبغي لعاقل أن يثق بإخاء من تضطره إلى إخوانه حاجةً ، أقلُّ الناس راحةً الخفود ، من تَعَمَّدَ الذنب لا تحل رحمته دون عقوبته ، فإن الأدب رفق ، والرفق يُمن .

(جمهرة الأمثال ١ : ٣٢٠ ، وجمع الأمثال ٢ : ١٤٥)

٨٤ — وصية أكرم بن صيفي لطبي

وقال أكرم بن صيفي في وصية كتب بها إلى طبي :

« أوصيكم بتقوى الله وَصِلَةِ الرَّحِمِ . وإياكم وَنِكَاحَ الْحَمَقَاءِ ، فإن نكاحها غَرَرٌ^(٣) ، وَوَلَدُهَا ضِيَاعٌ . وعليكم بالخيل فأكرموها ، فإنها حصون العرب ، ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها . فإن فيها ثمن الكريمة^(٤) ، وَرَقُوءُ الدَّمِ^(٥) ، وبالبانها يُتَحَفُّ

(١) فصل فسولة فهو فصل : أي رذل لامروءة له ، والوزراء : جمع وزير وهو التصير والظهير .

(٢) في الأصل « يملك » وأرى صوابه يمل .

(٣) الغرر : الخطر : غرر بنفسه تغريرا : عرضها للهلكة والاسم الغرر . (٤) يريد مهرها .

(٥) رقاً الدم : جف وسكن ، والرقوء كصبور ما يوضع على الدم ليرفقه ، والمعنى أنها تعطي في

الديات فتحقن بها الدماء .

الكبير^(١) ، وَيُعْذَى الصَّغِيرَ ، وَلَوْ أَنَّ الْإِبِلَ كَلَّفَتِ الْعَلَّحْنَ لَطَحْنَتْ . وَلَنْ يَهْلِكَ أَمْرُو
عَرَفَ قَدْرَهُ . وَالْعُدْمُ^(٢) عُدْمُ الْعَقْلِ ، لَا عُدْمُ الْمَالِ . وَلَرَجُلٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ . وَمَنْ
عَتَبَ عَلَى الدَّهْرِ طَالَتْ مَمْتَلَبَتُهُ . وَمَنْ رَضِيَ بِالْقَسَمِ^(٣) طَابَتْ مَعِيشَتُهُ . وَآفَةُ الرَّأْيِ الْهُوَى .
وَالْعَادَةُ أَمْلَكُ^(٤) . وَالْحَاجَةُ مَعَ الْحُبَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْبُغْضِ مَعَ الْغَنَى . وَالدُّنْيَا دُولٌ ، فَمَا كَانَ
لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ ؛ وَمَا كَانَ عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعِهِ بِقَوْتِكَ . وَالْحَسَدُ دَاءٌ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ .
وَالشَّمَاتَةُ تُعَقِّبُ . وَمَنْ يَرَى يَوْمًا يُرَى بِهِ . قَبْلَ الرَّمَاءِ تُمَلَأُ الْكِنَانُ^(٥) . الْإِنْدَامَةُ مَعَ السَّفَاهَةِ .
دِعَامَةُ الْعَقْلِ الْحَلْمُ . خَيْرُ الْأُمُورِ مَغَبَةُ الصَّبْرِ . بَقَاءُ الْمَوَدَّةِ عَدْلُ^(٦) التَّعَاهُدِ . مَنْ يَزُرُّ غَيْبًا
يَزِدُّ حُبًّا . التَّغْرِيرُ مِفْتَاحُ الْبُؤْسِ . مِنَ التَّوَانِي وَالْعَجْزِ تُنْجَتِ^(٧) الْهَلَكَةُ . لِكُلِّ شَيْءٍ
ضَرَاوَةٌ . فَضَرُّ لِسَانِكَ بِاخْتِيَارِ عِيٍّ الصَّمْتِ أَحْسَنُ مِنْ عِيِّ الْمَنْطِقِ . الْحَزْمُ حِفْظُ مَا كُفِّتَ
وَتَرَكُ مَا كَرِهْتَ . كَثِيرُ النَّصِيحِ يَهْجُمُ عَلَى كَثِيرِ الظَّنَّةِ . مِنَ الْخَفِّ فِي الْمَسْأَلَةِ ثَقُلُ . مَنْ
سَأَلَ فَوْقَ قَدْرِهِ اسْتَحَقَّ الْحَرَمَانَ . الرِّقْقُ يُمْنٌ ، وَالْخَرَقُ شَوْمٌ . خَيْرُ السَّخَاءِ مَا وَافَقَ
الْحَاجَةَ . خَيْرُ الْعَفْوِ مَا كَانَ بَعْدَ الْقُدْرَةِ .

(مجمع الأمثال ٢ : ٨٧)

٨٥ — وصية أكرم بن صيفي لابنيه ورهطه

وَصَّى أَكْرَمُ بْنُ صَيْفِي بَنِيهِ وَرَهْطَهُ ، فَقَالَ : « يَا بَنِي تَيْمٍ لَا يَفُوتَنَّكُمْ وَعْظِي إِنْ
فَاتَكُمْ الدَّهْرُ بِنَفْسِي ، إِنْ بَيْنَ حَيَزُومِي^(٨) وَصَدْرِي لِكَلَامًا لَا أَحَدٌ لَهُ مَوَاقِعَ إِلَّا

-
- (١) التحفة : البر واللطف والطرفة ، وقد أنحفته تحفة .
 - (٢) العدم بالضم وبضمين وبالتحريك الفقدان وغلب على فقدان المال . (٣) القسم : القدر
 - (٤) وفي رواية : « العادة أملك من الأدب » .
 - (٥) الرماء مصدر رأى كالمراعاة ، والكنان جمع كنانة : وهي جمعة السهام ، وهو مثل معناه :
تؤخذ للأمر أهبة قبل وقوعه ، ومثله قولهم « قبل الرمي يراش السهم » أى يوضع له الريش .
 - (٦) العدل : الاستقامة أى بقاء المودة فى استقامة التعاهد والحرص على سلامة شروطه .
 - (٧) ويروى نتجت الفاقة .
 - (٨) الحيزوم : وسط الصدر وما يضم عليه الخزام .

أَسْمَاعِكُمْ ، وَلَا مَقَارًّا إِلَّا قُلُوبِكُمْ ، فَتَلْقَوْهُ بِأَسْمَاعٍ مَصْنُوعَةٍ ، وَقُلُوبٍ وَاعِيَةٍ ، تَحْمَدُوا مَغْبِئَتَهُ .
 الْهَوَى يَقْظَانُ ، وَالْعَقْلُ رَاقِدٌ ، وَالشَّهْوَاتُ مُطْلَقَةٌ^(١) ، وَالْحَزَمُ مَعْقُولٌ^(٢) ، وَالنَّفْسُ مَهْمَلَةٌ ،
 وَالرُّوْيَةُ مُقَيَّدَةٌ ، وَمِنْ جِهَةِ التَّوَانِي وَتَرَكِ الرُّوْيَةَ يَتَلَفُ الْحَزَمُ ، وَلَنْ يَعْدَمَ الْمُشَاوِرُ مُرْشِدًا ،
 وَالْمُسْتَبْدَ بَرَأْيُهُ مَوْقُوفٌ عَلَى مَدَاحِصِ^(٣) الزَّلَالِ ، وَمَنْ سَمِعَ سَمِعَ بِهِ ، وَمَصَارِعُ الرِّجَالِ
 تَحْتَ بَرَقِ الطَّمَعِ ، وَلَوْ اعْتُبِرَتْ مَوَاقِعُ الْحَنِّ مَا وُجِدَتْ إِلَّا فِي مَقَاتِلِ الْكِرَامِ ، وَعَلَى
 الْإِعْتِبَارِ طَرِيقُ الرِّشَادِ ، وَمَنْ سَلَكَ الْجَدَدَ^(٤) أَمِنَ الْعَنَارَ ، وَلَنْ يَعْدَمَ الْحَسُودُ أَنْ يُتْعَبَ
 قَلْبُهُ ، وَيَشْغَلَ فِكْرُهُ ، وَيُورَثَ^(٥) غِيظُهُ ، وَلَا تَجَاوِزَ مَضَرَّتُهُ نَفْسَهُ

يَا بَنِي نَمِيمٍ : الصَّبْرُ عَلَى جَرَعِ الْحَلَمِ أَغْذَبَ مِنْ جَنَى ثَمَرِ النَّدَامَةِ ، وَمَنْ جَعَلَ عِرْضَهُ
 دُونَ مَالِهِ اسْتَهْدَفَ لِلذَّمِّ ، وَكَلَّمَ اللِّسَانَ أَنْكَبَ مِنْ كَلَمِ اللِّسَانِ ، وَالْكَلِمَةُ مَرْهُونَةٌ مَالِمْ
 تَنْجُمُ مِنَ الْقَمِّ ، فَإِذَا نَجَمَتْ فَهِيَ أَسَدٌ مُحَرَّبٌ^(٦) ، أَوْ نَارٌ تَلَهَّبُ ، وَرَأَى النَّاصِحَ اللَّيِّبَ
 دَلِيلَ لَا يَجُوزُ ، وَنَفَازَ الرَّأْيِ فِي الْحَرْبِ ، أَجْدَى مِنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ » .

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٥ ، وسرح العيون ١٥ وجمهرة الأمثال ٢ : ٢١٢)

٨٦ - نصيحة أكتثم بن صيفي لقومه

وَنَصَحَ قَوْمَهُ فَقَالَ : « أَقِلُّوا الْخِلَافَ عَلَى أُمْرَائِكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ كَثْرَةَ الصِّيَاحِ مِنَ
 الْفُشْلِ ، وَالْمَرْءُ يَعْجِزُ لَا مُحَالَةَ ، يَا قَوْمَ ثَبِّتُوا فَإِنْ أَحْزَمَ الْفَرِيقَيْنِ الرَّكِيْنُ^(١) وَرَبُّ عَجَلَةٍ
 نَهَبُ رَيْثَا^(٢) ، وَأَتَزَرُّوا لِلْحَرْبِ ، وَأَذَرُّعُوا اللَّيْلَ ، فَإِنَّهُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ ، وَلَا جَمَاعَةَ
 لِمَنْ اخْتَلَفَ » .

(الأغاني ١٥ : ٧٠)

(١) محبوس . (٢) جمع مدحضة : وهي المزاة . (٣) الأرض المستوية . (٤) يوقد .

(٥) التحريب : التحريش والتحديد ، والمحرب والمتحرب الأسد . (٦) الرزين . (٧) بطلنا

٨٧ — أمثال أكرم بن صيفي (وَبُزْرَجْمَهْر) الفارسي^(١)

« العقل بالتجارب . صاحب مناسب^(٢) . الصديق مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ^(٣) . الغريب من لم يكن له حبيب . رب بعيدٍ أقربُ من قريب . القريب من قُرْبٍ نفعُهُ . لو تكاشفتم ما تدافتم . خير أهلِكَ من كفالك ، خير سلاحك ما وقاك . خير إخوانك من لم تخبره . رب غريبٍ ناصح الجيب^(٤) ، وابنِ أبٍ مَتَّهم بالغيب ، أخوك مَنْ صَدَقَكَ ، الأخ مرآة أخيه . إذا عَزَّ أخوك فَهْنُ^(٥) . مُكْرَهُ أخاك لا بَطْل^(٦) . تَبَاعَدُوا في الديار وتقاربوا في الحجة . أَىُّ الرِّجال المَهْذب^(٧) ؟ مَنْ لك بأخيك كله . إنك إن فَرَحْتَ لَأَقِ فَرَحًا .

(١) هكذا في العقد الفريد ، وليس من الميسور تمييز أمثال أحدهما من أمثال الآخر إلا في القليل ، على أنه قد ورد بينها أمثال لغير أكرم ، (ولعله تمثل بها) وأخرى له قد وردت في ثنايا كلامه الذي أو رده آنفاً ، ولكنني أثرت إيراد المقال برمته كما جاء في العقد ، وبُزْرَجْمَهْر : مركب من بُزْرَج معرب بزرَك أى الكبير ، ومهر أى الروح وهو بزر جهمر بن البختكان وزير كسرى أنوشروان ملك الفرس ، وكان شديد الفكر ، حصيف الراى . (٢) المناسب والنسيب : القريب ، من النسبة (بالكسر والنضم) وهى : القرابة ، وبينهما مناسبة أى مشكلة ، هذا يناسب ذاك أى يقاربه شها .

(٣) فى الأصل « من صدق عينيه » وهو محرف ، وأراه من صدق غيبه أو غيبته أى من صدق مودته ، وحفظ الاخاء ، فى الغيبة لافى المخضر فحسب . (٤) جيب القميص طوقه ، وهو ناصح الجيب أى القلب كناية عن أنه خالص الطوية لا غش فيه .

(٥) فى الميدانى : هذا المثل لحذيل بن هبيرة التغلبى ، وكان أغار على بنى ضبة فغتم فأقبل بالغنائم . فقال له أصحابه قسمها بيننا ، فقال لى أخاف إن تشاغلتم بالاقتسام أن يدرككم الطلب فأبوا ، فعندها قال : « إذا عز أخوك فهن » ثم نزل فقسم بينهم الغنائم ، ومعناها ، مياسرتك صديقك ليست بضمير يركبك منه فتدخلك الحماية به ، إنما هو حسن خلق وتفصل ، فإذا عاسرك فياسره .

(٦) قاله أبو حنث : وذلك أن رجلا من بنى فزارة يقال له بهس أخبر أن ناسا من أشجع فى غار يشربون فيه — وكانوا قد قتلوا إخوته الستة — فانطلق بخال له يسمى أبا حنث ؛ فقال له هل لك فى غار فيه ظباء لبلنا نصيب منها — ويروى : هل لك فى غنيمة باردة — ثم انطلق به حتى أقامه على فم الغار ، ودفعه فيه فقال : ضربا أبا حنث ، فقال بعضهم : إن أبا حنث لبطل ، فقال أبو حنث : مكره أخاك لا بطل ، فأرسلها مثلا . (٧) فى الميدانى : أول من قاله النابغة الذبياني حيث قال :

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث ، أى الرجال المهذب ؟

أَحْسِنْ يُحْسِنَ إِلَيْكَ . أَرْحَمَ تُرْحَمَ . كَمَا تَدِينُ تُدَانُ ^(١) . مِنْ بَرٍّ يَوْمًا يُرَبُّ بِهِ ، وَالْدَّهْرَ لَا يُغْتَرُّ بِهِ ، عَيْنٌ عَرَفَتْ فَذَرَفَتْ ^(٢) . فِي كُلِّ خَبْرَةٍ عِبرَةٌ ، مِنْ مَأْمَنِهِ يُؤْتَى الْخَذِيرُ . لَا يَعْدُو الْمَرْءُ رِزْقَهُ وَإِنْ حَرَصَ . إِذَا نَزَلَ الْقَدَرُ عَمِيَ الْبَصَرُ ، وَإِذَا نَزَلَ الْحَيْنُ نَزَلَ بَيْنَ الْأُذُنِ وَالْعَيْنِ ^(٣) . الْحَمْرُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ . الْغِنَاءُ رُقِيَّةُ الزَّوْنِ ^(٤) . الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْقَدُ . خَيْرُ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ . مَنْسَاقٌ إِلَى مَا أَنْتَ لَاقٍ . خُذْ مِنَ الْعَافِيَةِ مَا أُعْطِيتَ . مَا لِلْإِنْسَانِ إِلَّا الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ . إِنَّمَا لَكَ مَا أَمْضَيْتَ . لَا تَتَكَلَّفْ مَا كُفِّيتَ . الْقَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانَيْنِ . قَلَّةُ الْعِمَالِ أَحَدُ الدِّسَارَيْنِ ، رَبِّمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا بِأَتْنَيْنِ . لَنْ تَعْدَمَ الْحَسَنَاءُ ذَامًا ^(٥) . لَمْ يَعْدَمِ الْغَاوَى لَا تَمًّا . لَا تَكُ فِي أَهْلِكَ كَالْجَنَازَةِ ^(٦) . لَا تَسْخَرْ مِنْ شَيْءٍ فَيَجُوزَ بِكَ . آخِرُ الشَّرِّ فَإِذَا شئتَ تَعَجَّلْتِهِ . صَغِيرُ الشَّرِّ يُوْشِكُ أَنْ يَكْبُرَ . يَبْصُرُ الْقَلْبُ مَا يَعْمَى عَنْهُ الْبَصَرُ . الْحُرُّ حُرٌّ وَإِنْ مَسَّهُ الضَّرُّ . الْعَبْدُ عَبْدٌ وَإِنْ سَاعَدَهُ جَدٌّ ^(٧) مِنْ عَرَفَ قَدْرَهُ اسْتَبَانَ

(١) الدين بالكسر : الجزاء دانه يدينه ديننا بالفتح ويكسر ، ومعنى المثل كما تجازى تجازى : أى كما تعمل تجازى ، إن حسنا فحسن ، وإن سيئا فسيئ ، وقوله تدين : أراد تعمل فسمى الابتداء جزاء للمطابقة والموافقة ، وعلى هذا قوله تعالى : « فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ » . ويجوز أن يجرى كلاهما على الجزاء أى كما تجازى أنت الناس غل صنيعهم كذلك تجازى على صنيعك .

(٢) فى الأصل « عين رفت » وهو تشويه ، وصوابه « عين عرفت فذرفت » .

(٣) الحين : الهلاك ، وقوله : نزل بين الأذن والعين أى بسمع ومر أى من نزل به لا يختفيا عنه .

(٤) زنى زنى زنى وزناء .

(٥) اللام : والذم الغيب ، قال الميدانى : « وأول من تكلم بهذا المثل فيما زعم أهل الأخبار حبى بنت مالك بن عمرو العدوانية (وحبى : بضم الحاء ، وتشديد الباء المفتوحة) وكانت من أجمل النساء ، فسمع يجمها ملك غسان فخطبها إلى أبيها ، وحكمه فى مهرها ، وسأله تعجيلها ، فلما عزم الأمر ، قالت أمها لتبايعها : إن لنا عند الملامسة رشحة فيها هنة ، فإذا أردت ، إدخالها على زوجها ، فطيبنها بما فى أصدافها فلما كان الوقت أعجلهن زوجها ، فأغفلن تطيبها ، فلما أصبح قيل له : كيف وجدت أهلك : طروقتك ، البارحة ؟ فقال ما رأيت كالكيلة قط لولا رويحة أنكرتها ، فقالت هى من خلف السرير « لا تعدم الحسنة ذاما » فأرسلتها مثلا .

(٦) الجنائزة بالكسر : الميت ، ويفتح ، أو بالكسر الميت ؛ وبالفتح السرير ، أو عكسه ؛ أو بالكسر السرير مع الميت ، والمراد هنا الميت ، وهذا المثل والمثلان قبله فى الأصل مشوهة مختلطة هكذا : لن تعدم الحسنة ما لم يعدم الغاوى لا يمالأ بك فى أهلك كالجنائزة » . (٧) الجد : الحظ .

أمره . من سرّه بنوه ساءته نفسه . من تعظم على الزمان أهانه . من تعرض للسلطان آذاه ، ومن تطامن له تخطّاه . من خطا يخطو^(١) . كل مبذول تملول . كل ممنوع مرغوب فيه . كل عزيز تحت القدرة ذليل . لكل مقام مقال . لكل زمان رجال . لكل أجل كتاب . لكل عمل ثواب . لكل نيا مستقر . لكل سرّ مستودع . قيمة كل إنسان ما يُحسِن . اطلب لكل غلق^(٢) مفتاحاً . أكثّر في الباطل يكن حقاً . عند القنط^(٣) يأتي الفرج . عند الصباح يُحمد السرى^(٤) . الصدق مَنجاة ، والكذب مهوأة . الاعتراف يهدم الاقتراف . ربّ قول أنفذ من صول . رب ساعة ليس بها طاعة . رب عَجَلَة تُعَقِّبُ ريثاً^(٥) . بعض الكلام أقطع من الحسام . بعض الجهل أبلغ

(١) يريد : من حاول الخطو وعالجه استطاعه ومرن عليه ، أى أن من أراد أمراً وتحيل له وأخذ في معالجته وبمارسته ، تم له ما يبغي ، وهو كقولهم : إنما العلم بالتعلم ، « ورفع يخطو في المثل حسن لأن الشرط ماض » . (٢) الغلق : القفل كالمغلاق . (٣) القنط والقنوط : اليأس .

(٤) السرى : السير ليلاً ، ويروى « عند الصباح يحمد القوم السرى » وهو مثل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة ، وفي الميداني : « أن أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر رضى الله عنهما وهو بالبيامة أن سر إلى العراق ، فأراد سلوك المفازة ، فقال له رافع الطائي : قد سلكتها في الجاهلية ، هي خمس للإبل الواردة (فلاة خمس بكسر الحاء : بعد وردها حتى يكون ورد النعم اليوم الرابع سوى اليوم الذي شربت فيه) ولا أظنك تقدر عليها إلا أن تحمل من الماء ، فاشترى مائة شارب (الشارب الناقة المستنة) فمطشها ثم سقاها الماء حتى رويت ، ثم سلك المفازة ، حتى إذا مضى يومان وخاف العطش على الناس والخيول ، وخشى أن يذهب مائى بطون الإبل نحر الإبل ، واستخرج مائى بطونها من الماء ، فسقى الناس والخيول ومضى ، فلما كان في الليلة الرابعة . قال رافع : انظروا هل ترون سدا عظيماً (السدر بالكسر شجر التبق) فإن رأيتموها وإلا فهو الهلاك ، فنظر الناس فرأوا السدر فأخبروه فكبر وكبر الناس ، ثم هجموا على الماء فقال خالد رجوا منه « عند الصباح يحمد القوم السرى » .

(٥) الريث : الإبطاء ويروى تهب ريثاً ، وفي الميداني : « أن أول من قال ذلك مالك بن حوف ابن أبي عمرو بن عوف بن عوف بن مالك بن أبي عمرو بن عوف بن عوف بن عوف بن عوف بن عوف ، فأراد أن يرحل بامرأته وهي أخت مالك بن عوف ، فقال له مالك : أين تظنن يا أخى ؟ قال : أطلب موقع هذه السحابة . قال : لا تفعل فإنه ربما خيلت ، وليس فيها قطر ، وأنا أخاف عليك فأبى ، ومضى فعرض له مروان القرظ بن زنباع العبسى ، فأعجله عنها وانطلق بها ، وجعلها بين بناته وإخوته ولم يكشف =

من الحِلْم . ربيع القلب ما انتهى . الهوى شديد العى . الهوى الإله المعبود . الرأى
 نائم ، والهوى يقظان . غلب عليك من دعا إليك . لا راحة لحسود ولا وفاء . لا سرور
 كطبيب النفس . العمر أقصر من أن يحتمل الهجر . أحق الناس بالعفو أقدرهم على
 العقوبة . خير العلم ما نفع . خير القول ما أتبع . البطنة^(١) تذهب الفطنة . شر العى
 عى القلب . أوثق الثرى كلمة التقوى^(٢) . النساء حبايل الشيطان . الشباب شعبة من
 الجنون . الشقى من شق في بطن أمه . السعيد من وعظ بغيره . لكل امرئ في بدنه
 شغل . من يعرف البلاء يصبر عليه . المقادير تريك مالا يحظر ببالك . أفضل الزاد
 ما تزود للمعاد . الفحل أحمى للشول^(٣) . صاحب الحظوة غداً ، من بلغ المدى . عواقب
 الصبر محمود . لا تبلى الغايات بالأمانى . الصريمة^(٤) على قدر العزيمة . الضيف يثنى أو
 يذم من تفكر اعتبر . كم شاهد لك لا ينطق . ليس منك من غشك . ما نظر لأمرئ مثل
 نفسه . ماسد فقرك إلا ملك يمينك . ما على عاقل ضيعة . الغنى فى الغربة وطن . المقل فى أهله
 غريب ، أول المعرفة الاختبار : يدك منك وإن كانت شلاء . أنفك منك وإن كان أجده^(٥) .

= لها سترًا فقال مالك بن عوف لسان : ما فعلت أختي ؟ قال : نفتنى عنها الرماح ؛ فقال مالك : « رب عجلة
 تهب ريثا . ورب فروة يدعى ليثا ، ورب غيث لم يكن غيثا » ، فأرسلها مثلاً ، يضرب للرجل يشتد حرصه
 على حاجة ، ويحرق فيها حتى تذهب كلها .

(١) البطنة : الامتلاء الشديد من الطعام . (٢) انظر خطبة عبد الله بن مسعود .

(٣) الشول : جمع شائلة وهى من الإبل ما آق عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها ،
 وأحمى : أفعل من الجماية . (٤) الصريمة : قطع الأمر (والعزيمة) .

(٥) ويروى « منك أنفك وإن كان أجده » وفى الميدانى : « أول من قال ذلك قنفذ بن جفونة المازنى
 للربيع بن كعب المازنى . وذلك أن الربيع دفع فرسا كان قد أبر على الخيل (أى زاد) كرماً وجودة إلى
 أخيه كيش ليأتى به أهله ؛ وكان كيش أنوك مشهوراً بالحق ، وكان رجل من بنى مالك يقال له قراد
 ابن جرم قدم على أصحاب الفرس ليصيب منهم غرة فيأخذها ، وكان داهية فسكت فيهم مقيماً لا يمرفون
 نسبه ولا يظهره هو ، فلما نظر إلى كيش راكباً الفرس ركب نافته ثم عارضه ، فقال يا كيش : هل لك
 فى عانة لم أر مثلها سمناً ولا عظماً (العانة : القطيع من حمر الوحش) وغير معها من ذهب ؟ فأما الآن
 (بضمين جمع أتان) فتروح بها إلى أهلك فتملأ قدورهم ، وتفرح صدورهم ، وأما العير فلا افتقار بعده =

من عُرِفَ بالكذب جاز صدقه^(١) . الصحة داعية السقم . الشباب داعية الهرم . كثرة الصيَّاح من الفشل . إذا قَدُمَت المصيبة تُرِكَت التعزية . إذا قَدُمَ الإخاء سَمَّجَ الثناء . العادة أملك من الأدب . الرفق يُبْنِ وألحوقُ شؤم . المرأة رِيحانة وليست بقَهْرْمَانَةٍ^(٢) . الدال على الخير كفاعله . المحاجة قبل المناجزة . قبل الرِّمَاية تملأ الكنائن . لكل ساقطة لا قطة . مَقْتَل الرجل بين فكَّيه . ترك الحركة غفلة . الصمت حُبْسَة . مَنْ خَيْرَ خَبَرٍ . إِنْ تَسْمَعُ تُنْظَرُ^(٣) . كفى بالمرء خِيَانَةً أَنْ يَكُونَ أَمِينًا لِلْخَوَانَةِ . قَبِدُوا النِّعَمَ بالشكر . من يزرع المعروف يحصد الشكر . لا تغتر بمودة الأمير إذا غشك الوزير . أعظم من المصيبة سوء الخلف منها . من أراد البقاء فليوطن نفسه على المصائب . لقاء الأحبة مَسَلَاةٌ لَهُمْ . قطيعة الجاهل كصلة العاقل . من رضى على نفسه كُتِرَ الساخط عليه . قتلت أرضٌ جاهليها ، وقتل أرضاً عارفيها . أدوا الداء الخلق الدني ، واللسان البذي . إذا جملك السلطان أَخًا فاجعله رَبًّا . احذر الأمين ولا تأمن الخائن . عند الغاية يُعْرِفُ السَّبْقُ . عند الرِّهَانِ يُحْمَدُ المِضْمَارُ . السؤال وإن قَلَّ ، أكثر من النوال وإن جَلَّ . كافي المعروف بمثله أو انشُرْه . لا خَلَّةَ^(٤) مَعَ غَيْلَةٍ . لا مروءة مع ضُرٍّ ، ولا صبر مع شكوى .

= قال له كيش : وكيف لنا به ؟ قال : أنا لك به ؛ وليس يدرك إلا على فرسك هذا ، ولا يرى إلا بليل ، ولا يراه غيرى ، قال كيش : فدونكه ؛ قال نعم وأملك أنت راحلق ، فركب قراد الفرس وقال : انتظرني في هذا المكان إلى هذه الساعة من غد ؛ قال : نعم ومضى قراد : فلم يزل كيش ينتظره حتى أمسى من غده وجاع ، فلما لم ير له أثرا انصرف إلى أهله وقال في نفسه : إن سألني أخى عن الفرس قلت تحول ناقة ، فلما رآه أخوه الربيع عرف أنه خدع عن الفرس ، فقال له : أين الفرس ؟ قال : تحول ناقة ؛ قال : فما فعل العرج ؟ قال : لم أذكر العرج فاطلب له علة ، فصرعه الربيع ليقتله ؛ فقال له قنفذ بن جعونة : له عما فاتك ، فإن أنفك منك وإن كان أجدع ؛ فذهبت مثلا .

- (١) في مجمع الأمثال (٢ : ١٧٥) : « من عرف بالصدق جاز كذبه ؛ ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه » . (٢) القهرمان : هو كالحازن والوكيل الحافظ لما تحت يده ؛ والقائم بأمور الرجل بلغة الفرس . (٣) أى إن تفتح أذنك للأقاويل تملط وابلا منها . (٤) الخلة : الصداقة المختصة لا خلل فيها . والعيلة الفقر .

ليس من العدل ، سرعة العَدْلِ^(١) . عبدُ غيرك حرٌّ مثلك . لا يَقدِّمُ الخِيَارَ ، من استشار .
الوضع من وضع نفسه . المَهِين من نَزَلَ وحَدَّه من أَكثَرَ أَهْجَرَ^(٢) . كفى بالمرء كذِبًا
أن يحدث بكل ما سمع .
(المقد الفريد ١ : ٢٧٢)

* * *

ومن أمثال أكنم بن صيفي أيضاً :

« في الجريرة تَشْتَرِك العشيْرة^(٣) . إذا قُرِعَ الفؤاد ذهب الرِّقَاد . هل يَهْلِكُنِي
فقدُ ما لا يعود ؟ أعوذ بالله أن يرميني امرؤ بدائه . رَبُّ كلام ، ليس فيه اكتتام .
حافظ على الصديق ، ولو في الحريق . ليس يبسير ، تقويم العسير . إذا أردت النصيحة ،
فتأهب للظَنَّة . متى تعالج مال غيرك تَسَام . غَثَّكَ خير من سمين غيرك . لا تَنْطَحُ جَمَاء^(٤)
ذَاتَ قَرَن . قد يُبْلَغ الخضم بالخضم^(٥) . قد صَدَعَ الفِرَاقُ ، بين الرفاق . اسْتَمَانُوا^(٦)
أخاكم ، فإن مع اليوم غداً . الحُرُّ عزوف^(٧) . لا تطمع في كل ما تسمع .
(جمهرة الأمثال ٢ : ١٠٣)

٨٨ — نصيحة الجمانة بنت قيس بن زهير لجدها الربيع بن زياد

كان قيس بن زهير العبَّسِي قد اشترى من مكة دِرْعًا حَسَنَةً ، تسمى ذات الفضول ،
وَوَرَدَ بها إلى قومه ، فرآها عمه الربيع بن زياد ، وكان سيد بني عَبَّس ، فأخذها منه

(١) اللوم . (٢) الإهجار : الإفحاش وهو أن يأتي في كلامه بالفحش .

(٣) مثل يضرب في الحث على المواساة .

(٤) الجماء : الشاة بلا قرن مؤنث الأجم . (٥) الخضم : الأكل بأطراف الأسنان ، والخضم

الأكل بأقصى الأضراس ، ومعنى المثل : قد تدرك الغاية البعيدة بالرفق . (٦) انتظروا .

(٧) من عزفت نفسه عنه : إذا زهدت فيه وانصرفت عنه أي أنف راغب عن الدنيا .

غَضَبًا ، فَقَالَتْ الْجَانَّةُ بِنْتُ قَيْسٍ لَأَبِيهَا : دَعْنِي أَنَاظِرُ جَدِّي ، فَإِنْ صَلَحَ الْأَمْرُ يَدِينِكَا ، وَإِلَّا كُنْتُ مِنْ وَرَاءَ رَأْيِكَ ، فَأَذِنَ لَهَا ، فَأَتَتْ الرَّبِيعَ فَقَالَتْ :

« إِذَا كَانَ قَيْسٌ أَبِي ، فَإِنَّكَ يَا رَبِيعُ جَدِّي ، وَمَا يَجِبُ لَهُ مِنْ حَقِّ الْأَبُوَّةِ عَلَيَّ ، إِلَّا كَالَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْ حَقِّ الْبُنُوَّةِ لِي ، وَالرَّأْيُ الصَّحِيحُ تَبَعْتُهُ الْعِنَايَةُ ، وَتَجَلَّى عَنِ تَحْضِهِ النَّصِيحَةُ ، إِنَّكَ قَدْ ظَلَمْتَ قَيْسًا بِأَخْذِ دِرْعِهِ ، وَأَجَدْتُ مَكَافَاتِهِ إِيَّاكَ سُوءَ عَزْمِهِ ، وَالْمُعَارِضُ مُنْتَصِرٌ ، وَالْبَادِي أَظْلَمُ ، وَلَيْسَ قَيْسٌ بِمَنْ يُخَوِّفُ بِالْوَعِيدِ ، وَلَا يَرُدُّهُ التَّهْدِيدُ ، فَلَا تَرَكْنِي إِلَى مَنَابَذَتِهِ ، فَالْحَزْمُ فِي مُتَارَكْتِهِ ، وَالْحَرْبُ مُتَلَفَةٌ لِلْعِبَادِ ، ذَهَابَةٌ بِالطَّارِفِ وَالتَّلَادِ ، وَالسَّلَامُ أَرْخَى لِلْبَالِ ، وَأَبْقَى لِأَنْفُسِ الرِّجَالِ ، وَبِحَقِّ أَقُولُ : لَقَدْ صَدَعْتُ بِحُكْمِي ، وَمَا يَدْفَعُ قَوْلِي إِلَّا غَيْرُ ذِي فَهْمٍ » ، ثُمَّ أُنْشَأَتْ تَقُولُ :

أَبِي لَا يَرَى أَنْ يَتَرَكَ الدَّهْرَ دِرْعَهُ وَجَدِّي يَرَى أَنْ يَأْخُذَ الدَّرْعَ مِنْ أَبِي
فَرَأَى أَبِي رَأْيُ الْبَخِيلِ بِمَالِهِ وَشِيمَةُ جَدِّي شِيمَةُ الْخَائِفِ الْأَبِي

(بلاغات النساء ص ١٢٥)

٨٩ - وصف عصام الكندية أم إياس بنت عوف بن محم الشيباني

لَمَّا بَلَغَ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرِو مَلَكَ كِنْدَةَ جَمَالَ أُمُّ إِيَّاسُ بِنْتُ عَوْفِ بْنِ مُحْمَلِّ الشَّيْبَانِي ، وَكَأَلَهَا وَقُوَّةَ عَقْلِهَا ، أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ، فَدَعَا امْرَأَةً مِنْ كِنْدَةَ ، يَقَالُ لَهَا عِصَامُ ، ذَاتَ عَقْلٍ وَلِسَانٍ ، وَأَدَبٍ وَبَيَانٍ ، وَقَالَ لَهَا : إِذْهَبِي حَتَّى تَعْلَمِي لِي عِلْمَ ابْنَةِ عَوْفٍ ، فَضُضْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى أُمِّهَا أُمَامَةَ بِنْتُ الْحَارِثِ ، فَأَعْلَمَتْهَا مَا قَدِمْتُ لَهُ ، فَأَرْسَلَتْ أُمَامَةَ إِلَى ابْنَتِهَا وَقَالَتْ : أَيُّ بُنْيَةٍ ، هَذِهِ خَالَتُكَ أَنْتَ إِلَيْكَ لَتَنْظُرَ إِلَى بَعْضِ شَأْنِكَ ، فَلَا تَسْتُرِي عَنْهَا شَيْئًا أَرَادَتْ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، مِنْ وَجْهِهِ وَخَلْقِهِ ، وَنَاطِقِيهَا فِيمَا اسْتَنْطَقَتْكَ فِيهِ ، فَدَخَلَتْ عِصَامَ عَلَيْهَا ، فَظَنَرَتْ إِلَى مَا لَمْ تَرَ عَيْنُهَا مِثْلَهُ قَطُّ بِهَجَةٍ وَحَسَنًا وَجَمَالًا ، فِإِذَا هِيَ أَكُلُ النَّاسِ عَقْلًا ، وَأَفْصَحُهُمْ لِسَانًا ، فَخَرَجَتْ مِنْ عِنْدِهَا وَهِيَ تَقُولُ : (تَرَكَ الْخِلْدَاعَ مَنْ كَشَفَ

القِنَاعَ) فذهبت مثلاً ، ثم أقبلت إلى الحارث فقال لها : (ما وراءك يا عِصَامُ) ؟ فأرسلها مثلاً ، قالت : (صَرَاحَ الْمَخْضُ عَنْ الرُّبْدِ ^(١)) ، فذهبت مثلاً . قال أخبريني ، قالت : أخبرك صدقاً وحقاً :

« رأيت جَبْهَةً كَلَمْرَاءَ الصَّقِيلَةِ ، يَزِينُهَا شَعْرٌ حَالِكٌ ، كَأَذْنَابِ الْخَيْلِ الْمَضْفُورَةِ ^(٢) ،
إِنْ أُرْسِلَتْ خِلَتَهُ السَّلَاسِلَ ، وَإِنْ مَشَطَتْهُ قَلَتَ عَنَاقِيدُ كَرِيمٍ جَلَاهَا الْوَابِلُ ^(٣) ،
وَحَاجِبِينَ كَأَنَّهُمَا خُطَا بِقَلَمٍ ، أَوْ سَوْدًا بِحُمَمٍ ^(٤) قد تقوسا على عيني الظبيّة العَبْهَرَةِ ^(٥)
التي لم يَرُعْهَا قَانِصٌ ، وَلَمْ يَذْعِرْهَا قَسُورَةٌ ^(٦) ، بَيْنَهُمَا أَنْفٌ كَحَدِّ السَّيْفِ الْمَصْقُولِ ^(٧) ،
لَمْ يَخْنِسْ بِهِ ^(٨) قِصَرٌ ، وَلَمْ يَمْنَعْ ^(٩) بِهِ طَوْلٌ ، حَقَّتْ بِهِ وَجَعَتَانِ كَالْأَرْجُوانِ ^(١٠) ،
فِي بَيَاضٍ نَحْضٍ كَالْجَبَانِ ^(١١) ، شُقَّ فِيهِ فَمٌ كَالْخَاتَمِ ، لِذِيذِ الْمُبْتَسِمِ ، فِيهِ ثَنَائِيَا غُرٌّ ،
ذَوَاتِ أَثَرٍ ^(١٢) ، وَأَسْنَانٌ تَبْدُو كَالدُّرَرِ ، وَرَيْقٌ كَالنَّحْرِ لَهُ نَشْرُ الرَّوْضِ بِالسَّحَرِ ، يَتَقَلَّبُ
فِيهِ لِسَانٌ ذُو فَصَاحَةٍ وَبَيَانٍ ، يَجْرُ كَهَ عَقْلٍ وَافِرٍ ، وَجَوَابٍ حَاضِرٍ ، تَلْتَقِي دُونَهُ شَفَتَانِ
حَمْرَاوَانِ كَاللُّورِ ، يَجْلِبَانِ رَيْقًا كَالشَّهْدِ ، تَحْتَ ذَلِكَ عُنُقُ كِبَارِيقِ الْفِضَّةِ ، رُكْبٌ
فِي صَدْرٍ كَصَدْرِ تِمَالِ دُمِيَّةٍ ^(١٣) ، يَتَصَلُّ بِهَا عَضُدَانِ مِمْتَلِئَانِ لَحْمًا ، مُكْتَنِرَانِ ^(١٤) شَحْمًا ،
وَذِرَاعَانِ لَيْسَ فِيهِمَا عَظْمٌ يُحْسُّ ، وَلَا عِرْقٌ يُحْسُّ ، رُكْبَتٌ فِيهِمَا كَفَّانٌ ، دَقِيقٌ

-
- (١) مخض اللبن : أخذ زبده ، والتصريح : تبين الأمر ، وهو مثل يضرب للأمر إذا انكشف وتبين . (٢) في الأصل « المتصورة » وهو تحريف وصوابه « المضفورة » .
(٣) المطر الشديد الضخم القطر . (٤) الحُمَم : الفحم .
(٥) العبهره والعبهر : الرقيقة البثرة الناصعة البياض ، والسمينة المعتلة الجسم .
(٦) القسورة : الرماة من الصيادين ، الواحد قسور .
(٧) في مجمع الأمثال « الصنيع » وهو السيف الصقيل المجرب . (٨) خنس عنه كضرب وكرم تأخر « والخنس : محركة تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة ، خنس كفرح فهو أخنس وهي خنساء » . (٩) وفي جمهرة الأمثال « ولم يمعن » . (١٠) الأرجوان : صبيغ أحمر .
(١١) الجبان : اللؤلؤ ، أو هنوات أشكال اللؤلؤ من فضة . (١٢) أثر الأسنان : التحزيز الذي فيها . (١٣) الدمية : الصورة المنقشة من الرخام أو عام . (١٤) اكتنز : اجتمع وامتأ .

قَصَبُهُمَا ، لَيْنُ عَصَبُهُمَا ، يُعَقَّدُ إِنْ شَتَّ مِنْهُمَا الْأَنَامِلُ ، وَتُرَكَّبُ الْفُصُوصُ فِي حُمْرِ
 الْمَفَاصِلِ ، وَقَدْ تَرَبَّعَ فِي صَدْرِهَا حُقَّانٌ ، كَانَهُمَا رُمَانَتَانِ ، يَخْرِقَانِ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا ، تَحْتَ
 ذَلِكَ بَطْنٌ طَوِيٌّ كَطَيِّ الْقُبَابِيِّ ^(١) الْمُدْمَجَّةِ ، كَسِيَّ عَكْنًا ^(٢) كَالْقَرَاطِيسِ الْمُدْرَجَةِ ^(٣)
 تَحِيطُ تِلْكَ الْعَمَكَنُ بِسُرَّةٍ كَمُدْهْنٍ ^(٤) الْعَاجِ الْمَجْلُوِّ ، خَلْفَ ذَلِكَ ظَهْرٌ كَالْجَدُولِ ،
 يَنْتَهِي إِلَى خَصْرِ ، لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ لَأَنْبَتَرَ ، تَحْتَهُ كَفَلٌ ^(٥) يُقْعِدُهَا إِذَا نَهَضَتْ ،
 وَيُنْهَضُهَا إِذَا قَعَدَتْ ، كَأَنَّهُ دِعْصٌ ^(٦) رَمَلٍ ، لَبَدَهُ سَقُوطُ الطَّلِّ ، يَحْمِلُهُ فُخْدَانُ لَقَاوَانٍ ^(٧)
 كَانَهُمَا نَضِيدُ الْجُمَانِ ، نَحْتُهُمَا سَاقَانِ ، خَدَلَتَانِ ^(٨) كَالْبَرْدِيِّ ، وَشَيْتَا بَشَرِ أَسُودَ ،
 كَأَنَّهُ حَلَقُ الزَّرْدِ ، يَحْمِلُ ذَلِكَ قَدَمَانِ ، كَحَذْوِ اللِّسَانِ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ مَعَ صَفَرِهَا
 كَيْفَ تَطْيِقَانِ حَمْلَ مَا فَوْقَهُمَا ، فَأَمَّا مَاسُوِيٌّ ذَلِكَ فَتَرَكْتَ أَنْ أَصْفَهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَحْسَنُ
 مَا وَصَفُهُ وَأَصْفُ بَنْظُمٍ أَوْ نَثَرٍ » ، فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ إِلَى أَبِيهَا فَعَطَبَهَا ، فَزَوَّجَهُ بِهَا ^(٩) .

(العقد الفريد ٣ : ٢٣٥ ، ومجمع الأمثال ٢ : ١٤٣ ، وجمهرة الأمثال ٢ : ٢٧)

-
- (١) القبابي (بضم الأول مع تشديد الآخر) وقبابي (بفتح الأول مع تخفيف الآخر) جمع
 قبطية (بالضم على غير قياس وقد تكسر) : ثياب كتان بيض رفاق كانت تعمل في مصر .
 (٢) المكن : جمع عكنة (كفرصة) وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا . (٣) المطوية .
 (٤) المدهن : قارورة الدهن . (٥) عجز .
 (٦) الدعص : الكتيب من الرمل المجتمع . (٧) اللغاء : الفخذ الضخمة (والضخمة الفخذين) .
 (٨) ساق خدلة : ممتلئة ضخمة (والخدلة المرأة الغليظة الساق المستديرتها وفي العقد : « خد لجتان » .
 (٩) بفتح الحاء والذال وتشديد اللام) والخذلة : المرأة الممتلئة الذراعين والساقين .

(٩) في مجمع الأمثال وجمهرة الأمثال ، أن الذي تزوج أم إياس هو الحارث بن عمرو ، والحارث هذا
 هو جد امرئ القيس ، وذكر صاحب العقد أن الذي تزوجها هو عمرو بن حجر ، وأنها ولدت له الحارث
 ابن عمرو جد امرئ القيس غير أننا نلاحظ أنه قال في مقدمة هذا الوصف : « ثم أقبلت عصام إلى الحارث
 فقال لها ما وراك يا عصام ؟ . . . الخ » .

٩٠ - وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس

فما أحملت إلى زوجها قالت لها أمها أمامة بنت الحارث :

« أى بنية : إن الوصية لو تركت لفضل أدب ، تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ، ومعوونة للعامل ، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبيها ، وشدة حاجتهما إليها ، كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال .

أى بنية : إنك فارقت الجو الذى منه خرجت ، وخلقت العيش الذى فيه درجت ، إلى وكير لم تعرفه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه ^(١) عليك رقيباً ومليكاً ، فكونى له أمةً يكن لك عبداً وشيكاً ^(٢) . يا بنية : احملى غنى عشر خصال تسكن لك ذخراً وذكراً ، الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينه ، والنقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشتم منك إلا أطيّب ريح ، والكحل أحسن الحسن ، والماء أطيّب الطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عنه عند منامه ، فإن حرارة الجوع مَلْهَبَةٌ ، وتغصيص النوم مَغْضَبَةٌ ، والاحتفاظ ببيتته وماله ، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والإرعاء على العيال والحشم جميل التدبير ، ولا تفشى له سرّاً ، ولا تعصى له أمراً ، فإنك إن أفضيت سرّه ، لم تأمنى غدره ، وإن عصيت أمره ، أوغرت صدره ، ثم انتقي من

(١) أملكه إياها : زوجه فلعلها ملكها ، مثلث الميم .

(٢) الوشيك ، السريع : أى يكن عبداً سريع الإجابة .

ذلك الفَرَحَ إن كان تَرَحًا ، والا كَتَّابَ عِنْدِهِ إن كان فَرَحًا ، فإن الخصلة الأولى من
التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوني أشد ما تكونين له إعطائًا ، يكن أشدَّ
ما يكون لك إكرامًا ، وأشدَّ ما تكونين له موافقةً ، يكن أطولَ ما تكونين له
مُرَانَةً ، واعلمى أنك لاتصلين إلى ما تحبين ، حتى تُؤثري رضاه على رضاك ، وهواه
على هواك فيما أحببت وكرهت ، والله ينجي لك .

(مجمع الأمثال ٢ : ١٤٣ ، والمقد الفريد ٣ : ٢٢٣)

الخطبة والوصايا

في

عصر صدر الإسلام

خطب النبي صلى الله عليه وسلم

١ - أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه

سبح الله واثني عليه ثم قال :

« إِنَّ الرَّائِدَ ^(١) لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وَاللَّهِ لَوْ كَذَبْتُ النَّاسَ جَمِيعًا مَا كَذَبْتُكُمْ ،
وَلَوْ غَرَرْتُ النَّاسَ جَمِيعًا مَا غَرَرْتُكُمْ ، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لِرَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
خَاصَّةٌ ، وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةٌ ، وَاللَّهُ لَمَوْثٌ كَمَا تَنَامُونَ ، وَلَتَبَعُثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ ،
وَلَتُحَاسِنَنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ ، وَلَتُجْزَوْنَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا ، وَبِالسُّوءِ سُوءًا ، وَإِنَّا لَجَنَّةٌ أَبَدًا ،
أَوْ لَنَارٌ أَبَدًا » .
(السيرة الحلبية ١ : ٢٧٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٧)

(١) المرسل في طلب الكلاء .

٢ — أول خطبة خطبها بالمدينة

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس فقدّموا لأنفسكم ، تَعْلَمَنَّ وَاللَّهِ لَيُضَمَّعَنَّ أَحَدُكُمْ ، ثم ليدعَنَّ غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلغك ، وآتيتك مالا ، وأفضلت عليك ، فما قدّمت لنفسك ؟ فلينظرن يمينًا وشمالًا ، فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن قدّامه فلا يرى غير جهنّم ، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ، ولو بشقّ من تمره فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تُجْزَى الْحَسَنَةُ عَشْرَ أمثالها إلى سبعمائة ضِعْفٍ ^(١) ، والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته . »

(سيرة ابن هشام ١ : ٣٠٠)

٣ — خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة

« الحمد لله أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأَسْتَهْدِيهِ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَلَا أَكْفُرُهُ وَأُعَادِي مَنْ يَكْفُرُهُ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فِتْرَةٍ من الرسل ، وَقَلَّةٍ من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقُرب من الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد رَشِدَ ^(٢) ، ومن يعصِهمَا فقد غَوَى وفرط ، وَضَلَّ ضلالاً بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحُضَّهُ على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحةً ، ولا أفضل من ذلك ذكراً ، وإن

(١) ضُفِّ الشئ مثله ، وضُفِّه مثله ، أو الضُفُّ المثل إلى ما زاد ، ويقال لك ضُفِّه يريدون مثليه

وثلاثة أمثاله لأنه زيادة غير محصورة . (٢) كنصر وفرح .

تقوى الله لمن عمل به على وجل وخفاة من ربه، عونٌ صدق على ما تبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوى بذلك إلا وجه الله، يكن له ذكراً في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت حين يفتر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوى ذلك يؤد لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه، والله رءوف بالعباد، والذي صدق قوله، وأنجز وعده لا خلف لذلك، فإنه يقول عز وجل: « مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ، وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ » فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله، في السر والعلانية، فإنه من يتقى الله يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً، وإن تقوى الله يوفى مقتته، ويوفى عقوبته، ويوفى سُخطه، وإن تقوى الله يبيض الوجوه، ويرضى الرب، ويرفع الدرجة، خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه، ونهَجَ لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، ولا قوة إلا بالله، فأكبروا ذكر الله، وأعملوا لما بعد اليوم، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضى على الناس، ولا يقضون عليه، يملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العظيم .

(تاريخ الطبري ٢ : ٢٥٥)

٤ — خطبة له يوم أحد

قام عليه الصلاة والسلام فخطب الناس فقال :

« أيها الناس أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه، من العمل بطاعته، والتناهي عن محارمه، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخيرة لمن ذكر الذي عليه، ثم وطن نفسه على الصبر واليقين، والجد والنشاط، فإن جهاد العدو شديد كربه، قليل من يصبر عليه إلا

من عَزَمَ له على رشدہ ، إن الله مع من أطاعه ، وإن الشيطان مع من عصاه ، فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد ، واتمسوا بذلك ما وعدكم الله ، وعليكم بالذي أمركم به ، فإنى حريص على رشدكم .. إن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف ، وهو مما لا يحبه الله ، ولا يعطى عليه النصر .

أيها الناس إنه قُذِفَ في قلبي أن من كان على حرام فرغب عنه ابتغاء ما عند الله غفرَ له ذنبه ، ومن صلى على محمد وملائكته عشرا ، ومن أحسنَ وقع أجره على الله في عاجل ديناه ، أو في آجل آخرته ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فعليه الجمعة يوم الجمعة ، إلا صبيا أو امرأة أو مريضا أو عبدا مملوكا ، ومن استغنى عنها استغنى الله عنه ، والله غنى حميد .

ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به ، ولا أعلم من عمل يقرّبكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه ، وإنه قد نفثَ الرُّوحُ الأمين في رُوعى أنه إن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله ربكم ، وأجلوا في طلب الرزق ، ولا يحملنكم استبطاؤه على أن تطلبوه بمعصية ربكم ، فإنه لا يُقدَّر على ما عنده إلا بطاعته ، قد بين لكم الحلال والحرام ، غير أن بينهما شُبْها من الأمر لم يعلمها كثير من الناس إلا من عَصَمَ ، فمن تركها حفظ عرضه ودينه ، ومن وقع فيها كان كالراعى إلى جنب الحمى أو شك أن يقع فيه ، وليس ملاك إلا وله حى ، ألا وإن حى الله محارمه ، والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد ، إذا اشتكى تداعى إليه سائر جسده ، والسلام عليكم .

(شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٦٥)

٥ - خطبته بالخيف

وخطب بالتخيف من منى فقال :

« نَصَّرَ^(١) الله عبداً سمع مقاتلي فوعاها ، ثم أذاها إلى من لم يسمعها ، فرب حامل
فقهٍ لافقه له ، ورب حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل^(٢) عليهن قلبُ المؤمن :
إخلاصُ العملِ لله ، والنصيحةُ لِأولى الأمر ، ولزومُ الجماعة ، إنَّ دعوتهم تكون من
ورائِهِ ، ومن كان همه الآخرةَ جمع الله شمله ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي
راغمة ، ومن كان همه الدنيا فرَّق الله أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأتِهِ من الدنيا
إلا ما كُتِبَ له » . (إعجاز القرآن ص ١١٢)

٦ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

ومن خطبه أيضاً أنه خطب بعد العصر فقال :

« ألا إنَّ الدنيا خَصِيرةٌ حُلُوَّةٌ ، ألا وإن الله مستخلفكم فيها فناظروا كيف تعملون
فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، ألا لا يَمُنَّ مَنْ رَجُلًا مخافةُ الناس أن يقول الحق إذا علمه .
ولم يزل يخطب حتى لم تبق من الشمس إلا حمرة على أطراف السَّعَف فقال : إنه لم يبق
من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى » . (إعجاز القرآن ص ١١٣)

(١) من النصرة والنضارة : وهي الحسن .

(٢) غل صدره يغل كضرب غلا : وهو الحقد والضغن .

٧ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

« إن الحمد لله أحمدُه وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأشهد أن لا إلهَ إلاَّ الله وحده لا شريك له ، إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ، قد أَفْلَحَ مَنْ زَيَّنَهُ اللهُ فِي قَلْبِهِ ، وأدخله في الإسلام بعد الكفر ، واختاره على ما سواه من أحاديثِ النَّاسِ ، إنه أَصْدَقُ الْحَدِيثِ وَابْلَغُهُ ، أَحَبُّوا مِنْ أَحَبِّ اللهِ ، وَأَحَبُّوا اللهُ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ ، وَلَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللهِ وَذِكْرَهُ ، وَلَا تَقْسُوا عَلَيْهِ قُلُوبَكُمْ ، اعبُدُوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، اتقوا الله حَقَّ تَقَاتِهِ ^(١) ، وَصَدَّقُوا صَالِحَ مَا تَعْمَلُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ ، وَتَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ بَيْنَكُمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ » .

(إعجاز القرآن ص ١١٠)

٨ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أَيُّهَا النَّاسُ إِن لَكُمْ مَعَالِمٌ ^(٢) فَانْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ ، وَإِنْ لَكُمْ نَهْيَةٌ فَانْتَهُوا إِلَى نَهْيَتِكُمْ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ ، أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا اللهُ فَاعِلٌ فِيهِ ، وَأَجَلٍ بَاقٍ لَا يَدْرِي مَا اللهُ قَاضٍ فِيهِ ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فوالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ : ما بعد الموت من مُسْتَقْتَبٍ ^(٣) ، ولا بعد الدنيا من دارٍ إلاَّ الْجَنَّةُ أو النَّارُ .

(تهذيب الكامل ١ : ٥ ، إعجاز القرآن ١١٠ ، البيان والتبيين ١ : ١٦٥ ، عيون الأخبار م ٢ : ص ٢١٣ ،

وغرر الخصاص الواضحة ١٥٠) .

(١) التقاة : التقوى .

(٢) جمع معلم كذهب ؛ وهو الأثر يستدل به على الطريق ؛ والمراد حدود الشريعة المطهرة .

(٣) استعني : أعطاه العتيبي (وهى الرضا والصفح) وطلب إليه العتيبي .

٩ — خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أيها الناس كأنَّ الموت فيها على غيرنا قد كُتِبَ ، وَكَانَ الحق فيها على غيرنا قد وَجَبَ ، وَكَانَ الذي نُشِيعُ من الأموات سَفَرُ ، عَمَّا قَلِيلٍ إلينا راجعون ، نبؤهم أجدائهم ، ونأكل من تُرَاهِم ، كَأَنَّا مُحَلَّدُونَ بعدهم ، ونسبنا كل واعظة ، وأمينًا كلَّ جائحة^(١) ، طُوبَى^(٢) لِمَنْ شغله عَيْنُهُ عن عيوب الناس ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ مَالًا ا كَتَسَبه من غير معصية ، وجالس أهل الفَقْرِ والحِكْمَةِ ، وخالط أهل الذل والمَسْكَنَةِ ، طُوبَى لِمَنْ زَكَّتْ وَحَسَنَتْ خَلِيقَتُهُ ، وَطَابَتْ سَرِيرَتُهُ ، وَعَزَلْ عن الناس شرَّهُ ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، وَوَسَّعَتُهُ السَّنَةُ ، ولم تَسْتَهْوِهِ الْبِدْعَةُ » .

(صبح الأعشى ١ : ٢١٣)

١٠ — خطبة له عليه الصلاة والسلام

أَلَا أيها الناس ، توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا ، وَبَادِرُوا الأعمال الصالحة قبل أن تُشْغَلُوا ، وَصِلُوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له ، وكثرة الصدقة في السرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، تُرْزُقُوا وَتُوَجَّرُوا وَتُنَصَّرُوا . واعلموا أن الله — عزَّ وجلَّ — قد افترض عليكم الجمعة ، في مقامى هذا ، في عامى هذا ، في شهرى هذا ، إلى يوم القيامة ، حياتى ومن بعد موتى ، فمن تركها وله إمامٌ ، فلا جَمَعَ الله له شَمْلَهُ ، ولا بَارَكَ له في أمره ، أَلَا ولا حجَّ له ، أَلَا ولا صومَ له ، أَلَا ولا صدقةَ له ، أَلَا ولا بِرَّ له ، أَلَا ولا يَوْمٌ أَعْرَابِيٌّ مُهَاجِرًا ، أَلَا ولا يَوْمٌ فَاجِرٌ مُؤْمِنًا ، إِلَّا أَنْ يَقْهَرَهُ سُلْطَانٌ يَخَافُ سَيْفَهُ أَوْ سَوْطَهُ » .

(إعجاز القرآن ص ١١٠)

(١) الجوح : الإهلاك والاستئصال كلاجتياح . (٢) مؤث أطيبي ؛ والحسنى ، والخير ، وشجرة في الجنة أو الجنة .

١١ - خطبته يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة ثم قال : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، صَدَقَ وَعْدُهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، أَلَا كُلُّ مَأْثُورَةٍ ^(١) أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يُدْعَى ، فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، إِلَّا سِدَانَةَ الْبَيْتِ ^(٢) ، وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ ، أَلَا وَقَتْلُ الْخَطَا مِثْلُ الْعَمْدِ بِالسُّوْطِ وَالْعَصَا ، فِيهِمَا الدِّيَةُ مُغْلَقَةً ^(٣) ، مِنْهَا أَرْبَعُونَ خَلِيفَةً ^(٤) فِي بَطُونِهَا أَوْلَادُهَا ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنْ اللَّهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَتَعَظَّمَهَا ^(٥) بِالْآبَاءِ ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ خَلِيقٌ مِنْ تَرَابٍ ، ثُمَّ تَلَا : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) الْآيَةُ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ (أَوْ يَأْهْلَ مَكَّةَ) مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ قَالُوا خَيْرًا ، أَخُكَ كَرِيمٌ ، وَابْنُ أَخِي كَرِيمٌ ، قَالَ : أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ .

(تاريخ الطبري ٣ : ١٢٠ ، وإعجاز القرآن ص ١١٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٢١ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٣) .

١٢ - خطبته في الاستسقاء

روى أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله في عام جَدَبٍ ، فَقَالَ : أَتَيْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَمْ يَبْقَ لَنَا صَبِيٌّ يَرْتَضِعُ ، وَلَا شَارِفٌ ^(٥) تَجْتَرُّ نَمَّ أَنْشَدَهُ :
أَتَيْنَاكَ وَالْعَذْرَاءُ بِذِمِّي لَبَّاسُهَا ^(٦) وَقَدْ شُغِلَتْ أُمُّ الرَضِيعِ عَنِ الطِّفْلِ
وَأَلْقَى بِكَفِّهِ الْفَتَى لَأَسْتَكْنِيهِ مِنَ الْجُوعِ حَتَّى مَا يُمِرَّ وَلَا يَحْمِلِي ^(٧)

(١) المأثرة : المسكرمة . (٢) خدمة الكعبة . (٣) الخلفة : الحامل من النياق .

(٤) تعظم : تكبر . (٥) الشارف من النوق : المسنة الهرمة كالشارفة . (٦) أى يدي

صدرها لامتئائها نفسها في الخدمة حيث لا تجد ما تعطيه من يحميها من الجذب وشدة الزمان . (٧) أى ما يضر وما ينفع ، أو ما يأتى بكلمة ولا فعله مرة ولا حلوة .

ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي والمهلز القسل^(١)
 وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل؟
 فقام النبي صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:
 « اللهم أسقنا غيثاً مغيثاً، مريئاً هنيئاً مريئاً^(٢)، سحاً سجالاً^(٣)، غدقاً^(٤)
 طبقاً^(٥)، ديماً درراً^(٦)، تحيى به الأرض، وتنبئ به الزرع، وتدر به الضرع،
 واجمله سقياً نافعاً، عاجلاً غير راثٍ^(٧) .
 فوالله ما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يده إلى نحره، حتى ألت السماء
 أرواقها^(٨)، وجاء الناس يضحجون: الفرق الفرق يا رسول الله، فقال: اللهم حوالينا
 ولا علينا! وانجاب^(٩) السحاب عن المدينة، حتى استدار حولها كالإكليل، فضحك
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه^(١٠) . (شرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ٢١٦)

١٣ - خطبته في حجة الوداع

« الحمد لله محمده واستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا،
 ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،
 وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أوصيكم

(١) العامي: الذي أتى عليه عام، قال الشاعر: « من أن شجاك طلال عامي » والمهلز: طعام
 من الدم والوبر كان يتخذ في المجاعة، والفسل: الرىء الرذل من كل شيء.
 (٢) المريع الخصب، أى تخصب به الأرض التى ينزل عليها. (٣) أى متداولاً بين البلاد، ينال
 كل منها نصيبه منه، والسجل بالفتح: النصيب والدلو المماوة العظيمة، ويقال الحرب سجال: أى نصرتها
 بين القوم متداولة سجل منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء. (٤) الغدق: الماء الكثير.
 (٥) أى مائلاً للأرض مغطياً لها، يقال غيث طبق: أى عام واسع يطبق الأرض.
 (٦) هو جمع درة بالكسر، يقال للسحاب درة: أى صب واندفاق، وقيل الدرر: الدار، كقوله تعالى:
 « دَبْنًا قَوِيًّا » أى قائماً.

(٧) أى غير بطيء. (٨) ألت السحابة أرواقها: أى مطرها ووبلها.

(٩) انكشف. (١٠) النواحد: أقصى الأضراس.

عباد الله بتقوى الله ، وأحسكم على طاعته ، وأستفتح^(١) بالذى هو خير ، أما بعد : أيها الناس اسمعوا مني أبيض لسكم ، فإني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا . أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدا به ربا عبي العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب^(٢) ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ، والعمد قود^(٣) ، وشبه العمدة ما قتل بالعصا والحجر وقيده مائة بعير ، فمن زاد ، فهو من أهل الجاهلية .

أيها الناس : إن الشيطان قد ينس أن يعبد في أرضكم هذه ، ولكنه^(٤) قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم ، أيها الناس : إنما النسي^(٥) زيادة

(١) الاستفتاح : الافتتاح والاستنصار . (٢) وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته بنو هذيل .

(٣) القود : القصاص ، أى من قتل عددا يقتل . (٤) في رواية الكامل لابن الأثير : « إن الشيطان قد ينس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه يطاع فيما سوى ذلك ؛ وقد رضى بما تحقرون من أعمالكم » . (٥) أى تأخير حرمة شهر إلى آخر ، وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه ، وحرّموا مكانه شهرا آخر فيحلون الحرم ، ويحرمون صفرا ، فإن احتاجوا أحلوه وحرّموا زبيعا الأول ، وهكذا حتى استدار التحريم على الشهور السنة كلها ، وكانوا يعتبرون في التحريم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر المعلومه ، وأول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكناني ، كان يقوم على جمل في الموسم فينادى : إن آهتكم قد أحلت لكم الحرم فأحلوه ، ثم ينادى في القبائل : إن آهتكم قد حرمت عليكم الحرم . فحرموه — زيادة في الكفر ، أى كفر آخر ضمّوه إلى كفرهم . ليواطئوا : أى يوافقوا عدة الأشهر الأربعة المحرمة ، وكانوا ربما زادوا في عدد الشهور بأن يجعلوها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا أربعة أشهر من السنة حراما أيضا ، ولذا نص على العدد المبين في الكتاب والسنة ؛ وكان وقت حجهم يختلف من أجل ذلك ، وكان في السنة التاسعة التي حج فيها أبو بكر بالناس في ذي القعدة ، وفي حجة الوداع في ذي الحجة ، وهو الذى كان على عهد إبراهيم الخليل ومن قبله من الأنبياء ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام « إن الزمان قد استدار . . . الخ » - راجع تفسير الألوسي ج ٣ ص ٣٠٥

فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ،
وَأِنْ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنْ عِدَّةُ الشُّهُورِ عِنْدَ
اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ،
ثَلَاثَةٌ مَتَوَالِيَاتٌ ، وَوَاحِدٌ فَرْدٌ : ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْحَرَمُ ، وَرَجَبٌ ^(١) الَّذِي بَيْنَ
جُمَادَى وَشَعْبَانَ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ لِنَسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيْكُمْ حَقٌّ ، لَكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا يُؤْطَيْنَ
فَرَشَكُمْ غَيْرَكُمْ ، وَلَا يَذْخَبَنَّ أَحَدًا تَسْكِرُهُونَهُ بِيُوتِكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ ، وَلَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ
فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ ^(٢) وَتَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ
مُبْرَحٍ ، فَإِنْ انْتَهَبْنَ وَأَطَعْنَكُمْ فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَإِنَّمَا النِّسَاءُ عِنْدَكُمْ
عَوَانٌ ^(٣) لَا يَمْلِكُنَّ أَنْفُسَهُنَّ شَيْئًا ، أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَأَسْتَحْلِمْنَ فِرَاجَهُنَّ بِكَلِمَةٍ
اللَّهُ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ ، وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، وَلَا يَحِلُّ لِمَرءٍ مَالُ أَخِيهِ إِلَّا عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ
مِنْهُ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ! فَلَا تَرَجِعْنِ بَعْدِي كَفَارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ
فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ ، كِتَابُ اللَّهِ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟
اللَّهُمَّ اشْهَدْ !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ رَبِّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، كُلُّكُمْ لِلْآدَمِ ، وَآدَمٌ مِنْ تَرَابٍ ،
أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِي فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟
اللَّهُمَّ اشْهَدْ ! قَالُوا نَعَمْ . قَالَ : فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ .

(١) قَالُوا فِي ثَنِيَّةِ رَجَبٍ وَشَعْبَانَ رَجَبَانِ لِلتَّغْلِيْبِ .

(٢) الْعَضْلُ : الْحَبْسُ وَالتَّضْيِيقُ . (٣) جَمْعُ عَانِيَةٍ مِنْ عَنَا ، أَيْ خَضَعَ وَذَلَّ ، وَالْعَامِيُّ : الْأَسِيرُ

أيها الناس : إن الله قد قَسَمَ لَكُلِّ وَاْرِثٍ نَصِيْبَهُ من الميراث ، وَلَا يَجُوزُ لِوَاْرِثٍ وَصِيَّةٌ ، وَلَا يَجُوزُ وَصِيَّةٌ فِي أَكْثَرِ من الثَلَاثِ ، وَالْوَلَدُ لِلْفَرَاثِلِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ^(١) ، من أَدْعَى إِلَى غيرِ أَبِيهِ ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لَا يَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ^(٢) ، والسلام عليكم ورحمة الله .

(البيان والتبيين ٢ : ١٥ ، المقد الفريد ٢ : ١٣ ، إيجاز القرآن ١١١ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤١ ، تاريخ الطبري ٣ : ١٦٨ ، الكامل لابن الأثير ٢ : ١٤٦ ، سيرة ابن هشام ٢ : ٣٩٠)

١٤ — خطبته في مرض موته

عن الفضل بن عباس قال : جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إليه فوجدته مَوْعُوكًا قد عَصَبَ رَأْسُهُ ، فقال : خذ بيدي يا فَضْلُ ، فأخذتُ بيده حتى جلس على المنبر ، ثم قال ناد في الناس ، فاجتمعوا إليه ، فقال :

« أما بعد : أيها الناس فإنِّي أحمَدُ إليكم الله الذي لا إلهَ إِلَّا هو ، وإنه قد دَنَا مِنِّي خُفُوقٌ^(٣) من بين أظهركم ، فمن كنتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْرًا ، فهذا ظَهْرِي فَلْيَسْتَقِدْ^(٤) مِنْهُ ومن كنتُ شَعَمْتُ لَهُ عِرْضًا ، فهذا عِرْضِي فَلْيَسْتَقِدْ مِنْهُ ، ومن أخذتُ له مَالًا فهذا مَالِي فليأخذ مِنْهُ ، وَلَا يَخْشَ الشَّحْنَاءَ مِنْ قِبَلِي ، فإنها ليست من شَأْنِي ، أَلَا وَإِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ مِنِّي حَقًّا إِنْ كَانَ لَهُ ، أَوْ حَلَّانِي فَلَقِيتُ رَبِّي وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ ، وقد أَرَى أَنَّ هذا غيرُ مُغْنٍ عَنِّي حَتَّى أَقُومَ فَيَكُمَ مَرَارًا » .

(١) والمعاهر : أي الزاني ، أي لاحق له في النسب ولا حظ له في الولد ، وإنما هو لصاحب الفراش أي لصاحب أم الولد وهو زوجها أو مولاها ، وهو كقولہ الآخر : إنه التراب ، أي لاشيء له .
(٢) الصرف : التوبة . والمدل : القدية ، وقيل الصرف القيمة . والمدل المثل ، وأصله في القدية يقال : لم يقبلوا منهم صرفًا ولا عدلًا ، أي لم يأخذوا منهم دية ولم يقتلوا بقتيلهم رجلًا واحدًا ، أي طلبوا منهم أكثر من ذلك ، ثم جعل بعد في كل شيء حتى صار مثلًا فيمن لم يؤخذ منه الذي يجب عليه وألزم أكثر منه .
(٣) خفق النجم يخفق خفوقًا : غاب ، والطائر طار ، واللبل ذهب أكثره . (٤) فليقتص (من القود) وهو القصاص ، أقاد القاتل بالقتيل فنه به ، واستقاد الحاكم سألَه ان يقيد القاتل بالقتيل .

ثمَّ نزل فصلي الظهر ، ثمَّ رجع فجلس على المنبر فماد لمقاتله الأولى ، فادعى عليه رجل بثلاثة دراهم ، فأعطاه عوضها ، ثم قال : « أيها الناس ، من كان عنده شيء فليؤدِّهِ وَلَا يَقْلُ فُضُوحُ الدُّنْيَا ، أَلَا وَإِنْ فَضُوحُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ فَضُوحِ الْآخِرَةِ » ثم صلى على أصحاب أحدٍ وأستغفر لهم ، ثم قال : « إِنْ عَبْدًا خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ، وَقَالَ : فَدَيْنَاكَ بَأَنْفُسِنَا وَأَبَائِنَا . »

(تاريخ الطبري ٢ : ١٩١ : والكامل لابن الأثير ٢ : ١٥٤)

١٥ — خطبة أكرم بن صيفي يدعو قومه إلى الإسلام

لما ظهر النبي عليه الصلاة والسلام بمكة ، ودعا الناس إلى الإسلام بعث أكرم ابن صيفي ابنه حُبَيْشًا ، فأثابه بخبره ، فجمع بني تميم وقام فيهم خطيبًا فقال :
« يَا بَنِي تَمِيمَ : لَا تُخْضِرُوا نِي سَفِينَا ، فَإِنَّهُ مَنْ يَسْمَعَ يَخْجَلُ^(١) ، إِنْ السَّفِينَةُ يُوْهِنُ مَنْ فَوْقَهُ ، وَيَتَبَبُّ مَنْ دُونَهُ^(٢) . لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ . كَبُرَتْ سِنِّي وَدَخَلْتَنِي ذِلَّةً ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنِي حَسَنًا فَاقْبَلُوهُ ، وَإِنْ رَأَيْتُمْ مَنِي غَيْرَ ذَلِكَ فَقَوْمُونِي أَسْتَقِمَ . إِنْ ابْنِي شَافَهُ هَذَا الرَّجُلُ مَشَافَهَةً ، وَأَتَانِي بِخَبْرِهِ ، وَكَتَبَهُ بِأَمْرِ فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْتَعَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيَأْخُذُ فِيهِ بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ ، وَيَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَخَلَعَ الْأَوْثَانَ ، وَتَرَكَ الْحَلِيفَ بِالنِّيرَانِ ، وَقَدْ عَرَفَ ذَوُو الرِّأْيِ مِنْكُمْ أَنَّ الْفَضْلَ فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ ، وَأَنْ الرِّأْيَ تَرَكَ

(١) خال : ظن ، ومضارعه إخال بالكسر وهو الأنصح ، وبنو أسد يقولون إخال بالفتح وهو القياس ، وقوله « من يسمع يخل » مثل ، معناه من يسمع أخبار الناس ومعايهم يقع في نفسه عليهم المكروه .
(٢) في مجمع الأمثال « ويثبت من دونه » من أثبت : أي أثنى بالجراح ، والمثني يضمف ويوهن ، ومنه قوله تعالى : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ » ليثبتوك : أي ليجرحوك جراحة لاتقوم معها أو ليجبسوك ، وفي سرح العيون « ويتبب من دونه » من تببه بالتشديد : أي أهلكه ، ومنه قوله تعالى : « وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ » .

مَا يَنْهَى عَنْهُ ، إِنْ أَحَقَّ النَّاسُ مَعُونَةَ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمُسَاعَدَتَهُ عَلَى أَمْرِهِ أَنْتُمْ ، فَإِنْ يَكُنِ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ حَقًّا ، فَهُوَ لَكُمْ^(١) دُونَ النَّاسِ ، وَإِنْ يَكُنْ بَاطِلًا كُنْتُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْكَفِّ عَنْهُ وَبِالْإِسْرَاعِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ أُسْقُفُ نَجْرَانَ يُحَدِّثُ بِصِفَتِهِ ، وَكَانَ سُفْيَانُ بْنُ مُجَاشِعٍ يُحَدِّثُ بِهِ قَبْلَهُ ، وَاسْمَى ابْنَهُ مُحَمَّدًا ، فَكَوْنُوا فِي أَمْرِهِ أَوْلَا ، وَلَا تَكُونُوا آخِرًا ، ائْتُوا طَائِعِينَ قَبْلَ أَنْ تَأْتُوا كَارِهِينَ ، إِنْ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَوْ لَمْ يَكُنْ دِينًا كَانَ فِي أَخْلَاقِ النَّاسِ حَسَنًا ، أَطِيعُونِي وَاتَّبِعُوا أَمْرِي ، أَسْأَلُ لَكُمْ أَشْيَاءَ لَا تُنْزَعُ مِنْكُمْ أَبَدًا ، وَأَصْبَحْتُمْ أَعَزَّ حَيٍّ فِي الْعَرَبِ ، وَأَكْثَرُ عَدَدًا ، وَأَوْسَعُ مَهْمًا دَارًا ، فَإِنِّي أَرَى أَمْرًا لَا يَجْتَنِبُهُ عَزِيزٌ إِلَّا ذَلًّا ، وَلَا يَلْزَمُهُ ذَلِيلٌ إِلَّا عِزًّا ، إِنْ الْأَوَّلُ لَمْ يَدْعُ لِلْآخِرِ شَيْئًا ، وَهَذَا أَمْرٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ ، مِنْ سَبَقٍ إِلَيْهِ غَمْرُ الْمَعَالِي^(٢) ، وَاقْتَدَى بِهِ التَّالِي وَالْعَزِيمَةُ حَزْمٌ ، وَالِاخْتِلَافُ عَجْزٌ .

فَقَالَ مَالِكٌ^(٣) : بَنُ نُؤَيْرَةَ : قَدْ خَرَفَ شَيْخُكُمْ ، فَلَا تَتَعَرَّضُوا لِلْبَلَاءِ ، فَقَالَ أَكْثَرُكُمْ : وَيْلَ لِلشَّيْءِ مِنَ الْخَلِيٍّ ، وَآلِهِنِي عَلَى أَمْرٍ لَمْ أَشْهَدْهُ وَلَمْ يَسْعُنِي^(٤) .

ثُمَّ رَحَلَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاتَّكَفَى فِي الطَّرِيقِ ، وَبَعَثَ بِإِسْلَامِهِ مَعَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ كَانَ مَعَهُ^(٥) .
(مجمع الأمثال ٢ : ٢١٨ ، شرح العيون ص ١٤) .

(١) يُرِيدُ لِلْعَرَبِ .

(٢) مِنْ غَمْرِ الْمَسَاءِ : أَيْ غَطَاءَهُ . (٣) وَقَدْ أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ بَنِي تَيْمٍ ، وَسَارَ إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَتَلَهُ ، وَقِصَّتُهُ فِي التَّارِيخِ مَشْهُورَةٌ .

(٤) وَفِي مَرْجِ الْعَيُونِ : وَلَمْ يَسْعُنِي . (٥) وَذَكَرَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى :

« وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » نَزَلَ فِي أَكْثَرِ مَنْ تَبِعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ .

١٦ - وصية أبي طالب لوجوه قريش عند موته

لما حضرت أبا طالب ^(١) الوفاة ، جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال :

« يا معشر قريش : أنتم صفوة الله من خلقه ، وقلب العرب ، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقدام الشجاع ، الواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ، ولا شرفاً إلا أدركتموه ، فلكم بذلك على الناس الفضيلة ، ولهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب ، وعلى حربكم ألب ^(٢) ، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية - يعني الكعبة - فإن فيها مَرَضَةٌ للرب ، وقِوَامًا للعِشائر ، وثباتًا لِلوُطْأَةِ ، صَلَواتِ أرحامكم فإن في صَلَوةِ الرَّحِمِ مَنَسَأَةٌ ^(٣) في الأجل ، وزيادة في العدد ، اتركوا البغى والعقوق ، ففيهما هلكت القرون قبلكم ، أجبوا الداعي ، وأعطوا السائل ، فإن فيهما شرف الحياة والممات ، وعليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، فإن فيهما محبة في الخاص ، ومَكْرُمة في العام .

وإني أوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين في قريش ، وَالصَّدِّيق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جاءنا بأمرٍ قَبْلَهُ الْجَنَان ^(٤) ، وأنكره اللسان ، مخافة الشَّان ^(٥) ، وَأَيْمُ اللهِ كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى صَعَالِكَ الْعَرَبِ وَأَهْلِ الْأَطْرَافِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ النَّاسِ قَدْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ ، وَعَظَّمُوا أَمْرَهُ ، فغاض بهم غمرات الموت ، وصارت رؤسها قريش وصناديدها أذنانها ، ودورها خراباً ، وضعفاؤها أرباباً ^(٦) ، وإذا

(١) توفي في السنة العاشرة من النبوة وهو ابن بضع وثمانين سنة ، وإسلامه مختلف فيه « اقرأ فصلا طويلا في ذلك في شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٣١١ » .

(٢) أي ذوو ألب ، والألب : التنبير على العدو من حيث لا يعلم .

(٣) أي فسحة وامتدادا : من نساء ، أي أخره . (٤) القلب . (٥) البغض والكراهية .

(٦) سادة .

أَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ أَحْوَجُهُمْ إِلَيْهِ ، وَأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ أَظْطَامُ عَنْدَهُ ، قَدْ مَحَضَّتَهُ ^(١) الْعَرَبُ وَدَادَهَا
وَأَصْفَتْ لَهُ بِلَادَهَا ، وَأَعْطَتْهُ قِيَادَهَا ، يَامَعْشَرَ فَرِيشَ : كُونُوا لَهُ وُلاَةً ، وَحِزْبِيهِ نُحَاةً ،
وَالَّذِي لَا يَسْلُكُ أَحَدٌ سَبِيلَهُ إِلَّا رَشِدٌ ، وَلَا يَأْخُذُ بِهِدْيِهِ أَحَدٌ ، إِلَّا سَعِيدٌ ، وَلَوْ كَانَ لِنَفْسِي
مُدَّةٌ ، فِي أَجَلِي تَأْخِيرٌ ، لَكَفَفْتُ عَنْهُ الْهَزَاهِرَ ^(٢) ، وَلِدَافَعْتُ عَنْهُ الدَّوَاهِيَ .

(بُلُوغُ الْأَرْبَابِ ١ : ٣٢٧)

(١) محضه الود ، وأحضه : أخلصه .

(٢) الهزاهز والهزهرة : تحريك البليات والحروب الناس .

خطب الوفود

١٧ - خطبة عطار د بن حاجب بن زرارَة

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع للهجرة عَطَّارِدُ بْنُ حَاجِبِ بْنِ زُرَّارَةَ ، في أشرف من بنى تميم ، فلما دخل الوفدُ المسجدُ نادَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحُجُرَاتِ : أن اخرج إلينا يا محمد ، فأَذَى ذلك من صياحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك لنفاخِرِكَ ، فأَذَنُ لشاعرنا وخطيبنا ، قال نعم ، قد أَذِنْتُ لخطيبكم فليقل ، فقام إليه عطار د فقال :

« الحمد لله الذى له علينا الفضلُ ، وهو أهله ، الذى جعلنا ملوكًا ، ووهب لنا أموالًا عَظَمًا ، نفعل فيها المعروف ، وَجَعَلَنَا أعزَّ أهل المشرق ، وأكثَره عددًا ، وأيسره عُدَّةً ، قَمْنٌ مِثْلُنَا في الناس ، ألسنا براءوس الناس وأولى فضلهم ؟ فنن يفاخِرُنَا فَلْيَعِدِّدْ مِثْلَ مَا عَدَّدْنَا ، وَإِنَّا لَوَ نَشَاءُ لَأَكْثَرْنَا الكلام ، ولكننا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نعرف بذلك أقول هذا الآن لِنَتَأْتُونََا بِمِثْلِ قولنا ، وأمرٍ أفضل من أمرنا ، ثم جلس » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشَّامَّاسِ ، قم فأجب الرجل في خطبته ، فقام ثابت فقال :

١٨ خطبة ثابت بن قيس بن الشَّامَّاس

« الحمد لله الذى : السموات والأرضُ خَلَقَهُ ، قَضَى فيهن أمرَهُ ، وَوَسَعَ كُرْسِيَّهُ عَلَيْهِ ، ولم يك شَيْءٌ قَطُّ إِلَّا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جَعَلَنَا ملوكًا ، واصطفى

من خير خلقه رسولا ، أَكْرَمَهُمْ نَسَبًا ، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا ، وَأَفْضَلَهُمْ حَسَبًا ، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ ، وَأَتَمَّنَهُ عَلَى خَلْقِهِ ، فَكَانَ خَيْرَ عِبَادَةِ اللَّهِ مِنَ الْعَالَمِينَ ، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ ، فَأَمَّنَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قَوْمِهِ وَذَوِي رَحْمِهِ ، أَكْرَمَ النَّاسَ أَنْسَابًا ، وَأَحْسَنَ النَّاسَ وَجُوهًا ، وَخَيْرَ النَّاسِ فِعَالًا ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ الْخَلْقِ اسْتِجَابَةَ اللَّهِ ، حِينَ دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْنُ ، فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ . وَوُزَرَاءُ رَسُولِهِ ، نَقَاتِلُ النَّاسِ حَتَّى يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ، فَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مَنَعَ مَالَهُ وَدَمَهُ ، وَمَنْ كَفَرَ جَاهَدْنَاهُ فِي اللَّهِ أَبَدًا ، وَكَانَ قَتْلُهُ عَلَيْنَا يَسِيرًا ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكُمْ .

ثُمَّ قَالُوا يَا مُحَمَّدُ : ائْذَنْ لَشَاعِرِنَا ، فَقَالَ نَعَمْ ، فَقَامَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَدْرٍ ، فَأَنَشَدَ قَصِيدَةً فِي الْفَخْرِ ، وَبَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ فَرَدَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ . إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ كَلَّمَنِي لَهُ ، لَخَطْبِيهِ أَخْطَبُ مِنْ خَطْبِينَا ، وَلَشَاعَرُهُ أَشْعَرُ مِنْ شَاعِرِنَا ، وَأَصْوَاتُهُمْ أَعْلَى مِنْ أَصْوَاتِنَا ، فَلَمَّا فَرَّغَ الْقَوْمُ أَسْلَمُوا ، وَجَوَّزَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَحْسَنَ جَوَازَهُمْ .

(تاريخ الطبري ٣ : ١٥٠ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٣٩ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٣)
 وصبح الأعشى ١ : ٣٧٣ .

١٩ - عمرو بن الأهتم والزبير بن بدر

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الأهتم عن الزبير بن بدر^(١) فقال عمرو : « مطاع في أدنائه^(٢) ، شديد المعارضة^(٣) ، مانع لما وراء ظهره » فقال الزبير بن بدر :

(١) هما سيدان من بني نعيم . (٢) أى فى الأدنى منته : أى الأقربين ، وأصله أدنين حذفت نونه لإضافته إلى الضمير . (٣) المعارضة : قوة الكلام وتفتيحه ، والرأى الجيد .

« والله يا رسول الله ، إنه ليعلم منى أكثر مما قال ، ولكنه حسدنى شرفى » فقال عمرو :
 « أما لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيق الصدر ، زَمِرَ المروءة^(١) ، أحمق الوالد ،
 لئيم الخلال ، حديث الغنى » فلما رأى أنه خالف قوله الآخر قوله الأول ، ورأى الإنكار
 فى عين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يا رسول الله رضيت ، فقلت أحسن ما علمت ،
 وغضبت فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الأخرى .
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : « إِنَّ مِنَ الْبَيَّانِ لَسِحْرًا » .

(البيان والتبيين ١ : ٣١ ، والعقد الفريد ١ : ١١٧ ، وجميع الأمثال للميداني ١ : ٥)

٢٠ — خطبة طهفة بن أبى زهير النهدى

بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما قَدِمَتْ وفودُ العرب على النبى صلى الله عليه وسلم قام طهفة بن أبى زهير النهدى
 فقال : « يا رسول الله أتيناك من غورى^(٢) تَهامة بأكوار الميس ، ترمى بنا العيس^(٣)
 نستحلب الصَّبير^(٤) ، ونستحلب الخبير^(٥) ، ونستعْضِدُ^(٦) البرير ، ونستخيل الرَّهَامَ^(٧) ،
 ونستحيل الجَهم^(٨) ، من أرض غائلة النِّطَاءِ^(٩) ، غليظة الوطاء ، نَشِفَ المَذْهَنُ^(١٠) ،

(١) قليل المروءة . (٢) الغور : كل ما انحدر مغرباً عن تهامة ، والأكوار : جمع كور بالضم ،
 وهو الرجل أو بأداته ، والميس : شجر عظام أى بالأكوار المصنوعة منه . (٣) العيس جمع عيساء :
 الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . (٤) الصبير : السحاب الكثيف . (٥) العشب .
 (٦) استعْضِد الثمرة : اجتناها ، والبرير : ثمر الأراك ، وكانوا يأكلونه وقت الجذب لقلّة الزاد .
 (٧) الرهم جمع رهمة بالكسر : وهى المطر الضعيف الدائم . ونستخيل : نخال ونظن . وسحابة مخيلة
 بضم فكسر : أى تحسبها ماطرة . (٨) الجهم : السحاب قد أراق مائه . (٩) النطاء : البعد ،
 أى بعيدة بمدا مهلكا . (١٠) مستنقع الماء : أو كل موضع حفره سيل ، ونشف الحوض الماء : شربه .

وَيَبْسَ الْجَفْنِ (١) ، وَسَقَطَ الْأُمْلُوجُ (٢) ، ومات المُسْلُوجُ (٣) ، وهلك الْهَدْيُ (٤) ، ومات الْوَدْيُ (٥) ، بَرِثْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْوَتَنِ وَالْعَتَنِ (٦) ، وما يَحْدِثُ الزَّمَنُ ، لنا دعوةُ السلام ، وشريعةُ الإسلام ، ما طَمَسَ (٧) البحر ، وقام تِمَارٌ (٨) ، ولنا نَعَمٌ ، كَهَلٌ (٩) أَغْفَالٌ ، مَا تَبَيَضَ (١٠) بِلَالٌ ، وَوَقِيرَ (١١) كَثِيرُ الرِّسْلِ ، قَلِيلُ الرِّسْلِ ، أَصَابَتْهَا سُنْبِيَّةٌ حَمْرَاهُ مُؤْزِلَةٌ (١٢) ، ليس بها عِلَلٌ وَلَا نَهْلٌ .

٢١ - رده صلى الله عليه وسلم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اللَّهُمَّ بَارِكْ لِمَنْ فِي حَظِّهَا (١٣) وَنَحْضِهَا وَمَذْقِهَا ، وَاِبْعَثْ رَاعِيَهَا فِي الدَّثَرِ (١٤) بِيَانِ الثَّمَرِ ، وَافْجُرْ لَهُ الثَّمَدَ (١٥) ، وَبَارِكْ لَهُ فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ . مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ كَانَ مُسْلِمًا ، وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا ، وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ مُخْلِصًا ، يَا بَنِي نَهْدٍ ، وَدَائِعِ (١٦) الشَّرِكِ ، وَوَضَائِعِ الْمُلْكِ ، لَا تَلْطِطْ فِي الزَّكَاةِ ، وَلَا تُلْجِدْ فِي الْحَيَاةِ ، وَلَا تَتَأَقَّلْ عَنْ الصَّلَاةِ »

(المقد الفريد ١ : ١١٣)

(١) أصل النبات . (٢) ورق كورق السرو لشجر بالبادية . (٣) ملان واخضر من القضبان . وعسلجت الشجرة : أخرجه . (٤) ما يهدى إلى مكة لينحر . (٥) الودي الفسيل (النخل الصغار) . (٦) الصنم الصغير . (٧) امتلأ وعلا . (٨) جبل بيلاد قيس . (٩) مهمة . والأغفال جمع غفل بالضم : وهو ما لاسمة عليه من الدواب . (١٠) بض الماء يبض : سال قليلا قليلا ، والبلال : الببلل ، والمراد قلة اللبن . (١١) القطيع من الغنم . (١٢) الرسل : القطيع من كل شيء ، والرسل : اللبن ، وسنية : تصغير تعظيم لسنة ، وهي القحط والمجاعة ، وحمراء : أى شديدة ، ومؤزلة : ذات أزل بسكون الزاي ، وهو الضيق والشدة . (١٣) اللبن الخالص ، وغض اللبن : أخذ زيده . والمذيق : اللبن الممزوج بالماء ، مذقه فامتدق . (١٤) الدثر : المال الكثير . وقيل هو الكثير من كل شيء ، وأراد به هنا الخصب والنبات الكثير .

(١٥) الماء القليل لامادة له ، أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف . (١٦) أى الغنائم التي تقنم من المشركين وتودع بيت مال المسلمين ، ليقولوا بها على شئونهم ، والوضائع جمع وضيمة : وهى =

٢٢ - خطبة ظبيان بن حداد

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وفد ظبيان بن حداد في سرة مذحج على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثناء على الله عز وجل بما هو أهله :

« الحمد لله الذى صدع^(١) الأرض بالنبات ، وفتح السماء بالرجع^(٢) ، ثم قال : نحن قوم من سرة مذحج من يُجَازِر^(٣) بن مالك ، ثم قال : فتوقلت^(٤) بنا القلاص من أعلى الحوف ورووس المضاب ، يرفعها عُرُر^(٥) الرثبا ، ويخفضها بطنان الرقاق ، وتلحقها دياحى الدجى ، ثم قال : وسرورات الطائف كانت لبني مهلائيل بن قينان ، غرسوا وديانته ، وذللوا خيشانه^(٦) ورعوا قربانه ، ثم ذكر نوحاً حين خرج من السفينة بمن معه ، قال فكان أكثر بنيه بنات ، وأسرعهم نباتا ، عاد وثمود ، فرماهم الله بالدثمالتي^(٧) ، وأهلكهم بالصواعق ؛ ثم قال : وكانت بنوهانى من ثمود تسكن

= ما يأخذه السلطان من الخراج والعشور. يريد أن يقول لهم: إن موارد المال للأمة الإسلامية هما هذان الركنان الغنائم والزكاة ، فلا تعطلوا الزكاة ، ولذا عقب ذلك القول بقوله : لا تلطط في الزكاة أى لا تمتعها : لطلت حقه جحدته كألطلت ، ولا تلحد في الحياة : أى لا يجرى منكم ميل عن الحق مادمت أحياء ، ولا تتأقل عن الصلاة : أى عن أدائها في وقتها ، ويروى : ولا يلطط في الزكاة ، ولا يلحد في الحياة (بالبناء للمجهول) ولا تتأقل عن الصلاة . (١) شق . (٢) المطر بعد المطر . (٣) هو مراد بن مالك (وهو مذحج) ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . (٤) توقل في الجبل . صعد ، والقلاص جمع قلوص : وهى الناقة الشابة أو الباقية على السير ، والحوف : بلد بعمان . (٥) فى الأصل : « عوار » ولا معنى له هنا ، وأرى أن صوابه « عرر » جمع عرة كقبة وعرة السنام : الشحمة العليا ، أى ذروته وأعله : أى أنها تسير فى أعلى الربا وذراها ؛ وربما كان الأصل « عراعر » بفتح العين الأولى جمع عرعة يضمهما ، وعرعة الجبل والسنام وكل شيء : رأسه ، وبطنان جمع باطن : وهو الغامض من الأرض : أى المططن منها ، والرقاق جمع رق بالفتح ، وهى كل أرض إلى جنب واد ينسبط الماء عليها أيام المد ثم ينضب ودياجى الليل حنادسه كأنه جمع دحاجة ، واللجى جمع دجية : وهى الظلمة . (٦) الحشن والأخشن : الأخرش من كل شيء جمعه خشان . (٧) الأملس : المستدير من الحجارة .

الطائف ، وهم الذين خَطُّوا مشاربها ، وَأَتَوْا جَدَّاهُ^(١) ، وَأَحْيَوْا غِرَاسَهَا ، وَرَفَعُوا عَرِيشَهَا ، ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ حَمِيرٌ مَلَكَوْا مَعَاقِلَ الْأَرْضِ وَقَرَّارَهَا ، وَكُهُولَ النَّاسِ وَأَغْمَارَهَا^(٢) وَرَعُوسَ الْمُلُوكِ وَعَرَّارَهَا ، فَسَكَانَ لَهُمُ الْبَيْضَاءُ وَالسُّودَاءُ ، وَقَارِسَ الْحِمَاءُ ، وَالْجُزْيَةُ الصَّفْرَاءُ^(٣) ، فَبَطَرُوا النِّعَمَ ، وَاسْتَحَقُّوا النَّقْمَ ، فَضَرَبَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ قَبَائِلُ مِنَ الْأَزْدِ نَزَلُوا عَلَى عَهْدِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ ، فَفَتَحُوا فِيهَا الشَّرَائِعَ^(٤) ، وَبَنَوْا فِيهَا الْمَصَانِعَ^(٥) ، وَاتَّخَذُوا الدِّسَائِمَ^(٦) ، ثُمَّ تَرَامَتْ مَذْحِجٌ بِأَسَدَتِهَا ، وَتَنَزَّتْ^(٧) بِأَعْنَتِهَا ، فَغَلَبَ الْعَزِيزُ أَذَلَهَا ، وَقَتَلَ الْكَثِيرَ أَقْلَهَا ، ثُمَّ قَالَ : وَكَانَ بَنُو عَمْرِو ابْنِ خَالِدِ بْنِ جَذِيمَةَ يَحْبِطُونَ عَصِيدَهَا^(٨) ، وَيَأْكُلُونَ حَصِيدَهَا ، وَيَرْشَحُونَ^(٩) حَصِيدَهَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ نَعِمَ الدُّنْيَا أَقْلَ وَأَصْفَرَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خُرءٍ بَعْيْضَةٍ ، وَلَوْ عَدَلَتْ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحُ ذَبَابٍ لَمْ يَكُنْ لِكَافِرٍ مِنْهَا خَلَاقٌ ، وَلَا لِمُسْلِمٍ مِنْهَا لُجَاقٌ » .
(المقصد الفريد ١ : ١١٠)

٢٣ - خطبة مالك بن نط

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وقدم وفد محمدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهم مالك بن نط أبو ثور فقام بين يديه ثم قال :

(١) أَى الْمَاءِ تَأْتِيهِ سَهْلٌ وَأَصْلَحَ مَجْرَاهُ ، أَى سَهْلُوا طَرُقَ الْمِيَاهِ إِلَيْهَا . (٢) جَمَعَ غَمْرٌ مِثْلَ الْغَيْنِ : وَهُوَ الْخَدُّ لَا تَجْرِبُهُ لَهُ ، وَالْعَرَارُ : الرَّفْعَةُ وَالسُّودُ . (٣) أَى الذَّهَبِيَّةِ . (٤) جَمَعَ شَرِيْمَةٌ ، وَهِيَ مُورِدُ الشَّارِبَةِ كَالْمَشْرِعَةِ . (٥) الْمَبَانِي مِنَ الْقُصُورِ وَالْحُصُونِ . (٦) جَمَعَ دَسِيْمَةٌ ، وَهِيَ الْجَفْنَةُ وَالسُّكْرَةُ . (٧) تَنَزَّى : تَوَثَّبَ وَتَمَرَّعَ . (٨) الْعَصِيدُ : مَا قُطِعَ مِنَ الشَّجَرِ ؛ أَى يَضْرِبُونَهُ لِيَسْقُطَ وَرَقُهُ فَيَتَخَذُوهُ عِلْقًا لِلْبَلْهَمِ . (٩) التَّرْشِيحُ : التَّرْبِيَةُ وَحَسَنُ الْقِيَامِ عَلَى الْمَالِ ، وَالْحَصِيدُ : مَا خُصِدَ مِنَ الشَّجَرِ وَنَحَى عَنْهُ ، وَكُلُّ مَا قُطِعَ مِنْ عُودٍ رَطْبٍ (فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٌ) أَى يَصْلَحُونَهُ وَيَقْوَمُونَ بِأَمْرِهِ .

« يارسول الله ، نَصِيَّةٌ ^(١) من همدان ، من كل حاضرٍ وبادٍ ، أنوكَ عَلَى قُلُوصٍ نَوَاجٍ ^(٢) ، متصلةٌ بحبال الإسلام ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، مِنْ مِخْلَافٍ ^(٣) خَارِفٍ ^(٤) ، وَيَامٍ ، وشَاكِرٍ ، أهل السَّوَادِ والقُرَى ، أجاوبوا دعوة الرسول ، وفارقوا آلِهَةَ الْأَنْصَابِ ^(٥) عهدُهم لا يَنْقُضُ ، ما أقام لَمَلْعٌ ^(٦) ، وما جرى الِيفْغُورُ بِصُلَعٍ ^(٧) .
(صبح الأعشى ٢ : ٢٤٤)

٢٤ — سفانة بنت حاتم

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

حَدَّثَ الْإِمَامُ عَلَى كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قَالَ : لَمَّا أَتَيْنَا بِسَبَايَا طَيْئٍ ، كَانَتْ فِي النِّسَاءِ جَارِيَةً جَمِيلَةً - وَهِيَ سَفَانَةُ بِنْتُ حَاتِمٍ ^(٨) - فَلَمَّا رَأَيْتَهَا أُعْجِبْتُ بِهَا ، فَقُلْتُ لِأَطْلُبَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَجْمِلَهَا مِنْ فَيْئٍ ، فَلَمَّا تَكَلَّمْتُ أُنْسِيتُ جَاهَهَا ، لَمَّا سَمِعْتُ مِنْ فَصَاحَتِهَا ، فَقَالَتْ :

« يَا مُحَمَّدُ : هَلَاكَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ الْوَالِدُ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تُخَلِّيَ عَنِّي ، فَلَا تُشِمْتَ بِي أَحْيَاءَ الْعَرَبِ ، فَإِنِّي بِنْتُ سَيِّدِ قَوْمِي ^(٩) . كَانَ أَبِي يَفُكُّ الْعَانِي ^(١٠) ، وَيَحْمِي الذَّمَّارَ ،

(١) النصية من القوم : الخيار ، وحمدان : من عرب اليمن . (٢) القلوص : جمع قلووص ؛ وهي من الإبل الشابة أو الباقية على السير ، والنواجي : جمع ناجية ، وهي الممرعة في السير . (٣) المِخْلَافُ الكورة . (٤) خارف : لقب مالك بن عبد الله أبي قبيلة من همدان ، ويام ، وشاكر ، قبيلتان من همدان باليمن . (٥) الأنصاب : جمع نصب بضم نين ، وهو حجر نصب وعبد من دون الله ، وقيل النصب جمع واحدها نصاب ، قيل هي الأصنام وقيل غيرها . (٦) اسم جبل . (٧) اليفغور : ولد البقرة الوحشية ، والصلع : الموضع لا ينبت شيئاً .

(٨) السفانة في الأصل : الأولوة . (٩) جواب الشرط مخذوف وهذا تعليل له أى فافعل فإنى .

(١٠) العاني : الأسير .

وَيَقْرِى الضَّيْفَ ، وَيُسَبِّحُ الْجَائِعَ ، وَيُفَرِّجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ ، وَيَطْعَمُ الطَّامِعَ ، وَيُنْفِثُ
السَّلامَ ، وَلَمْ يَرُدَّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ ، أَنَا بِنْتُ حَاتِمِ طَيْئٍ » .

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا جَارِيَةُ هَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِ ، لَوْ كَانَ أَبُوكَ
إِسْلَامِيًّا لَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِ ، خَلَّوْا عَنْهَا ، فَإِنْ أَبَاهَا كَانَ يَحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ، وَاللَّهُ يَحِبُّ
مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » . (الْأَغَاثِي ١٦ : ٩٣)

٢٥ — وصية دريد بن الصمة

قَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ لِلْمَالِكِ بْنِ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ قَائِدِ هَوَازِنَ يَوْمَ حُنَيْنٍ ^(١) :

« يَا مَالِكُ ، إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمِكَ ، وَإِنْ هَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ مِنْ أَيَّامٍ ،
مَالِي أَسْمَعُ رُغَاءَ الْبَعِيرِ ، وَنَهْيَ الْخَيْرِ ، وَبَكَاءَ الصَّغِيرِ ، وَيُعَارِ ^(٢) الشَّاءَ . قَالَ : سَقَتْ مَعَ
النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ خَلْفَ كُلِّ رَجُلٍ أَهْلَهُ
وَمَالَهُ ، لِيُقَاتِلَ عَنْهُمْ ، فَأَنْقَضَ بِهِ ^(٣) ، ثُمَّ قَالَ رَاعِي ^(٤) ضَانٍ وَاللَّهُ ، وَهَلْ يَرُدُّ الْمَنْهَزِمُ شَيْءًا ؟
إِنَّمَا إِنْ كَانَتْ لَكَ ، لَمْ يَنْفَعَكَ إِلَّا رَجُلٌ بِسَيْفِهِ وَرِجْلِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ ، فَضِخْتُ
فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، وَيَحْكُ ، إِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ بِتَقْدِيمِ الْبَيْضَةِ ^(٥) بِيضَةَ هَوَازِنَ إِلَى نَحْوِ الْخَيْلِ
شَيْئًا ، أَرْفَعُهُمْ إِلَى مَمْتَنَعِ بِلَادِهِمْ ، وَعَلِيَاءِ قَوْمِهِمْ ، ثُمَّ أَلْقَى الصَّبَا ^(٦) عَلَى مَتُونِ الْخَيْلِ ، فَإِنْ
كَانَتْ لَكَ لِحَقِّ بَكٍ مِنْ وَرَاءِكَ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ ، كُنْتَ قَدْ أَحْرَزْتَ أَهْلَكَ وَمَالَكَ .

(١) غزوة حنين كانت بين المسلمين وبين هوازن وثقيف سنة ثمان بعد الفتح انهزم فيها المسلمون أو لا
ثم لموا شعثم وشدوا على عدوهم فهزموهم . (٢) اليعار : صوت الغنم أو المعزى أو الشديد من أصوات
الشاء . (٣) يقال أنقض أصابعه : ضرب بها لتتصوت ، وأنقض بالذابة : ألصق لسانه بالحنك ثم صوت
في حاقته . (٤) يضرب به المثل في الحق فيقال : « أحق من راعي ضأن » .
(٥) بيضة القوم : جماعتهم وأصلهم ، وفي الحديث : « ولا تسلط عليهم عدوا من عدوهم فيستبيح
بيضتهم » يريد جماعتهم وأصلهم . (٦) أى ذوى الصبا : أى الشبان .

قال لا والله ما أفعل ، إنك قد كبرت وذَهَلَّ عَقْلُكَ . قال دريد : هذا يوم لم أشهده ، ولم يَفْتِنِي ، ثم أنشأ يقول :

يا ليتني فيها جَذَعٌ أُخْبَ فيها وَأَضَعُ^(١)
أفود وطفاء الزَّمْعِ كأنها شاة صدَعُ^(٢)

(سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٩ ، المقد الفريد ١ : ٤١)

١٦ - وصية عمير بن حبيب الصحابي لبنيه

أوصى عُمَيْرُ بن حبيب بنيه فقال :

« يا بني إياكم ومخالطة السفهاء ، فإن مجالسهم داء ، وإن من يحلم عن السفه يسر بحلمه ، ومن يُجِبِّه يندم ، ومن لا يَقَرَّ بقليل ما يأتي به السفه ، يقر بالكثير . وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف ، أو ينهى عن المنكر ، فليوطن قبل ذلك على الأذى ، وليؤقن بالثواب من الله عز وجل ، إنه من يؤقن بالثواب من الله عز وجل لا يجد مسَّ الأذى » .

(الأمال ٢ : ٦٠)

٢٧ - وصية قيس بن عاصم المنقري لبنيه

أوصى قيس بن عاصم المِنْقَرِي بنيه فقال :

« يا بني ، خذوا عني ، فلا أحد أصلح لكم مني ، إذا دفتتموني فانصرفوا إلى رجالكم ، فسودّوا أكبركم ، فإن القوم إذا سودّوا أكبرهم خلّفوا أباهم ، وإذا سودّوا

(١) الخبب : ضرب من العدو ، ووضعت الناقة وأوضعت : أسرعت في سيرها .

(٢) الوطف : كثرة شعر الحاجبين والعينين ، والزعم جمع زمة ؛ وهي هنة زائدة وراء الظلف أو

الشعرات المدلاة في مؤخر رجل الشاة ، والصدع : من الأوعال والإبل الفتى الشاب القوى .

أصغرهم ، أزرى ذلك بهم في أكفائهم ، وإياكم ومعصية الله ، وقطيعة الرحم ، وتمسكوا بطاعة أمرائكم ، فإنهم من رفعوا ارتفع ، ومن وضعوا اتضع ، وعليكم بهذا المال فأصلحوه فإنه منبهة للكريم ، وجنة لعرض اللئيم ، وإياكم والمسألة ، فإنها أخير^(١) كسب الرجل ، وإن أحدا لم يسأل إلا ترك الكسب ، وإياكم والنياحة ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عنها ، وادفونى فى ثيابى التى كنت أصلى فيها وأصوم ، ولا يعلم بكر بن وائل بمدفى ، فقد كانت بينى وبينهم مشاحنات فى الجاهلية والإسلام ، وأخاف أن يدخلوا عليكم بى عاراً ، وخذوا عنى ثلاث خصال : إياكم وكل عرق لئيم أن تلبسوه فإنه إن يسرركم اليوم ، يسؤكم غداً ، واكظموا الغيظ ، واحذروا بنى أعداء آبائكم ، فإنهم على منهاج آبائهم ، ثم قال :

أحيا الضغائنَ آباءَ لنا سلفوا فليس تبديدَ ولآباء أبناء

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ١٥٥ ، وتهذيب الكامل ١ : ١١)

(١) آخر بقصر الهمة لاغير : أى أدنى وأرذل ، ومن رواه بالله أخطأ .

خطب يوم السقيفة

لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا :
نُؤَلِّي هذا الأمر بهد محمد عليه الصلاة والسلام سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ، وأخرجوا سعداً إليهم
وهو مريض ، فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بني عمه ، إني لا أقدر لشكواي أن أسمع
القوم كلهم كلامي ، ولكن تَلَقَّ مني قولي فَأَسْمِعْهُمْهُ ، فكان يتكلم ويحفظ الرجل
قوله : فيرفع صوته ، فيسمع أصحابه :

٢٨ — خطبة سعد بن عبادَةَ

فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« يا معشر الأنصار ، لكم سابقة في الدين ، وفضيلة في الإسلام ، ليست لقبيلة من
العرب ، إنَّ محمداً عليه الصلاة والسلام لَبِثَ بِضْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ في قومه يدعوهم إلى عبادة
الرحمن ، وَخَلَعَ الْأُنْدَادِ وَالْأَوْتَانِ ، فما آمَنَ به من قومه إلا رجال قليل ، وما كانوا
يقدرُونَ على أن يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أن يُعِزُّوا دينه ، ولا أن يدفعوا
عن أنفسهم ضيماً عُمُوا به ، حتى إذا أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة ، وخصَّكم
بالنعمه ، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والإغزاز له ولدينه ،
والجهاد لاعدائه ، فكنتم أشدَّ الناس على عدوِّه من غيركم ، حتى استقامت العرب
لأمر الله طَوْعاً وَكَرْهًا ، وأعطى البَيمِدُ المَقَادَةَ صَاغِرًا دَاخِرًا^(١) ، حتى أئمن^(٢)

(١) صاغرا ذليلا : من دخر كنع وفرح دخورا ودخرا بالتحريك .

(٢) أئمن فلانا : أوثقه ، والمراد أخضع .

الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسيا فكم له العرب ، وتوفاه الله وهو عنكم راضٍ ، وبكم قرير عَيْنٍ ، أُسْتَبَدُّوا بهذا الأمر دون الناس ، فإنه لكم دون الناس .

فأجابوه بأجمعهم أن قد وفقت في الرأي ، وأصبت في القول ، ولن نعدو ما رأيت نوليك هذا الأمر ، وأنى عمر الخبِرُ ، فأقبل إلى أبي بكر فقال : « أما علمت أن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عبادَةَ ؟ وأحسنهم مقالة من يقول : مِثْلُ أَمِيرٍ وَمِنْ قُرَيْشٍ أَمِيرٌ » فضيا مسرعين نحوهم ، فلقي أبا عبيدة بن الجراح فباشوا إليهم ثلاثتهم ، فجلوا وهم مجتمعون . فقال عمر : أتيتهم وقد كنت زويت^(١) كلاماً أردت أن أقوم به فيهم ، فلما أن دفعت إليهم ذهبت لأبتدىء المنطق . فقال لي أبو بكر : رويداً حتى أتسكلم ، ثم انطق بعدد بما أحببت فنطق . فقال عمر : فما شيء كنت أردت أن أقوله إلا وقد أتى به أوزاد عليه .

٢٩ — خطبة أبي بكر رضى الله عنه

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إن الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه ، وشهيداً على أمته ، ليعبدوا الله ويوحّدوه ، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ، ولهم نافعة ، وإنما هم من حَجَرٍ منحوت ، وخَشَبٍ منجور^(٢) ، ثم قرأ : (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْصُرُهُمْ ، وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَقَالُوا مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) فَعَظَّمُ عَلَى الْعَرَبِ أَنْ يَتْرَكُوا دِينَ آبَائِهِمْ . فَخَصَّ اللَّهُ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ

(١) زواه يزويه جمعه ، والمراد أعددت . ورواية العقد الفريد (٢ : ٢٠٤) زورت كلاماً في

نفسه ، وزور الشيء حسنه وقومه ، والمراد أيضا هيأت وأعددت . (٢) النجر : نحت الخشب .

قومه بتصديقه ، والإيمان به ، والمؤاساة له ، والصبر معه ، على شدة أذى قومهم لهم ، وتكذيبهم إياهم ، وكلُّ الناس مخالفٌ زارٍ^(١) عليهم ، فلم يستوحشوا لقلة عددهم ، وشَنَفَ^(٢) الناس لهم ، وإجماع قومهم عليهم ، فهم أولُّ من عبدَ الله في الأرض ، وآمن بالله وبالرَّسول ، وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالمٌ ، وأنتم يا معشر الأنصار مَنْ لَا يُنْكِرُ فَضْلَهُمْ فِي الدِّينِ ، وَلَا سَابِقَتَهُمُ الْعَظِيمَةَ فِي الْإِسْلَامِ ، رَضِيَكُمْ اللَّهُ أَنْصَارًا لِدِينِهِ وَرَسُولِهِ ، وَجَعَلَ إِلَيْكُمْ هِجْرَتَهُ وَفِيكُمْ حِلَّةَ أَزْوَاجِهِ وَأَصْحَابِهِ ، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم ، فنحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ، لَا تُفْتَأَتُونَ بِمَشُورَةٍ وَلَا تُقْضَى دُونَكُمْ الْأُمُورُ .

« هذه رواية الطبري لتلك الخطبة ، وأوردها غيره بنص آخر ، وها كه : »

٣٠ — نص آخر لخطبة أبي بكر يوم السقيفة

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : نحن المهاجرون ، أول الناس إسلامًا ، وأكرمهم أحسابًا ، وأوسطهم دارًا ، وأحسنهم وجوهًا ، وأكثر الناس ولادةً في العرب ، وأمشهم رحًا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلمنا قبلكم ، وقدمنا في القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى : « وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ » فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار . إخواننا في الدين . وشركاؤنا في الفء^(٣) ، وأنصارنا على العدو ، آويناكم وآسيتم ، فجزاكم الله خيرًا ، فنحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ،

(١) زرى عليه زراية : عابه . (٢) شنف له كفرح : أبغضه وتكره فهو شنف .

(٣) الغنيمة والحراج .

لَا تَدِينُ الْعَرَبُ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَا تَنْفُسُوا^(١) عَلَى إِخْوَانِكُمْ مَا مَنَحَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ .

(المقد الفريد ٢ : ١٣٠ - ٢٠٤ ، عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٢٣ ، البيان والتبيين ٣ : ١٤٧ والإمامة والسياسة ١ : ٧)

٣١ - خطبة الحباب بن المنذر

ثُمَّ قَامَ الْحَبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ فَقَالَ :

« يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ : امْلِكُوا عَلَيْكُمْ أَمْرَكُمْ ، فَإِنَّ النَّاسَ فِي قَيْئِكُمْ وَفِي ظَلَمِكُمْ ، وَلَنْ يَجْتَرِيَ مُجْتَرًى عَلَى خِلَافِكُمْ ، وَلَنْ يَصْدُرَ النَّاسُ إِلَّا عَنْ رَأْيِكُمْ ، أَنْتُمْ أَهْلُ الْعِزِّ وَالثَّرْوَةِ ، وَأَوَّلُو الْعِدَدِ وَالْمَنْعَةِ وَالتَّجَرِبَةِ ، وَذَوُو الْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَى مَا تَصْنَعُونَ ، وَلَا تَخْتَلَفُوا قَيْئُفَسَدَ عَلَيْكُمْ رَأْيَكُمْ ، وَيَنْتَقِضَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ ، فَإِنْ أَبِي هَوُلَاءِ إِلَّا مَا سَمِعْتُمْ ، فَمَا أَمِيرٌ وَمِنْهُمْ أَمِيرٌ . »

٣٢ - خطبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

فَقَالَ عُمَرُ : « هِيَهَاتَ لَا يَجْتَمِعُ اثْنَانِ فِي قَرْنٍ^(٢) ، وَاللَّهِ لَا تَرْضَى الْعَرَبُ أَنْ يُؤْمَرُواكُمْ وَنَبِيَّهَا مِنْ غَيْرِكُمْ ، وَلَسَكُنَ الْعَرَبُ لَا تَمْتَنِعُ أَنْ تَوَلَّى أَمْرَهَا مَنْ كَانَتْ النُّبُوَّةُ فِيهِمْ وَوَلَّى أُمُورَهُمْ مِنْهُمْ ، وَلَئِنْ بَذَلْتُ عَلَى مَنْ أَبِي مِنَ الْعَرَبِ الْحِجَّةَ الظَّاهِرَةَ ، وَالسُّلْطَانَ الْمُبِينِ ، مِنْ ذَايَنْزَاعِنَا سُلْطَانَ مُحَمَّدٍ وَإِمَارَتِهِ ، وَنَحْنُ أَوْلِيَاؤُهُ وَعَشِيرَتُهُ ، إِلَّا مُدْلٍ بِيَاطِلٍ ، أَوْ مُتَجَانِفٍ^(٣) لَيْنِئِمٍّ ، أَوْ مُتَوَرِّطٍ فِي هَلَكَةٍ ؟ » .

(١) نفس عليه بخير (كفرج) حسده ، ونفس عليه الشيء نفاسة لم يره أهلا له .

(٢) حبل . (٣) مائل جانح .

٣٣ - خطبة أخرى للحباب بن المنذر

فقام الحباب بن المنذر ، فقال :

« يا معشر الأنصار امسكوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ، فيذهبوا بنصيبكم من الأمر ، فإن أبوا عليكم ما سألتموه ، فَأَجْلَوْهُمْ عن هذه البلاد ، وتولوا عليهم هذه الأمور ، فأنتم والله أَحَقُّ بهذا الأمر منهم ، فإنه بأسيا فكم دان لهذا الدين مَنْ دان ممن لم يكن يدين ؛ أنا جُذِلْنا المَحَكَّك ، وَعُذِّقْها المَرْجَب ^(١) ، أما والله لئن شئتم لنعيدنها جَذَعَةً ^(٢) » .

فقال عمر : إذن يقتلك الله ، قال : بل إياك يقتل ، فقال أبو عبيدة :

يا معشر الأنصار : إنكم أولُّ من نصر وآزر ، فلا تكونوا أولَّ من بدَّلَ وَغَيَّرَ .

٣٤ - خطبة بشير بن سعد

فقام بشير بن سعد - أبو النعمان بن بشير - فقال :

« يا معشر الأنصار ، إنا والله لَكُنْ كُنَّا أولى فضيلة في جهاد المشركين ، وسابقة في هذا الدين ، ما أردنا به إلا رضا ربنا ، وطاعة نبينا ، والكدح لأنفسنا ، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبتغي به من الدنيا عَرَضًا ، فَإِنَّ اللَّهَ وَلِيُّ الْمُنَّةِ عَلَيْنَا

(١) الجذيل : تصغير الجذل (بالكسر) ، وهو أصل الشجرة ، وعود ينصب للإبل الجربى لتحكك به وتتمرس ، والمحكك الذي تتحكك به ، والعذيق تصغير العذق (بالفتح) ، وهو النخلة . والمرجب : الذي جعل له رجة ، وهي دعلة تبنى حولها من الحجارة ، وذلك إذا كانت النخلة كريمة وطالت تخوفوا عليها أن تنقر من الرياح العواصف ، والتصغير هنا يراد به التكبير والتعظيم ، وهو مثل ، والمراد أنه رجل يستشفي ببراءة وعقله . (٢) الجذعة : الشابة الفتية ؛ يريد الحروب والغارات .

بذلك ، ألا إن محمداً صلى الله عليه وسلم من قريش ، وقومهُ أَحَقُّ به وأولى ، وإيم الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر أبداً ، فاتقوا الله ولا تخالفوه ولا تنازعوه » .

فقال أبو بكر : هذا عمر ، وهذا أبو عبيدة ، فأيهما شئتم فبايعوا ، فقالا لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك ، فإنك أفضل المهاجرين ، وثانى اثنين إذ هما فى الفار ، وخليفة رسول الله على الصلاة ، والصلاة أفضل دين المسلمين ، فن ذا ينبغى له أن يتقدمك ، أو يتولى هذه الأمر عليك ؟ أبسط يدك نبايعك ، وقام الناس إليه فبايعوه .

(تاريخ الطبرى ٣ : ٢٠٧ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٥٨)

خطب أبي بكر الصديق ووصاياہ

رضی اللہ عنہ

۳۵ - خطبته يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم

دخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه ، على النبي عليه الصلاة والسلام وهو مُسَجَّى^(١) بثوب ، فكشف عنه الثوب ، وقال :

« بأبي أنت وأمي ! طُبِّتَ حَيًّا ، وَطُبِّتَ مَيِّتًا ! وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة ، فَعَظُمْتَ عن الصفة ، وَجَلَلْتَ عن البكاء ، وَخَصَّصْتَ حتى صرت مَسَلَةً^(٢) ، وَعَمَمْتَ حتى صرنا فيك سَوَاءً^(٣) ، ولولا أن موتك كان اختياراً منك^(٤) ، لَجُدْنَا لموتك بالنفوس ، ولولا أنك نَهَيْت عن البكاء ، لَأَنفَدْنَا عليك ماء الشُّنُونِ^(٥) ، فأما ما لَا نستطيع نَفْيُهُ عنا ، فَكَمَدٌ وإِدْنَانُ^(٦) ، يَتَخَالَفَانِ وَلَا يَبْرَحَانِ

(١) تسجية الميت : تغطيته . (٢) خص الشيء من باب قد خصوصاً فهو خاص : خلاف عم ، مثل اختص (وكلما الفعلين يستعمل متعديا ولا زما) ، والمعنى إنك يا رسول الله قد صرت بموتك مسلة للناس ؛ إنك مع ما اختصصت به من مناقب النبوة قد نزل بك الموت ، فله باد فيك أسوة حسنة .

(٣) أى عمت مصيبتك جميع المسلمين فصرنا نحن وقرابتك سواء في الحزن عليك والتفجع لفقدك .

(٤) يشير إلى قواه عليه الصلاة والسلام : « لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير » قالت عائشة : فسمعتة وقد شخص بصره ؛ وهو يقول : « في الرفيق الأهل » فعلمت أنه خير ، فعلمت أنه لا يختارنا إذن ، وقلت هو الذي كان يحدثنا وهو صحيح . (٥) جمع شأن ، وهو مجرى الدمع إلى العين .

(٦) دنف المريض كفرح ، وأدنف : ثقل ، والشمس : دنت للغروب واصفرت .

اللهم فأبلغه عنا السلام ، اذكرنا يا محمد عند ربك ، ولنسكن من بالك ، فلو لا ما خلقت من السكينة لم نُقِمَ لِمَا خَلَقْتَ مِنَ الْوَحْشَةِ ، اللهم أبلغ نبيك عنا ، واحفظه فينا !
ثم خرج إلى الناس وهم في شديد غمّراتهم ، وعظيم سكراتهم ، فخطب خطبة قال فيها :

« أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وأشهد أن الكتاب كما أنزل ، وأن الدين كما شرع ، وأن الحديث كما حدّث ، وأن القول كما قال ، وأن الله هو الحق المبين ... في كلام طويل ، ثم قال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت ، وإن الله قد تقدّم إليكم في أمره ، فلا تدعوه جزعاً ، وإن الله قد اختار لنبيه ماعنده على ماعندكم ، وقبضه إلى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه ، وسنة نبيه ، فمن أخذ بهما عرف ، ومن فرق بينهما أنكر .
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ^(١)) ، ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ، ولا يفتننكم عن دينكم ، فعاجلوه بالذي تمجّزونه ، ولا تستنظروه فيلحق بكم .
(زهر الآداب ١ : ٣٥)

٣٦ - خطبته بعد البيعة

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إني قد وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتُموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتُموني على باطل فسدّدوني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . »

(العقد الفريد ٢ : ١٣٠ ، وإعجاز القرآن ص ١١٥ ، وعيون الأخبار م ٢ : ٢٣٤ ، وتهذيب

الكامل ١ : ٦ ، وتاريخ الطبري ٣ : ٢٠٣ ، وابن أبي الحديد م ٢ : ٨ ، وم ٤ : ١٦٧ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٤٣٠ . »

٣٧ — خطبة أخرى له بعد البيعة

وقال الطبرى : نادى منادى أبى بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَيْتَمَ بَعَثَ أَسَامَةُ : أَلَا لَا يَبْقَيْنَ بِالْمَدِينَةِ أَحَدٌ مِنْ جُنْدِ أَسَامَةَ إِلَّا خَرَجَ إِلَى عَسْكَرِهِ ، وَقَامَ فِي النَّاسِ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ ، وَإِنِّي لَا أَدْرِي لِعَلِّكُمْ سَتُكَلِّفُونِي مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطِيقُ . إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَعَصَمَهُ مِنَ الْآفَاتِ ، وَإِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ ، فَإِنْ أَسْتَقَمْتُ فَتَابِعُونِي ، وَإِنْ زَغَتِ فَقَوِّمُونِي : وَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِضَ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ ^(١) ضَرْبَةِ سَوْطٍ فَادُونَهَا ، أَلَا وَإِنِّي لِي شَيْطَانًا ^(٢) يَعْتَرِينِي ، فَإِذَا غَضِبْتُ فَاجْتَنِبُونِي ، لَا أُؤَثِّرُ فِي أَشْعَارِكُمْ وَأَبْشَارِكُمْ ^(٣) ، أَلَا وَإِنِّكُمْ تَغْدُونَ وَتَرْوَحُونَ فِي أَجْلِ قَدْ غُيِّبَ عَنْكُمْ عِلْمُهُ ، فَإِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَلَّا يَمْضِيَ هَذَا الْأَجَلُ إِلَّا وَأَنْتُمْ فِي عَمَلٍ صَالِحٍ فَافْعَلُوا ، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَسَابِقُوا فِي مَهَلِ آجَالِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسَلِّمَ آجَالُكُمْ إِلَى انْقِطَاعِ الْأَعْمَالِ ، فَإِنْ قَوْمًا نَسُوا آجَالَهُمْ ، وَجَعَلُوا أَعْمَالَهُمْ لغيرِهِمْ ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ ، الْجِدَّةُ الْجِدَّةُ ، وَالْوَحَا ^(٤) ، وَالنَّجَاءُ ^(٥) ، وَالنَّجَاءُ ، فَإِنْ وَرَاءَكُمْ طَالِبًا حَثِيئًا ^(٦) ، أَجَلًا مَرَّةً سَرِيعًا ، احْذَرُوا الْمَوْتَ وَاعْتَبِرُوا بِالْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ ، وَلَا تَغْبِطُوا ^(٧) الْأَحْيَاءَ إِلَّا بِمَا تَغْبِطُونَ بِهِ الْأَمْوَاتَ »

(تاريخ الطبرى ٣ : ٢١١ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ١٦٧)

(١) الظلامة . (٢) قال ابن أبي الحديد : وأراد بالشیطان الغضب ، ولم يرد أن له شیطانا من مردة الجن يعتريه إذا غضب ، ولو كان له شیطان من الجن يعتاده وينوبه لكان فى عداد المصروعين من المجانين ؛ وما ادعى أحد على أبى بكر هذا لامن أوليائه ولا من أعدائه . (٣) أبشار جمع بشر ، وهو جمع بشرة ؛ وهى ظاهر الجلد . (٤) العجلة والإسراع ، وحى وتوحى : أسرع ، ووحاه ، عجله . (٥) الإمراع أيضا . (٦) سريعا . (٧) غبطه : تمنى مثل حاله من غير أن يريد زوال نعمته عنه .

٣٨ — خطبة أخرى

قال الطبري : وقام ايضا فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه ، فأريدوا الله بأعمالكم ، واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها ، وحظ ظفرتم به ، وضرائب أديتموها ، وسلف قدمتموه ، من أيام فانية لأخرى باقية ، حين فقرم وحاجتكم ، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم ، وتفكروا فيمن كان قبلكم . أين كانوا أمس ؟ وأين هم اليوم ؟ أين الجبارون ؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب ؟ قد تضعض بهم الدهر ، وصاروا رميا ، قد تركت عليهم القالات^(١) الخبيثات ، وإنما الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات ، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها ؟ قد بعدوا ، ونسي ذكرهم ، وصاروا كلا شيء ، ألا وإن الله قد أبقى عليهم التيبعات ، وقطع عنهم الشهوات ، ومضوا بالأعمال أعمالهم ، والدنيا دنيا غيرهم ، وبقينا خلفا من بعدهم ، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا ، وإن أغترنا كنا مثلهم ، أين الوضاء^(٢) الحسنه وجوههم ، المعجبون بشبابهم ؟ صاروا ترابا ، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم ، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط ، وجعلوا فيها الأعاجيب ؟ قد تركوها لمن خلفهم ، فتلك مساكنهم خاوية ، وهم في ظلمات القبور ، هل تحس منهم من أحد ، أو تسمع لهم ركزا^(٣) ؟ أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم ؟ قد انتهت بهم آجالهم ، فوردوا على ما قدموا ، فحلوا عليه ، وأقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت ،

(١) القول : في الخير ، والقال والقيل والقالة : في الشر . (٢) الوضاء جمع وضى : وهو الحسن

والنظيف ، وهو أيضا وضاء بضم الواو وتشديد الضاد ، وجمعه وضاءون . (٣) الصوت الخفى .

ألا إن الله لا شريك له ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه به سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره ، واعلموا أنكم عبيد مدينون ، وأن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته ، أما وإنه لا خيرَ بخيرِ بعده النارُ ، ولا شرَّ بِشرٍ بعده الجنة .

(تاريخ الطبري ٣ : ٣١١ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ ص ١٦٧)

٣٩ - خطبة له

ومن خطبه : « حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك ، فرفع الناس رؤوسهم ، فقال : مالكم يامعشر الناس ؟ إنكم لطمعون عجولون ، إن من الملوك مَنْ إذا مَلَكَ زَهَّدَهُ اللهُ فيما في يده ، ورَغِبَهُ فيما في يَدَيْ غَيْرِهِ ، وانتقصه شَطْرَ أَجَلِهِ ، وَأَثَرَبَ قَلْبَهُ الإِشْفَاقَ ، فهو يَحْسُدُ على القليل ، ويتسخط^(١) الكثير ، ويسأم الرخاء ، وتنقطع عنه لذة البهاء ، لا يستعمل العبرة ، ولا يسكنُ إلى النقرة ، فهو كالدرم القسي^(٢) ، والسراب الخادع ، جَذِلَ الظاهر ، حزين الباطن ، فإذا وَجِبَتْ^(٣) نفسه ، ونَضَبَ عمره ، وضحا ظِلُهُ^(٤) ، حاسبه اللهُ فأشدَّ حسابَهُ ، وَأَقْلَ عَفْوَهُ . ألا إن الفقراء هم الرحومون ، وخير الملوك من آمن بالله ، وحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإنكم اليوم على خلافة نبوة ، ومُفَرِّقِ حَبِجَةٍ ، وَسَتَرُونَ بعدى مُلْكاً عَضُوضاً^(٥) ، وأمة شَعَاعاً^(٦) ، وَدَمًا مُفَاحًا^(٧) ، فإن كانت للباطل نَزْوَةٌ^(٨) ، ولأهل الحق جَوَلَةٌ ، ينفو لها الأثرُ ، وتموت السنن ، فالزموا المساجد ،

(١) تسخط عطاءه : استقله ولم يقع منه موقعا . (٢) الزائف . (٣) مات . ووجبت الشمس :

غابت ؛ والعين غارت . (٤) مات أيضا . (٥) العضوض : ما يعض عليه ، وملك عضوض : فيه

عسف وظلم . (٦) متفرقة . (٧) أفاقه : أراقه . (٨) وثبة .

واستشبروا القرآن ، والزموا الجماعة ، وليكن الإبرام بعد التشاور ، والصفقة بعد طول التناظر ، أى بلاد خَرْشَنَةَ^(١) إن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها .

(عيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٣ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢١ ، والمقد الفريد ٢ : ١٣١ ، وصبح الأعشى ١ : ٢١٣ ، وزهر الآداب ١ : ٣٩) .

٤٠ — خطبة له

وخطب أيضا فقال :

« الحمد لله ، أحمده ، وأستعينه ، وأستغفره ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهدى الله بالهدى ، وأعوذ به من الضلالة والردى ، ومن الشك والعمى ، من يهد الله فهو المهتدى ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو حي لا يموت ، يُعْزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ بيده الخير ، وهو على كل شئ قدير ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، إلى الناس كافة ، رحمة لهم ، وحجة عليهم والناس حينئذ على شر حال فى ظلمات الجاهلية ، دينهم بدعة ، ودعوتهم فرية ، فَأَعَزَّ اللَّهُ الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وألَّفَ بين قلوبكم أيها المؤمنون ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . فأتبعوا الله ورسوله ، فإنه قال عز وجل : « مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا » .

أما بعد أيها الناس : إني أوصيكم بتقوى الله العظيم فى كل أمر ، وعلى كل حال ، ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم ، فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير ، مَنْ يَكْذِبْ

(١) خَرْشَنَةُ : بلد بالروم ، والمراد بلاد الروم .

يَفْجَرُ ، ومن يَفْجَرُ يَهْلِكُ ، وإياكم والفخرَ ، وما خَرُّ من خلق من التراب ، وإلى التراب يعود ؟ هو اليوم حى ، وغداً ميت ، فاعملوا وعُدُّوا أنفسكم فى الموتى ، وما أَشْكَلَ عليكم فردوا علمه إلى الله ، وقدموا لأنفسكم خيراً تجدوه مُحَضَّراً ، فإنه قال عزَّ وجلَّ « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّراً ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَاللَّهُ زَمِيمٌ بِالْعِبَادِ » . فاتقوا الله عباد الله وراقبوه ، واعتبروا بمن مضى قبلكم ، واعلموا أنه لا بد من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم صغيرها وكبيرها ، إلا ما غفر الله ، إنه غفور رحيم ، فأنفسم أنفسكم ، والمستعان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله « إن الله وملائكته يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » اللهم صلِّ على محمد عبدك ورسولك ، أفضلَ ما صليتَ على أحد من خلقك ، وزكَّنا بالصلاة عليه ، وألحقنا به ، وأحشرنا فى زمَرتِه ، وأوردنا حوضَه .
 اللهم أعنا على طاعتك ، وانصرنا على عدوك .
 (العقد الفريد ٢ : ١٣١)

٤١ — خطبة له

وخطب أيضاً ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
 « أوصيكم بتقوى الله ، وأن تُتَنُوا عليه بما هو أهله ، وأن تَخْلُطُوا الرغبة بالرَّهبة ، وتجمِعُوا الإلحافَ بالمسألة ، فإن الله أثنى على زكريا وعلى أهل بيته فقال : « إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فى الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ » ثم أعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم ، وأخذ على ذلك موثيقكم ، وعوَضكم بالقليل الفانى الكثير الباقي ، وهذا كتابُ الله فيكم لا تَفْقَى عجائبه ، ولا يُطْفَأُ نُورُه ، فتقوا بقوله ،

وانتصحو^(١) كتابه ، واستبصروا فيه ليوم الظلمة ، فإنه خلقكم لعبادته ، وَوَكَلْ بِكُمْ
الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون^(٢) .

(المقد الفريد ٢ : ١٣١ ، وعيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٢)

٤٢ — خطبة له في الأنصار

ووصل إليه مال من البحرين ، فساوى فيه بين الناس ، فغضبت الأنصار ، وقالوا
لهُ فَضَّلْنَا ، فقال أبو بكر صدقتم ، إن أردتم أن أفضلكم صار ما عملتموه للدنيا ، وإن
صبرتم كان ذلك لله عز وجل ، فقالوا : والله ما عملنا إلا لله تعالى وانصرفوا ، فرقى
أبو بكر المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم . ثم قال :

« يامعشر الأنصار : إن شئتم أن تقولوا إنا آويناكم في ظلالنا ، وشاظرناكم في
أموالنا ، ونصرناكم بأنفسنا ، قلم : وإن لكم من الفضل مالا يُحصيه العدد وإن طال به
الأمَدُ . فنحن وأنتم كما قال طُفَيْلُ الغَنَوِيُّ :

جزى الله عنا جعفراً حين أزلت بنا نعلنا في الواطئين فزالت
أبوا أن يملؤنا ، ولو أن أمنا تلاقى الذي يلقون منا لملت
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفات وأظلت

(زهر الآداب ١ : ٣٩ وصبح الأمتى ١٣ : ١٠٨)

(١) انتصح فلان : قبل النصيحة ، يقال : انتصحني فإني لك ناصح . (٢) ورد عقب ذلك
« ثم اعلّموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في ليل قد غيب عنكم علمه . . . الخ » ما أورده ابن جرير
الطبري في الخطبة التي أسلفنا ذكرها ص ١٨١ .

٤٣ — وصيته لأسامة بن زيد

وأوصى أسامة بن زيد وجيشه حين سيّره إلى أُنْبَى^(١) ، فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : قِفُوا أَوْصِيَكُمْ بِمَشْرَافِ حِفْظِهَا عَنِي : لَا تَخُونُوا ، وَلَا تَغْلُوا^(٢) ، وَلَا تَغْدُرُوا^(٣) ، وَلَا تَمْتَلُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا طِفْلاً صَغِيراً ، وَلَا شَيْخاً كَبِيراً وَلَا امْرَأَةً ، وَلَا تَقْمَرُوا^(٤) مَخْلاً وَلَا تَحْرِقُوهُ ، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً ، وَلَا تَنْذِبُوا شَاةً وَلَا بَقْرَةً وَلَا بَعِيراً إِلَّا لِمَا كَلَلَهُ^(٥) ، وَسَوْفَ تَمُرُّونَ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ فَدَعُوهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ ، وَسَوْفَ تَقْدُمُونَ عَلَى قَوْمٍ يَأْتُونَكُمْ بِأَنِيَةٍ فِيهَا أَلْوَانُ الطَّعَامِ ، فَإِذَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ ، فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ، وَتَلَقَّوْنَ أَقْوَاماً قَدْ فَحَصُوا أَوْسَاطَ رِءُوسِهِمْ ، وَتَرَكَوا حَوْلَهَا مِثْلَ الْمَصَائِبِ ، فَاخْفِقُوهُمْ^(٦) بِالسَّيْفِ خَفِيقاً ، ائْذَنْفُوا بِاسْمِ اللَّهِ^(٧) . »

(تاريخ الطبري ٣ : ٢١٣ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٦٢)

٤٤ — وصيته لعمر بن العاص والوليد بن عتبة

وشيع عمرو بن العاص والوليد بن عتبة مَبْعَثَهُمَا عَلَى الصَّدَقَةِ ، وَأَوْصَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا

بوصية واحدة :

« اتَّقِ اللَّهَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ

(١) موضع بقرب مؤتة بمشارك الشام قتل فيه والده زيد بن حارثة . (٢) غل يغل كنصر :

خان كأغل ، وغل صدره يغل كنصر غليلاً وغلاً : حقد . (٣) غدره وغدر به كنصر وضرب وسمع .

(٤) قمر النخلة : كنع فانتعرت قطعها من أصلها فسقطت . (٥) المأكلة : ما أكل .

(٦) خفقه : ضربه بشيء عريض . (٧) وأورد المقد الفريد هذه الوصية وذكر أنها وصية من

أبي بكر لزيد بن أبي سفيان — راجع المقدج ١ ص ٤٠ .

لا يحسب ، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ، ويعظم له أجراً ، فإن تقوى الله خير ما تواسى به عباد الله ، إنك في سبيل من سبيل الله ، لا يسمعك فيه الإذهان^(١) والتفريط والغفلة عما فيه قوام دينكم ، وعصمة أمركم فلا تن ، ولا تفتر .

(تاريخ الطبري ٤ : ٢٩)

خطب الفتوح في عهد أبي بكر

٤٥ — وصيته لخالد بن الوليد

ووصى أبو بكر خالد بن الوليد فقال :

« سر على بركة الله ، فإذا دخلت أرض العدو ، فكن بعيداً من الحملة ، فإنى لا آمن عليك الجولة ، واستظهر بالزاد ، وسر بالأدلاء ، ولا تقاتل بمجروح ، فإن بعضه ليس منه ، واحترس من النيات ، فإن في العرب غرة ، وأقلل من الكلام ، فإن مالك ما وُجى عنك ، واقبل من الناس علانيتهم ، وكلهم إلى الله في سريرتهم ، وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه » .

(المقد الفريد ١ : ٤٠)

٤٦ — خطبة خالد بن الوليد

وكان أبو بكر رضى الله عنه قد بعث المثني بن حارثة على جيش إلى العراق ، فقدم العراق فقاتل وأغار على أهل فارس ونواحي السواد ، ثم بعث أخاه مسعوداً إلى أبي بكر يستمده . فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد — وكان باليمامة — أن يسير إلى العراق ، فلما قرأ خالد الكتاب قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

(١) الإذهان : المداينة والنش .

« الحمد لله والله أهله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد : فإن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلينا يحضنا على طاعة ربنا ، وجهاد عدونا وعدو الله ، وبالجهاد في سبيل الله أنجز الله دعوتنا ، وجمع كلمتنا وأمنيتنا ، والحمد لله رب العالمين ، ألا إني خارج ومعسكر وسائر إن شاء الله وممّجّل ، فمن أراد ثواب العاجل والآجل فلينكش^(١) » :

٤٧ - خطبة لأبي بكر في ندب الناس لفتح الشام

وخطب يندب الناس لفتح الشام ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ، وقال :
« ألا إن لكل أمرٍ جوامعَ ، فمن بلغها فهي حسنةٌ ، ومن عمل لله كفاه الله ، عليكم بالجد والقصد ، فإن القصد أبلغ ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له ، ولا أجر لمن لا حسنة له ، ولا عمل لمن لا نية له ، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله ، كما ينبغي للمسلم أن يحب أن يُخصَّ به ، هي التجارة التي دل الله عليها ، ونجى بها من الخزي ، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة » . (تاريخ الطبري ٤ : ٣٠)

فتح الشام

حدث أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري صاحب فتوح الشام قال : لما أراد أبو بكر رحمة الله عليه أن يجهز الجنود إلى الشام ، دعا عمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابن أبي وقاص وأبا عبيدة بن الجراح ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم ، فدخلوا عليه فقال :

٤٨ - خطبة أبي بكر

« إن الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه ، ولا تبغ جزاءها الأعمال ، فله الحمد كثيراً على ما اصطنع عندكم ، فقد جمع كلمتكم ، وأصلح ذات بينكم ، وهذا كم إلى الإسلام ، ونفى عنكم الشيطان ، فليس يطمع أن تشركوا بالله ، ولا أن تتخذوا إلهاً غيره ، فالعرب اليوم بنو أم وأب ، وقد أردت أن أستغفرهم إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين ، ويحمل الله كلمته العليا ، مع أن للمسلمين في ذلك الحظ الأوفر . فمن هلك منهم هلك شهيداً ، وما عند الله خير للأبرار ، ومن عاش منهم عاش مدافعاً عن الدين ، مستوجباً على الله عز وجل ثواب المجاهدين ، هذا رأي الذي رأيت فليشر على أمرؤ بمبلغ رأيه » .

٤٩ - خطبة عمر

فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« الحمد لله الذى يخلص بالخير من يشاء من خلقه ، والله ما استبقنا إلى شئ من الخير قط إلا سبقتنا إليه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، قد والله أردت لقاءك لهذا الرأي

الذى ذكرت ، فاقضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن ، فقد أصبت ، أصاب الله بك سبل الرشاد ، سرّب إليهم الخيل في إثر الخيل ، وابتث الرجال تتبعها الرجال ، والجنود تتبعها الجنود . فإن الله عز وجل ناصر دينه ، ومُعز الإسلام وأهله ، ومنجز ما وعدّ رسوله .
(فتوح الشام ص ١ وتاريخ ابن عساكر ١ : ١٢٦ - ١٢٧)

٥٠ - خطبة عبد الرحمن بن عوف

ثم إن عبد الرحمن بن عوف قام فقال :

« يا خليفة رسول الله ، إنها الروم وبنو الأصفر ، حدّ حديد ، وركن شديد ، والله ما أرى أن تُقحم الخيل عليهم إقحاما ، ولكن تبعث الخيل ، فتغير في أَدَانِي أرضهم ، ثم تبعثها فتغير ، ثم ترجع إليك ، ثم تبعثها فتغير ، ثم ترجع إليك ، فإذا فعلوا ذلك مرارا أضروا بدمومهم ، وغنموا من أَدَانِي أرضهم ، فقوموا بذلك على قتالهم ، ثم تبعث إلى أقاصي أهل اليمن ، وإلى أقاصي ربيعة ومضر فتجمعهم إليك جميعا . فإن شئت عند ذلك غزوتهم بنفسك ، وإن شئت بعثت على غزوتهم غيرك » .

ثم جلس وسكت وسكت الناس .

قال لهم أبو بكر ماترون ؟ رحمكم الله . فقام عثمان بن عفان رضوان الله عليه . فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« رأيي أنك ناصح لأهل هذا الدين ، عليهم شفيق . فإذا رأيت رأيا علمته لهم رشدا وصلاحا وخيرا ، فاعزم على إمضائه ، فإنك غير ظنين ولا متهم عليهم » .

فقال طلحة والزبير وسعد وأبو صبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد وجميع من حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار :

« صدق عثمان فيما قال ، ما رأيت من رأى فأمض ، فإننا سامعون لك مطيعون ، لا نخالف أمرك ، ولا نتهم رأيك ، ولا نتخلف عن دعوتك وإجابتك » .

فذكروا هذا وشبهه ، وعلى بن أبي طالب رحمة الله عليه في القوم لا يتكلم ، فقال له أبو بكر : ما ترى يا أبا الحسن ؟ قال :

« أرى أنك مبارك الأثر ، ميمون النقيبة ، وأنتك إن سرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم نصرت إن شاء الله » .

فقال له أبو بكر : بشرك الله بخير ، فن أين علمت هذا ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يزال هذا الدين ظاهرا على كل من ناوأه ، حتى يقوم الدين وأهله ظاهرين » فقال أبو بكر : سبحان الله ! ما أحسن هذا الحديث ! لقد سررتني شرك الله في الدنيا والآخرة .

٥١ - خطبة أبي بكر

ثم إن أبا بكر رحمة الله عليه ورضوانه قام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكره بما هو أهله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أيها الناس ، إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام ، وأعزكم بالجهاد ، وفضلكم بهذا الدين على أهل كل دين . فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشأم ، فإني مؤثر عليكم أمراء وعاهد لهم ألوية ، فأطيعوا ربكم ، ولا تخالفوا أمراءكم ، ولتحسن نيتكم وسيرتكم وطعنتكم ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

فسكت الناس ، فو الله ما أجابه أحد هيبة لغزو الروم لما يعلمون من كثرة عددهم وشده شوكتهم ، فقام عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه فقال : يامعشر المسلمين ما لكم لا تجيبون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ دعاكم لمشايعكم .

٥٢ - خطبة خالد بن سعيد بن العاص

فقام خالد بن سعيد بن العاص ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، ثم قال :

« الحمد لله الذى لا إله إلا هو ، الذى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، فإن الله منجز وعده ، ومُعز دينه ، ومُهلك عدوه » ثم أقبل على أبي بكر فقال : « نحن غير مخالفين لك ، ولا متخالفين عنك ، وأنت الوالى الناصح الشفيق ، ننفر إذا استنفرتنا ، ونطيعك إذا أمرتنا ، ونجيبك إذا دعوتنا » .

ففرح أبو بكر بمقاتلته ، وقال له : « جزاك الله من أخ و خليل خيراً » فقد أسلمت مرتقباً ، وهاجرت محتسباً ، وهربت بدينك من الكفار ، لكي يطاع الله ورسوله ، وتكون كلمة الله هي العليا ، فتيسر رحمك الله » .

فتجهز خاله بن سميد بأحسن الجهاز وخرج هو وإخوته وغلمانهم ومن تبعه من أهل بيته ، فكان أول من عسكر ، وأمر أبو بكر بلالا فنادى في الناس : أن انفروا إلى جهاد عدوكم الروم بالشام ، فنفروا إليه — وكان خالد من عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكره الإمارة واستغنى أبا بكر فأعفاه — (فتوح الشام ص ١) ورأى أبو بكر أن يكتب كتاباً إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الجهاد ، ويرغبهم في ثوابه ، وبعث الكتاب مع أنس بن مالك .

قال أنس : أتيت أهل اليمن جناحاً جناحاً و قبيلة قبيلة ، أقرأ عليهم كتاب أبي بكر وإذا فرغت من قراءته قلت :

« الحمد لله ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإن رسول خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول المسلمين إليكم ، ألا وإنى قد تركتهم معسكرين ، ليس يمتنعهم من الشيوخ إلى عدوهم إلا انتظاركم ، فمجلوا إلى إخوانكم رحمة الله عليكم أيها المسلمون » ، فكان كل من أقرأ عليه ذلك الكتاب ، ويسمع منى هذا القول يحسن الرد على ، ويقول : نحن سائرون وكأنا قد فعلنا .

٥٣ — خطبة ذى الكلاع

حتى انتهيت إلى ذى الكلاع ، فلما قرأت عليه الكتاب ، وقلت هذا المقال ؛ دعا بفرسه وسلاحه ؛ ونهض في قومه من ساعته ولم يؤخر ذلك ، وأمر بالمعسكر فصار جرحاً حتى عسكر وعسكر معه جموع كثيرة من أهل اليمن وسارعوا ، فلما اجتمعوا إليه قام فيهم :

فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : « أيها الناس إن من رحمة الله إليكم ، ونعمته عليكم ، أن بعث فيكم رسولا ، وأنزل عليه كتابا فأحسن عنه البلاغ ، فعلمكم ما يرشدكم ، ونهاكم عما يفسدكم ، حتى علمكم ما لم تكونوا تعلمون ، ورغبكم في الخير فيما لم تكونوا ترغبون ، ثم قد دعاكم إخوانكم الصالحون إلى جهاد المشركين ، واكتساب الأجر العظيم ، فابتغوا من أراد النفي معي الساعة » .

فنفروا بعدد من أهل اليمن كثير ، وقدموا على أبي بكر ففرح بمقدمهم .

(فتوح الشام ص ٦)

٤٥ - وصية خالد بن سعيد بن العاص لأبي بكر

ولما أراد خالد بن سعيد بن العاص أن يغدو سائرا إلى الشام ، لبس سلاحه ، وأمر إخوته فلبسوا أسلحتهم ، عمرا والحكم وأبان ، وغلتمته ومواليه ، ثم أقبل إلى أبي بكر رضي الله عنه بعد صلاة الغداة وصلى معه ، فلما انصرفوا قام إليه هو وإخوته ، فجلسوا إليه فحمد الله خالد وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« يا أبا بكر ، إن الله أكرمنا وإياك والمسلمين طرا بهذا الدين ، فأحق من أقام السنة ، وأما البدعة ، وعدل في السيرة ، والى على الرعية ، وكل امرئ من أهل هذا الدين محقوق بالإحسان ، ومعدلة الوالى أعم نفعا ، فاتق الله يا أبا بكر فيمن ولاك الله أمره ، وارحم الأرملة واليتيم ، وأعين الضعيف المظلوم ، ولا يكن رجل من المسلمين إذا رضيت عنه آثر عندك في الحق منه إذا سخطت عليه ، ولا تغضب . ما قدرت على ذلك ، فإن الغضب يجر الجور . ولا تحقد على مسلم وأنت تستطيع ، فإن حقدك على المسلم يجعلك له عدوا ، وإن اطلع على ذلك منك عاداك ، فإذا عادى الوالى الرعية ، وعادت الرعية الوالى ، كان ذلك قمتا أن يكون إلى هلاكهم داعيا ، وكن لنا للمحسن ، واشدد على المريب ، ولا تأخذك في الله لومة لائم » .

ثم قال : هات يديك ، فإنى لا أدرى : هل نلتقى فى الدنيا بعد هذا اليوم ؟ فإن قضى الله لنا التقاء فنسأل الله عفوه وغفرانه ؛ وإن كانت هى الفرقة التى ليس بعدها التقاء ، فمرفئنا الله وإياك وجه النبى صلى الله عليه وسلم فى جنات النعيم » فأخذ أبو بكر رضى الله عنه بيده ، ثم بكى وبكى خالد والمسلمون ، وظنوا أنه يريد الشهادة .
(فتوح الشام ص ١٧)

٥٥ - وصية أبي بكر لخالد بن سعيد بن العاص

فلما خرج من المدينة قال له أبو بكر رضى الله عنه :

« إنك قد أوصيتنى برشدى وقد وعيتنى ، وأنا موصيك فاستمع وصيتى وعيها ، إنك امرؤ قد جعل الله لك سابقة فى الإسلام ، وفضيلة عظيمة ، والناس ناظرون إليك ، ومستمعون منك ، وقد خرجت فى هذا الوجه العظيم الأجر ، وأنا أرجو أن يكون خروجك فيه لحسبة ونية صادقة إن شاء الله ، فثبّت العالم ، وعلم الجاهل ، وعاتب السفية المتترف ، وانصح لعامة المسلمين ، واخصص الوالى على الجند من نصيحتك ومشورتك ما يحق الله للمسلمين عليك واعمل لله كأنك تراه ، واعدد نفسك فى الموتى ، واعلم أنا عما قليل ميتون ثم مبعوثون ثم مساءلون ومحاسبون ، جعلنا الله وإياك لأنعمه من الشاكرين ولنقمه من الخائفين ثم أخذ يده فودعه » .

وجّه أبو بكر أربعة جيوش على أحدها عمرو بن العاص ووجهه إلى فلسطين ، وعلى الثانى شرحبيل ابن حسنة ووجهه إلى الأردن ، وعلى الثالث يزيد بن أبى سفيان ووجهه إلى البلقاء ، وعلى الرابع أبو عبيدة عامر بن الجراح ووجهه إلى حمص ، وشيخ الأمراء ووصاهم .
(فتوح الشام ص ١٨)

٥٦ - وصية أبي بكر لعمرو بن العاص

ولما أجمع أبو بكر أن يبعث الجيوش إلى الشام كان أول من سار من عماله عمرو ابن العاص .

وخرج أبو بكر يمشى إلى جنب راحلة عمرو بن العاص وهو يوصيه ويقول :

« يا عمرو اتق الله في سر أمرك وعلانيته ، واستخيه فإنه يراك ويرى عملك ، وقد رأيت تقديمي إياك على من هو أقدم سابقةً منك ، ومن كان أعظم غناء عن الإسلام وأهله منك ، فكن من عمال الآخرة ، وأرد بما تعمل وجه الله ، وكن والدا لمن معك . ولا تكشفنَّ الناس عن أستارهم ، واكف بعلاانيتهم ، وكن مجداً في أمرك ، واصدق اللقاء إذا لافيت ولا تجبن ، وتقدم في العلوم ^(١) وعاقب عليه ، وإذا وعظت أصحابك فأوجز وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك في وصية له طويلة » .

(تاريخ ابن مسافر ١ : ١٢٩)

٥٧ - وصية أخرى

وأمد أبو بكر أبا عبيدة بجيش عليه عمرو بن العاص ، فلما أراد الشخصوص خرج معه أبو بكر رضى الله عنه يشيعه وقال :

« يا عمرو إنك ذو رأى وتجربة بالأمور وتبصرة بالحرب . وقد خرجت مع أشرف قومك ، ورجال من صلحاء المسلمين ، وأنت قادم على إخوانك فلا تألمهم نصيحة ، ولا تدخر عنهم صالح مشورة ، فرب رأى لك محمود في الحرب ، مبارك في عواقب الأمور » فقال له عمرو : ما أخلقنى أن أصدق ظنك وأن أقبل رأيك ، ثم ودعه وانصرف .

(فتوح الشام ص ٤١)

٥٨ - وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان

ودعا يزيد بن أبي سفيان فعتد له وأوصاه فقال :

« يا يزيد ، إني أوصيك بتقوى الله وطاعته ، والإيثار له ، والخوف منه ، وإذا لقيت

(١) هكذا في الأصل .

العدو فأظفركم الله بهم ، فلا تغلّ ولا تمثّل ، ولا تغدر ولا تجبن ، ولا تقتلوا وليدا ، ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تحرقوا نخلا ولا تقعره ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تقفروا بهيمة إلا لما كلفت ، وستمرون بقوم في الصوامع ، يزعمون أنهم حبسوا أنفسهم لله ، فدعهم وما حبسوا أنفسهم له ، وستجدون آخرين قد فحس الشيطان عن أوساط رءوسهم ، حتى كأن أوساط رءوسهم أفاحيص^(١) القطا ، فاضربوا ما فحسوا من رءوسهم بالسيوف ، حتى يُنبئوا إلى الإسلام ، أو يؤدروا الجزية عن يد وهم صاغرون ، ولينصرن الله من ينصره ورسله بالغيب » ثم أخذ يده فقال : « إني أستودعك الله وعليك سلام الله ورحمته » ثم ودّعه وقال : « إنك أول أمرائي ، وقد وليتك على رجال من المسلمين أشرف غير أوزاع^(٢) في الناس ، فأحسن صحبتهم ، ولتكن لهم كففاً واخفض لهم جناحك وشاورهم في الأمر ، أحسن الله لك الصحابة وعلينا الخلافة » . (فتوح الشام ٨)

٥٩ — وصية أخرى ليزيد بن أبي سفيان

ووصى يزيد بن أبي سفيان أيضا حين وجّهه لفتح الشام قال :

« إني قد وليتك لأبلوك وأجربك وأخرّجك^(٣) ، فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك ، وإن أسأت عزلتك ، فمليك بتقوى الله ، فإنه يرّى من باطنك مثل الذي يرّى من ظاهرك ، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليا له ، وأقرب الناس من الله أشدهم تقرّبا إليه بعمله ، وقد وليتك عمل خالد^(٤) ، فأياك وعبيّة^(٥) الجاهلية ، فإن الله يبغضها ويبغض إلىه بعمله »

(١) جمع أنحوص وهو ما يجثم فيه القطا . (٢) أى ليسوا بأدنياء ولا ضعفاء ولا جفأة .

(٣) أخرجه : دربه وعلمه . (٤) هو خالد بن سعيد العاص ، وكان أبو بكر سيره إلى

الشام أولا لم عزله . (٥) العبيّة : الكبر والفخر ، وفي الحديث : « إن الله قد وضع عنكم عية الجاهلية » يعنى الكبر .

أهلها ، وإذا قَدِمْتَ عَلَى جَنْدِكَ فَأَحْسِنْ مُحِبَّتَهُمْ وابدأهم بالخير ، وَعِدْهُمْ إِيَّاهُ ، وإذا وعظتهم فَأَوْجِزْ ، فَإِنَّ كَثِيرَ الْكَلَامِ يُنْسِي بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَأَصْلِحْ نَفْسَكَ يَصْلُحْ لَكَ النَّاسُ ، وَصَلِّ الصَّلَوَاتِ لِأَوْقَانِهَا بِإِتِمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَالتَّخَشُّعِ فِيهَا ، وإذا قَدِمَ عَلَيْكَ رُسُلُ عَدُوِّكَ فَأَكْرِمْهُمْ وَأَقْلِلْ لُبَّيْهِمْ حتى يخرجوا من عسكرِكَ وهم جاهلون به ، ولا تُرِيْبُهُمْ ^(١) فَيَرَوْا خَلَاكَ ، وَيَعْلَمُوا عِلْمَكَ ، وَأَنْزِلْهُمْ فِي ثَرْوَةِ عَسْكَرِكَ ، وامنع من قِبَلِكَ من مَحَادِثِهِمْ ، وكن أنت المتولَّى لِكَلَامِهِمْ ، ولا تجعل سِرَّكَ لِعَلَانِيَتِكَ ، فيختلط أَمْرُكَ ، وإذا اسْتَشَرْتَ فَاصْذُقْ الْحَدِيثَ تُصَدِّقِ الْمَشُورَةَ ، ولا تَخْزُنْ عَنِ الْمُسِيرِ خَبْرَكَ ، فَتَوْتَى مِنْ قِبَلِ نَفْسِكَ ، واسمُرْ بِاللَّيْلِ فِي أَحْبَابِكَ تَأْتِكَ الْأَخْبَارُ ، وتَنَكِّشُ عَنْكَ الْأَسْتَارُ ، وَأَكْثَرُ حَرَسِكَ وَبَدَدْهُمْ فِي عَسْكَرِكَ ، وَأَكْثَرُ مَفَاجَأَتِهِمْ فِي مُحَارَسِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِكَ ، فمن وَجَدْتَهُ غَفَلَ عَنْ حَرَسِهِ ، فَأَحْسِنْ أَدَبَهُ وَعَاقِبُهُ فِي غَيْرِ إِفْرَاطٍ ، وَعَقِّبْ ^(٢) يَنْبَغِي بِاللَّيْلِ ، واجعل النَّوْبَةَ الْأُولَى أَطْوَلَ مِنَ الْآخِرَةِ ، فَإِنِهَا أَيْسَرُهَا لِقَرَبِهَا مِنَ النَّهَارِ ، ولا تَخَفْ مِنْ عَقُوبَةِ الْمُسْتَحَقِّ ، ولا تَلَجِّنْ فِيهَا ، ولا تُسْرِعْ إِلَيْهَا ، ولا تَتَخَذْ لَهَا مَذْقِعًا ^(٣) ، ولا تَفُكِّلْ عَنْ أَهْلِ عَسْكَرِكَ فَيُفْسِدَهُ ، ولا تَجَسَّسْ عَلَيْهِمْ فَتَفْضَحَهُمْ ، ولا يَكْشِفِ النَّاسُ عَنْ أَسْرَارِهِمْ ، واكْتَفِ بِعَلَانِيَتِهِمْ ، ولا تَجَالِسِ الْعَبَّاثِينَ ، وَجَالِسِ أَهْلَ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ ، وَاصْذُقِ اللَّقَاءَ ، ولا تَجِبُنْ فَيَجِبُنَ النَّاسُ ، واجتنب الغُلُولَ ^(٤) فَإِنَّهُ يَقْرَبُ الْفَقْرَ ، ويدفع النصر ، وسيتجدون أقواما حبسوا أنفسهم في الصوامع ، فدعهم وما حبسوا أنفسهم له .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ١٩٦)

(١) من الريث : وهو الإبطاء . (٢) عقبه تعقيبا : جاء بعقبه . (٣) لا تتخذ : من غدا يتخذ

كنصر وخنزى يتخذى كرضى إذا استرخى ، والمدقع : الملقص بالدقواء أو الهارب أو أشد الهزلى هزالا ؛ أى ولا تنصف ، ولا تجبن أمام تنفيذ العقوبة وهو مقابل لقوله : ولا تسرع إليها .

(٤) غل غلولا : خان .

٦٠ - دعاء أبي بكر

وكان أبو بكر رحمة الله عليه يدعو في كل يوم غُدُوَّةً وَعَشِيَّةً في دُبُرِ صلاة الغداة و بعد العصر يقول :

« اللهم إنك خلقتنا ولم نكُ شيئا ، ثم بعثت إلينا رسولا ، رحمة منك لنا ، وفضلا منك علينا ، فهديتنا وكنا ضلّالا ، وحبّبت إلينا الإيمان وكنا كفارا ، وكثرتنا وكنا قليلا وجمعتنا وكنا أشتاتا ، وقويتنا وكنا ضعافا ، ثم فرضت علينا الجهاد ، وأمرتنا بقتال المشركين حتى يقولوا لا إله إلا الله أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، اللهم لأصبحنا أن نطلب رضاك ، ونجاهد أعداءك ، من عدل بك ، وعبد معك إلها غيرك ، تعاليت عما يقولون علوا كبيرا ، اللهم فانصر عبادك المسلمين على عدوك من المشركين ، اللهم افتح لهم فتحا يسيرا ، وانصرهم نصرا عزيزا ، واجعل لهم من لدنك سلطانا نصيرا ، اللهم شجّع جُبنهم وثبت أقدامهم ، وزلزل بعدهم ، وأدخل الرعب قلوبهم ، واستأصل شأفتهم ، واقطع دابرهم ، وأبد خضراءهم ، وأورثنا أرضهم وديارهم وأموالهم ، وكن لنا وليا ، وبنا حفيا ، وأصلح لنا شأننا كله ونياتنا وقضاءنا وتبعاتنا ، واجعلنا لأنعمك من الشاكرين ، واغفر لنا والمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، ثبتنا الله وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، إنه بالمؤمنين رءوف رحيم . » (فتوح الشام ص ٩)

٦١ - وصيته لشرحبيل بن حسنة

وجه شرحبيل بن حسنة ، وودعه فقال له : يا شرحبيل ، ألم تسمع وصيتي ليزيد ابن أبي سفيان ؟ قال : بلى ، قال : فإنّي أوصيك بمثلها ، وأوصيك بمخال أعقلت ذكرهن

ليزيد : أوصيك بالصلاة في وقتها ، وبالصبر يوم البأس حتى تظفر أو تقتل وبعبادة
المرضى ، وبحضور الجنائز ، وذكر الله كثيرا على كل حال «
(فتوح الشام ص ١١)

٦٢ - وصيته لأبي عبيدة بن الجراح

ولما أراد أن يبعث أبا عبيدة بن الجراح دعاه فودعه ثم قال له :

« اسمع سماع من يريد أن يفهم ما قيل له ، ثم يعمل بما أمر به ، إنك تخرج في
أشراف الناس ، وبيوتات العرب ، وصلحاء المسلمين ، وفُرسان الجاهلية ، كانوا يقاتلون
إذ ذاك على الحِمِيَّة ، وهم اليوم يقاتلون على الحِسْبَةِ والنية الحسنة ، أحسن صحبة من
صَحْبِكَ ، وليكن الناس عندك في الحق سواء ، واستعن بالله وكفى بالله معيناً ، وتوكل على
الله وكفى بالله وكيلاً ، اخرج من غد إن شاء الله . »
(فتوح الشام ص ١٢)

٦٣ - وصيته لأبي عبيدة بن الجراح أيضا

فلما كان من الغد خرج أبو بكر رضى الله عنه يمشى في رجال من المسلمين ، حتى
أتى أبا عبيدة ، فسار معه حتى بلغ ثَنِيَّةِ الوداع ، ثم قال حين أراد أن يفارقه :
« يا أبا عبيدة ، اعمل صالحاً . وعش مجاهداً ، وتوف شهيدا ، يعطك الله كتابك
بيمينك ، ولتقرَّ عينك في دنياك وآخرتك ، فوالله إنى لأرجو أن تكون من التوابين
الأوابين المحببتين^(١) الزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة ، إن الله قد صنع بك خيرا
وساقه إليك ، إذ جعلك تسير في جيش من المسلمين إلى عدوه من المشركين ، فقاتل من
كفر بالله وأشرك به ، وعبد معه غيره . »
(فتوح الشام ص ١٤)

(١) في الأصل « المحببتين » ، وأخبت : خشع وتواضع .

٦٤ - خطبة أبي بكر

وسار أبو عبيدة حتى إذا دنا من الجابية بلغه أن هرقل ملك الروم بأنطاكية ، وأنه قد جمع لهم جموعاً كثيرة ، فكتب أبو عبيدة إلى أبي بكر يخبره بذلك ، فقام أبو بكر رضى الله عنه في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فإن إخوانكم المسلمين معافون مكثون^(١) ، مدفوع عنهم ، مصنوع لهم ، وقد ألقى الله الرعب في قلوب عدوهم منهم ، وقد اعتصموا محصونهم ، وأغلقوا أبوابها دونهم عليهم ، وقد جاءتني رسالهم يخبرونني بهرب هرقل ملك الروم من بين أيديهم ، حتى نزل قرية من قرى الشام في أقصى الشام ، وقد بعثوا إلى يخبرونني أنه قد وجه إليهم هرقل جنداً من مكانه ذلك ، فرأيت أن أمد إخوانكم المسلمين بجند منكم يشدد الله بكم ظهورهم ، ويكبت بهم عدوهم ، ويلق بهم الرعب في قلوبهم . فانتدبوا رحمكم الله مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص . واحتسبوا في ذلك الأجر والخير فإنكم إن نصرتم فهو الفتح والغنيمة . وإن تهلكوا فهي الشهادة والكرامة » .
(فتوح الشام ص ٢٧)

٦٥ - وصية أبي بكر لهاشم بن عتبة

ولما سار هاشم بن عتبة ودعه أبو بكر رضى الله عنه وقال له :
« يا هاشم إنا إنما كنا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه ومشورته وحسن تدييره ، وكنا ننتفع من الشاب بصبره وبأسه ونجدته ، وإن الله عز وجل قد جمع لك تلك الخصال كلها ، وأنت حديث السن مستقبل الخير ، فإذا لقيت عدوك فاصبر وصابر ، واعلم أنك لا تخطو خطوة ، ولا تنفق نفقة ، ولا يصيبك ظمأ ولا نصب ولا محمصة^(٢) في سبيل الله إلا كتب الله لك به عملاً صالحاً ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

فقال هاشم : إن يرد الله بي خيرا يجعلني كذلك ، وأنا أفعل ولا قوة إلا بالله ، وأنا أرجو إن أنا لم أقتل أن أقتل ثم أقتل إن شاء الله .

فقال له عمه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « يا بن أخي لا تطعن طعنة ولا تضر بن ضربة إلا وأنت تريد بها وجه الله ، واعلم أنك خارج من الدنيا رشيدا ، وراجع إلى الله قريباً ، ولن يصحبك من الدنيا إلى الآخرة إلا قدام صدق قدمته ، أو عمل صالح أسلفته » .

فقال أي عم : لا تخالن^(١) مني غير هذا ، إني إذا لم أخلص من الخاسرين ، إن جعلت حلي وارتحالي وغدوى ورواحي وسيفي وطعني برحى وضربي بسيفي رياء للناس .
ثم خرج فقدم على أبي عبيدة فتباشر بمقدمه المسلون . (فتوح الشام ص ٢٨)

٦٦ — خطبة خالد بن الوليد يوم اليرموك

وجهه هرقل إلى كل جيش من جيوش المسلمين جيشا يفوقه ، فأشار عمرو بن العاص على الأمراء بالاجتماع ، فأرسلوا إلى أبي بكر في ذلك فأشار عليهم بمثل رأى عمرو .
فاجتمعوا باليرموك وكل واحد من الأمراء أمير على جيشه ، والروم أمامهم ، وبين الفريقين خندق ؛ فكان الروم يقاتلون باختيارهم ، وإن شاءوا احتجزوا بخنادقهم ، فأرسل الأمراء إلى أبي بكر يستمدونه .
فكتب إلى خالد بن الوليد أمير جند العراق يأمره أن يستخلف على جنده بعد أن يأخذ معه نصفه ويتوجه إلى الشام مدداً لأمرائه ؛ فسار إلى الشام ؛ ووافى المسلمين وهم متضايقون ، إذ وصل باهان بجيش مددا للروم ، فولى خالد قتاله ، وقاتل كل أمير من بإزائه متساندين^(٢) ، فرأى خالد أن هذا القتل لا يجدي نفعا مادامت كل فرقة من الجيش لها أمير فجمع الأمراء وخطبهم .

فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« إن هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ، أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بعملكم ، فإن هذا يوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبية ، على تساند

(١) في الأصل « لا تخافن » . (٢) أي تحت رايات شتى لاتجمعهم راية أمير واحد .

واتشار ، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي ، وإن من وراءكم^(١) لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون أنه الرأي من واليكم ومحبتة .

قالوا : فهات فما الرأي؟ قال : إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أننا سنتياسر^(٢) ، ولو علم بالذي كان ويكون لما جمعكم . إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيتهم ، وأنفع للمشركين من أمدادهم ، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان ، لا ينتقص منه أن دان لأحد من أسراء الجنود ، ولا يزيده عليه أن دانوا له ، إن تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ، ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هلموا فإن هؤلاء قد تهيأوا ، وهذا يوم له ما بعده إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ، وإن هزمونا لم نفلح بعدها ، فهللوا فلنتعاور^(٣) الإمارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم ، والآخر غدا ، والآخر بعد غد ، حتى يتأمر كلكم ودعوني أنا أمر اليوم فأمروه وانتهت الموقعة بهزيمة الروم شر هزيمة (سنة ١٣ هـ) .

(تاريخ الطبري ٤ : ٣٣ والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٠٠)

٦٧ — خطبة أبي عبيدة في وقعة اليرموك

ولما برز المسلمون إلى الروم في وقعة اليرموك سار أبو عبيدة في المسلمين ثم قال : « يا عباد الله ، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، فإن وعد الله حق ، يا معشر المسلمين اصبروا ، فإن الصبر منجاة من الكفر ، ومرضاة للرب ، ومدحضة للعار ، فلا تبرحوا مصافكم ، ولا تخطوا إليهم خطوة ولا تبدهوهم بقتال ، وأشرعوا الرماح ، واستتروا بالدرق ، والزموا الصمت إلا من ذكر الله ، حتى آمركم إن شاء الله . »

(فتوح الشام ص ١٩٥)

(١) يعنى أبا بكر . (٢) التياسر : التحايل . (٣) نتماقب عليها .

٦٨ - قصص معاذ بن جبل

وخرج معاذ بن جبل يقص على الناس ويقول :

« يا قراء القرآن ، ومستحفظي الكتاب ، وأنصار الهدى ، وأولياء الحق ، إن رحمة الله - والله - لا تُنال ، وجنته لا تدخل بالأمانى ، ولا يؤتى الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادقين المصدقين بما وعدهم الله عز وجل ، ألم تسمعوا لقول الله « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » .

أنتم إن شاء الله منصورون ، فأطيعوا الله ورسوله ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ، واستحيوا من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم ، وأنتم في قبضته ورحمته ، وليس لأحد منكم ملجأ ولا ملتجأ من دونه ولا متعزز بغير الله » .

فجعل يمشى في الصفوف ويحرضهم ويقص عليهم ثم انصرف إلى موقفه .

(فتوح الشام ص ١٩٥)

٦٩ - خطبة عمرو بن العاص

ومر عمرو بن العاص يومئذ على الناس ، فجعل يعظمهم ويقص عليهم ، ويحرضهم ويقول :

« أيها الناس : غضوا أبصاركم ، واجشوا على الركب ، وأشرعوا الرماح ، والزمو مراكزكم ومصافكم ، فإذا حمل عليكم عدوكم فأمهلوه ، حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة ، فثبوا في وجوههم وثوب الأسد ، فوالذي يرضى الصدق ويمقت الكذب ويعاقب عليه ،

ويجزى بالإحسان ، لقد بلغنى أن المسلمين سيفتحونها كفرةً كفرةً^(١) ، وقصراً قصراً ، فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم ، فإنكم لو قد صدقتموه الشدة لقد اندعروا اندعار أولاد الحجل^(٢) .

(فتوح الشام ص ١٩٦)

٧٠ - خطبة أبي سفيان بن حرب

وكان أبوسفيان بن حرب يسير في الناس يوم اليرموك ، ويقف على أهل كل راية وعلى كل جماعة فيحرض الناس ويحضهم ويعظمهم ويقول :

« إنكم يا معشر المسلمين أصبحتم في دار المعجم ، منقطعين عن الأهل^(٣) ، نائنين عن أمير المؤمنين وأمداد المسلمين ، وقد والله ، أصبحتم بإزاء عدو كثير عددهم ، شديد عليكم حنقهم ، وقد وترتموه في أنفسهم ونسائهم وأولادهم وأموالهم وبلادهم ، فلا والله لا ينجيكم منهم اليوم وتبلغون رضوان الله إلا بصدق اللقاء ، والصبر في مواطن المكروه ، فامتنعوا بسيوفكم ، وتقربوا بها إلى خالفكم ، ولتكن هي الحصون التي تلجئون إليها ، وبها تمنعون . »

وقاتل أبوسفيان يومئذ قتالاً شديداً ، وأبلى بلاءً حسناً . (فتوح الشام ص ١٩٧)

٧١ - وصية أبي بكر لعمر رضى الله عنهما عند موته

« إني مستخلفك من بعدى ، وموصيك بتقوى الله ، إن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا يُقْبَلُ نَافِلَةٌ حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ ، فَإِنَّمَا ثَقَلَتْ موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة بانباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم ،

(١) القرية . (٢) الحجل : الذكر من القبيح .

(٣) في الأصل « الأبل » وهو تحريف .

وَحَقُّ لِمِيزَانٍ لَا يَوْضَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا ، وَإِنَّمَا خَفْتُ مُوَازِينَ مِنْ خَفْتُ مُوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ وَخَفْتُ عَلَيْهِمْ ، وَحَقُّ لِمِيزَانٍ لَا يَوْضَعُ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا . إِنْ اللَّهُ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَذَكَرَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ ، وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرْتَهُمْ قُلْتُ إِنِّي أَخَافُ أَلَّا أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ فَذَكَرَهُمْ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرْ حَسَنَاتِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرْتَهُمْ قُلْتُ إِنِّي لِأَرْجُو أَلَّا أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ مَعَ آيَةِ الْعَذَابِ لِيَكُونَ الْعَبْدُ رَاغِبًا رَاهِبًا ، وَلَا يَتَمَعَّى عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ، وَلَا يُلْتَقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ ، فَإِذَا حَفِظْتُ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَهُوَ آتِيكَ ، وَإِنْ ضَيَعْتُ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ أَبْغَضُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَلَسْتُ بِمَعْجُزَةِ اللَّهِ .

(البيان والتبيين ٢ : ٢٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٠٨ ، والمقد الفريد : ٢٩٨)

٧٢ - كلامه لعبد الرحمن بن عوف في علته التي مات فيها

وقال عبد الرحمن بن عوف :

« دخلت يوماً على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، في علته التي مات فيها ، فقلت له : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أما إني على ذلك لشديد الوجع ، ولَمَّا لَقِيتُ مِنْكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ أَشَدَّ عَلَىَّ مِنْ وَجَعِي ، إِنِّي وَلَّيْتُ أُمُورَكُمْ خَيْرَكُمْ فِي نَفْسِي ، فَكَلِمَتُكُمْ وَرِمَ أَنْفُهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْأَمْرُ مِنْ دُونِهِ ، وَاللَّهُ لَتَتَّخِذَنَّ نَضَائِدَ^(١) الدِّيَابِاجِ وَسُتُورِ الْحَرِيرِ ، وَلَتَأْلَمَنَّ النَّوْمَ عَلَى الصُّوفِ الْأَذْرَبِيِّ^(٢) ، كَمَا يَأْلَمُ أَحَدُكُمْ النَّوْمَ عَلَى حَسَاكِ السَّعْدَانِ^(٣) ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَأَنْ يُقَدَّمَ أَحَدُكُمْ فَتَضَرَّبَ

(١) جمع نضيدة ؛ وهى الوسادة وما ينضد من المتاع . (٢) نسبة إلى أذربيجان .

(٣) نبت كثير الحسك تأكله الإبل فتسمن عليه ويغذوها غذاء لا يوجد في غيره ، وفي المثل : مرعى

ولا كالسعدان .

عنقه في غير حدّ خير له من أن يخوض غمرات الدنيا ، يا هادى الطريق جُرْتُ إنما هو والله
الفجر أو البُجر^(١) ،

فقلت : خفض عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن هذا يهيبك^(٢) إلى
ما بك ، فوالله ما زلتَ صالحاً مصلحاً ، لا تأسى على شيء فاتك من أمر الدنيا ، واقد
تخلت بالأمر وحدك فما رأيت إلاّ خيراً .

(تهذيب الكامل ١ : ٦ ، وإعجاز القرآن ١١٦ ، والمقد الفريد ٢ : ٢٠٨ ، وتاريخ الطبرى ٤ : ٥٢)

٧٣ - خطبة السيدة عائشة في الانتصار لآبها

يروى أنه بلغ عائشة رضى الله عنها أن أقواماً يتناولون أبا بكر رضى الله عنه
فأرسلت إلى أزفلة^(٣) من الناس ، فلما حضروا أسدلت^(٤) أستارها ، وعلت وسادها ،
ثم قالت :

« أبى وما أبىه ، أبى والله لا تعطوه الأيدى^(٥) ، ذاك طود منيف^(٦) ، وفرع^(٧)
مديد ، هبأت كذبت الظنون ، أنجح^(٨) إذا كدتم ، وسبق إذا ونيت^(٩) ، سبق
الجواد إذا استولى على الأمد^(١٠) ، فتي قریش ناشئاً ، وكهفها^(١١) كهلاً ، يفك عانيها ،
ويريش^(١٢) مُملقها ، ويرأب شعبها^(١٣) ، ويلم شعبها ، حتى حليت^(١٤) قلوبها ، ثم

(١) الشر والأمر العظيم . يقول : إن انتظرت حتى يضى لك الفجر والطريق أبصرت قصدك ؛ وإن
خبطت الظلماء وركبت العشواء هجما بك على المسكروه ؛ وضرب ذلك مثلاً لغمرات الدنيا وتحيرها أهلها .

(٢) هاض العظم : كسره بعد الجور .

(٣) جماعة . (٤) سدله يسدله : كنصر وضرب وأسدله أرخاه . (٥) تتناولونه .

(٦) الطود : الجبل ، والمنيف : المشرف . (٧) فرع كل شيء أعلاه ، ومن القوم شريفهم .

(٨) أنجح : صار ذا نجح . (٩) الكدية : بضم فسكون الأرض الغليظة ، والصفاة العظيمة

الشديدة ، وحفر فأكدى إذا صادفها فلا يمكنه الحفر (وسأله فأكدى وجده مثلها) : وونيت أى فترت وضعفتم

(١٠) الغاية والمنتهى . (١١) الكهف : الوزر والملجأ ، والكهل من جاوز الثلاثين أو أربعا

وثلاثين إلى إحدى وخسين . (١٢) راش السهم يرشه ألزق عليه الريش كريشه ؛ والمراد يعينه ويساعده .

(١٣) يصلح . والشعب : الصدع . (١٤) حل الشيء : استحلّه .

استشمرى^(١) في دين الله ، فما برحت شكيمته^(٢) في ذات الله عز وجل ، حتى اتخذ
بِفَنَائِهِ مسجداً ، يحيى فيه ما أمات المبطون ، وكان رحمه الله غزير الدمعة ، وقيد^(٣)
الجوانح ، شجى^(٤) النشيج ، فانقضت إليه نسوان مكة وولدانها ، يسخرون منه ويستهنئون
به « الله يستهنى بهم ، ويمدُّهم في طعنائهم يعمهون »^(٥) فأكبرت ذلك رجالات
من قريش ، فحنت قسيهن ، وفوقت سهامها^(٦) ، وامتلوه^(٧) غرضاً ، فما لواله صفاة^(٨) ،
ولا قصفواله قناة ، ومر على سيسائه^(٩) ، حتى إذا ضرب الدين بجرانه^(١٠) ، ورست
أوتاده ، ودخل الناس فيه أفواجا ، ومن كل فرقة أرسالا^(١١) وأشتاتا ، اختار الله لنبية
ما عنده ، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم ضرب الشيطان رواقه^(١٢) ، ومدَّ
طنبه^(١٣) ، ونصب حباله ، وأجلب^(١٤) بحيله ورجله ، واضطرب حبل الإسلام ،
ومرج^(١٥) عهده ، وماج أهله ، وبني الفوائل ، فظنت رجال أن قد أكتبت^(١٦)
أطاعهم ، ولات حين الذي يرجون ، وأنى والصديق بين أظهرهم ، فقام حاسراً مشمراً ،

(١) غضب ولج .

(٢) الشكيمة الأنفة وفي اللجام الحديدية المعترضة في فم الفرس . وهو شديد الشكيمة أنف أبي لاينقاد .

(٣) الوقيد : الصريع والشديد المرض المشرف . (٤) الشجى : الحزين ، والنشيج : صوت البكاء

نشج الباكي ينشج كجلس غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب . (٥) العمة بفتح الحاء التردد في الضلال .

(٦) فوق السهم : جعل له فوقاً ، وهو موضع الوتر من السهم . (٧) اامتلوله : مثلوه .

(٨) الحجر الصلب : الضخم . (٩) شدته . حمله على سيساء الحق أى على حده ، والسيساء : عظم

الظهر ، والعرب تضربه مثلاً لشدة الأمر . (١٠) جران البعير : مقدم عتقه من مذهبه إلى منحره .

(١١) جمع رسل بفتح الحاء ، وهو القطيع من كل شيء . (١٢) فسطاطه . (١٣) حبل طويل يشد به

سرادق البيت أو الوتر . (١٤) أجلب : صاح ، والخيال : الخيالة ؛ ومنه « ياخيلى الله اركبى »

والرجل : اسم جمع راجل كالصاحب والركب ، أى صاح بالركاب والمشاة وقرئ ورجلك بكسر

الجيم وضما .

(١٥) المرج : بفتح الحاء بفتح الحاء والقلق والاختلاط والاضطراب (وإنما يسكن مع المهرج) .

(١٦) أكتب : قرب ، والنهز جمع نهزة بضم النون وهى الفرصة .

لجميع حاشيته^(١) ، ورفع قطريه^(٢) ، فردّ رَسَن^(٣) الإسلام على غزبه^(٤) ، ولمَّ شَعَثَهُ بطبه ، وانتاش^(٥) الدين فنعشه ، فلما أراح^(٦) الحقَّ على أهله ، وقرّر الرعوس على كواهلها^(٧) ، وحقن الدماء في أهبها^(٨) ، أتته منيته ، فسدت ثلثته بنظيره في الرحمة ، وشقيقه في السيرة والمعدلة ، ذاك ابن الخطاب ، فله دَرَأَمٌ^(٩) حملت به ، ودَرَّت عليه ، لقد أوحدت^(١٠) به ، ففتّخ^(١١) الكفرة ، وديّخها^(١٢) ، وشرّد الشرك شذَرَ مَذَرَ^(١٣) ، وبعج^(١٤) الأرض وبجّعها^(١٥) ، فقاءت أسكلها^(١٦) ولفظت خبأها ، ترأّمه^(١٧) ويصدف عنها ، وتصدّى^(١٨) له ويأبأها ، ثم وزع فيها فيئها ، وودّعها كما صحبها ، فأروني ماذا ترتثون ، وأى يومى أبى تنقِمون ، أبوم إقامته إذ عدل فيكم أم يوم ظفّنه إذ نظر لكم^(١٩) ؟ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولسكم ، ثم أقبلت على الناس بوجهها ، فقالت : أنشدكم الله هل أنكرتم مما قلت شيئاً ، قالوا : اللهم لا

(صبح الأعشى ١ : ٢٤٨ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٠٦ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٣٠)

-
- (١) حاشية كل شيء : جانبه وطرفه . (٢) القطر : الناحية . (٣) الحبل .
 (٤) الغرب : حد الشيء . (٥) انتشل ، ونعشه الله كأنه شه ، ونعشه : رفعه .
 (٦) أراح على فلان حقه : رده عليه . (٧) السكاال : مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق .
 (٨) جمع إهاب ، وهو الجلد ، والمراد الأجسام . (٩) الدر : اللبن والنفس والعمل .
 (١٠) أوحدت المرأة : ولدت واحداً ، أى جاءت به منفردا لا نظير له . (١١) أذل وقهر .
 (١٢) داخ البلاد ودوخها : قهرها واستولى على أهلها . (١٣) تفرقوا شذر مذر : ذهبوا في كل وجه . (١٤) شقها : كناية عن الفتح . (١٥) قهر أهلها واستخرج مافيها من الكنوز وأموال الملوك . (١٦) الأكل : ما يؤكل ؛ أى أخرجت خيراتها . (١٧) تمطف عليه ، ويصدف أى يعرض . (١٨) تتعرض . (١٩) أى فيما يصلحكم فولى عليكم عمر .

٧٤- رثاؤها لآيها

لما توفي أبو بكر رضى الله عنه ، وقفت عائشة على قبره فقالت :

« نفر^(١) الله وجهك يا أبتِ ، وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنتَ للدنيا مُذِلًّا
بإدبارك عنها ، وللآخرة مُعِزًّا بإقبالك عليها ، ولئن كان أجلّ الحوادث بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم رُزُوكَ ، وأعظم المصائب بعده فَقْدُكَ ، إن كتاب الله ليمدُّ بحسن الصبر
فيك حُسْنَ العَوَضِ منك ، وأنا أَسْتَنْجِزُ مَوْعِدَ اللهِ تعالى بالصبر فيك ، وأَسْتَقْضِيهِ^(٢)
بالاستغفار لك ، أما لئن قاموا بأمر الدنيا ، لقد قت بأمر الدين ، لما وَهَى شَعْبُهُ^(٣) ،
وتفاقم صَدْعُهُ^(٤) ، وَرَجَفَتْ^(٥) جوانبه ، فعليك سلام الله توديع غيرِ قَالِيَةِ^(٦) لحياتك ،
ولا زارية^(٧) على القضاء فيك » .

(زهر الآداب ١ : ٤٠ ، العقد الفريد ٢ : ٧ ، نهاية الأرب ٥ : ١٦٧ ، البيان والتبيين ٢ : ١٦٠)

(١) من النضرة والنضارة بفتح النون وهى الحسن .

(٢) أطلب قضاءه . (٣) وهى ضعف ، والشعب الجمع . (٤) الصدع : الشق .

(٥) اضطربت . (٦) مبنضة . (٧) عاتبة ولائمة .

خطب عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

٧٥ - خطبته حين ولي الخلافة

لما استخلف عمر رضى الله عنه صعد المنبر فقال : « إني قائل كلمات فأمنوا عليهن » فكان أول منطق نطق به حين استخلف ، قال :

« إنما مثل العرب مثل جمل أنف^(١) اتبع قائده فليُنظر قائده حيث يقوده ، وأما أنا فوَرَب الكعبة لأحملهم على الطريق » . (تاريخ الطبري ٤ : ٥٤ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٠٨)

٧٦ - خطبة أخرى

وقال ابن قتيبة في عيون الأخبار : لما ولي عمر صعد المنبر فقال :

« ما كان الله ليراني أرى نفسى أهلاً للجلس أبى بكر ، ثم نزل عن مجلسه مِرْقاة . فحمِدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال : « اقرءوا القرآن تُعَرَفُوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله إنه لم يَبْلُغْ حَقَّ ذِي حَقٍّ أن يطاع في معصية الله ، ألا وإني أنزلت نفسى من مال الله

(١) أنف البعير : اشتكى أنفه من البرة فهو أنف وآنف ؛ وفي الحديث : « المؤمن كالجمل الأنف إن

قيد انقاد ؛ وإن استنخ على صخرة استناخ » وذلك للوجع الذى به فهو ذلول منقاد .

بمنزلة والى اليتيم ، إن أستغثتُ عَفَفْتُ ، وإن افتقرتُ أَكَلْتُ بالمعروف ، تَقَرُّمٌ ^(١)
البَّهْمَةُ ^(٢) الأعرابية ، القَضْمُ لَا الخَضْمُ ^(٣) .

(عيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٥ ، والمقد الفريد ٢ : ١٣٢)

٧٧ — خطبة له

وذكر الطبري أنه خطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم ذكرَّ الناس بالله عزَّ
وجل واليوم الآخر ، ثم قال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : إني قد وليت عليكم ، ولولا رجاء أن أكون خيرَكم لكم ، وأقواكم
عليكم ، وأشدكم استضلاعاً ^(٤) بما ينوب من مُهِمِّ أموركم ، ما توليت ذلك منكم ، ولكفي
عمرَ مُهِمًّا مُحْزَنًا انتظارُ موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف آخذها ، ووضعها أين أضعها ،
وبالسيف فيكم كيف أسير ، فربِّي المستعان ، فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم
يتداركه الله عزَّ وجل برحمته وعونه وتأيبه » .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ١٢٤)

٧٨ — خطبة له

ثم خطب فقال :

« إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَلَّانِي أَمْرَكُمْ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنْفَعُ مَا بَحْضَرْتُمْ لَكُمْ ، وَإِنِّي
أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعْينَنِي عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَحْرُسَنِي عِنْدَهُ كَمَا حَرَسَنِي عِنْدَ غَيْرِهِ ، وَأَنْ يُلْهِمَنِي الْعَدْلَ

(١) تَقَرَّمُ الصَّبِي أَكَلَ أَكْلًا ضَعِيفًا ، وَذَلِكَ فِي أَوَّلِ أَكْلِهِ . (٢) الْبَهْمَةُ : أَوْلَادُ الضَّأْنِ وَالْمَعَزِ

وَالْبَقَرِ . (٣) الْقَضْمُ : الْأَكْلُ بِأَطْرَافِ الْأَسْنَانِ وَالْخَضْمُ الْأَكْلُ بِأَقْصَى الْأَضْرَاسِ .

(٤) الَّذِي فِي كَتَبِ اللَّغَةِ « اضْطِلَاعٌ » يَقَالُ هُوَ مُضْطَلَعٌ بِهَذَا الْأَمْرِ ، أَيْ قَوَى عَلَيْهِ .

فَقَسَمَ كَأَلَدَى أَمْرِنِي بِهِ ، وَإِنِّي أَمْرٌ مُسْلِمٌ وَعَبْدٌ ضَعِيفٌ ، إِلَّا مَا أَعَانَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلِّ ، وَلَنْ يَغَيِّرَ الَّذِي وَلِيْتُ مِنْ خِلَافَتِكُمْ مِنْ خَلْقٍ شَيْئًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، إِنَّمَا الْعِظْمَةُ لِلَّهِ عِزَّ وَجَلِّ ، وَلَيْسَ لِلْعِبَادِ مِنْهَا شَيْءٌ ، فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِنْ عَمِرَ تَغَيَّرَ مِنْذُ وَلِيِّي ، أَعْقِلُ الْحَقُّ مِنْ نَفْسِي ، وَأَتَقَدَّمُ وَأَبِينُ لَكُمْ أَمْرِي ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ ، أَوْ ظَلِمَ مَظْلَمَةً ، أَوْ عَتَبَ عَلَيْنَا فِي خَلْقٍ فَلْيُؤْذِنِي ، فَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ ، فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّكُمْ وَعِلَانِيَتِكُمْ وَحُرْمَاتِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ ، وَأَعْطُوا الْحَقَّ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، وَلَا يَحْمِلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَلَى أَنْ تَحْكُمُوا إِلَيَّ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ هَوَادَةٌ ، وَأَنَا حَيِّبٌ إِلَى صَلَاحِكُمْ ، عَزِيزٌ عَلَى عَنَتِكُمْ ، وَأَنْتُمْ أَنْاسٌ عَامَّةٌ كُمْ حَضَرَ فِي بِلَادِ اللَّهِ ، وَأَهْلُ بِلَدٍ لَا زَرْعَ فِيهِ وَلَا ضَرْعَ ، إِلَّا مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِ ، وَإِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَعَدَكُمْ كِرَامَةً كَثِيرَةً ، وَأَنَا مَسْئُولٌ عَنْ أَمَانَتِي وَمَا أَنَا فِيهِ ، وَمُطَّلَعٌ عَلَى مَا يَحْضُرُنِي بِنَفْسِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، لَا أَكِلُهُ إِلَى أَحَدٍ ، وَلَا أَسْتَطِيعُ مَا بَعْدَ مِنْهُ إِلَّا بِالْأَمْنَاءِ وَأَهْلِ النَّصِاحِ مِنْكُمْ لِلْعَامَةِ ، وَلَسْتُ أَجْعَلُ أَمَانَتِي إِلَى أَحَدٍ سِوَاهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣ : ١٢٤)

٧٩ — خطبة أخرى

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ : وَخُطِبَ إِذْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ : صَعِدَ الْمَنبَرَ ، فَحَمْدُ اللَّهِ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ،

ثُمَّ قَالَ :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي دَائِعٌ فَأَمَّنُوا ، اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظٌ فَلَيِّنِي لِأَهْلِ طَاعَتِكَ ، بِمُوَافَقَةِ

الْحَقِّ ، ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ ، وَارْزُقْنِي الْغِلْظَةَ وَالشَّدَّةَ عَلَى أَعْدَائِكَ ، وَأَهْلِ

الدَّعَارَةِ^(١) وَالنِّفَاقِ ، مِنْ غَيْرِ ظَلَمٍ مِنِّي لَهُمْ ، وَلَا اعْتِدَاءٍ عَلَيْهِمْ ، اللَّهُمَّ إِنِّي شَحِيحٌ ، فَسَخِّنِي

في نوائب المعروف ، قصداً من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سُمعة ، واجعلني أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة ، اللهم ارزقني خفضَ الجناح ، ولينَ الجانب للمؤمنين ، اللهم إني كثير الغفلة والنسيان ، فألمني ذكرك على كل حال ، وذكّر الموت في كل حين .
 اللهم إني ضعيف عن العمل بطاعتك ، فارزقني النشاط فيها ، والقوة عليها ، بالنية الحسنة التي لا تسكون إلا بعزتك وتوفيقك ، اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى ، وذكر المقام بين يديك ، والحياء منك ، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني ، والمحاسبة لنفسى ، وإصلاح الساعات والحذر من الشبهات ، اللهم ارزقني التفكير والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمعانيه ، والنظر في عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ، إنك على كل شيء قدير .
 (المقد الفريد ٢ : ١٣٣)

٨٠ - خطبة له

وخطب أيضاً ، فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم :
 « أيها الناس ، إن بعض الطمع فقر ، وإن بعض اليأس غنى ، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون ، وتأمّلون ما لا تُدرّكون ، وأنتم مؤجّلون في دار غرور ، كنتم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤخذون بالوحي ، فمن أسرّ شيئاً أخذ بسريرته ، ومن أعلن شيئاً أخذ بعلايته ، فأظهرنا لنا أحسن أخلاقكم ، والله أعلم بالسراير ، فإنه من أظهر لنا قبيحاً وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه ، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً ، واعلموا أن بعض الشحّ شعبة من النفاق ، فأنفقوا خيراً لأنفسكم ، ومن يؤقّ شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون . أيها الناس أطيعوا أمّواكم ، وأصلحوا أموركم ، واتقوا الله ربكم ، ولا تلبسوا نساءكم القبايطي^(١) فإنه إن لم يشف فإنه يصف . أيها الناس : إني لو ددّت

(١) القبايطى (بضم الأول وتشديد الآخر ، أو القبايطى بفتح الأول وتخفيف الآخر) ثياب

كثبان بيض رفاق كانت تعمل في مصر جمع قبطية (بضم القاف نسبة إلى القبط على غير قياس وقد تكسر) وشف الثوب يشف رق فحكى ماتحته ، وقوله : فإنه يصف أى ماتحته من أجزاء البدن ويحددها لرقته وطراوته

أَنْ أَنْجُو كَغَفَا لِي وَلَا عَلَيَّ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو إِنْ مُعِزَّتْ فِيكُمْ يَسِيراً أَوْ كَثِيراً أَنْ أَعْمَلَ
بِالْحَقِّ فِيكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ وَأَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ كَانَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا أَنَا هُـ
وَنَصِيْبِهِ مِنْ مَالِ اللَّهِ وَإِنْ لَمْ يُعْمَلْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ ، وَلَمْ يُنْصَبْ إِلَيْهِ بَدَنُهُ ، وَأَصْلَحُوا أَمْوَالَكُمْ
الَّتِي رَزَقَكُمْ اللَّهُ ، وَلَقَلَّيلٌ فِي رَفْقٍ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ فِي عُنْفٍ ، وَالْقَتْلُ حَتْفٌ مِنَ الْحَتُوفِ ،
يَصِيبُ الْبَرَّ وَالْفَاجِرَ ، وَالشَّهِيدَ مِنْ أَحْتَسَبَ نَفْسَهُ ، وَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ بَعِيراً فَلْيَعْمِدْ إِلَى
الطَّوِيلِ الْعَظِيمِ فَلْيَضْرِبْهُ بِعَصَا ، فَإِنْ وَجَدَهُ حَدِيدَ الْفُؤَادِ فَلْيَشْتَرِهِ .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣ : ص ١٢٥)

٨١ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« إِنْ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ قَدْ اسْتَوْجِبَ عَلَيْكُمْ الشُّكْرَ ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَجَ فِيمَا آتَاكُمْ
مِنْ كَرَامَةِ الْآخِرَةِ وَالْدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ مِنْكُمْ لَهُ ، وَلَا رَغْبَةَ مِنْكُمْ فِيهِ إِلَيْهِ ، فَخَلَقَكُمْ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئاً ، لِنَفْسِهِ وَعِبَادَتِهِ ، وَكَانَ قَادِراً أَنْ يَجْعَلَ لَكُمْ لَأْهُونَ خَلْقِهِ
عَلَيْهِ ، فَجَعَلَ لَكُمْ عَامَّةً خَلْقَهُ ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ لَشَيْءٍ غَيْرَهُ ، وَسَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، وَحَمَلَكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ،
وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ، ثُمَّ جَعَلَ لَكُمْ سَمْعاً وَبَصَراً ، وَمِنْ نِعَمِ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ نِعْمَ عَمَّ بِهَا بَنَى آدَمَ ، وَمِنْهَا نِعْمَ اخْتَصَّ بِهَا أَهْلَ دِينِكُمْ ، ثُمَّ صَارَتْ تِلْكَ النِّعَمُ
خَوَاصُّهَا وَعَوَامُّهَا فِي دَوْلَتِكُمْ وَزَمَانِكُمْ وَطَبَقَتِكُمْ ، وَلَيْسَ مِنْ تِلْكَ النِّعَمِ نِعْمَةٌ وَصَلَتْ إِلَى أَمْرٍ
خَاصَّةٍ إِلَّا لَوْ قُسِمَ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْهَا بَيْنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَنْعَبَهُمْ شُكْرُهَا ، وَفَدَّحَهُمْ حَقُّهَا إِلَّا
بِعَوْنِ اللَّهِ مَعَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَإِنَّمِ اسْتَخْلَفُونِ فِي الْأَرْضِ ، قَاهِرُونَ لِأَهْلِهَا ، قَدْ
نَصَرَ اللَّهُ دِينَكُمْ ، فَلَمْ تَصْبِحْ أُمَّةٌ مُخَالِفَةٌ لَدِينِكُمْ إِلَّا أُنْتَانِ ، أُمَّةٌ مُسْتَعْبِدَةٌ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ،

يتجرون لكم ، تستصفون^(١) معاشهم وكذاثمهم وَرَشَحَ جباههم ، عليهم المثونة ولكم المنفعة ، وأمة تنتظر وقائع الله وَسَطَوَاتِهِ في كل يوم وليلة ، قد ملأ الله قلوبهم رعبا ، فليس لهم مَعْقِلٌ يلجئون إليه ، ولا مَهْرَبٌ يتقون به ، قد دَهَمَتْهُمْ جنود الله عز وجل ، ونزلت بساحتهم مع رَفَاغَةٍ^(٢) العيش ، واستفاضة المال ، وتتابع البعوث ، وسدَّ الثغور بإذن الله في العافية الجليلة العامة ، التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام ، والله المحمود مع الفتوح العظام في كل بلد ، فما عسى أن يباغ مع هذا شكرُ الشاكرين ، وذِكْرُ الذاكرين ، واجتهادُ المجتهدين ، مع هذه النعم التي لا يحصى عددها ، ولا يقدرُ قدرها ، ولا يستطيع أداء حقها ، إلا بعبود الله ورحمته ولطفه . فسأل الله الذي لا إله إلا هو ، الذي أبلانا هذا ، أن يرزقنا العمل بطاعته ، والمسارة إلى مرضاته . فاذكروا عباد الله بلاء الله عندهم ، واستمتعوا نعمة الله عليكم ، وفي مجالسكم مثنى وفُرَادَى فإن الله عز وجل قال لموسى : « أَخْرِجْ قَوْكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ » وقال لحمد صلى الله عليه وسلم : « وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ » فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق تؤمنون بها ، وتستريحون إليها ، مع المعرفة بالله ودينه ، وترجون بها الخير فيما بعد الموت لكان ذلك ، ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة ، وأعظم الناس بالله جهالة . فلو كان هذا الذي ابتلاكم به لم يكن معه حظ في دنياكم . غير أنه ثقة لكم في آخرتكم ؛ التي إليها المعاد وَالْمُنْقَلَبُ ، وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه ، كنتم أحرى أن تَشِخُّوا على نصيبكم منه ، وأن تَظْهَرُوهُ على غيره فَبَلَهُ^(٣) ما أنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا ، وكرامة الآخرة ، أولمن شاء أن يجمع له ذلك منكم . فاذكروا الله الخائل بينكم وبين قلوبكم ، إلا ما عرفتم حق الله

(١) استصنى الشيء : أخذ منه صفوه .

(٢) رفع عيشه ككرم رفاغة : اتسع ، والرفاغة والرغاغة : سعة العيش والخصب والسعة .

(٣) بله : اسم فعل بمعنى دع واترك ، فإبعدها منصوب ، ومصدر بمعنى الترك ، فإبعدها مجرور

بالإضافة ، واسم مرادف لكيف فإبعدها مرفوع بالابتداء .

فَعَمِلْتُمْ لَهُ ، وَقَسَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَجَعَلْتُمْ مَعَ السُّرُورِ بِالنَّعْمِ خَوْفًا لَزْوَالِهَا وَلَا تَنْتَقَالِهَا ، وَوَجَلًا مِنْ تَحْوِيلِهَا ، فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَسْلَبَ لِلنَّعْمَةِ مِنْ كُفْرَانِهَا ، وَإِنَّ الشُّكْرَ أَمِنْ لِلغَيْرِ ، وَنَمَاءَ لِلنَّعْمَةِ ، وَاسْتِجْلَابَ لِلزِّيَادَةِ ، وَهَذَا اللَّهُ عَلَى مَنْ أَمَرَكُمْ وَنَهَيْكُمْ وَاجِبٌ .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٧ وشرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ١٢٥)

٨٢ — خطبة له

وخطب أيضا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْقُرْآنِ ، فَلْيَأْتِ أَبِيَّ بْنَ كَعْبٍ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ سَأَلَ عَنِ الْفَرَائِضِ ، فَلْيَأْتِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ . وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْفَقْهِ فَلْيَأْتِ مُعَاذَ ابْنَ جَبَلٍ . وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْمَالِ فَلْيَأْتِنِي ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي لَهُ خَازِنًا وَقَاسِمًا ، إِنِّي بَادَيْتُ بِأَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمُعْطِيَهُنَّ ، ثُمَّ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ أَنَا وَأَصْحَابِي ، ثُمَّ بِالْأَنْصَارِ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، ثُمَّ مِنْ أَسْرَعَ إِلَى الْمُهْجَرَةِ أَسْرَعَ إِلَيْهِ الْعَطَاءُ ، وَمَنْ أَبْطَأَ عَنِ الْمُهْجَرَةِ أَبْطَأَ عَنْهُ الْعَطَاءُ ، فَلَا يُلَوِّمُنَّ رَجُلٌ إِلَّا مُمْتَنَحًا رَاحِلَتَهُ ، إِنِّي قَدْ بَقِيتُ فِيكُمْ بَعْدَ صَاحِبِي ، فَأَبْتَلَيْتُ بِكُمْ ، وَابْتَلَيْتُمْ بِي ، وَإِنِّي لَنْ يَحْضُرَنِي مِنْ أُمُورِكُمْ شَيْءٌ فَأَكُلُهُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِ الْجَزَاءِ وَالْأَمَانَةِ ، فَلَنْ أَحْسِنُوا لِأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَلَنْ أَسَاءُوا لِأُسْكَكُنَّ بِهِمْ » . (المعقد الفريد ٢ : ١٣٢)

٨٣ — خطبة له

وخطب أيضا فقال :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَزَّنَا بِالْإِسْلَامِ ، وَأَكْرَمَنَا بِالْإِيمَانِ ، وَرَحَّمَنَا بِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَدَانَا بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَجَمَعَنَا بِهِ مِنَ الشَّتَاتِ ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَنَصَرَنَا عَلَى

عدونا ، وَمَكَّنَ لَنَا فِي الْبِلَادِ ، وَجَعَلَنَا بِهِ إِخْوَانًا مَتَحَابِّينَ ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ ،
وَاسْأَلُوهُ الْمَزِيدَ فِيهَا وَالشُّكْرَ عَلَيْهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكُمْ الْوَعْدَ ، بِالْفَصْرِ عَلَى مَنْ خَالَفَكُمْ ،
وَإِيَّاكُمْ وَالْعَمَلَ بِالْمَعَاصِي ، وَكَفَّرَ النِّعْمَةَ ، فَقَلَّمَا كَفَرُوا قَوْمٌ بِنِعْمَةٍ ، وَلَمْ يَنْزِعُوا إِلَى التَّوْبَةِ ،
إِلَّا سُلِّبُوا عِزَّهُمْ ، وَسُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ دَعْوَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ،
وَجَمَعَ كَلِمَتَهَا ، وَأَظْهَرَ فَلَجَهَا^(١) وَنَصَرَهَا وَشَرَفَهَا ، فَاحْمَدُوهُ عِبَادَ اللَّهِ عَلَى نِعْمِهِ ، وَاشْكُرُوهُ
عَلَى آلَاتِهِ ، جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الشَّاكِرِينَ .
(المقد الفريد ٢ : ١٣٢)

٨٤ - خطبة له

وخطب عمر الناس فقال :

« والذي بعث محمدا بالحق لو أن جملا هلك ضياعا بشط القرات ، خشيت أن يسأل
الله عنه آل الخطاب . »

قال أبو زيد « آل الخطاب » يعني نفسه ما يعني غيرها . (تاريخ الطبري ٥ : ١٨)

٨٥ - خطبة له

وخطب أيضا فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّهُ أَنَّى عَلَيَّ حِينٌ ، وَأَنَا أَحْسَبُ أَنْ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ إِنَّمَا يَرِيدُ بِهِ اللَّهُ
وَمَا عِنْدَهُ ، أَلَا وَإِنَّهُ قَدْ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنْ أَقْوَامًا يَقْرءُونَ الْقُرْآنَ يَرِيدُونَ بِهِ مَا عِنْدَ النَّاسِ ،
أَلَا فَأَرِيدُوا اللَّهَ بِقِرَاءَتِكُمْ ، وَأَرِيدُوهُ بِأَعْمَالِكُمْ ، فَإِنَّمَا كُنَّا نَعْرِفُكُمْ إِذَ الْوَحْيُ يَنْزِلُ ،
وَإِذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، فَقَدْ رُفِعَ الْوَحْيُ ، وَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَإِنَّمَا أَعْرِفُكُمْ بَمَا أَقُولُ لَكُمْ ، أَلَا فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا ظَنَمْنَا بِهِ خَيْرًا ، وَأَثْنَيْنَا بِهِ عَلَيْهِ ،

(١) الفلج : الظفر والنقوز .

ومن أظهر لنا شرًا ظننا به شرًا ، وأبغضناه عليه ، أقْدَعُوا^(١) هذه النفوس عن شهواتها ، فإنها طُلَعَة^(٢) وإنكم إلَّا تَقْدَعُوهَا تَنْزِعَ بكم إلى شرٍّ غاية ، إن هذا الحق ثقيل مَرِيء^(٣) ، وإن الباطل خفيف وَبِيء^(٤) ، وَتَرَكَ الخطيئة خير من معالجة التوبة ، ورب نظرةٍ زرعت شهوةً ، وشهوةٍ ساعةٍ أورثت حزنًا طويلًا .

وفي رواية صاحب العقد : « ألا وإني إنما أبعث عمالي ليعلموكم دينكم وسنتكم ، ولا أبغضهم ليضربوا ظهوركم ، ويأخذوا أموالكم ، ألا من رابه شيء من ذلك فَلْيَرْفَعَهُ إلىَّ ، فوالذي نفسي بيده لأَقْصَنَكُمْ منه ، فقام عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيت إن بَعَثْتَ عاملًا من عمالك ، فأدَّبَ رجلاً من رعيته فضر به ، أتَقَصَّهُ منه ؟ قال : نعم والذي نفس عمر بيده لأَقْصَنَهُ منه ، فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه . »

وفي رواية الطبري :

وخطب عمر الناس يوم الجمعة فقال :

« اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار ، أني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ، وأن يقيموا فيهم فيهم ، وأن يعدلوا ، فإن أشكل عليهم شيء رفعوه إلىَّ . »

« يأيها الناس : إني والله ما أرسل إليكم عمالا ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكني أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلىَّ ، فوالذي نفسي عمر بيده لأَقْصَنَهُ منه . »

فوثب عمرو بن العاص فقال :

يا أمير المؤمنين : رأيتك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعيّة فأدَّبَ بعض رعيته إنك انتقصته منه ؟ قال : إي والذي نفسي عمر بيده إذن لأَقْصَنَهُ منه ، وكيف

(١) قدعه كنمه : كفه . (٢) نفس طلعة : تكثر التطلع إلى الشيء . (٣) حيد العاقبة .

(٤) وخيم العاقبة .

لا أقصّه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصّ من نفسه ؟ ألا لا تضربوا المسلمين فتزولهم ولا تجمروهم فتفتنهم ، ولا تمنعهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلهم الغياض فتضيّعهم » .

(البيان والتبيين ٣ : ٧١ ، وصبح الأعشى ١ : ٢١٤ ، والمقد الفريد ٢ : ١٣٢)

وتاريخ الطبرى ٥ : ١٩)

٨٦ — خطبته عام الرمادة

وخطب عام الرمادة^(١) بالعباس رحمه الله :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ، ثم قال :

« أيها الناس : استغفروا ربكم إنه كان غفارا ، اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك وبقيّة آبائه وكبار رجاله ، فإنك تقول : (وَقَوْلُكَ الْحَقُّ) « وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ، وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا » فحفظتهما لصلاح أبيهما ، فاحفظ اللهم نبيك في عمه ، اللهم اغفر لنا إنك كنت غفارا ، اللهم أنت الراعى لا تهمل الضالّة ، ولا تدع الكسيرة بمضيعة ، اللهم قد ضرع الصغير ورقّ الكبير ، وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السرّ وأخفى ، اللهم أئتمهم بغيرائك ، قبل أن يفتنوا فيهلكوا ، فإنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

فأبرحوا حتى علّقوا الحذاء ، وقلّصوا المآزر ، وطلق الناس بالعباس يقولون :

« هنيئًا لك يا ساقى الحرمين » .

(المقد الفريد : ١٣٢)

(١) في السنة الثامنة عشرة أصابت الناس مجاعة شديدة بالمدينة وما حولها فكانت تسنى إذا ريحت ترابا

كالرماد ؟ فسمى ذلك العام عام الرمادة (الطبرى ٤ : ٢٢٣) .

٨٧ - خطبته وقد بلغه أن قوما يفضلونه على أبي بكر

وبلغه أن قوما يفضلونه على أبي بكر الصديق ، فوثب مُغَضَّبًا حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أيها الناس : إني سأخبركم عنى وعن أبي بكر ، إنه لما توفي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارتدت العرب ، ومنعت شاتها وبعيرها ، فأجمع رأيُنَا كُلُّنَا أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلم أن قلنا له يا خليفة رسول الله : إن رسول الله كان يقاتل العرب بالوحى والملائكة يُمدُّهُ اللهُ بهم ، وقد انقطع ذلك اليوم ، فالزم بيتك ومسجدك ، فإنه لا طاقة لك بقتال العرب ، فقال أبو بكر : أو كلكم رأيُه على هذا ؟ فقلنا نعم ، فقال : والله لأن أُخِرَّ من السماء فتخطفنى الطير ، أحب إلىَّ من أن يكون رأيي هذا ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله وكبره ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل على الناس فقال :

« أيها الناس : من كان يعبد محمدا ، فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . أيها الناس : أأن كثر أعداؤكم ، وقل عددكم ، ركب الشيطان منكم هذا المركب ؟ والله ليظهرنَّ الله هذا الدين على الأديان كلها ، ولو كره المشركون ، قوله الحق ، ووعد الصديق ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق . وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين . والله أيها الناس : لو منعوني عِقالاً^(١) لجاهدتهم عليه ، واستعنت عليهم الله وهو خير معين » ثم نزل .

(تهذيب الكمال ٨: ١)

خطب الفتوح في عهد عمر

في فتح فارس

كان المُثَنَّى بن حارثة الشَّيْبَانِي أمير جيش العراق قدم على أبي بكر بالمدينة يستمده فألفاه مريضاً ، ووصى أبو بكر عمر بالمبادرة إلى إرسال الجيوش معه ، فكان أول ما عمل به عمر ، أن ندَّبَ الناس مع المثنى إلى أهل فارس ، قبل صلاة الفجر ، من الليلة التي مات فيها أبو بكر - وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم ، وأثقلها عليهم لشدة سلطانهم ، وشوكتهم ، وعزمهم ، وقهرهم الأمم - وجعل يندبهم ثلاثة أيام فلا ينتدب أحد إلى فارس ، فلما كان اليوم الرابع عاد فندب الناس إلى العراق ، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي - والد المختار - وتتابع الناس ، وتكلم المثنى بن حارثة فقال :

٨٨ - خطبة المثنى بن حارثة الشيباني

« أيها الناس : لا يَعْظُمَنَّ عليكم هذا الوجه ، فإننا قد تَبَجَّحْنَا^(١) ريف فارس ، وغلبناهم على خير شِئِّي السَّوَاد ، وشاطرناهم ولننا منهم ، واجترأنا من قبلنا عليهم ، ولها إن شاء الله ما بعدها .

٨٩ - خطبة عمر رضي الله عنه

وقام عمر في الناس فقال :
« إن الحجاز ليس لكم بدار إلَّا على النُّجْمَةِ^(٢) ، ولا يَقْوَى عليه أهله إلَّا بذلك ،

(١) تبجح : تمكن في المقام والحلول كيجبح ، والدار توسطها . (٢) طلب الكلا في موضعه .

أين الطُّرَّاء^(١) المهاجرون عن موعود الله ، سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها ، فإنه قال : « لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ » والله مُظْهِر دِينِهِ ، وَمُعِز نَاصِرِهِ ، وَمُؤَلِّي أَيْلِهِ مَوَارِيثَ الْأُمَمِ ، أين عباد الله الصالحون ... ؟

فلما اجتمع له البعث أَمَرَ عَلَيْهِمُ أَوْ لَهِمُ انتداباً^(٢) وهو أبو عبيد وقال له :
« اسمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشرحكم في الأمر ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تدبّر ، فإنها الحرب ، والحرب لا يصلحها إلاّ الرجل الْمَسْكِيثُ^(٣) الذي يعرف الفرصة والكفّ » .
(تاريخ الطبري ٤ : ٦٠ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ٢١١)

٩٠ - وصية عمر لأبي عبيد بن مسعود

وتقدم عمر إلى أبي عبيد بن مسعود فقال :
« إنك تقدم على أرض المسكر والخديعة ، والخيانة والجبرية ، تقدم على قوم قد جرؤوا على الشر فعلوه ، وتناسوا الخير فجعلوه ، فانظر كيف تكون ، واخزن لسانك ، ولا تفشينّ سرك ، فإن صاحب السر - ماضبطه - متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه ، وإذا ضييعه كان بمضيعة » .
(تاريخ الطبري ٤ : ٦٦)

٩١ - خطبة له وقد شيع جيش سعد بن أبي وقاص

وشيع جيش سعد بن أبي وقاص ، حين وجهه لحرب العراق ، فقام في الناس خطيباً فقال :

« إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال ، وصرف لكم الأقوال ، ليُخَيِّبَ بها

(١) جمع طارئ ، من طرأ عليهم كنع أتاها من مكان أو خرج عليهم منه فجأة .

(٢) ندب القوم إلى الأمر : دعاهم وحثهم ، وانتدبوا إليه أسرعوا . (٣) الرزين .

القلوب ، فَإِنَّ القلوب ميتة في صدورِها حتى يُحييها الله ، من علم شيئاً فلينزع به ، وإنَّ للعدل أماراتٍ وتبشيرَ ، فأما الأمارات : فالحياء ، والسخاء ، واللين ، واللين . وأما التبشير : فالرحمة ، وقد جمل الله لكل أمر باباً ، وَيَسَّرَ لكل باب مفتاحاً . فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد ، والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات ، والاستعداد له بتقديم الأعمال ، والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق ، وتأدية الحق إلى كل أحد له حق ، ولا تُصَانع في ذلك أحداً ، واكتف بما يكفيه من الكفاف ، فإن من لم يكفه الكفاف ، لم يُفَنِّه شيء ، إني بينكم وبين الله ، وليس بيني وبينه أحد ، وإن الله قد أزمى دفع الدعاء عنه ، فَأَنَّهُوا شَكَاتَكُمْ إلينا ، فمن لم يستطع ، فإلى من يُبَلِّغُنَاها ، نأخذ له الحق غير مُتَعَمِّع .
(تاريخ الطبري ٤ : ٨٥)

٩٢ — وصيته لسعد بن أبي وقاص

وصى سعد بن أبي وقاص حين أمّره على حرب العراق فقال :

« يَا سَعْدُ سَعَدَ بَنِي وَهَّيْب ، لَا يُغَرِّكَ من الله أَنْ قيل خالُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحبُ رسول الله ، فإن الله عز وجل لا يمحو السيِّءَ بالسيِّئِ ولكنه يمحو السيِّئَ بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شَرِيفُهُمْ وَوَضِيعُهُمْ في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منذ بُعِثَ إلى أن فارقنا فَأَلْزَمَهُ ، فإنه الأمر ، هذه عظمتي إياك إن تركتها ورغبت عنها حَبِطَ عَمَلُكَ ، وكنت من الخاسرين .
(تاريخ الطبري ٤ : ٨٤ ؛ والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٠)

٩٣ — وصيته لسعد بن أبي وقاص أيضاً

ولما أراد أن يسرّحه دعاه فقال :

« إني قد وليتك حرب العراق ، فاحفظ وصيتي فإنك تقدم على أمر شديد كربه ،

لا يَخْلَصُ مِنْهُ إِلَّا الْحَقُّ ، فَمَوِّذُ نَفْسِكَ وَمَنْ مَعَكَ الْخَيْرَ وَأَسْتَفْتِخْ بِهِ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ عَادَةٍ عَقَادًا ^(١) ، فَعَتَادُ الْخَيْرِ الصَّبْرُ ، فَالصَّبْرُ الصَّبْرُ عَلَى مَا أَصَابَكَ أَوْ نَابَكَ ، يَجْتَمِعُ لَكَ خَشْيَةُ اللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ خَشْيَةَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ فِي أَمْرَيْنِ : فِي طَاعَتِهِ ، وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ ، وَإِنَّمَا أَطَاعَهُ مَنْ أَطَاعَهُ بِبُغْضِ الدُّنْيَا وَحُبِّ الْآخِرَةِ ، وَعَصَاهُ مِنْ عَصَاهِ حُبِّ الدُّنْيَا وَبُغْضِ الْآخِرَةِ ، وَلِلْقُلُوبِ حَقَائِقُ يُنْشِئُهَا اللَّهُ بِإِنْشَاءٍ ، مِنْهَا السِّرُّ ، وَمِنْهَا الْعَلَانِيَةُ . فَأَمَّا الْعَلَانِيَةُ فَأَنْ يَكُونَ حَامِدُهُ وَذَمُّهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، وَأَمَّا السِّرُّ فَيَعْرِفُ بِظُهُورِ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ وَبِمَحَبَّةِ النَّاسِ ، فَلَا تَزْهَدُ فِي التَّحَبُّبِ ، فَإِنَّ النَّبِيِّينَ قَدْ سَأَلُوا مُحِبَّتَهُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا حَبَّبَهُ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا بَغَضَهُ ، فَاعْتَبِرْ مَنَزَلَتَكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَنَزَلَتِكَ عِنْدَ النَّاسِ مَنْ يَشْرَعُ مَعَكَ فِي أَمْرِكَ .

(تاريخ الطبري ٤ : ٨٥)

٩٤ — وصية أخرى كتبها إلى سعد بن أبي وقاص

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضى الله عنهما ومن معه من الأجناد .

« أما بعد : فَإِنِّي أَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ بِتَقْوَى اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ الْمُدَّةِ عَلَى الْعَدُوِّ ، وَأَقْوَى الْمَسْكِيذَةِ فِي الْحَرْبِ ، وَأَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاسًا مِنَ الْمَعَاصِي مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ ، فَإِنَّ ذُنُوبَ الْجَيْشِ أَخَوْفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، وَإِنَّمَا يُنْصَرُّ الْمُسْلِمُونَ بِمَعْصِيَةِ عَدُوِّهِمْ لِلَّهِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ ، لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ ، وَلَا عُدَّتُنَا كَعُدَّتِهِمْ ، فَإِنَّ اسْتَوَيْنَا فِي الْمَعْصِيَةِ ، كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ ، وَإِلَّا نُنْصَرُّ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ نَقْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا ، فَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي سِيرِكُمْ حَفَظَةً مِنْ اللَّهِ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ، فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ وَلَا تَعْمَلُوا بِمَعَاصِي اللَّهِ وَأَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،

(١) العتاد : المدّة .

ولا تقولوا إِنَّ عَدُوَّنَا شَرُّ مَنَا ، فَلَئِنْ يُسَلِّطَ عَلَيْنَا ، فَرُبَّ قَوْمٍ سُلِّطَ عَلَيْهِمْ شَرُّ مِنْهُمْ كَمَا سُلِّطَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ (لَمَّا عَمِلُوا بِمَسَاحِطِ اللَّهِ) كُفَّارُ الْجُوسِ ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَوْنَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصَرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ . أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى ذَلِكَ لَنَا وَلَكُمْ . وَتَرَفَّقَ بِالْمُسْلِمِينَ فِي مَسِيرِهِمْ ، وَلَا تَجَشَّمَهُمْ مَسِيرًا يُجْعِلُهُمْ ، وَلَا تُقْصِرْ بِهِمْ عَنْ مَنْزِلٍ يَرَفُقُ بِهِمْ ، حَتَّى يَبْلُغُوا عَدُوَّهُمْ (وَالسَّقَرُ لَمْ يَنْقُصْ قُوَّتَهُمْ) فَإِنَّهُمْ سَائِرُونَ إِلَى عَدُوِّ مُقِيمٍ ، حَامِي الْأَنْفُسِ وَالْكَرَاعِ^(١) ، وَأَقِمْ بَيْنَ مَعَكَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةٍ ، حَتَّى تَكُونَ لَهُمْ رَاحَةً يُحْيُونَ فِيهَا أَنْفُسَهُمْ ، وَيُرْمُونَ^(٢) أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتَعَتَهُمْ ، وَنَحْ مَنَازِلَهُمْ عَنْ قُرَى أَهْلِ الصِّلَحِ وَالذِّمَّةِ ، فَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ تَتَّقَ بِدِينِهِ ، وَلَا يَزَأْ^(٣) أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا شَيْئًا ، فَإِنْ لَهُمْ حَرَمَةٌ وَذِمَّةٌ ابْتَلَيْتُمْ بِالْوَفَاءِ بِهَا ، كَمَا ابْتَلَوْا بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا ، فَمَا صَبَرُوا لَكُمْ فَتَوَلَّوْهُمْ خَيْرًا ، وَلَا تَسْتَنْصِرُوا عَلَى أَهْلِ الْحَرْبِ بِظُلْمِ أَهْلِ الصِّلَحِ ، وَإِذَا وَطِئْتَ أَرْضَ الْعَدُوِّ فَأَذْكِ^(٤) الْعِيُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، وَلَا يَخْشَفَ عَلَيْكَ أَمْرُهُمْ ، وَلِيَكُنْ عِنْدَكَ مِنَ الْعَرَبِ ، أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَى نَصَحِهِ وَصَدَقِهِ ، فَإِنَّ السَّكَذُوبَ لَا يَنْفَعُكَ خَبْرُهُ ، وَإِنْ صَدَّقَكَ فِي بَعْضِهِ ، وَالغَاشِ عَيْنَ عَلَيْكَ ، وَلَيْسَ عَيْنًا لَكَ ، وَلِيَكُنْ مِنْكَ عِنْدَ دَنُوكَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ أَنْ تُكْثِرَ الطَّلَاعَ ، وَتَبُثَّ السَّرَايَا^(٥) بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، فَتَقْطَعَ السَّرَايَا أَمْدَادَهُمْ وَمَرَافِقَهُمْ ، وَتَتَّبِعَ الطَّلَاعُ عَوْرَاتِهِمْ ، وَتَنْقُ^(٦) لَطَّلَاعُ أَهْلِ الرِّأْيِ وَالْبَأْسِ مِنْ أَصْحَابِكَ ، وَتُخَيِّرْ لَهُمْ سَوَائِقَ الْخَيْلِ ، فَإِنْ لَقُوا عَدُوًّا كَانَ أَوَّلَ مَا تُلْقَاهُمُ الْقُوَّةُ مِنْ رَأْيِكَ ، وَاجْعَلْ أَمْرَ السَّرَايَا إِلَى أَهْلِ الْجِهَادِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْجِلَادِ ، وَلَا تَخْصُ بِهَا أَحَدًا بَهْوًى ، فَتَضِيعَ مِنْ رَأْيِكَ وَأَمْرِكَ ، أَكْثَرُ مِمَّا حَابَيْتَ بِهِ أَهْلَ

(١) الكراع من كل شيء : طرفه واسم يجمع الخيل .

(٢) رمه يرمه : أصلحه . (٣) رزأه ماله : أصاب منه شيئاً . (٤) أذكى عليه العيون :

إذا أرسل عليه الطلائع . (٥) جمع سرية ، وهى من خمسة أنفس إلى ثلاثمائة أو أربعمائة .

(٦) تنقاه وانتقاه : اختاره .

خاصتك ، ولا تبعن طليعة ، ولا سرية ، في وجهٍ تتخوف فيه غلبةً أو ضيعةً ونكابةً ، فإذا عاينت العدو ، فاضم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك ، واجمع إليك مكيدتك وقوتك ، ثم لاتعاجلهم المناجزة ، مالم يستكرهك قتال ، حتى تبصر عورةَ عدوك ومقاتله ، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها ، فتصنع بعدوك ، كصنعه بك ، ثم أذكِ أحراسك على عسكرك ، وتيقظ من البيات جهذك ، ولا تؤتني بأسير ليس له عقد^(١) إلا ضربت عنقه ، لترهب به عدو الله وعدوك ، والله ولي أمرك ومن معك ، وولى النصر لكم على عدوكم ، والله المستعان .

(المقد الفريد ١ : ٤٠)

٩٥ - وصيته للمجاهدين

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول عند عقد الألوية :

« بسم الله وبالله ، وعلى عون الله ، امضوا بتأييد الله ، وما النصر إلا من عند الله ، ولزوم الحق والصبر ، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، ولا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمتثلوا عند القدرة ، ولا تسرفوا عند الظهور^(٢) ولا تقتلوا هرمًا ولا امرأة ولا وليدًا ، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان ، وعند شن الغارات .

(المقد الفريد ١ : ٤٠)

(١) عهد .

(٢) الغلبة .

(٣) شن الغارة عليهم : صبا من كل وجه .

٩٦ - وصية عمر ليعلى بن أمية

في إجلاء أهل نجران

روى الطبرى قال :

كان أول بعث بعثه عمر بعث أبى عبيد ، ثم بعث يعلى بن أمية إلى اليمن ، وأمره بإجلاء أهل نجران ، لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه بذلك ، ولوصية أبى بكر رحمه الله بذلك في مرضه ، وقال :

« اتهم ولا تفتنهم عن دينهم ، ثم أجلبهم من أقام منهم على دينه ، وأقرر المسلم ، وامسح أرض كل من تجلبى منهم ، ثم خيرهم البلدان ، وأعلمهم أنا نجليهم بأمر الله ورسوله ألا يُترك بجزيرة العرب دينان ، فليخرجوا من أقام على دينه منهم ، ثم نعطيهم أرضا كأرضهم إقرارا لهم بالحق على أنفسنا ، ووفاء بدمتهم ، فيما أمر الله من ذلك بدلا بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم بالريف . »

(تاريخ الطبرى ٤ : ٦٢)

٩٧ - خطبة لعمر

ولما انتهى إلى عمر قتل أبى عبيد بن مسعود نادى فى المهاجرين والأنصار وخرج حتى أتى صراراً فمسك به ، واستشار الناس فكلهم أشار عليه بالسير إلى فارس واستشار ذوى رأى فأشاروا عليه أن يقيم ويبعث رجلاً فقام فى الناس فقال :

« إن الله عز وجل قد جمع على الإسلام أهله ، فألف بين القلوب ، وجعلهم فيه إخواناً ، والمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلو منه شيء من شيء أصاب غيره . وكذلك يحق على المسلمين أن يكونوا (وأمرهم شورى بينهم) بين ذوى رأى منهم ، فالناس تبع لمن قام

بهذا الأمر ، ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعاً لهم ، ومن قام بهذا الأمر تبع لأولى رأيهم مارأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعاً لهم .

يأيتها الناس إني إنما كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرأي منكم عن الخروج فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً ، وقد أحضرت هذا الأمر من قدمتُ ومن خلقتُ » .
(تاريخ الطبري ٤ : ٨٣)

٩٨ - خطبة جرير بن عبد الله البجلي

وقال المنثى بن حارثة وهو على قتال فارس : من يتبع الناس إلى السَّيِّب ؟ فقام جرير بن عبد الله البجلي في قومه فقال :

« يا معشر بَجِيلَة : إنكم وجميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لأحد منهم في هذا الخمس غدا من النَّفْل مثل الذي لكم منه ، ولكم ربع خمسة نفلا من أمير المؤمنين ، فلا يكون أحد أسرع إلى هذا العدو ، ولا أشد عليه منكم للذي لكم منه ، ونيةً إلى مارجون ، فإنما تنتظرون إحدى الحسينين : الشهادة والجنة أو الغنيمة والجنة » .
(تاريخ الطبري ٤ : ٧٦)

٩٩ - خطبة سعد بن أبي وقاص يوم أرمات

وخطب سعد بن أبي وقاص يوم أرمات^(١) (سنة ١٤ هـ) فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« إن الله هو الحق لا شريك له في الملك وليس لقوله خُلف » قال الله جل ثناؤه :

(١) هو اليوم الأول من أيام القادسية .

(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) ،
 إن هذا ميراثكم وموعد ربكم ، وقد أباحها لكم منذ ثلاث حِجَج ، فأنتم تطعمون منها
 وتأكلون منها ، وتقتلون أهلها وتجبونها وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب
 الأيام منكم ، وقد جاءكم منهم هذا الجمع ، وأنتم وجوه العرب وأعيانهم ، وخيار كل قبيلة
 وعز من وراءكم ، فإن تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة ،
 ولا يقرب ذلك أحدا إلى أجله ، وإن تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم وتؤبِقُوا
 آخرتكم .
 (تاريخ الطبرى ٤ : ١١٤)

١٠٠ — خطبة عاصم بن عمرو

وقام عاصم بن عمرو فقال :

« إن هذه بلاد قد أحل الله لكم أهلها ، وأنتم تنالون منها منذ ثلاث سنين ما لا ينالون
 منكم ، وأنتم الأعلون والله معكم ، إن صبرتم وصدقتموم الضرب والطعن فلكم أموالهم
 ونسائهم وأبنائهم وبلادهم ، وإن خرتم وفشلتم - والله لكم من ذلك جارٌ وحافظ - لم
 يبق هذا الجمع منكم باقية ، مخافة أن تمودوا عليهم بعائدة هلاك ، الله الله ، اذكروا
 الأيام وما منحكم الله فيها ، أو لا ترون أن الأرض وراءكم بسابس^(١) قفار ليس فيها خمر^(٢)
 ولا وزر يعقل إليه ويمتنع به ؟ اجعلوا همكم الآخرة .
 (تاريخ الطبرى ٤ : ١١٤)

١٠١ — خطبة طليحة بن خويلد الأسدى

وحمل أصحاب الفيلة من جيش الفرس على المسلمين ، وكادت بجيلة أن تؤكل ، فرت
 عنها خيلها نفارا ، فأرسل سعد إلى بنى أسد : ذببوا^(٣) عن بجيلة ، وقام طليحة بن خويلد
 الأسدى في قومه حين استصرخهم سعد فقال :

(١) البسبس : القفر . (٢) الحمر : ماوارك من شجر وغيره . (٣) دافعوا عنها .

« يا عَشِيرَتَاهُ : إِنَّ الْمَنُوءَ بِاسْمِهِ الْمَوْتُوقُ بِهِ ، وَإِنَّ هَذَا لَوْ عَلِمَ أَنَّ أَحَدًا أَحَقُّ بِإِغَاثَةِ هَؤُلَاءِ مِنْكُمْ اسْتِغَاثَهُمْ ، ابْتَدِئْتُمْ الشَّدَّةَ ، وَأَقْدَمُوا عَلَيْهِمْ إِقْدَامَ اللَّيْثِ الْحَرَبِيِّ ^(١) فَإِنَّمَا تُسَمِّتُمْ أَسَدًا لِتَفْعَلُوا فَعْلَهُ ، شَدُّوا وَلَا تَصُدُّوا وَكُفُّوا وَلَا تَفِرُّوا ، اللَّهُ دَرُّ رَيْبَةٍ ! أَيْ فَرَى يَفِرُّونَ ، وَأَيْ قِرْنٍ يُغْنَوْنَ ! هَلْ يَوْصَلُ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ ؟ فَأَغْنُوا عَنْ مَوَاقِفِكُمْ أَعَانَكُمْ اللَّهُ ، شَدُّوا عَلَيْهِمْ بِاسْمِ اللَّهِ » .

(تاريخ الطبري ٤ : ١١٨)

١٠٢ — الْخُنَسَاءُ تَحْرُضُ أَوْلَادَهَا عَلَى الْقِتَالِ

حَضَرَتِ الْخُنَسَاءُ حَرْبَ الْقَادِسِيَّةِ وَمَعَهَا بَنُوهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ ، فَقَالَتْ لَهُمْ :

« يَا بَنِيَّ ، أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ طَائِعِينَ ، وَهَاجَرْتُمْ مَخْتَارِينَ ، وَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، إِنْسَكُمْ لِبَنِي رَجُلٍ وَاحِدٍ ، كَمَا أَنْتُمْ بَنُو امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ ، مَا خُنْتُ أَبَاكُمْ ، وَلَا فَضَحْتُ خَالَكُمْ ، وَلَا هَجَنْتُ ^(٢) حَسَبَكُمْ ، وَلَا غَبَزْتُ ^(٣) نَسَبَكُمْ ، وَقَدْ تَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ فِي حَرْبِ الْكَافِرِينَ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ الدَّارَ الْبَاقِيَةَ خَيْرٌ مِنَ الدَّارِ الْفَانِيَةِ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) فَإِذَا أَصْبَحْتُمْ غَدًا ، فَاغْدُوا إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ مُسْتَبْصِرِينَ ، وَلِلَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِ مُسْتَنْصِرِينَ » .

فَلَمَّا أَضَاءَ لَهُمُ الصَّبْحُ بَاكُرُوا مَرَاكِزَهُمْ ، فَتَقَدَّمُوا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، يُنْشِدُونَ الْأَرَاغِيضَ ، فَقَاتَلُوا حَتَّى اسْتَشْهِدُوا جَمِيعًا ، فَلَمَّا بَلَغَهَا الْخَبْرَ قَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنِي بِقِتْلِهِمْ ، وَأَرْجُو مِنْ رَبِّي أَنْ يَجْمَعَنِي بِهِمْ فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ » . فَكَانَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَعْطِيهَا أَرْزَاقَ أَوْلَادِهَا الْأَرْبَعَةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِائَةَ دِرْهَمٍ ، حَتَّى قُبِضَ وَمَاتَتِ الْخُنَسَاءُ .

(خزانة الأدب : ١ ، ٣٩٥)

(١) حَرْبٌ : كَلِيبٌ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ فَهُوَ حَرْبٌ . (٢) التَّهْجِينَ : التَّقْبِيحُ .

(٣) غَبَرَهُ : لَطَخَهُ بِالْقَبَارِ ، أَيْ دَنَسَتْ .

١٠٣ — خطبة عتبة بن غزوان

وفي سنة ١٤ هـ وجه عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان إلى البصرة وأمره بنزلها بمن معه وقطع مادة أهل فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها منهم ، فرفعوا له منبرا وقام يخطب فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أما بعد : فإن الدنيا قد تولت حذاء^(١) مُدْبِرَةً ، وقد آذنت أهلها بِصَرْمٍ^(٢) ، وإنما بقي منها صُبابَةٌ^(٣) كَصُبابَةِ الْإِنَاءِ يَصْطَبْهُا صَاحِبُهَا ، ألا وإنكم مفارقوها لِمَحَالَّةٍ ، ففارقوها بِأَحْسَنِ مَا يَحْضُرُكُمْ ، ألا وإن من العجب أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الحجر الضخم يُبْلَقُ فِي النَّارِ مِنْ شَفِيرِهَا^(٤) ، فَتَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا^(٥) ، ولجنهم سبعة أبواب ما بين البابين منها مَسِيرَةُ خُمِيسَاءِ سَنَةٍ ، ولتأتينَ عَلَيْهَا سَاعَةٌ وَهِيَ كَطَظِظٍ^(٦) بِالزَّحَامِ ، ولقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابعَ سابعة ، مائِثًا طَعَامًا إِلَّا وَرَقُ الْبَشَامِ^(٧) ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا ، فوجدت أنا وسعد بن مالك تمرَةً ، فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ نِصْفَيْنِ ، وَالتَّقَطْتُ بُدَّةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، فَأَنْزَرْتُ بِنِصْفِهَا ، وَأَنْزَرْتُ بِنِصْفِهَا ، وما منا أحد اليوم إِلَّا وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ ، وَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبْوَةً قَطُّ إِلَّا تَنَاسَخَتْهَا^(٨) جَبَرِيَّةٌ ، وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا ، وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ صَغِيرًا ، وَتَسْتَجْرِبُونَ الْأُمَرَاءَ مِنْ بَعْدِي ، فَتَعْرِفُونَ وَتَنْسَكِرُونَ » .

(تاريخ الطبري ٤ : ١٤٩٠ والعقد الفريد ٢ : ١٥٦ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢٧ ،

والكامل لابن الأثير ٢ : ١٨٨)

(١) السريعة الماضية التي لا يتعلق بها شيء . (٢) آذنت : أعلمت ، والصرم : القطع .

(٣) الصبابة : بقية الماء في الإناء . (٤) الشفير : حفر كل شيء .

(٥) سنة : والمراد أنها بعيدة الأقطار شاسعة الأرجاء . (٦) من كظه الطعام : ملأه حتى لا يطيق النفس ، ورجل كظ وكظيظ ومكظوظ تهبطه الأمور حتى يمجز عنها . (٧) البشام : شجر عطر الرائحة يستاك به .

(٨) في الحديث « لم تكن نبوة إِلَّا تناسخت » أي تحولت من حال إلى حال ، يعني أمر الأمة وتغاير

أحوالها ، والجبرية الجبروت .

١٠٤ - خطبة لسعد بن أبي وقاص

ولما نزل سعد بهرَسير - وهي المدينة الدنيا - طلب السفن ليعبر بالناس إلى المدينة القصوى (على نهر دجلة) فلم يقدر على شيء ووجدهم قد ضموا السفن ، فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، فلا تخلصون إليه معه ، وهم يخلصون إليكم إذا شاءوا ، فيناوشونكم في سفنهم ، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه ، فقد كفاكموه أهل الأيام ، وعطلوا ثغورهم ، وأفنوا ذاتهم . وقد رأيت من الرأي أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا ، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم » .

فقالوا جميعا : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل .

واقتحم دجلة وفتح المدينة القصوى (سنة ١٦ هـ) . (تاريخ الطبري ٤ : ١٧٠)

١٠٥ - خطبة عمر

ولما تجمعت جموع الفرس بنهاوند كتب سعد إلى عمر يخبره بذلك فاجتمع الناس وقام عمر على المنبر خطيبا فأخبرهم الخبر واستشارهم وقال :

« هذا يوم له ما بعده من الأيام ، ألا وإني قد هممت بأمر وإني عارضه عليكم فاسمعوه ، ثم أخبروني وأوجزوا ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، ولا تكثروا ولا تطيلوا فتفسخ^(١) بكم الأمور ، ويلتوى عليكم الرأي ، أفن الرأي أن أسير فيمن قبلي ومن قدرت عليه ، حتى أنزل منزلا وسطا بين هذين المصرين فاستنفرهم ثم أكون

(١) فشفه كنهه : علاه حتى غطاء .

لهم ردءا حتى يفتح الله عليهم ويقضى ما أحب ، فإن فتح الله عليهم أن أضربهم عليهم
في بلادهم ليتنازعوا ملكهم » .

فقام عثمان بن عفان ورجال من أهل الرأي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشكلوا كلاما فقالوا :

« لا نرى ذلك ، ولكن لا يغيبن عنهم رأيك وأثرك ، وقالوا : بإزائهم وجوه
العرب وفرسانهم وأعلامهم ومن قد فضّ جوعهم ، وقتل ملوكهم ، وبأثر من حروبهم
ما هو أعظم من هذه ، وإنما استأذنوك ولم يستصرخوك فأذن لهم واندب إليهم وادعُ
لهم » . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٧)

١٠٦ - خطبة لعلی

وقام علی بن أبی طالب فقال :

« أصاب القوم يا أمير المؤمنين الرأي ، وفهموا ما كتب به إليك ، وإن هذا الأمر
لم يكن نصره ولا خذلانه لكثرة ولا قلة ، هو دينه الذي أظهره ، وجنده الذي أعزّه
وأيده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ ، فنحن على موعود من الله ، والله منجز وعده ، وناصر
جنده ، ومكانك منهم مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه ، فإن انحلّ تفرق ما فيه
وذهب ، ثم لم يجتمع بمخايفه أبدا ، والعرب اليوم وإن كانوا قليلا فهي كثير عزيز
بالإسلام ، فأقم واكتب إلى أهل الكوفة ، فهم أعلام العرب ورؤسائهم ، ومن لم يحفل
بمن هو أجمع وأحدّ وأجدّ من هؤلاء ، فليأتهم الثلثان وليقم الثلث ، واكتب إلى أهل
البصرة أن يمدوهم ببعض من عندهم » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٧)

فسر عمر بحسن رأيهم وأعجبه ذلك منهم .

١٠٧ — خطبة طلحة بن عبيد الله

وقام طلحة بن عبيد الله وكان من خطباء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشهد ثم قال :
« أما بعد يا أمير المؤمنين فقد أحكمتك الأمور، وعَجَمَتَكَ ^(١) البلايا، واحتَنَكَّتَكَ ^(٢) التجارب، وأنت وشأنك، وأنت ورأيك، لا تنبؤ في يديك ولا نكل عليك، إليك هذا الأمرُ فرُّنا نُطْع، وادعُنا نجب، واحملنا نركب، ووقِّدنا نَفِد، وقُدِّدنا نَنقَد، فإنك وليّ هذا الأمر، وقد بلوتَ وجربتَ واختبرت، فلم ينكشف شيءٌ من عواقب قضاء الله لك إلا عن خيار » ثم جلس .
(تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٨)

١٠٨ — خطبة عثمان بن عفان

فعاد عمر فقال : إن هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا ، فقام عثمان بن عفان فتشهد وقال :
« أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شأهم ، وتكتب إلى أهل اليمن فيسيروا من بينهم، ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصريين : البصرة والكوفة ، فتلقى جميع المشركين بجمع المسلمين ، فإنك إذا سرت بمن معك وعندك . قل في نفسك ما قد تكاثر من عدد القوم ، وكنت أعزّ عزا وأكثر يا أمير المؤمنين ، إنك لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقيةً ، ولا تمتنع من الدنيا بعزيز ، ولا تلوذ منها بحريز ، إن هذا اليوم له ما بعده من الأيام ، فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغب عنه »
ثم جلس .
(تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٨)

(١) عجم المود : عضه ليعرف صلابته من خوره .

(٢) أحكمتك .

١٠٩ — خطبة علي بن أبي طالب

فعاد عمر فقال : إن هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا ، فقام علي بن أبي طالب فقال :

« أما بعد يا أمير المؤمنين فإنك إن أشخصت أهل الشام من شأهم ، سارت الروم إلى ذراريهم ، وإن أشخصت أهل اليمن من بينهم ، سارت الحبشة إلى ذراريهم ، وإن شخّصت من هذه الأرض ، انتفضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها ، حتى يكون ما تدع وراءك أمّ إليك مما بين يديك من العورات والعيلات ، أقرّ هؤلاء في أمصارهم ، واكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا فيها ثلاث فرق : فلتقم فرقة لهم في حرّمهم وذراريهم ، ولتقم فرقة في أهل عهدهم لئلا ينتقضوا عليهم ، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مددا لهم .

إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدا قالوا هذا أمير العرب وأصل العرب ، فكان ذلك أشدّ لكتّيبهم وألبّتهم^(١) على نفسك ، وأما ما ذكرت من مسير القوم فإن الله أكره لمسيرهم منك ، وهو أقدر على تغيير ما يكره ، وأما ما ذكرت من عددهم فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولا كنا كنا نقاتل بالنصر .

فقال عمر : أجل والله لئن شخّصت من هذه البلدة لتنتفضنّ على الأرض من أطرافها وأكنافها ، ولئن نظرت إلى الأعاجم لا يفارقنّ العرصة^(٢) ، وليمدّهم من لم يمدّهم ، وليقولنّ : هذا أصل العرب ، فإذا اقتطعتموه اقتطعت أصل العرب : فأشيروا على برجل أوله ذلك الثغر غدا ، قالوا أنت أفضل رأيا ، وأحسن مقدرة ، قال : أشيروا على به واجعلوه عراقيا ، قالوا يا أمير المؤمنين أنت أعلم بأهل العراق ،

(١) ألب إليه القوم : أتوه من كل جانب . (٢) إل الساحة .

وجندك قد وفدوا عليك ورأيتهم وكلمتهم ، فقال : أما والله لأولين أمرهم رجلا ليكونن
لأول الأسنة إذا لقيها غدا ، فقل من يا أمير المؤمنين ؟ فقال : النعمان بن مقرن المزني ،
فقالوا : هو لها ، والنعمان يومئذ بالبصرة ، فولاه . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٨)

١١٠ — خطبة النعمان بن مقرن

ونشب القتال بين المسلمين والفرس ، وكان النعمان يسير في الناس على بردون
أحوى^(١) قريب من الأرض فيقف على كل راية ويحمد الله وينثي عليه ويقول :

« قد علمت ما أعزكم الله به من هذا الدين ، وما وعدكم من الظهور ، وقد أنجز لكم
هوادي^(٢) ما وعدكم وصدوره ، وإنما بقيت أعجازه وأكارعه ، والله منجز وعده ، ومتبع
آخر ذلك أوله ، واذكروا ماضى إذ كنتم أذلة ، وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة ،
فأنتم اليوم عباد الله حقا وأولياؤه ؛ وقد علمت انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة ،
والذى لهم في ظفركم وعزكم ، والذى عليهم في هزيمتكم وذلكم ، وقد ترون من أنتم بإزائه
من عدوكم ، وما أخطرتم وما أخطروا لكم ، فأما ما أخطروا لكم فهذه الرثة^(٣) وما ترون
من هذا السواد ، وأما ما أخطرتم لهم فدينكم وبيضتكم ، ولا سوا ما أخطرتم وما أخطروا ،
فلا يكونن على دنياهم أحى منكم على دينكم ، واتق الله عبد صدق الله وأبلى نفسه فأحسن
البلاء ، فإنكم بين خيرين منتظرين : إحدى الحسينين ، من بين شهيد حى مرزوق أو فتح
قريب وظفر يسير ، فكفى كل رجل ما يليه ، ولم يكل قرنه إلى أخيه ، فيجتمع عليه قرنه
وقرن نفسه ، وذلك من الملامة ، وقد يقاتل الكلب عن صاحبه ، فكل رجل منكم
مسلط على ما يليه ، فإذا قضيت أمرى فاستعدوا ، فإنى مكبر ثلاثا ، فإذا كبرت التكبيرة

(١) وصف من الحوة وهى : حرة إلى السواد . (٢) أوائل جمع هاد .

(٣) الرثة : ضعفاء الناس .

الأولى فليتهياً من لم يكن تهياً ، فإذا كبرت الثانية فليشد عليه سلاحه وليتهياً للهوض ،
فإذا كبرت الثالثة فإني حامل إن شاء الله فاحملوا معا ، اللهم أعز دينك وانصر عبادك ،
واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك » .

وزلق فرسه في دماء القوم فصرع فاستشهد . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٤٢)

خطب رجال من الفاتحين

بين يدي يزيد جرد ملك الفرس وقواده

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على فتح العراق يأمره أن يبعث إلى يَزْدَجِرْدَ ملك الفرس رجالا من أهل المنظرة^(١) والرأى والجلد يدعونه ، فاخترهم وأنفذهم إليه بالمدائن ، فلما دخلوا عليه أمر التَّزْجَانَ بيده وبينهم فقال : سلمهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا ، أمن أجل أنا أجمعناكم^(٢) وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟ فقال لهم النعمان بن مقرن : إن شئتم أحببت عنكم ، ومن شاء آثرته ، فقالوا : بل تكلم ، فتكلم النعمان فقال :

١١١ - خطبة النعمان بن مقرن

« إن الله رَحِمَنَا فأرسل إلينا رسولا يدلنا على الخير ، ويأمرنا به ، ويعرفنا الشر ، وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة ، فلم يدعُ إلى ذلك قبيلةً إلا صاروا فرقتين : فرقة تُقَارِبُهُ ، وفرقة تُبَاعِدُهُ ، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواصُّ ، فكث بذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم أمر أن يَنْبِذَ إلى من خالفه من العرب ، وبدأ بهم وفعل ، فدخلوا معه جميعاً على وجهين : مُكْرَهٌ عليه فاغبط ، وطائع أناه فازداد ، فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه ، من العداوة والضيق ، ثم أمرنا أن نبداً بمن يَكِيناً من الأمم ، فَنَدَعُوهُمْ إلى الإنصاف ، فنحن ندعوكم إلى ديننا ، وهو دين حَسَنَ

(١) المنظرة . (٢) من أجم الماء إذا تركه يجتمع ، أي أرحناكم وانصرفنا عنكم .

الْحَسَنَ ، وَقَبَّحَ الْقَبِيحَ كُلَّهُ ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَأَمَرْتُ مِنَ الشَّرِّ ، هُوَ أَهْوَنُ مِنْ آخِرِ شَرٍّ مِنْهُ ،
الْجِزَاءُ^(١) ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَالْمُنَاجَزَةُ ، فَإِنْ أَجَبْتُمْ إِلَى دِينِنَا خَلَفْنَا فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ ، وَأَقْنَاكُمْ
عَلَيْهِ ، عَلَى أَنْ تَحْكُمُوا بِأَحْكَامِهِ ، وَنَرْجِعَ عَنْكُمْ وَشَأْنَكُمْ وَبِلَادَكُمْ ، وَإِنْ اتَّقَيْتُمُونَا بِالْجِزَاءِ
قَبِلْنَا وَمَنْعْنَاكُمْ ، وَإِلَّا قَاتَلْنَاكُمْ .

* * *

فَقَالَ يَزْدَجَرْدُ : إِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أُمَّةً كَانَتْ أَشَقَّ وَلَا أَقْلَ عِدْدًا ، وَلَا أَسْوَأَ
ذَاتَ بَيْنٍ مِنْكُمْ ، قَدْ نَوَّكُلُ بِكُمْ قُرَى الضَّوَاهِي فِيَكْفُونُنَاكُمْ ، لَا تَغْزُوكُمْ فَارِسُ ،
وَلَا تَطْمَعُونَ أَنْ تَقُومُوا لَهُمْ ، فَإِنْ كَانَ غُرُورُ لِحْقِكُمْ ، فَلَا يَغْرَنُكُمْ مِنَّا ، وَإِنْ كَانَ
الْجَهْدُ دَعَاكُمْ ، فَفَرْضْنَا لَكُمْ قُوَّتًا إِلَى خِصْبِكُمْ ، وَأَكْرَمْنَا وَجُوهَكُمْ ، وَكَسَوْنَاكُمْ ، وَمَلَكْنَا
عَلَيْكُمْ مَلَكَ يَرْفُقُ بِكُمْ ، فَقَامَ الْمَغِيرَةُ بْنُ زُرَّادَةَ فَقَالَ :

١١٢ - خطبة المغيرة بن زرارة

أَيُّهَا الْمَلِكُ : إِنْ هُوَ لَا رِءُوسُ الْعَرَبِ وَوُجُوهُهُمْ ، وَهُمْ أَشْرَافُ يَسْتَحْيُونَ مِنْ
الْأَشْرَافِ ، وَإِنَّمَا يَكْرُمُ الْأَشْرَافَ الْأَشْرَافُ . وَيَعْظُمُ حَقُوقُ الْأَشْرَافِ الْأَشْرَافُ ،
وَيَفْضُخُ الْأَشْرَافُ الْأَشْرَافُ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا أُرْسِلُوا بِهِ جَمْعُهُ لَكَ ، وَلَا كُلُّ مَا تَكَلَّمْتَ
بِهِ أَجَابُوكَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ أَحْسَنُوا وَلَا يَحْسُنُ بِمَثَلِهِمْ إِلَّا ذَلِكَ ، فَجَاوِبْنِي لِأَكُونَ الَّذِي
أَبْلَغُكَ ، وَيَشْهَدُونَ عَلَى ذَلِكَ ، إِنَّكَ قَدْ وَصَفْتَنَا صِفَةً لَمْ تَكُنْ بِهَا عَالِمًا ، فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ
مِنْ سُوءِ الْحَالِ ، فَمَا كَانَ أَسْوَأَ حَالًا مِنَّا ، وَأَمَّا جُوعُنَا فَلَمْ يَكُنْ يَشْبَهُ الْجُوعَ ، كُنَّا نَأْكُلُ
الْخُفَافِ ، وَالْجَمْلَانِ^(٢) وَالْعُقَارِبَ وَالْحَيَّاتِ فَتَرَى ذَلِكَ طَعَامَنَا ، وَأَمَّا الْمَنَازِلُ فَإِنَّمَا هِيَ ظُهُرُ
الْأَرْضِ ، وَلَا نَلْبَسُ إِلَّا مَا غَزَلْنَا مِنْ أَوْبَارِ الْإِبِلِ ، وَأَشْعَارِ النَّمَمِ ، دِينُنَا أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُنَا

(١) الْجِزَاءُ : جَمْعُ جِزْيَةٍ . (٢) جَمْعُ جَمَلٍ بِضَمِّ فَتْحٍ : وَهُوَ الْحَرَبَاءُ .

بعضاً ، وَيُفَيِّرَ بعضنا على بعض ، وإن كان أحدنا لَيَدْفِنُ ابنته ، وهى حيةٌ كراهية أن تأكل من طعامنا ، فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرتُ لك ، فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً نَعْرِفُ نسبه ، ونعرف وجهه ومولده ، فأرضه خير أرضنا ، وحسبه خير أحسابنا ، وبيته أعظم بيوتنا ، وقبيلته خير قبيلتنا ، وهو بنفسه كان خيرنا فى الحال التى كان فيها ، أصدقنا وأحللنا ، فدعانا إلى أمر ، فلم يجب أحدٌ أولَّ من تَرَبَّيَّ كان له ، وكان الخليفة من بعده ، فقال وقلنا ، وصدق وكذبنا ، وزاد ونقصنا فلم يقل شيئاً إلا كان ، فغذف الله فى قلوبنا التصديق له واتباعه ، فصَارَ فيما بيننا وبين رب العالمين ، فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمر الله ، فقال لنا : إن ربكم يقول : إني أنا الله وحدي لا شريك لى ، كنتُ إذ لم يكن شيء ، وكل شيء هالك إلا وجهى ، وأنا خلقت كل شيء ، وإلى يصير كل شيء ، وإن رحمتى أدركتكم ، فبعثت إليكم هذا الرجل ، لأدلكم على السبيل التى بها أجيئكم بعد الموت من عذائى ، ولأحلكم دارى دار السلام ، فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق ، وقال : من تابكم على هذا ، فله مالكم وعليه ما عليكم ، ومن أبى فأعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم ، ومن أبى فقاتلوه ، فأنا الحكم بينكم ، فمن قُتِلَ منكم أدخلته جنتى ، ومن بقى منكم أعقبته النصر على من ناواه ، فاختر إن شئت الجزية عن يدٍ وأنت صاغر ، وإن شئت فالسيف ، أو تسلم فتتجى نفسك » .

فقال بزدجرد : أتستقبلانى بمثل هذا ؟ لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، لا شيء لكم عندى ، ثم قال : اتقونى بوقر^(١) من تراب ، فقال احمولوه على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٩٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٣)

(١) الوقور : الحمل الثقيل أو أعم .

١١٣ — مقال ربعي بن عامر عند رستم قائد جيش الفرس

وأرسل رستم قائد جيش الفرس ، إلى سعد بن أبي وقاص ، أن ابعث إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا ، فبعث إليه ربعي بن عامر ، فلما انتهى إليه قال له التَّزُجَّان (واسمه عبود من أهل الحيرة) ما جاء بكم ؟ قال :

« الله ابتعثنا ، والله جاء بنا ، لنُخرج من شاء من عبادة العباد ، إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لنُدعُوهم إليه ، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا ، ومن أبى قاتلناه أبداً ، حتى نُفِضَ إلى موعود الله ، قال وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقى . »

(تاريخ الطبري ٤ : ١٠٦ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٧)

١١٤ — خطبة المغيرة بن شعبه في حضرة رستم

وبعث إليه أيضاً المغيرة بن شعبه ، فتكلم بحضرته ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« إنَّ الله خالق كل شيء ورازقه ، فمن صنع شيئاً فإِنما هو يصنعه والذي له ، وأما الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك من الظهور على الأعداء ، والتمكن في البلاد ، وعِظَمُ السلطان في الدنيا ، فنحن نعرفه ، ولسنا ننكره ، فالله صنعه بكم ، ووضع فيكم وهو له دونكم ، وأما الذي ذكرت فينا من سوء الحال ، وضيق المعيشة ، واختلاف القلوب ، فنحن نعرفه ، ولسنا ننكره ، والله ابتلانا بذلك ، وصيرنا إليه ، والدنيا دُورٌ ، ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرخاء ، حتى يصيروا إليه ، ولم يزل أهل رخاؤها يتوقعون الشدائد ، حتى تنزل بهم ، ويصيروا إليها ، ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوى شكر ، كان

شكركم يَقْصُرُ عما أوتيتم ، وأسَلَمَكم ضعف الشكر إلى تغير الحال ، ولو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر ، كان عظيم ما تتابع علينا ، مستجلباً من الله رحمة يُرَفِّقَ بها عنا ، ولكن الشأن غير ما تذهبون إليه ، أو كنتم نعرفوننا به ، إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولاً ، ثم ذكر مثل الكلام الأول .

(تاريخ الطبري ٤ : ١٠٩ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٨)

١١٥ - خطبة المغيرة بن شعبة

لما اجتمعت جيوش المسلمين بِهَاوَنَد (سنة ٢١ هـ) وأميرهم النعمان بن مقرن المزني أرسل بُنْدَارَ الْعِلْجِ إليهم أن أرسلوا إلينا رجلاً نكلمه ، فأرسلوا إليه المغيرة بن شعبة ، فأدخل إليه وترجم له قوله :

« إنكم معشر العرب أبعد الناس من كل خير ، وأطول الناس جوعاً ، وأشق الناس شقاء ، وأقذر الناس قدراً ، وأبعد داراً ، وما مذهبنا أن آسر هؤلاء الأساورة ^(١) حولي أن ينتظموا بالنشأب إلا تنجسوا لجيفكم ، فإنكم أرجاس ، فإن تذهبوا نُحِلَّ عنكم ، وإن تابوا نُرِّكم مصارعكم » .

قال : فحمدت الله وأئذيت عليه فقلت : « والله ما أخطأت من صفتنا شيئاً ولا من نعمتنا . إن كنا لأبعد الناس داراً ، وأشد الناس جوعاً ، وأشق الناس شقاء ، وأبعد الناس من كل خير ، حتى بعث الله عز وجل إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم ، فوعدنا النصر في الدنيا والجنة في الآخرة ، فوالله ما زلنا نتمرف من ربنا منذ جاءنا رسوله بالفتح والنصر حتى أتيناكم ، وإنا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبداً حتى تغلبكم على ما في أيديكم ، أو نقتل بأرضكم » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٤)

(١) الأساورة : جمع أسوار ، والأسوار : بالضم والكسر قائد الفرس .

١١٦ - خطبة عمر

وغزا الأحنف بن قيس خراسان وحارب يزدجرد سنة ٢٢ هـ ثم أقبل أهل فارس على الأحنف فصالحوه وعاقدوه ودفعوا إليه خزائن يزدجرد وتراجعوا إلى بلادهم ، وبعث الأحنف بالخبر والغنائم إلى عمر بن الخطاب فجمع الناس وخطبهم فقال في خطبته :

« إن الله تبارك وتعالى ذكر رسوله صلى الله عليه وسلم وما بعثه به من الهدى ، ووعد على اتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة فقال : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) فالحمد لله الذي أنجز وعده ، ونصر جنده ، ألا إن الله قد أهلك مُلُكَ المجوسية وفرّق شملهم ، فليسوا يملكون من بلادهم شيئا يضر بمسلم ، ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون .

ألا وإنّ المصريين من مسالحها^(١) اليوم كأنتم والمِصْرَيْنِ فيما مضى من البعد ، وقد وَغَلُوا في البلاد ، والله بالغ أمره ومنجز وعده ، ومُتَّبِعَ آخر ذلك أوله ، فقوموا في أمره على رجل يوفّ لكم بعهده ، ويؤتكم وعده ، ولا تُبَدِّلُوا ولا تُغَيِّرُوا فيستبدل الله بكم غيره ، فإنّي لا أخاف على هذه الأمة أن تُتَوَيَّ إلا من قبلكم » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٢٦٧)

١١٧ - خطبة عثمان بن أبي العاص

ولما فتح عثمان بن أبي العاص إصطخرَ (سنة ٢٣ هـ) وجمع إليه ما أفاء الله على المسلمين خمسَه ، وبعثَ بالخمسة إلى عُمرَ ، وقسَمَ أربعة أخماس المَغْنَمِ في الناس ،

(١) المسالِح : جمع مسلحة ، وهي الثغر .

وعت الجند عن النهاب ، وأدّوا الأمانة ، واستدقوا^(١) الدنيا ، فجمعهم عثمان ثم قام
فيهم وقال :

« إن هذا الأمر لا يزال مقبلا ، ولا يزال أهله معافين مما يكرهون ما لم يَفْلُوا ،
فإذا غَلَوْا رأوا ما يُنكرون : ولم يسدّ الكثير مسدّ القليل اليوم » .

(تاريخ الطبري ٥ : ٣)

(١) رأوها دقيقة حقيرة .

في فتح الشام

١١٨ - بين الروم ومعاذ بن جبل

وبعث الروم إلى أبي عبيدة أن « أرسل إلينا رجلا من صلحائكم نسأله عما تريدون ، وما تسألون ، وما تدعون إليه ، ونخبره بذات أنفسنا ، وتدعوكم إلى حظكم إن قبلتم ، فأرسل إليهم أبو عبيدة معاذ بن جبل ، فاتاهم ، فقالوا للترجمان قل له :

« أخبرونا ما نطلبون ؟ وإلام تدعون إليه ؟ وما أدخلكم بلادنا ؟ وتركتم أرض الحبشة وليسوا منكم ببيعد ، وتركتم أرض فارس وقد هلك ملك فارس وهلك ابنه ، وإنما تملكهم اليوم النساء ونحن مديكنا حتى ، وجنودنا عظيمة كثيرة ، وإن اقتحمتم من مدائننا مدينة ، أو من قرانا قرية ، أو من حصوننا حصنا ، أو هزمت لنا عسكريا ، أظنتم أنكم قد ظفرتم بجماعتنا ؟ وأنكم قد قطعتم حربنا عنكم ؟ أو فرغتم من وراءنا منا ، ونحن عدد نجوم السماء وحصى الأرض ! وأخبرونا لم تستحلون قتالنا ، وأنتم تؤمنون بنبينا وكتابنا ؟ » .

فلما قالوا هذا القول وفسره الترجمان لمعاذ سكتوا ، فقال معاذ للترجمان : قد فرغوا ؟ قال له : نعم ، قال : فأفهمهم عني أن أول ما أنا ذا كر حمد الله الذي لا إله إلا هو ، والصلاة على محمد نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأن أول ما أدعوكم إلى الله أن تؤمنوا بالله وحده ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأن تصلوا صلاتنا وتستقبلوا قبلتنا ، وأن تستنوا بسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وتكسروا الصليب ، وتجتنبوا شرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير ، ثم أنتم منا ونحن منكم ، وأنتم إخواننا في ديننا ، لكم مالنا ، وعليكم ما علينا ، وإن

أبيتُم فأدُّوا الجزية إلينا في كل عام وأنتم صاغرون ، ونكف عنكم ، وإن أنتم أبيتُم هاتين الخصلتين فليس شيء مما خلق الله عزَّ وجلَّ نحن قابلوهُ منكم ، فابرزوا إلينا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، فهذا ما نأمركم به وما ندعوكم إليه .

وأما قولكم : « ما أدخلكم بلادنا وتركتم أرض الحبشة وليسوا منكم بعيد ، وتركتم أهل فارس ، وقد هلك ملكهم » فإنِّي أخبركم عن ذلك : ما بدأنا قتالكم لأنكم أقرب إلينا منهم ، وإنكم عندنا جميعاً بالسواء ، وما جاءنا كتابنا بالكف عنهم ، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل في كتابه على نبيِّنا صلى الله عليه وسلم فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) وكنتم أقرب إلينا منهم ، فبدأنا بكم لذلك ، وقد أتاكم طائفة منا وهم يقاتلونهم ، وأرجو أن يظفرهم الله ويفتح عليهم فينصر .

وأما قولكم : « إنَّ ملكنا حيٌّ ، وإنَّ جنودنا عظيمة ، وإنا عدد نجوم السماء وحصى الأرض » وثؤنسونا من الظهور عليكم فإنَّ الأمر في ذلك ليس إليكم ، وإنما الأمور كلها إلى الله ، وكل شيء في قبضته وقدرته ، وإذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، وإن يكن ملككم هرقل فإنَّ ملكنا الله عزَّ وجلَّ الذي خلقنا ، وأميرنا رجل منا ، إن عمل فينا بكتاب ديننا وسنة نبيِّنا صلى الله عليه وسلم أقرناه علينا ، وإن عمل بغير ذلك عزلناه عنَّا ، وإن هو سرق قطعنا يده ، وإن زنى جلدناه ، وإن شتم رجلاً منَّا شتمه كما شتمه ، وإن جرحه أفاده ^(١) من نفسه ، ولا يحتجب منا . ولا يتكبر علينا ، ولا يستأثر علينا في فيثنا الذي أفاده الله علينا وهو كرجل منا .

وأما قولكم : « جنودنا كثيرة » فإنها وإن عظمت وكثرت حتى تكون أكثر من نجوم السماء وحصى الأرض ، فإننا لا نثق بها ولا نتكل عليها ، ولا نرجو النصر على

(١) أنفسه .

عدونا بها ، ولكننا نتبرأ من الحول والقوة ، ونتوكل على الله عز وجل ، ونثق بربنا ، فكم من فئة قليلة قد أعزها الله ونصرها وأغناها ، وغلبت فئة كثيرة بإذن الله ، وكم من فئة كثيرة قد أذلها الله وأهانها ، قال تبارك وتعالى : « كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ » .

وأما قولكم « كيف تستحلون قتالنا وأنتم تؤمنون بنبينا وكتابتنا » فأنا أخبركم عن ذلك : نحن نؤمن بنبينا ونشهد أنه عبد من عبيد الله ، وأنه رسول من رسل الله ، وأن مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، ولا نقول إنه الله ، ولا نقول إنه ثاني اثنين ، ولا ثالث ثلاثة ، ولا إن الله والد ولا إن له صاحبة ولا ولدا ، ولا إن معه آلهة أخرى ، لا إله إلا هو ، تعالى عما يقولون علوا كبيرا ، وأنتم تقولون في عيسى قولا عظيما ، فلو أنكم قلتم في عيسى كما نقول ، وآمنتم بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم كما تجدونه في كتابكم ، وكما نؤمن نحن بنبينا ، وأقررتم بما جاء به من عند الله ، ووحدتم الله ، ما قاتلناكم ، بل كنا نسالكم ونواليكم ونقاتل معكم عدوكم » .

فلما فرغ معاذ من خطابه قالوا له : ما نرى بيننا وبينك إلا متباعدة ، وقد بقيت خصلة نحن نعرضها عليكم ، فإن قبلتموها منا فهو خير لكم ، وإن أبيتم فهو شر لكم . نعطيكم البلقاء وما إلى أرضكم من سواد الأردن ، وتنحوا عن بقية أرضنا وعن مدائننا ، ونكتب عليكم كتابا نسمى فيه خياركم وصلاحكم ، ونأخذ عهدكم ومواثيقكم على ألا تطلبوا من أرضنا غير ما صالحناكم عليه ، وعليكم بأهل فارس ققاتلهم ، ونحن معكم نعينكم عليهم حتى تقتلهم وتظهروا عليهم .

فقال معاذ : هذا الذي عرضتم علينا وتعطوناه كله في أيدينا ولو أعطيتهمونا جميع ما في أيديكم مما لم نظهر عليه ، ومنعتمونا خصلة من الخصال الثلاثة التي وصفت لكم ما فعلنا » .

فغضبوا عند ذلك وقالوا : نتقرب إليك وتتباعد عنا ؟ اذهب إلى أصحابك فوالله إنا لندرجو أن نفرقكم في الجبال غداً ، فقال معاذ : أما الجبال فلا ، ولكن والله لتقتلنا عن آخرنا ، أو لنخرجنكم من أرضكم أذلة وأنتم صاغرون » وانصرف معاذ .

١١٩ - بين أبي عبيدة ورسول الروم

وانصرف معاذ إلى أبي عبيدة فأخبره بما قالوا ، ثم أرسل الروم رسولا من قبلهم إلى أبي عبيدة فقال له : أنا أعرض عليكم أمراً لكم فيه حظ إن قبِلْتُمُوهُ : نحن نعطيكم دينارين دينارين وثوباً ثوباً ، ونعطيك أنت ألف دينار ، ونعطى الأمير الذى فوقك - يعنون عمر - ألفى دينار ، وتنصرفون عنا ، وإن شئتم أعطيناكم أرض البلقاء وما والى أرضكم من سواد الأردن ، وخرجتم من مدائننا وأرضنا وبلادنا ، وكتبنا فيما بيننا وبينكم كتاباً يستوثق فيه بعضنا من بعض بالآيمان المغلظة ليقومن به وليقين بما عاهد الله عليه .

فحمد الله أبو عبيدة وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« إن الله بعثَ فينا رسولا نبيا ، وأنزل عليه كتابا حكيماً ، وأمره أن يدعو الناس إلى عبادة ربهم رحمة منه للعالمين ، وقال لهم : إن الله إله واحد ، عزيز حكيم ، عليم مجيد ، وهو خالق كل شيء وليس كمثله شيء ، وأمرهم أن يوحدوا الله الذى لا إله إلا هو ، ولا يتخذوا له صاحبة ولا ولداً ، ولا يتخذوا معه آلهة أخرى ، وأن كل شيء يعبدُه الناس دونه فهو خلقه ، وأمرنا صلى الله عليه وسلم فقال : إذا أتيتم المشركين فادعهم إلى الإيمان بالله وبرسوله ، وبالإقرار بما جاء من عند الله عز وجل ، فمن آمن وصدق فهو أخوكم فى دينكم ، له ما لكم وعليه ما عليكم ، ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية حتى يؤدوها عن يديهم صاغرون ، فإن أبوا أن يؤمنوا أو يؤدوا الجزية

فأقتلوهم وأقتلوهم فإن قتلكم المحتسب بنفسه شهيد عند الله ، وهو في جنات النعيم ،
وقتل عدوكم في النار .

فإن قبلتم ما سمعتم مني فهو خير لكم ، وإن أبيتم ذلك فابرزوا إلينا حتى يحكم الله بيننا
وهو خير الحاكمين .

فقال الرومي : قد أبيتم إلا هذا ؟ فقال له أبو عبيدة : نعم ، فقال له الرومي : أما والله
على ذلك ، إنى لا تراكم تتمنون أنكم قبلتم منادون ما عرضنا عليكم .
(فتوح الشام ص ١٠٠)

١٢٠ — بين باهان وخالد بن الوليد

وبعث باهان أمير الروم إلى خالد بن الوليد أن القتي ، فأقبل إليه خالد ، فقال باهان :
إن شئت فتكلم ، وإن شئت بدأئك فتكلمت ، فقال له خالد : فتكلم ،
فقال باهان :

« الحمد لله الذي جعل نبينا أفضل الأنبياء ، ومليكنا أفضل الملوك ، وأمتنا خير الأمم ،
فلما بلغ هذا المكان ، قال خالد للترجمان : وقطع على صاحب الروم منطقه ثم قال :
« الحمد لله الذي جعلنا نؤمن بنبينا ونبينا ، وبجميع الأنبياء ، وجعل الأمير الذي وليناه
أمرنا رجلا كبعضنا ، فلو زعم أنه ملك علينا لعزلناه عنا ، ولسنا نرى أن له على رجل
من المسلمين فضلا ، إلا أن يكون أتقى منه عند الله وأبر » ، والحمد لله الذي جعل أمتنا
تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتقر بالذنب وتستغفر الله منه ، وتعبد الله وحده
لا تشرك به شيئا » قل الآن ما بدا لك .

فاصفر وجه باهان ومكث قليلا ، ثم قال : « الحمد لله الذي أبلانا فأحسن البلاء
عندنا ، وأغنانا من الفقر ، ونصرنا على الأمم ، وأعزنا فلا نذل ، ومنعنا من الضيم ،
فلا يباح حرينا ، ولسنا فيما أعزنا الله به وأعطانا من ديننا بيطرين ولا مريحين ولا

باغين على الناس ، وقد كانت لنا منكم يا معشر العرب جيران كُفًا نحسين جِوارهم ،
وَنُعْظِمَ قَدْرهم ، وَنُفْضِلَ عَلَيْهِم ، وَنَفِي لَهُم بِالْعَهْد ، وَخَيْرُناهم بِبِلادنا ، يَنْزِلُون منها حيث
شاءوا ، فيَنْزِلُون آمِنين ، وَيَرْحَلُون آمِنين ، وَكُنَّا نَرى أَنَّ جَمِيعَ الْعَرَبِ مِنْ لَاجِبِائِنا
سَيَشْكُرُ لَنَا ذَلِكَ الَّذِي أَتَيْنَا إِلَى إِخْوَانِهِمْ ، وَمَا اصْطَنَعْنَا عَنْدهُمْ ، فَلَمْ يَرْغُبْنا مِنْكُمْ
إِلَّا وَقَدْ فَاجَأْتُمُونَا بِالْخَيْلِ وَالرِّجَالِ ، تَقَاتِلُونَنَا عَلَى حُصُونِنا ، وَتُرِيدُونَ أَنْ تَغْلِبُونَا عَلَى
بِلادنا ، وَقَدْ طَلَبَ هَذَا مِنْ قَبْلِكُمْ مَنْ كَانَ أَكْثَرَ مِنْكُمْ عِدْداً ، وَأَعْظَمَ مَكِيدَةً ،
وَأَوْفَى جُنْداً ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُمْ عَنْهَا ، فَلَمْ يَرْجِعُوا عَنَّا إِلَّا وَهُمْ بَيْنَ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ ، وَأَرَادَ ذَلِكَ
مِنَّا فَارِسٌ ، فَقَدْ بَلَغَكُمْ كَيْفَ صَنَعَ اللَّهُ عَزَّ جَلَّ بِهِمْ ، وَأَرَادَ ذَلِكَ مِنَّا التَّرِكَ فَلَقِينَاهُمْ
بَأَشَدِّ مِمَّا لَقِينَا بِهِ فَارِسٌ ، وَأَرَادَنَا غَيْرَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مِنْ ذَوِي الْمُنْعَةِ وَالْعِزِّ
وَالْجُنُودِ الْعَظِيمَةِ ، فَكَلَّمَهُمْ أَظْفَرْنَا اللَّهُ بِهِمْ ، وَصَنَعَ لَنَا عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ تَكُنْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ
بَارِقَةً عِنْدَنَا مِنْكُمْ شَأْنًا ، وَلَا أَصْغَرَ أخطاراً^(١) إِنَّمَا جَلَّكُمْ رِيعَاءُ الشَّاءِ وَالْإِبِلِ ،
وَأَهْلُ الصَّخْرِ وَالْحَجَرِ وَالْبُؤْسِ وَالشَّقَاءِ ، فَأَنْتُمْ تَطْمَعُونَ أَنْ نَجْلِيَ لَكُمْ عَنْ بِلادنا ؟ بئسَ
مَاطِعَتُمْ فِيهِ مِنَّا ، وَقَدْ ظَنَّنَا أَنَّهُ لَمْ يَأْتْ بِكُمْ إِلَى بِلادنا - وَنَحْنُ يَتَّقِي كُلٌّ مِنْ حَوْلِنَا مِنَ الْأُمَمِ
الْعَظِيمَةِ الشَّأْنَ الْكَثِيرَةَ الْعِدْدِ ، مَعَ كَثَرَتِنَا وَشِدَّةِ شَوْكَتِنَا - إِلَّا جَهْدُ نَزْلِ بِكُمْ مِنْ جَدُوبَةِ
الْأَرْضِ وَقِحَطِ الْمَطَرِ ، وَعِثْتُمْ فِي بِلادنا وَأَفْسَدْتُمْ كُلَّ الْفَسَادِ ، وَقَدْ رَكِبْتُمْ مَرَاكِبِنَا ، وَلَيْسَتْ
كُمْرَا كِبِكُمْ ، وَلِبَسَمِ ثِيَابِنَا وَلَيْسَتْ كَثِيَابِكُمْ ، وَثِيَابُ الرُّومِ الْبَيْضُ كَأَنَّهَا صَفَائِحُ الْفُضَّةِ ،
وَطَعْمَتُمْ مِنْ طَعَامِنَا وَلَيْسَ كَطَعَامِكُمْ ، وَأَصْبَتُمْ مِنَّا وَمَلَأْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنَ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ وَالْفُضَّةِ
الْبَيْضَاءِ وَالْمَتَاعِ الْفَاخِرِ ، وَقَدْ لَقِينَاكُمْ الْآنَ وَذَلِكَ كُلُّهُ لَنَا ، فَهُوَ فِي أَيْدِيكُمْ ، فَنَحْنُ نَسْلَمُهُ
لَكُمْ فَاخْرَجُوا بِهِ وَانصَرَفُوا عَنْ بِلادنا ، فَإِنْ أَبَتْ أَنْفُسُكُمْ إِلَّا أَنْ تَحْرُسُوا وَتَشْرَهُوا ،
وَأَرَدْتُمْ أَنْ نَزِيدَكُمْ مِنْ بَيْوتِ أَمْوَالِنَا مَا يَقْوِي بِهِ الضَّعِيفُ مِنْكُمْ ، وَيَرى الْغَائِبُ أَنَّ قَدْ

رجع إلى أهله بخير ، فعلنا ، ونأمر للأمير منكم بعشرة آلاف دينار ، ونأمر لك بمثلها ،
ونأمر لرؤسائكم بألف دينار ألف دينار ، ونأمر لجميع أصحابك بمائة دينار مائة دينار ،
على أن توثقوا لنا بالأيمان المغلظة ألا تعودوا إلى بلادنا ٥ ثم سكت .

١٢١ — جواب خالد

فقال خالد رحمه الله : الحمد لله الذى لا إله إلا هو ، فلما فسر له الترجمان قوله : الحمد لله
الذى لا إله إلا هو رفع يده إلى السماء ، ثم قال لخالد نعم ما قلت ، ثم قال خالد : وأشهد
أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فسر له الترجمان قال باهان : الله أعلم ،
ما أدري ، لعله كما تقول ، فأخبر خالد الترجمان . ثم قال خالد رحمه الله :

« أما بعد : فإن كل ما ذكرت به قومك من الغنى والعز ومنع الحريم والظهور
على الأعداء ، والتمكن فى البلاد ، فنحن به عارفون ، وكل ما ذكرت من إنعامكم
على جيرانكم منا ، فقد عرفناه ، وذلك لأمر كنتم تصلحون به دنياكم ، وإصلاحكم
كان إليهم وإحسانكم إليهم ، كان ذلك زيادة فى ملككم وعزا لكم ، ألا ترون أن
نلتهم أو شطروهم دخلوا معكم فى دينكم فهم يقاتلوننا معكم ؟ »

وأما ما ذكرتنا به من رعى الإبل والغنم ، فما أقل من رأيت واحداً منايكرهه ، ومالم
يكن يكرهه منا فضل على من يفعله ، وأما قولكم : إنا أهل الصخر والحجر والبؤس
والشقاء ، فخالنا والله كما وصفته ، ما ننطفى من ذلك ولا نتبرأ منه ، وكنا على أسوأ
وأشد مما ذكرت ، وسأقص عليك قصتنا ، وأعرض عليك أمرنا ، وأدعوك إلى حظك
إن قبلت ، ألا إنا كنا معشر العرب أمة من هذه الأمم ، أنزلنا الله — وله الحمد —
منزلاً من الأرض . ليست به أنهار جارية ، ولا يكون به من الزرع إلا القليل ، وكل
أرضنا المهامة^(١) والقفار ، فكنا أهل حجر ومدار^(٢) وشاء وبعير ، وعيش شديد ، وبلاء

(١) جمع مهمه : القفر . (٢) المدر : قطع الطين اليابس .

دائم لازم ، نقطع أرحامنا ونقتل خشية الإملاق أولادنا ، ويأكل قويتنا ضعيفنا ، وكثيرنا قليلنا ، ولا تأمن قبيلة منا قبيلة إلا أربعة أشهر من السنة^(١) ، نعبد من دون الله أربابا وأصناما ، ننحتها بأيدينا من الحجارة التي نختارها على أعيننا ، وهي لا تنفع ولا تنفع ، ونحن عليها مُكِبُونَ ، فبينما نحن كذلك على شفا^(٢) حفرة من النار ، من مات من مات مشركا ، وصار إلى النار ، ومن بقى من بقى كافراً مشركاً بربه ، قاطعاً لرحمه ، إذ بعث الله فينا رسولا من صميمنا وشرقاتنا وخيارنا وكرماننا وأفضلنا ، دعانا إلى الله وحده أن نعبد ولا نشرك به شيئا ، وأن نخلع الأنداد التي يعبدونها المشركون دونه ، وقال لنا لا تتخذوا من دون الله ربكم إلهاً ولا ولياً ولا نصيراً ، ولا تجعلوا معه صاحبة ولا ولداً ولا تعبدوا من دونه ناراً ولا حجراً ، ولا شمساً ولا قرراً ، واكتفوا به رباً وإلهاً من كل شيء دونه ، وكونوا أوليائه ، وإليه فادعوا ، وإليه فارغبوا ، وقال لنا : قاتلوا من اتخذ مع الله آلهة أخرى ، وكل من زعم أن الله ولداً وأنه ثانی اثنين أو ثالث ثلاثة حتى يقولوا لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويدخلوا في الإسلام ، فإن فعلوا حرمت عليكم دماؤهم وأموالهم وأعراضهم إلا بحقها ، وهم إخوانكم في الدين ، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ، فإن هم أبوا أن يدخلوا في دينكم وأقاموا على دينهم فاعرضوا عليهم الجزية أن يؤدوها عن يديهم صاغرون ، فإن هم فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم ، وإن أبوا فقاتلوهم فإنه من قتل منكم كان شهيدا حياً عند الله مرزوقاً ، وأدخله الله الجنة ، ومن قتل من عدوكم قتل كافراً ، وصار إلى النار مخلداً فيها أبداً ، ثم قال خالد :

وهذا والله الذي لا إله إلا هو أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فعملنا وأمرنا به أن ندعو الناس إليه ونحن ندعوكم إلى ما دعانا إليه نبيتنا صلى الله عليه وسلم ، وإلى ما أمرنا به أن ندعو إليه الناس ، فندعوكم إلى الإسلام ، وإلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وإلى أن تقيموا الصلاة ، وتؤتوا الزكاة ، وتقرؤوا بما جاء من عند الله

عز وجل ، فإن فعلتم فأنتم إخواننا في الإسلام ، لكم مالنا ، وعليكم ما علينا ، وإن أبيتم فإننا نفرض عليكم أن تعملوا الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون ، فإن فعلتم قبلنا منكم وكففتنا عنكم ، وإن أبيتم أن تفعلوا فقد والله جاءكم قومٌ هم أحصر على الموت منكم على الحياة ، فأخرجوا بنا على اسم الله حتى نحاكمكم إلى الله ، فإنما الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » ثم سكت خالد .

فقال باهان : أما أن ندخل في دينكم فما أبعد من ترى من الناس من أن يترك دينه^١ ويدخل في دينكم ، وأما أن تؤدّي الجزية — فتفتنّ الصّعداء^(١) وثقلت عليه وعظمت عنده — فقال : سيموت من ترى جميعاً قبل أن يؤدّوا الجزية إلى أحد من الناس ، وهم يأخذون الجزية ولا يعطونها ، وأما قولك : فأخرجوا حتى يحكمكم الله بيننا ، فلمعمرى ما جاءك هؤلاء القوم وهذه الجوع إلا ليحكموك إلى الله ، وأما قولك : إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده فصدقت ، والله ما كانت هذه الأرض التي نقاتلكم عليها وتقاتلوننا فيها ، إلا لأمة من الأمم كانوا قبلنا فيها ، فقاتلناهم عليها فأخرجناهم منها ، وقد كانت قبل ذلك لقوم آخرين فأخرجهم منها هؤلاء الذين كُفينا قاتلناهم عنها ، فأبرزوا على اسم الله فإنّا خارجون إليكم » .
(فتوح الشام ص : ١٧٩)

١٢٢ — خطبة عمرو بن العاص

وما نقض أهل الأردنّ العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين ، قام عمرو بن العاص ، وجمع إليه من كان قبله من المسلمين :

فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أما بعد فقد برئت ذمة الله من رجل من أهل عهدنا من أهل الأردنّ قدِمَ

(١) النفس الطويل .

على رجل من أهل إيليا ، أو كان عنده لم يأتنا به ، ولم يرفعه إلينا ، ألا ولا يَنْبَغِينَ رجل من أهل عهدنا إلا تَهَيَّأ واستعد ، حتى يسير معي إلى أهل إيليا ، فإنني أريد المسير إليهم ، والنزولَ بساحتهم ، ثم لا أزيِّلُهُمْ حتى أقتل مقاتلتهم ، وأُسبِي ذراريهم ، أو يؤدُّوا الجزية عن يَدِي وهم صاغرون .

(فتوح الشام ص ١٤٦)

١٢٣ - خطبة عمر

ولما حصر أبو عبيدة أهل إيليا ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحربه سأله الصلح على أن يكون عمر هو الذي يعطيهم العهد ، ويكتب لهم الأمان ، فأقبل عمر إلى الشام حتى انتهى إلى الجابية فقام في الناس فقال :

« الحمد لله الحميد المستحمد الحميد ، الدافع الغفور الودود ، الذي من أراد أن يهديه من عباده اهتدى ، ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا .

أما بعد - فإنني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن خيار أمتي الذين يلونكم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يفتشوا الكذب حتى يشهد الرجل على الشهادة ولم يُسَدِّدْ عليها ، وحتى يحلف على اليمين ولم يُسألها ، فمن أراد بَحْبُوحَةَ^(١) الجنة فليأزم الجماعة ، ولا يبالى الله شدوذاً من شد ، ألا لا يخلون رجل منكم بامرأة إلا أن يكون لها محرماً فإن ثالثهما الشيطان .

(فتوح الشام ص ٢٢٦)

١٢٤ - خطبة عمر

ولما كان عمر رضي الله عنه بالشام ، قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« يَا أَهْلَ الْإِسْلَامَ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَقَكُمْ الْوَعْدَ ، وَنَصَرَكُمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَوَرَّثَكُمْ
الْبِلَادَ ، وَمَكَّنَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ ، فَلَا يَكُنْ جِزَاءُ رَبِّكُمْ إِلَّا الشُّكْرُ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْعَمَلَ
بِالْمَعَادِ ، فَإِنَّ الْعَمَلَ بِالْمَعَادِ كُفْرٌ لِلنَّعَمِ ، وَقَلَامًا كَفَرُ قَوْمٌ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
ثُمَّ لَمْ يَفْزَعُوا إِلَى التَّوْبَةِ ، إِلَّا سُلِبُوا عِزُّهُمْ ، وَسُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ » ثُمَّ نَزَلَ .
(فتوح الشام ص ٢٣١)

١٢٥ — خطبة لعمر

وَقَفَّ عَمْرٌ مِنَ الشَّامِ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ١٧ هـ ، وَخَطَبَ حِينَ أَرَادَ الْقَوْلَ
حَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ :

« أَلَا إِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ ، وَقَضَيْتُ الَّذِي عَلَى الَّذِي وَلَانِي اللَّهُ مِنْ أَمْرِكُمْ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَسَطَنَّا^(١) بَيْنَكُمْ فَيْثُكُمْ وَمَنَازِلَكُمْ وَمَغَازِيَكُمْ ، وَأَبْلَغْنَا مَا لَدَيْكُمْ ،
خَفَضْنَا لَكُمْ الْجُنُودَ ، وَهَيَّأْنَا لَكُمْ الْفُرُوجَ^(٢) ، وَبَوَّأْنَاكُمْ وَوَسَّعْنَا عَلَيْكُمْ مَا بَلَغَ
فَيْثُكُمْ ، وَمَا قَاتَلْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ شَأْمِكُمْ ، وَسَمِينَا لَكُمْ أَطْمَاعَكُمْ ، وَأَمَرْنَا لَكُمْ
بِإِعْطَائِكُمْ أَرْزَاقَكُمْ وَمَعَاوِنَكُمْ ، فَمَنْ عِلِمَ شَيْءٌ يَنْبَغِي الْعَمَلَ بِهِ فَبَلَّغْنَا نَعْمَلُ بِهِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ »
(تاريخ الطبري ٤ - ٢٠٤)

١٢٦ — خطبة عمر

وَلَمَّا رَجَعَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، اسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يَهْنُتُونَ بِالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ ،
فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْمَنْبَرِ ، ثُمَّ
صَعِدَ الْمَنْبَرَ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، فَقَامَ :

فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « أَيُّهَا النَّاسُ ،
إِنَّ اللَّهَ قَدْ اصْطَنَعَ عِنْدَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ يَحْمَدُوهُ وَيُشْكِرُوهُ ، وَقَدْ أَعَزَّ دَعْوَتَهَا ، وَجَمَعَ كَلِمَتَهَا ،
وَأَظْهَرَ فَلَجَهَا ^(١) ، وَنَصَرَهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَشَرَّفَهَا وَمَكَّنَ لَهَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَوْرَثَهَا
بِلَادَ الْمُشْرِكِينَ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، فَأَحْدِثُوا لِلَّهِ شُكْرًا يَزِيدَكُمْ ، وَاحْمَدُوهُ عَلَى نِعْمِهِ عَلَيْكُمْ
يُدِيمُهَا لَكُمْ ، جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الشَّاكِرِينَ » ثم نزل . (فتوح الشام ص ٢٢٩)

١٢٧ - وصية أبي عبيدة المسلمين

وقد أصابه طاعون عمواس

وكان طاعون عمواس قد عمَّ أهل الشام (سنة ١٨ هـ) ومات فيه بشرٌ كثير ،
ومات فيه أبو عبيدة رحمه الله .

ولما طعن أبو عبيدة وهو بالأردن ، دعا المسلمين ، فلمَّا دخلوا عليه قال :

« إِنِّي أَوْصِيكُمْ بِوَصِيَّةٍ إِنْ قَبِلْتُمُوهَا لَمْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا بَقِيتُمْ ، وَبَعْدَ مَا تَهْلِكُونَ ،
أَفِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ، وَصُومُوا وَتَصَدَّقُوا ، وَحُجُّوا وَاعْتَمِرُوا ، وَتَوَاصَلُوا وَتَحَابُّوا
وَاصْدُقُوا أُمَرَاءَكُمْ وَلَا تَفْشَوْهُمْ ، وَلَا تُلْهِكُمْ الدُّنْيَا ، فَإِنْ أَمْرًا لَوْ عُمِرَ أَلْفَ حَوْلٍ مَا كَانَ
لَهُ بَدٌّ مِنْ أَنْ يَصِيرَ إِلَى مُضَرٍّ هَذَا الَّذِي تَرَوْنَ ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ لِلْمَوْتِ عَلَى بَنِي آدَمَ
فَهُمْ مَيِّتُونَ ، وَأَكْرَمُهُمْ مِنْهُمْ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ ، وَأَعْلَمُهُمْ لِيَوْمِ مَعَادِهِ » ثم قال : يَا مَعَاذُ صَلِّ
بِالنَّاسِ ، فَصَلَّى مَعَاذَ النَّاسِ ، وَمَاتَ أَبُو عُبَيْدَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ . (فتوح الشام ص : ٢٤٠)

(١) الفلج : الفوز والظفر .

١٢٨ — خطبة معاذ بن جبل عند موت أبي عبيدة

فقام معاذ بن جبل في الناس فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ تَوْبَةً ، فَإِنَّ عَبْدًا أَنْ يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَائِبًا مِنْ ذَنْبِهِ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ذُنُوبَهُ ، وَمَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَلْيَقْضِهِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ مَرَّتَيْنِ بَدِينَهُ ، وَمَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مَصَارِمًا^(١) مُسْلِمًا فَلْيَلِيقْهُ وَلْيَصَالِحْهُ إِذَا لَقِيَهُ وَلْيَصَالِحْهُ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَالذَّنْبُ فِي ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ ، وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ قَدْ فَجَعْتُمْ بِرَجُلٍ وَاللَّهُ مَا أَرْعَمَ أَنْيَ رَأَيْتَ مِنْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَطُّ أَقْلَ غَمْرًا^(٢) ، وَلَا أَبْرَ صَدْرًا ، وَلَا أَبْعَدَ مِنَ الْغَائِلَةِ^(٣) ، وَلَا أَنْصَحَ لِلْعَامَةِ ، وَلَا أَشَدَّ عَلَيْهِمْ تَحَنُّنًا وَشَفَقَةً مِنْهُ ، فَتَرْتَحِمُوا عَلَيْهِ ثُمَّ احْضَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقْدُمُ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَاللَّهُ لَا يَلِي عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ مِثْلُهُ أَبَدًا » .

فاجتمع النَّاسُ ، وَأَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدَةَ ، وَتَقَدَّمَ مَعَاذٌ فَصَلَّى عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا أَنْيَ بِهِ قَبْرَهُ ، دَخَلَ قَبْرَهُ مَعَاذٌ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَالضُّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ ، فَلَمَّا وَضَعُوهُ فِي قَبْرِهِ وَخَرَجُوا مِنْهُ فَسَفَّوْا عَلَيْهِ التُّرَابَ ، قَالَ مَعَاذُ :

١٢٩ — رثاء معاذ بن جبل لأبي عبيدة

« رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ ، فَوَاللَّهِ لِأَتْنِينَ عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتَ ، وَاللَّهُ لَا أَقُولُ بِاطْلَا ، أَخَافُ أَنْ يَلْحَقَنِي مِنَ اللَّهِ مَقَتٌ ، كُنْتُ وَاللَّهُ — مَا عَلِمْتُ — مِنَ الْذَاكِرِينَ لِلَّهِ كَثِيرًا ، وَمِنَ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ، وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ، وَمِنْ

الذين يبیتون لرَبِّهم سُجَّدًا وقِياما ، ومن الذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يَقترُّوا ، وكان بين ذلك قَواما ، وكنتَ والله — ما علمتُ — من الخَبَتَيْنِ المتواضعين ، ومن الذين يرحمون اليتيم والمسكين ، ويُبغضون الجفافة والمتكبرين .

ولم يكن أحدٌ من الناس كان أشدَّ جزعا على فقد أبي عبيدة وعلى موته ولا أطول حُزنا عليه من معاذ بن جبل .
(فتوح الشام ص : ٢٤٢)

١٣٠ — ابن العاص ومعاذ والطاعون

وصلى معاذ بالناس أياما ، واشتد الطاعون ، وكثر الموت في الناس ، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص قال : أيها الناس ، إن هذا الطاعون هو الرِّجْز الذي عَذَّب الله به بني إسرائيل مع الطُّوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم ، وأمر الناس بالفرار منه ، فأخبر معاذ بقول عمرو ، فقال : ما أَرَادَ إلى ما يقول مالا علم له به ، ثم جاء معاذ حتى صعد المنبر .

فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذكر الوباء فقال : ليس كما قال عمرو ولكنه رحمة بكم . ودعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم ، اللهم أعطِ معاذًا وآل معاذ منه النصيب الأوفر .

١٣١ — وصية لمعاذ بن جبل

ثم صلى ورجع إلى منزله ، فإذا هو بابنه عبد الرحمن قد طعن ، فلم يلبث إلا قليلا حتى مات يرحمه الله ، وصلى عليه معاذ ثم دفنه ، فلما رجع معاذ إلى منزله طعن ، فاشتدَّ به وجعه ، وجعل أصحابه يَحْتَلِفُونَ إليه ، فإذا أتاه أصحابه أقبل عليهم فقال لهم :

« اَعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي مُهَلَّةٍ وَحَيَاةٍ ، وَفِي بَقِيَّةٍ مِنْ أَجَالِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْتَوُوا الْعَمَلَ فَلَا تَجِدُوا إِلَيْهِ سَبِيلًا . وَأَنْفَقُوا مَا عِنْدَكُمْ لِمَا عَدَّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَهْلِكُوا وَتَدْعُوا ذَلِكَ كَلِمَةً مِيرَاثًا لِمَنْ بَعْدَكُمْ ، وَاعْمَلُوا أَنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ إِلَّا مَا أَكَلْتُمْ وَشَرَبْتُمْ وَلَبِستُمْ وَأَنْفَقْتُمْ وَأَعْطَيْتُمْ فَأَمْضَيْتُمْ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَلِلْوَارِثِينَ . » (فتوح الشام ص ٢٤٣)

١٣٢ — وصية لمعاذ بن جبل أيضا

وَأَتَاهُ رَجُلٌ فِي مَرَضِهِ فَقَالَ : يَا مُعَاذُ عَلِمْتُ شَيْئًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ قَبْلَ أَنْ تُفَارِقَنِي ، فَلَا أُرَاكَ وَلَا تَرَانِي ، وَلَا أَجِدُ مِنْكَ خَلْفًا ، ثُمَّ لَعَلِّي أَنْ أُحْتَاجَ إِلَى سُؤَالِ النَّاسِ عَمَّا يَنْفَعُنِي بَعْدَكَ ، فَلَا أَجِدُ فِيهِمْ مِثْلَكَ ، فَقَالَ مُعَاذٌ : كَلَّا إِنَّ صَلَاحَاءَ الْمُسْلِمِينَ — وَالْحَمْدُ لِلَّهِ — كَثِيرٌ ، وَلَنْ يُضَيِّعَ اللَّهُ أَهْلَ هَذَا الدِّينِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :

« خُذْ عَنِّي مَا أَمْرُكَ ، كُنْ مِنَ الصَّائِمِينَ بِالنَّهَارِ ، وَمِنَ الْمُصَلِّينَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، وَمِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ، وَمِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ كَثِيرًا ، وَلَا تَشْرَبِ الْخَمْرَ ، وَلَا تَزْنِ ، وَلَا تَقُوتْ وَالِدَيْكَ ، وَلَا تَأْكُلْ مَالَ الْيَتِيمِ ، وَلَا تَفِرْ مِنَ الزَّحْفِ ، وَلَا تَأْكُلْ الرِّبَا ، وَلَا تَدْعَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ ، وَلَا تُضَيِّعَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ ، وَصِلْ رَحِمَكَ وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ، وَلَا تَظْلِمُ مُسْلِمًا ، وَحُجَّ وَاعْتَمِرْ وَجَاهِدْ ، ثُمَّ أَنَا لَكَ زَعِيمٌ بِالْجَنَّةِ . » (فتوح الشام ص ٢٤٤)

وَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَقَدْ اسْتُخْلِفَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ فَصَلَّى عَلَيْهِ عُمَرُ .

فَلَمَّا دَفَنَهُ قَالَ :

« رَحِمَكَ اللَّهُ يَا مُعَاذُ ، فَقَدْ كُنْتَ — مَا عَلِمْنَاكَ — مِنْ نَصَحَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَمِنْ خِيَارِهِمْ وَأَعْلَامِهِمْ ، ثُمَّ كُنْتَ مُؤَدِّبًا لِلْجَاهِلِ ، شَدِيدًا عَلَى الْفَاجِرِ ، رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَا يُسْتَخْلَفُ مِنْ بَعْدِكَ مِثْلَكَ . » (فتوح الشام ص ٢٤٥)

ولما انتهى إلى عمر رضى الله عنه هلاك أبي عبيدة وهلاك معاذ فرق عماله على كور الشام ، فبعث عبد الله ابن قرط على حمص ثم عزله وولى عبادة بن الصامت الأنصارى ، واستعمل على دمشق أبى الدرداء الأنصارى وكتب إلى يزيد بن أبى سفيان أن يسير إلى قيسارية .

١٣٣ - خطبة عبادة بن الصامت

فلما قدم عبادة على أهل حمص قام في الناس خطيبا .

فحمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أما بعد ، ألا إن الدنيا عَرَضٌ حَاضِرٌ ، يَا كُلُّ مَنْهُ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ ، أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ وَعَدٌّ صَادِقٌ يَحْكُمُ فِيهِ مَلِكٌ قَادِرٌ ، أَلَا وَإِنَّكُمْ مَعْرُوضُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ ، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ، أَلَا وَإِنَّ لِلدُّنْيَا بَيْنَيْنِ وَلِلْآخِرَةِ بَيْنَيْنِ ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ كُلَّ أَمْرٍ يَتَّبِعُهَا بَنُوهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .
(فتوح الشام ص ٢٤٨)

١٣٤ - خطبة شداد بن أوس

ثم قال لشداد بن أوس قم يا شداد فعض الناس وكان شداد مغوها ، قد أعطى لساناً وحكمة وفضلاً وبياناً ، فقام شداد فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أما بعد ، أَيُّهَا النَّاسُ رَاجِعُوا كِتَابَ اللَّهِ وَإِنْ تَرَكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَإِنَّكُمْ لَمْ تَرَوْا مِنْ الْخَيْرِ إِلَّا أَسْبَابَهُ ، وَلَا مِنْ الشَّرِّ إِلَّا أَسْبَابَهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ جَمَعَ الْخَيْرَ كُلَّهُ بِحَذَائِفِرِهِ فَجَعَلَهُ فِي الْجَنَّةِ ، وَجَمَعَ الشَّرَّ بِحَذَائِفِرِهِ فَجَعَلَهُ فِي النَّارِ ، أَلَا وَإِنَّ الْجَنَّةَ وَغَرَّةَ حَزْنَةٍ ، أَلَا وَإِنَّ النَّارَ سَهْلَةً لَيِّنَةً ، أَلَا وَإِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْكُرَّةِ وَالصَّبْرِ ، أَلَا وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ

بالموى والشهوة ، ألا فن كشف حجاب الكثرة والصبر أشقى على الجنة ، ومن أشقى على الجنة كان من أهلها ، ألا ومن كشف حجاب الموى والشهوة أشقى على النار ، وكان من أهلها ، فاعملوا بالحق تنزلوا منازل أهل الحق يوم لا يُقضى إلا بالحق .

(فتوح الشام ص ٢٤٩)

١٣٥ - خطبة أبي الدرداء

وقام أبو الدرداء في أهل دمشق خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أما بعد ، يا أهل دمشق اسمعوا مقالة أخ لكم ناصح ، فما بالكم تجمعون مالا تأكلون ، وتبنون مالا تسكنون ، وتأملون مالا تدركون ؟ وقد كان من كان قبلكم جمعوا كثيراً ، وبنوا شديداً ، وأملوا بعيداً ، وماتوا قريباً ، فأصبحت أعمالهم بُوراً ، ومساكنهم قبوراً ، وأملهم غُروراً ، ألا وإن عاداً وحموداً كانوا قد مَلَّثُوا ما بين بصرى وعدن أموالاً وأولاداً ونعماً ، فمن يشتري منى ما تركوا بدرهمين ؟ » .

(فتوح الشام ص ٢٥٠)

١٣٦ - خطبة يزيد بن أبي سفيان

وسار يزيد بن أبي سفيان إلى قيسارية فقام في جنده فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أما بعد : فإن كتاب أمير المؤمنين عمر المبارك الفاروق أتانى يَحْتَنِي على المسير إلى قيسارية ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، وأن يدخلوا فيما دخل فيه أهل الكور من

أهل الشام ، فيؤذوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ، فإن أبوا نزلت عليهم فلم أزالهم
حتى أقتل مقاتلتهم وأسبى ذراريهم ، فسيروا ، رحمكم الله ، إليهم فإنى أرجو أن يجمع الله لكم
الغنيمة في الدنيا والآخرة .
(فتوح الشام ص ٢٥١)

١٣٧ - وصية العباس بن عبد المطلب (المتوفى سنة ٣٢ هـ)

لابنه عبد الله

قال عبد الله بن عباس : قال لى أبى :

يا بُنَيَّ ، إني أرى أمير المؤمنين - يعنى عمر بن الخطاب - قد اختصك دون من ترى
من المهاجرين والأنصار ، وإني موصيك بخلال أربع : لا يجربنَّ عليك كذباً ،
ولا تغتابنَّ عنده مسلماً ، ولا تُفشينَّ له ميراً ، ولا تطوعنه نصيحة ، قال : فقلت يا أبة .
كلّ واحدة منها خير من ألف ، فقال : كلّ واحدة منها خير من عشرة آلاف .

(تهذيب الكمال ١ : ١٥ والعقد الفريد ١ : ١١)

١٣٨ - وصية عمر للخليفة من بعده

وأوصى عمر الخليفة من بعده ، فقال :

« أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً ، أن تعرف
لهم سابقتهم ، وأوصيك بالأنصار خيراً ، فأقبل من محسنهم ، وتجاوز عن مسيئهم ،
وأوصيك بأهل الأمصار خيراً ، فإنهم رذء العدو ، وجبأة الفئء ، لا تحمل فيهم ، إلا عن
فضل منهم ، وأوصيك بأهل البادية خيراً ، فإنهم أصل العرب ، ومادة الإسلام ، أن
تأخذ من حواشى أموال أغنيائهم ، فتزد على فقرائهم ، وأوصيك بأهل الذمة خيراً ، أن

تقاتل من ورأيهم ، ولا تكلفهم فوق طاقتهم ، إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً ، أو عن
يدٍ وهم صاغرون ، وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ، وخافة مقتته ، أن يطالع منك
على ريبة ، وأوصيك أن تحشى الله في الناس ، وتحشى الناس في الله ، وأوصيك بالعدل
في الرعية ، والتفرغ لحوائجهم وشفورهم ، ولا تؤثر غنيمهم على فقيرهم ، فإن ذلك ياذن الله
سلامة لقلبك ، وحطّ لوزرك ، وخير في عاقبة أمرك ، حتى تُفَضِّلَ من ذلك إلى من
يعرف سريرتك ، ويحول بينك وبين قلبك ، وأمرك أن تشد في أمر الله ، وفي حدوده
ومعاصيه ، على قريب الناس وبعيدهم ، ثم لا تأخذك في أحد رافة حتى تنتهك منه ،
مثل ما انتهك من حرمة الله ، واجعل الناس عندك سواء ، لا تبالي على من وجب الحق ، ثم
لا تأخذك في الله لومة لائم ، وإياك والآخرة والحياة فيما ولّك الله ، مما آفاه الله على المؤمنين ،
فتجور وتظلم ، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك ، وقد أصبحت بمنزلة من منازل
الدنيا والآخرة ، وأنت إلى الآخرة جدّ قريب فإن اقترفت لذنباك عدلاً وعفة عما بسط الله لك ،
اقترفت به إيماناً ورضواناً ، وإن غلبك الهوى ، اقترفت به سخط الله ، وأوصيك ألا ترخص
لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة ، وقد أوصيتك وحضنتك ونصحتك ، فابتغ بذلك
وجه الله والدار الآخرة ، واخترت من دلائلك ما كنت دالاً عليه نفسي وولدي ، فإن
عملت بالذي وعظمتك ، وانتهيت إلى الذي أمرتك ، أخذت به نصيباً وافراً ، وحظاً وافياً ،
وإن لم تقبل ذلك ، ولم يهكم ، ولم تنزل معازم الأمور عند الذي يرضى الله به عنك ،
يكن ذلك بك انتقاصاً ، ورأيك فيه مدخولاً ، لأن الأهواء مُشتركة ، ورأس كل خطيئة
إبليس ، وهو داع إلى كل هلكة ، وقد أضلّ القرون السالفة قبلك ، فأوردتهم النار ،
ولبئس الثمن أن يكون حظّ امرئ موالاة عدو الله الداعي إلى معاصيه ، ثم اركب الحق
وخض إليه الغمرات ، وكن واعظاً لنفسك ، أنشدك الله لما ترخمت على جماعة المسلمين ،
فأجلت كبيرهم ، ورحمت صغيرهم ، ووقرت عالمهم ، ولا تضربهم فيدّلوا ، ولا تستأثر

عليهم بالفء فتبغضهم ، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم ، ولا تجرمهم^(١) في البعوث ، فتعطل نسلهم ، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلق بابك دونهم ، فإيا كل قوتهم ضعيفهم . هذه وصيتي إياك ، وأشهد الله عليك ، وأقرأ عليك السلام . (شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٩٦ والبيان والتبيين ٢ : ٢٢ وتاريخ الطبري ٥ : ١٣)
وفي رواية الطبري :

قال : « وأوصى الخليفة من بعدى بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان أن يحسن إلى محسنهم ، وأن يعفو عن مسيئهم ، وأوصى الخليفة من بعدى بالعرب ، فإنها مادة الإسلام ، أن يؤخذ من صدقاتهم حقها فتوضع في فقرائهم ، وأوصى الخليفة من بعدى بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يوفى لهم بمعهدهم ، اللهم هل بلغت ؟
ترك الخليفة من بعدى على أنقى من الراحة » .

(١) جهر الجيش : حبسهم في أرض العدو ولم يقفلهم .

خطب يوم الشورى

بعد دفن عمر اجتمع أهل الشورى ، وهم : عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله - وكان طلحة غائباً - فبدأ عبد الرحمن بن عوف بالكلام ، فقال :

١٣٩ - خطبة عبد الرحمن بن عوف

« يا هؤلاء ، إن عندى رأياً ، وإن لكم نظراً ، فاسمعوا تعلموا ، وأجيبوا تفقهوا ، فإن حايباً^(١) خير من زاهق^(٢) ، وإن جُرعة من شراب^(٣) بارد ، أنفع من عذب مُوب^(٤) ، أنتم أئمة يهتدى بكم ، وعلماء يُصدّر^(٥) إليكم ، فلا تفلؤا المدى بالاختلاف بينكم ، ولا تُعتمدوا السيوف عن أعدائكم ، فتوتروا^(٦) نَاركم ، وتؤلّتوا^(٧) أعمالكم ، لكلّ أجل كتاب ، ولكلّ بيت إمام ، بأمره يقومون ، وبنيه يرعون^(٨) ، قلّدوا أمركم واحداً منكم ، تمشوا الهوينى^(٩) ، وتلحقوا الطلب ، لولا فتنة عمياء ، وضلالة حياء ، يقول أهلها ما يرون ، وتحلّهم الحبوة كرى^(٩) ، ما عدّت نياتكم معرفتكم ، ولا أعمالكم

(١) الحاي من السهام : ما يزحف إلى الهدف . (٢) السهم الزاهق : ما جاوز الهدف .

(٣) الشراب والشريب والشروب : ما يشرب . (٤) أصله موبى ، سهل عن موبى .

(٥) يرجع . (٦) قال فى اللسان : « قال الأزهرى : هو من الوتر (الثأر) يقال : وترت فلانا

إذا أصبته بوتر ؛ وأوترته أوجدته ذلك (أى أظفرته به ، أوجدت فلانا مطلوبه أى أظفرته به) قال : والثأر هاهنا المدى لأنه موضع الثأر ، والمعنى لا توجدوا عدوكم الوتر فى أنفسكم » .

(٧) أنه حقه يألته وآلته : نقصه . (٨) ورع برع : كورث يرث من الورع ، وهو التقوى .

(٩) رمل يفضل فيه السالك ، والداهية .

نياتكم ، احذروا نصيحة الهوى ، ولسان الفرقة ، فإن الحيلة في المنطق أبلغ من السيوف في السكّمْ ، علّقوا أمركم رَحْب الدراع فيما حلّ ، مأمون الغيب فيما نزل ، رِضاً منكم وكلّم رِضاً ، ومُقْتَرَعاً^(١) منكم وكلّم منتهى ، لا تطيعوا مُفسداً ينصّح^(٢) ، ولا تخالفوا مرشداً ينتصر ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم :
ثم تكلم عثمان بن عفان ، فقال :

١٤٠ — خطبة عثمان بن عفان

« الحمد لله الذى اتخذ محمداً نبياً ، وبعثه رسولا ، صدّقه وعدّه ، ووهب له نصره على كلّ من بعدَ نسباً ، أو قرّب رَحِمًا صلى الله عليه وسلم ، جعلنا الله له تابعين ، وبأمره مُهتَدِينَ ، فهو لنا نور ، ونحن بأمره نقوم عند تفرُّق الأهواء ، ومجادلة الأعداء ، جعلنا الله بفضلِه أئمةً ، وبطاعته أمراء ، لا يَخْمُجُ أمرُنا منا ، ولا يَدْخُلُ علينا غيرُنا ، إلا من سَفِهَ الحقّ ، ونكَل عن القصد ، وأخربها يابن عوف أن تُتْرَكَ ، وأجدر بها أن تكون ، إن خولف أمرُك ، وتُركَ دعاؤُك ، فأنا أوّل مجيب لك ، وداع إليك ، وكفيل بما أقول زعيم ، وأستغفر الله لي ولكم » .
ثم تكلم الزبير بن العوام بعده فقال :

١٤١ — خطبة الزبير بن العوام

« أما بعد : فإن داعى الله لا يُجْهَلُ ، ومجيئه لا يُخْذَلُ ، عند تفرُّق الأهواء ، ولّى الأعناق ، ولن يقصر عما قلت إلا غوى ، ولن يترك ما دعوت إليه إلا شقى ، لولا حدود الله فرضت ، وفرائض الله حدّت ، تُراح^(٣) على أهلها ، وتحيا لا تموت ، لكان

(١) مختاراً . (٢) تنصح : تشبه بالنصحاء . (٣) أراح حقه عليه : رده عليه .

الموت من الإمارة نجاةً ، والفرار من الولاية عصمةً ، ولكن الله علينا إجابة الدعوة ، وإظهار السنة ، لثلاث موت مِيتةٍ عُصْمِيَّةٍ^(١) ، ولا نَعْمَى عَمَى الجاهلية ، فأنا مجيبك إلى ما دعوت ، ومعينك على ما أمرت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأستغفر الله لى ولكم .

١٤٢ - خطبة سعد بن أبي وقاص

ثم تكلم سعد بن أبي وقاص فقال :

« الحمد لله بديئاً^(٢) كان ، وآخرًا يعود ، أحدهم لما نَجَّاني من الضلالة ، وبصَّرني من الغواية ، فيهدى الله فاز من نجا ، وبرحمته أفلح من زكا ، وبمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أنارت الطرق ، واستقامت السبل ، وظهر كلُّ حق ، ومات كل باطل ، إياكم أيها النفرُ وقولَ الزور ، وأمنية أهل الغرور ، فقد سلبت الأمانى قوماً قبلكم ، ورثوا ما ورثتم ، ونالوا ما نلتم ، فاتخذهم الله عدواً ، ولنهم لعناً كبيراً ، قال الله عزَّ وجل : (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) إني نسكبت^(٣) قرني ، فأخذت سهبي الفالج^(٤) ، وأخذت لطلحة ابن عبيد الله ما ارتضيت لنفسى ، فأنا به كفيل ، وبما أعطيتُ عنه زعيم ، والأمر إليك يا ابن عوف بجهد النفس ، وقصد النصيح ، وعلى الله قصد السبيل ، وإليه الرجوع ، وأستغفر الله لى ولكم ، وأعوذ بالله من مخالفتكم . »

(١) العمية : الكبير أو الضلال .

(٢) البنى : الأول . (٣) النكب : الطرح . والقرن : الجمعة . (٤) الفائز الظافر ،

١٤٣ - خطبة علي بن أبي طالب

ثم تكلم علي بن أبي طالب فقال :

« الحمد لله الذي بعث محمداً منا نبياً ، وبعثه إلينا رسولا ، فنحن بيت النبوة ، ومعدن الحكمة ، وأمان أهل الأرض ، ونجاة لمن طُلب ، لنا حق إن نُعطه نأخذه ، وإن نُمنعه نركب أعجاز الإبل ، ولو طال الشرى ، لو عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً لأنفذنا عهده ، ولو قال لنا قولاً جادلنا عليه حتى نموت ، لن يسرع أحد قبلى إلى دعوة حق ، وصلة رحم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، اسمعوا كلامي ، وعُوا منطقي ، عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا الجمع ، تُنتَصَى^(١) فيه السبوف ، وتُحان فيه العهود ، حتى تكونوا جماعة ، ويكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة ، وشيعة لأهل الجهالة ، ثم أنشأ يقول :

فإن تك جاسم^(٢) هلكت فإنى بما فعلت بنو عبد بن ضخم

مُطيع فى المواجر كلَّ عى بصيرٌ بالنوى من كل نجم

(تاريخ الطبرى ٥ : ٣٨ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ٣٦)

خطب عثمان بن عفان

رضى الله عنه

١٤٤ - خطبته حين بايعه أهل الشورى

روى الطبري قال : « لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدم كآبة ، فأتى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال :

« إنكم في دار قلعة^(١) ، وفي بقية أعمار ، فبادرُوا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، فلقد أتيتُمْ ، صَبَّحْتُمْ أَوْ مُسَّيْتُمْ ، ألا وإن الدنيا طُوِيَتْ على الغرور ، فلا تَغْرُنْكُمْ الحياة الدنيا ، ولا يَغْرُنْكُمْ بالله الغرورُ ، اعتبروا بمن مضى ثم جدُّوا ولا تَغْفُلُوا ، فإنه لا يُغْفَلُ عنكم ، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين آثروها وعَمَرُوها ، ومُتَعَمَّوا بها طويلا ، ألم تَلْفِظُهُمْ ؟ أَرْمُوا بالدنيا حيث رمى الله بها ، واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلا ، والذي هو خير ، فقال عز وجل : (وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ، الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَالْبَاقِيَّاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) وأقبل الناس يبايعونه . » (تاريخ الطبري ٥ : ٤٣)

(١) أى انقلاع ، ومنزلنا منزل قلعة « بتسكين اللام وضمها وفتحها » أى ليس بمستوطن ، أو لئلا يملكه ،

أو لئلا يندى متى نتحول عنه .

١٤٥ - خطبته بعد البيعة

وقال أيضاً : خطب عثمان الناس بعد ما بويع ، فقال :

« أما بعد ، فإنني قد مُخِلْتُ وقد قَبِلْتُ ، ألا وإني متَّبِعٌ ، ولست بمبتَدِعٌ ، ألا وإن لكم عليّ بعد كتاب الله عزَّ وجل ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثلاثاً : اتَّبَاعَ من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم ، وَسَنَ سُنَّةِ أَهْلِ الْخَيْرِ فيما لم تَسُنُّوا عن مَلَأ ، وَالْكَفَّ عَنْكُمْ إلا فيما استوجبتم . ألا وَإِنَّ الدُّنْيَا خَصِرَةٌ قد شُهِيتْ إلى الناس ، ومال إليها كثير منهم ، فلا تَزِرْ كُفُوزاً إلى الدنيا ، ولا تَشْفُقُوا بها ، فإنها ليست بثقة ، واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها » .

(تاريخ الطبري ٥ : ١٤٩)

١٤٦ - خطبة أخرى

وقال ابن قتيبة : لما ولي عثمان صعد المنبر ، فجلس على ذروته ، فرماه الناس بأبصارهم ، فقال :

« إن أول مَرَكَبٍ صعب ، وإن مع اليوم أياً ما ، وما كنا خطباءً ، وإن نَعِشْ لَكُمْ تَأْتِيَكُمُ الْخُطْبَةُ على وجهها إن شاء الله تعالى » .

(عيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٥ ، والعقد الفريد ٢ : ١٣٣)

١٤٧ - خطبة لعثمان

وبعث عثمان بدء الفتنة إلى عمال الأمصار فقدموا عليه ، فقال : ويحكم ، ما هذه الشكاية وما هذه الإذاعة ؟ إني والله لخائف أن تكونوا مصدِّقاً عليكم ، وما يُعْصَبُ هذا إلا بي ، ثم قال : أشيروا عليّ ، فأشار عليه كلُّ بما يراه .

وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« كل ما أشرت به على قد سمعت ، ولكل أمر باب يؤتى منه ! إن هذا الأمر الذى يخاف على هذه الأمة كائن ، وإن باب الذى يخلق عليه فيكف به الدين والمؤاتاة والمتابعة إلا فى حدود الله تعالى ذكره ، التى لا يستطيع أحد أن يبادى بعبأ أحدها ، فإن سده شيء فرقى ، فذاك والله ليفتحن ، وليست لأحد على حجة حق ، وقد علم الله أنى لم آل الناس خيرا ولا نفسى ، والله إن رعى الفتنة لدائرة ، فطوبى لعثمان إن مات ولم يجر كها ، كفكفوا الناس وهبوا لهم حقوقهم ، واغفروا لهم ، وإذا تعوطيت حقوق الله فلا تدنوا فيها . »
(تاريخ الطبرى ٥ : ١٠٠)

١٤٨ — خطبة عثمان

ولما حدثت الأحداث بالمدينة خرج منها رجال إلى الأمصار ، ثم رجعوا جميعا إلى المدينة إلا من كان بالشام ، فأخبروا عثمان بخبرهم ، فقام عثمان فى الناس خطيباً فقال :
« يا أهل المدينة ، أنتم أصل الإسلام ، وإنما يفسد الناس بفسادكم ، ويصلحون بصلاحكم ، والله والله لا يبلغنى عن أحد منكم حدث أحدثه إلا سيرته ، ألا فلا أعرفن أحدا عرض دون أولئك بكلام ولا طلب ، فإن من كان قبلكم كانت تُقطع أعضاؤهم دون أن يتكلم أحد منهم بما عليه ولا له .
وأيُّم الله لا أخذن العفو من أخلاقكم ولا بذلته لكم من خلقى ، وقد دنت أمور ، ولا أحب أن تحمل بنا وبكم ، وأنا على وجل وحذر ، فاحذروا واعتبروا . »

(تاريخ الطبرى ٥ : ١٣٥)

١٤١ — خطبته حين نقم عليه الناس

وخطب عثمان حين نقم عليه الناس ما نقموا فقال :

« أما بعد : فإنَّ لكلِّ شيء آفة ، وإن لكلِّ نعمة عاهة ، وإن آفة هذه الأمة ، وعاهة هذه النعمة ، عَيَّابُونَ ظَنَّاوْنَ ، يُظْهِرُونَ لَكُمْ مَا تُحِبُّونَ ، وَيُسِرُّونَ مَا تَكْرَهُونَ ، يقولون لكم وتقولون ، طَعَامٌ ^(١) مثل النعام ، يَتَّبِعُونَ أَوَّلَ نَاعِقٍ ، أَحَبُّ مَوَارِدِهِمْ إِلَيْهِمُ النَّازِحُ ^(٢) ، لَا يَشْرِبُونَ إِلَّا نَقْصًا ^(٣) ، وَلَا يَرُدُّونَ إِلَّا عَسْكَرًا ، لَا يَقُومُ لَهُمْ رَائِدٌ ، وَقَدْ أُعِيَتْهُمُ الْأُمُورُ ، وَتَعَذَّرَتْ عَلَيْهِمُ الْمَكَاسِبُ .

لقد أفررتُم لابن الخطاب بأكثر ممَّا نَقِمْتُمُ عَلَيَّ ، ولكنَّه وطِئَكُمْ بِرَجْلِهِ ، وَضَرَبَكُمْ بِيَدِهِ ، وَوَقَمَكُمْ وَقَعَكُمْ ^(٤) وَزَجَرَكُمْ زَجَرَ النِّعَامِ الْخِزْمَةِ ^(٥) ، فَدَنَيْتُمْ لَهُ عَلَى مَا أَحْبَبْتُمْ أَوْ كَرِهْتُمْ ، وَلَيْتَ لَكُمْ وَأَوْطَأَتْ لَكُمْ كُنْفِي ، وَكَفَفَتْ يَدِي وَلِسَانِي عَنْكُمْ ، فَاجْتَرَأْتُمْ عَلَيَّ .

أما والله إنِّي لأَقْرَبُ نَاصِرًا ، وَأَعَزُّ نَفَرًا ، وَأَكْثَرُ عَدَدًا ، وَأَقْنَنُ — إِن قُلْتُ هَلُمَّ — أَنْ تَجَابَ دَعْوَتِي مِنْ عَمْرٍ .

ولقد أعددت لكم أقرانكم ، وأفضلت عليكم فضولا ، وكشرت لكم عن نأبي ، وأخرجتُم مني خُلُقًا لم أكن أحسنه ، ومنطقًا لم أنطق به .

(١) أوغاد الناس ، الواحد والجمع فيه سواء ، أو واحده كسحابة . (٢) المورد النازح : الذى نزح مائه ، أى غاض وقل أو بعد . (٣) نغص البعير كفريح : لم يتم شربه . (٤) وقم الدابة جلب عنانها ، ووقعه قهره وأذله أو رده أقبح للرد وحزنه أشد الحزن وقعه : ضربه بالمقعدة وقهره وأذله . (٥) خزم البعير : جعل فى جانب منخره الخزامة ، والطير كلها مخزومة ومخزومة لأن وترات أنوفها مخزومة ؛ وكذا النعام .

فكفوا عليكم ألسنتكم وطعنكم ، وعيكم على ولائكم ، فإنى قد كففتُ عنكم من
لو كان هو الذى يكلمكم لرضيتُم منه بدون منطقي هذا .

ألاَ فما تفقدون من حقكم ؟ فوالله ما قصرت فى بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلى ،
ومن لم تكونوا تختلفون عليه ، فضلَ فضلٍ من مالى ، فالى لا أصنع فى الفضل ما أريد ؟
إذن فلم كنت إماما ؟ » .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٩٧ وإعجاز القرآن ص ١١٨)

وصبح الأعشى ١ : ٢١٤ والبيان والتبيين ١ : ٢٠٠) .

١٥٠ — خطبته التى نزع فيها ، وأعطى الناس من نفسه التوبة

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس : فوالله ما عاب من عاب منكم شيئا أجهله ، وما جئت شيئا
إلا وأنا أعرفه ، ولكنى مَنَنْتِ نفسى وَكَذَبَنْتِ ، وَضَلَّ عَنِ رَشْدِى ، ولقد سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ زَلَّ فَلْيَتَّبِ ، وَمَنْ أَخْطَأَ فَلْيَتَّبِ ، وَلَا يَتِمَّادَى
فِي الْمَلَكَةِ ، إِنَّ مَنْ تِمَّادَى فِي الْجَوْرِ ، كَانَ أَبْعَدَ مِنَ الطَّرِيقِ » فأنا أول من اتعظ ،
أستغفر الله مما فعلت . وأتوب إليه ، فتملى نَزَعَ وتاب ، فإذا نزلت فليأتنى أشرافكم ،
فَلْيُرُونِى رَأْيَهُمْ ، فوالله لئن رَدَدْنِى الْحَقَّ عَبْدًا لَأَسْتَبِينَ بِسَنَةِ الْعَبْدِ ، وَلَا ذُلَّ لِلْعَبْدِ ،
وَلَا كَوْنَنَّ كَالْمَرْقُوقِ ، إِنْ مُلِكَ صَبْرٌ ، وَإِنْ عُتِقَ شُكْرٌ ، وما عن الله مذهب إلا إليه ،
فلا يَعْجِزَنَّ عَنْكُمْ خِيَارُكُمْ أَنْ يَدْنُوا إِلَيَّْ ، لئن أبَت يمينى لَعَتَابِيسَتِى شِمَالِى » .

(تاريخ الطبرى ٥ : ١١١ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ٨٠)

١٥١ - خطبته في الرد على الثوار

وقال يرد على الثوار :

« الحمد لله ، أحمده ، وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ؛ أما بعد : فإنكم لم تمدلوا في المنطق ، ولم تُنصِفُوا في القضاء ، أما قولكم تخلع نفسك ، فلا أنزع قيصاً قمصنيه الله عز وجل ، وأكرمني به ، وخصني به على غيري ، ولكني أتوب وأنزع ، ولا أعود لشيء عابه المسلمون ، فإني والله الفقير إلى الله ، الخائف منه » .

قالوا : إن هذا لو كان أول حدث أحدثته ثم تبنت منه ، ولم تُقِم عليه ، لكان علينا أن نقبل منك ، وأن ننصرف عنك . . . إلى آخر ما قالوا .

فقال عثمان : « أما أن أتبرأ من الإمارة ، فإن تصلبوني أحب إلي من أن أتبرأ من أمر الله عز وجل وخلافته ، وأما قولكم تقتلون من دوني ، فإني لا آمرُ أحداً بقتالكم ، فمن قاتل دوني فإنيما قاتل بغير أمري ، ولعمري لو كنت أريد قتالكم ، لقد كنت كتبت إلى الأجناد ، فقادوا الجنود ، وبعثوا الرجال ، أو لحقت ببعض أطراف بمصر أو عراق ، فآله الله في أنفسكم ، فأبقوا عليها ، إن لم تبقوا علي ، فإنكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دماً » فأنصرفوا عنه ، وآذنوه بالحرب .

١٥٢ - خطبته وقد اشتد عليه الحصار

ولما اشتد الحصار عليه أرسل إلى عليّ وطلحة والزبير فحضروا ، فأشرف عليهم ، فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : اجلسوا ، فجلسوا : الحاربُ والمسلمُ ، فقال لهم يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ، أَسْتُوْدِعُكُمْ اللَّهَ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَحْسَنَ عَلَيْكُمْ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي ، ثُمَّ قَالَ : أُنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ دَعَوْتُمْ اللَّهَ عِنْدَ مُصَابِ عَمْرٍو أَنْ يَخْتَارَ لَكُمْ ، وَيَجْمَعَكُمْ عَلَى خَيْرِكُمْ ؟ أَتَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْتَجِبْ لَكُمْ ، وَهُنْتُمْ عَلَيْهِ ، وَأَنْتُمْ أَهْلُ حَقِّهِ ؟ أَمْ تَقُولُونَ هَانَ عَلَى اللَّهِ دِينُهُ ، فَلَمْ يَبَالِ مَنْ وَلِيَ ، وَالْدِّينَ لَمْ يَتَفَرَّقْ أَهْلُهُ يَوْمَئِذٍ ؟ أَمْ تَقُولُونَ لَمْ يَكُنْ أَخْذٌ عَنْ مَشُورَةٍ ، إِنَّمَا كَانَ مَكَايَرَةً ، فَوَكَّلَ اللَّهُ الْأُمَّةَ إِذْ عَصَيْتُهُ ، وَلَمْ يَشَاوِرُوا فِي الْإِمَامَةِ ، أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْلَمْ عَاقِبَةَ أَمْرِي ؟ أُنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ أَتَعْلَمُونَ لِي مِنْ سَابِقَةِ خَيْرٍ ، وَقَدَّمَ خَيْرٍ ، قَدَّمَهُ اللَّهُ لِي يَحِقُّ عَلَى كُلِّ مَنْ جَاءَ بَعْدِي أَنْ يَعْرِفُوا لِي فَضْلَهَا ؟ فَهَلَّا لَا تَقْتُلُونِي ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ إِلَّا قَتْلُ ثَلَاثَةٍ : رَجُلٍ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ ، أَوْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ ، أَوْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ حَقٍّ ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قَتَلْتُمُونِي وَضَعْتُمُ السَّيْفَ عَلَى رِقَابِكُمْ ، ثُمَّ لَمْ يَرْفَعْ اللَّهُ عَنْكُمْ الْاِخْتِلَافَ أَبَدًا » .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٣ : ٨٤)

١٥٣ - آخر خطبة خطبها عثمان

« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ الدُّنْيَا لِتَطْلُبُوا بِهَا الْآخِرَةَ ، وَلَمْ يُعْطِكُمْوهَا لِتَرْكَنُوا إِلَيْهَا ، إِنَّ الدُّنْيَا تَفْنَى وَالْآخِرَةُ تَبْقَى ، فَلَا تُبْطِرَنَّكُمْ الْفَانِيَّةُ ، وَلَا تَشْغَلَنَّكُمْ عَنِ الْبَاقِيَةِ ، فَارْتَرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَنْقُطَةٌ ، وَإِنَّ الْمَصِيرَ إِلَى اللَّهِ ، اتَّقُوا اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ ،

فإن تقواه جنة من بأسه ، ووسيلة عنده ، واحذروا من الله الغير ، والزموا جماعتكم ،
لا تصيروا أحزاباً ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم
بنعمته إخواناً . (تاريخ الطبرى ٥ : ١٢٦ ، ١٤٩)

١٥٤ — خطبة الوليد بن عقبة

قال الطبرى :

لما أصاب الوليد بن عقبة حاجته من أرمينية (سنة ٢٤ هـ) — وكان أهلها قد منعوا
ما صالحوا عليه أهل الإسلام أيام عمر — ودخل الموصل فنزل المدينة ، أتاها كتاب من
عثمان رضى الله عنه :

« أما بعد فإن معاوية بن أبى سفيان كتب إلى يخبرنى أن الروم قد أجلبت على
المسلمين بمجموع عظيمة ، وقد رأيت أن يمدم إخوانهم من أهل الكوفة ، فإذا أتاك
كتابى هذا فابعث رجلاً ممن ترضى نجاته وبأسه وشجاعته وإسلامه ، فى ثمانية آلاف
أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف ، من المكان الذى يأتىك فيه رسولى والسلام . »

فقام الوليد فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد : أيها الناس فإن الله قد أبلى المسلمين فى هذا الوجه بلاء حسناً فرد عليهم
بلادهم التى كفرت ، وفتح بلاداً لم تكن فتحت ، وردهم سالمين غانمين مأجورين ،
فالحمد لله رب العالمين . »

وقد كتب إلى أمير المؤمنين يأمرنى أن أندب منكم ما بين العشرة الآلاف
إلى الثمانية الآلاف تمدون إخوانكم من أهل الشام ، فإنهم قد جاشت عليهم الروم ،
وفى ذلك الأجر العظيم ، والفضل المبين ، فانتدبوا رحمهم الله مع سلمان بن ربيعة الباهلى . -

١٥٥ — خطبة سعيد بن العاص حين قدم الكوفة واليا عليها

عزل عثمان رضى الله عنه الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيْط من إمارة الكوفة ، وكان قد اتهم بشرب الخمر وولى مكانه سعيد بن العاص سنة ٣٠ هـ ، فلما قدم الكوفة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« والله لقد بُعِثَ إليكم وإني لكاره ، واسكنى لم أجد بداً إذ أُمِرْتُ أَنْ أُتَبِّرَ ، ألا إن الفتنة قد أطلعت خَطْمُهَا ^(١) وعينها ، والله لَأُضْرِبَنَّ وجهها حتى أقمها أو تُفَيِّئَنِي ^(٢) ، وإني لرأئد ^(٣) نفسى اليوم » ثم نزل (تاريخ الطبرى ٥ : ٦٣)

١٥٦ — خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح إفريقية ^(٤)

قدم عبد الله بن الزبير على عثمان بن عفان بفتح إفريقية ، فأخبره مشافهة ، وقص عليه كيف كانت الواقعة ، فأعجب عثمان ما سمع منه ، فقال له : أتقوم بمثل هذا الكلام على الناس ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إني أهيب لك منى لهم ، فقام عثمان فى الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس : إن الله قد فتح عليكم إفريقية ، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله ، وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر ، فقام خطيباً - وكان أول من خطب إلى جانب المنبر - فقال :

« الحمد لله الذى ألف بين قلوبنا ، وجعلنا متحابين بعد البَغْضَةِ ، الذى لا يُجْحَدُ نِعْمَاؤُهُ ، ولا يزول ملكه ، له الحمد كما حمد نفسه ، وكما هو أهله ، انتخب محمداً صلى الله

(١) الخطم : جمع خطام ، وهو ما وضع فى أنف البعير ليقْتَادَ به ، والمراد ظهورها ونشوبها .

(٢) أى تمجيزنى . (٣) الرود : الطلب .

(٤) فتحها عبد الله بن سعد بن أبى سرح سنة ٢٦ هـ ، وأمدّه عثمان بجيش يرأسه عبد الله بن الزبير .

عليه وسلم ، فاختاره بعلمه ، وَأَتَمَّنَهُ عَلَى وَحْيِهِ ، واختار له من الناس أعوانا ، قذف في قلوبهم تصديقه ومحبته ، فَأَمَّنُوا بِهِ وَعَزَّزُوهُ ^(١) وَوَقَّزُوهُ ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، فاستشهد ^(٢) الله منهم من استشهد على المنهاج الواضح ، والبيع الرابع ، وبقى منهم من بقي ، لا تأخذهم في الله لومة لائم .

أيها الناس : رحمكم الله إنا أخرجنا للوجه الذي علمتم ، فكنا مع والٍ حافظ ، حفظ وصية أمير المؤمنين ، كان يسير بنا الأبردين ^(٣) ، وَيَخْفِضُ ^(٤) بنا في الظواهر ، ويتخذ الليل جملاً ، يُعَجِّلُ الرحلة من المنزل الجذب ، ويطيّل اللبث في المنزل الخصب ، فلم نزل على أحسن حالة نمرّ فيها من ربنا ، حتى انتهينا إلى إفريقية ، فنزلنا منها حيث يسمعون صهيل الخيل ، وَرُغَاءَ الإبل ، وقمعة السلاح ، فَأَقْنَا أَيَّامًا ، نُجِمْ كُرَاعَنَا ^(٥) ، ونصلح سلاحنا ، ثم دعوناهم إلى الإسلام والدخول فيه ، فأبعدوا منه ، فسألناهم الجزية عن صغار أو الصلح ، فكانت هذه أبعد ، فَأَقْنَا عليهم ثلاث عشرة ليلة تَتَأَنَّا ، وتختلف رسلنا إليهم ، فلما يئس منهم قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر فضل الجهاد ، وما لصاحبه إذا صَبَرَ واحتسب ، ثم نهضنا إلى عدونا ، وقاتلناهم أشد القتال ، يومئذ ذلك ، وصَبَرَ فيه الفريقان فكانت بيننا وبينهم قتلى كثيرة ، واستشهد الله فيهم رجالا من المسلمين ، فبِتْنَا وَبَاتُوا ، وللمسلمين دَوِيٌّ بِالْقِرَآنِ كدوى النحل ، وبات المشركون في خورهم وملاعهم ، فلما أصبحنا أخذنا مصافنا التي كنّا عليها بالأمس ، فزحف بعضنا على بعض ، فأفرغ الله علينا صبره ، وأنزل علينا نصره ، ففتحناهم من آخر النهار ، فأصبنا غنائم كثيرة ، وفيئنا واسعاً ، بلغ فيه الخمس خمسمائة ألف ، فَصَقَّ ^(٦) عليها مروان بن الحكم ، فتركت المسلمين قد

(١) التميز : التفخيم والتعظيم والإعانة ، وهو أيضا ضرب دون الحد أو هو أشد الضرب ضد .

(٢) استشهد (مبنيا للمجهول) قتل في سبيل الله .

(٣) الأبردان : الغداة والمشي . (٤) خفض بالمكان : أقام ، والظواهر : جمع ظهيرة .

(٥) الكراع : جماعة الخيل ، وأجم الفرس : ترك ركوبه . (٦) صفق الباب يصفقه وأصفقه

أغلقه : أى أغلق عليها باب الخزائن .

قَرَّتْ أَعْيُنُهُمْ ، وَأَغْنَاهُم النَّفْلُ ، وَأَنَا رَسُولُهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَبْشِرْهُ وَإِيَّاكُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ
مِنَ الْبِلَادِ ، وَأَذَلَّ مِنَ الشَّرْكِ ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ عَلَى آلَاتِهِ ، وَمَا أَحْلَ بِأَعْدَائِهِ ،
مِنْ بَأْسِهِ الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنْ الْقَوْمِ الْجَرَمِينَ » .

ثم سكت فنهض إليه أبوه الزبير ، فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ : (ذُرِّيَّةٌ بَغَضُهَا مِنْ
بَعْضِ اللَّهِ سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ) يَا بُنَيَّ مَا زِلْتَ تَنْطِقُ بِلِسَانِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى صَمَتَ .

(المقد الفريد ٢ : ١٤٩)

١٥٧ — خطبة عبد الله بن مسعود

(المتوفى سنة ٣٢ هـ)

أصدقُ الحديث كتاب الله ، وأوثقُ العُرَا كلمةُ التقوى . أكرمُ المللِ ملةُ إبراهيم ،
وخيرُ السننِ سنةُ محمد صلى الله عليه وسلم . خيرُ الأمور أوساطُها ، وشرُّ الأمور مُحدثَاتُها .
ما قل وكفى خير مما كثر وألهمي . خيرُ الغنى غنى النفس ، وخيرُ ما أُلْقِيَ فِي الْقَلْبِ الْيَقِينُ .
الْجَمْعُ الْآثَامُ . النِّسَاءُ حِبَالَةُ الشَّيْطَانِ . الشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجَنُونِ . حُبُّ الْكُفَاةِ
مِفْتَاحُ الْعِجْزَةِ . شَرُّ النَّاسِ مَنْ لَا يَأْتِي الْجَمَاعَةَ إِلَّا دُبْرًا ، وَلَا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا هَجْرًا^(١) .
أَعْظَمُ الْخَطَايَا لِسَانُ الْكَذُوبِ ، سَبَابُ الْمُؤْمِنِ فَسْقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ مَعْصِيَةٌ .
مَنْ يَتَأَلَّ^(٢) عَلَى اللَّهِ يَكْذِبُهُ ، وَمَنْ يَغْفِرُ يَغْفِرْ لَهُ . مَكْتُوبٌ فِي دِيْوَانِ الْحَسَنِينَ : مَنْ عَفَا
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ . الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعَظَ بِغَيْرِهِ . الْأُمُورُ بِعَوَاقِبِهَا .
مِلَاكُ الْعَمَلِ خَوَاتِيمُهُ . أَشْرَفُ الْمَوْتِ الشَّهَادَةُ . مَنْ يَعْرِفُ الْبَلَاءَ يَصْبِرْ عَلَيْهِ . وَمَنْ لَا يَعْرِفُ
الْبَلَاءَ يَفْكَرْهُ . (إعجاز القرآن ١٢٢ ، المقد الفريد ٢ : ١٥٦ ، البيان والتبيين ٢ : ٢٧)

(١) المجرب ككتف : الذي يمشى مثقلًا ضعيفًا : أي لا يعرف الله إلا وقت الشدة .

(٢) تألَّ : أقسم .

١٥٨ - أبو زيد الطائي يصف الأسد

قال عثمان بن عفان رضى الله عنه يوماً لأبى زُبَيْد : حَرَمَلَةَ بن المنذر الطائي - وكان نصرانياً - يا أحمأ تَبِعَ المسيح ، أَسْمَعْنَا بعض قولك ، فقد أُنْبِئْتُ أنك نجيد ، فأنشده قصيدة له في وصف الأسد ، فقال عثمان : تالله تَفْتَأُ تذكر الأسد ما حَيَّيتُ ! والله إنى لأحسبك جَبَانًا هَرَّابًا ، قال : كَلَّا ، يا أمير المؤمنين ، ولكنى رأيت منه مَنَظَرًا ، وشَهِدْتُ منه مَشْهَدًا ، لَا يَبْرَحُ ذِكْرُهُ يُتَجَدَّدُ ويتَرَدَّدُ في قلبي ، ومعدور أنا يا أمير المؤمنين غيرُ معلوم ، فقال له عثمان : وَأَنى كَانَ ذلك ؟ قال :

« خرجت في صِيَابَةٍ ^(١) أَشرافٍ من أبناء قبائل العرب ، ذوى هيئة وشارَةٍ ^(٢) حسنة ، ترمى بنا المَهَارَى ^(٣) بأَكْسَائِهَا ^(٤) ، ونحن نريد الحارث بن أبى شُرِّمٍ القَسَّانِي ملك الشام ، فاخْرَوَطُ ^(٥) بنا السير في حِمَارَةِ الْقَيْظِ ، حتى إذا عَصِبَتِ الأفواه ، وَذُبُلَتِ الشِّفَاهُ ، وشالت ^(٦) المياه ، وأذْكَتِ الْجُوزَاءُ الْمِعْزَاءُ ^(٧) ، وذاب الصَّيْبُ ^(٨) ، وَصَرَ الْجُنْدُ ^(٩) ، وأضاف المَعْصُورُ الضَّبَّ في وَكْرِهِ ، وجاوره في جُحْرِهِ ، قال قائل : أيها الركب ، غُورُوا ^(١٠) بنا في دَوْحِ هذا الوادى ، وإذا وادٍ قد بدا لنا كثير الدَّغَلِ ^(١١) ، دأثم الغُللَ ^(١٢) .

(١) الصيابة بالتشديد وتخفيف : الخالص والصميم والخيار من الشيء . (٢) الشارة : الهيئة واللباس والزينة ، والجمال . (٣) مهرة بن حيدان (بفتح الميم والحاء) : حى تنسب إليه الإبل المهرية ، وجمعها مَهَارَى (بفتح الميم والراء) ومهارة (منقوصة) ومهاري . (٤) الأكساء : جمع كساء (كقفل وعنق) وكساء كل شيء : مؤخره . (٥) اخروط بهم الطريق : طالع وامته .

(٦) قلت . (٧) أذكت : أشعلت ، والمعزاء من المعز بالتحريك : وهو الصلابة ، مكان أمعز وأرض معزاء ، كناية عن اشتداد الحر . (٨) الصيب : الصخرة الصلبة والموضع الشديد وكل موضع تحمى عليه الشمس حتى يذوى اللحم عليه . (٩) نوع من الجراد ، وصر : صوت .

(١٠) الغور والغثور : الدخول في الشيء . والدوح : جمع دوحه ، وهى الشجرة العظيمة .

(١١) الدغل : الشجر الكثير الملتف ، واشتباك أثلثت وكثرته . (١٢) الغلل : المساء الذى يجرى

أشجاره مُغَنَّةٌ^(١) ، وأطياره مُرِنَةٌ^(٢) ، فَحَطَطْنَا رَحَالَنَا بِأُصُولِ دَوْحَاتِ كَنْهَبَلَاتٍ^(٣) ،
فَأَصْبَدْنَا مِنْ فَضَلَاتِ الْمَزَاوِدِ ، وَأَتْبَعْنَاهَا الْمَاءَ الْبَارِدَ ، فَإِنَّا لَنَصِفُ حَرَّ يَوْمِنَا وَمُمَاطَلَتَهُ ،
إِذْ صَرَ أَقْصَى الْخَلِيلِ أُذُنُهُ^(٤) ، وَفَحَصَ الْأَرْضَ بِيَدَيْهِ ، فَوَاللَّهِ مَا لَبِثَ أَنْ جَالَ ،
ثُمَّ تَحَمَّحَمَ^(٥) فَبَالَ ، ثُمَّ فَعَلَ الْفَرَسُ الَّذِي يَلِيهِ وَاحِدًا فَوَاحِدًا ، فَتَضَعَضَعَتِ الْخَلِيلُ ،
وَتَكَمَّكَمَتِ^(٦) الْإِبِلُ ، وَتَقَهَّقَرَتِ الْبَعَالُ ، فَمِنْ نَافِرٍ بِشِكَالِهِ^(٧) ، وَنَاهَضَ بِعِقَالِهِ ،
فَعَلَمْنَا أَنَا قَدْ أَتَيْنَا ، وَأَنَّهُ السَّبْعُ لَا شَكَّ فِيهِ ، فَقَزَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى سَيْفِهِ ، فَاسْتَلَّهُ مِنْ
جُرْبَانِهِ^(٨) ، ثُمَّ وَقَفْنَا رَزْدَقًا أَرْسَالًا^(٩) ، وَأَقْبَلَ أَبُو الْحَارِثِ مِنْ أَجْمَعَتِهِ ، يَقْتَاطِعُ^(١٠)
فِي مَشِيَّتِهِ ، كَأَنَّهُ يَجْنُوبُ أَوْ فِي هِجَارٍ^(١١) ، لِيَصْدُرَهُ نَحِيطٌ^(١٢) ، وَلِيَبْلَاغِهِ غَطِيطٌ^(١٣) ،
وَلِيَطْرِفَهُ وَمِيضٌ ، وَلِأَرْسَاغِهِ نَقِيضٌ^(١٤) ، كَأَنَّمَا يَنْحَبُطُ هَشِيمًا ، أَوْ يَطَأُ صَرِيمًا^(١٥) ، وَإِذَا
هَامَةً كَأَلْمَجْنِ^(١٦) وَخَذَّةً كَالْمِسْنِ ، وَعَيْنَانِ سَجْرَاوَانِ^(١٧) كَأَنَّهُمَا سِرَاجَانِ يَتَقَدَّدَانِ ،

(١) أَغْنِ الذَّبَابُ : صَوْتٌ ، وَيُقَالُ : وَادٌ مَغْنٌ ، وَهُوَ الَّذِي صَارَ فِيهِ صَوْتُ الذَّبَابِ ، وَلَا يَكُونُ
الذَّبَابُ إِلَّا فِي وَادٍ مَخْصَبٍ مَعْشَبٍ ، وَالغَنَّةُ (بِالضَّم) صَوْتُ فِي الْخَيْشُومِ ؛ وَالْأَغْنُ : الَّذِي يَتَكَلَّمُ مِنْ قَبْلِ
خِيَاشِيمِهِ غِنٍ يَغْنُ بِالْفَتْحِ فَهُوَ أَغْنٌ ، وَمَنْ قَالَ وَادٌ أَغْنٌ : أَيْ كَثِيرُ الْعَشْبِ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ أَلْفَهُ الذَّبَابُ وَفِي
أَصَوَاتِهَا غَنَةٌ ، وَرَوْضَةٌ غَنَاءٌ كَذَلِكَ ، أَوْ تَمَرٌ فِيهَا الرِّيَاحُ غَيْرُ صَافِيَةِ الصَّوْتِ لِكثَافَةِ عَشْبِهَا .

(٢) رَنْتَ وَأَرَنْتَ : صَاحَتَ . (٣) السَّكْنَبِلُ : شَجَرٌ عَظَامٌ ، وَالْمَزَاوِدُ : جَمْعُ مَزُودٍ كَثِيرٍ ،
وَهُوَ وَهَاءُ الزَّادِ . (٤) صَرَ الْحِمَارُ بِأُذُنِهِ وَضَرَهَا وَأَصْرَ بِهَا : سَوَاهَا وَنَصَبَهَا لِالِاسْتِمَاعِ .

(٥) الْحَمْحَمَةُ وَالتَّحَمُّمُ : صِيَاحُ الْفَرَسِ حِينَ يَقْصُرُ فِي الصَّهِيلِ وَيَسْتَمِينُ بِنَفْسِهِ ، وَصَوْتُهُ إِذَا طَلَبَ
الْمَلْفَ . (٦) خَافَتُ وَفَزَعْتُ ، كَمَا كَمَتَهُ فَتَكَمَّكَعَ : جَبْنَتُهُ وَخَوْفَتُهُ . (٧) الشِّكَالُ : الْحَبْلُ الَّذِي
تَشُدُّ بِهِ قِوَامُ الدَّابَّةِ . (٨) الْجُرْبَانُ : غَمْدُ السَّيْفِ . (٩) الرَّزْدَقُ : الصَّفُّ مِنَ النَّاسِ وَالْأَرْسَالُ
جَمْعُ رَسَلٍ كَسَبَبٍ ، وَهُوَ الْقَطِيعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

(١٠) مَنْ طَلَعَ كَنَعَ : إِذَا غَمَزَ فِي مَشْيِهِ . (١١) جَنْبُهُ : قَادَهُ إِلَى جَنْبِهِ ، فَهُوَ جَنْبِيٌّ وَمَجْنُوبٌ وَمَجْنُوبٌ
وَالْمَجَارُ : حَبْلٌ يَشُدُّ فِي رَسْغِ رَجُلِ الْبَعِيرِ ثُمَّ يَشُدُّ إِلَى حَقْوِهِ ، وَإِنْ كَانَ مَرْحُولًا شُدَّ إِلَى الْحَقْبِ .

(١٢) النَحِيطُ : الزَّقِيرُ ، وَالنَّاحِطُ : مَنْ يَسْعَلُ شَدِيدًا . (١٣) غَطُّ الْبَعِيرِ غَطِيطًا : هَدْرٌ ، وَالنَّانَمُ
صَوْتُ وَكَذَا الْمَذْبُوحُ وَالْمَخْنُوقُ . (١٤) نَقِيضُ الْأَصَابِعِ وَالْأَصْلَاعِ وَالْمَفَاصِلِ : أَصَوَاتُهَا .

(١٥) ثَمَرٌ صَرِيمٌ : أَيْ مَقْطُوعٌ . (١٦) الْمَجْنُ : التَّرْسُ . (١٧) عَيْنُ سَجْرَاءَ : خَالَطَتْ
بِيَاضِهَا حَمْرَةً .

وَقَصْرَةَ رَبِيلَةَ^(١) ، وَلَهْزِمَةَ رَهْلَةَ^(٢) ، وَكَتَدَ مُغْبَطَ^(٣) وَزَوْرَ مُفْرَطَ^(٤) وَسَاعَدَ
مَجْدُولَ ، وَعَضُدَ مَفْتُولَ ، وَكَفَّ شَدْنَةَ الْبِرَّائِنِ^(٥) إِلَى مَخَالِبَ كَالْمَحَاجِنِ^(٦) ،
فَضْرَبَ بِيَدَيْهِ فَأَرْهَجَ^(٧) ، وَكَثَّرَ^(٨) فَأَفْرَجَ عَنْ أَنْيَابِ كَالْمَعَاوِلِ ، مَصْقُولَةَ ، غَيْرَ مَقُولَةَ ،
وَقَمَّ أَشْدَقَ^(٩) كَالْفَارِ الْأَخْوَقِ^(١٠) ، ثُمَّ تَمَطَّى فَأَسْرَعَ بِيَدَيْهِ ، وَخَفَزَ^(١١) وَرَكِبَهُ بِرَجْلَيْهِ ،
حَتَّى صَارَ ظِلُّهُ مِثْلِيهِ ، ثُمَّ أَفْعَى^(١٢) فَاقْشَعَرَ^(١٣) ، ثُمَّ مَثَّلَ مَا كَفَهَرَهُ^(١٤) ، ثُمَّ تَجَهَّمَ فَأَزْبَارَ^(١٥)
غَلَاوَذُو^(١٦) بَيْتَهُ فِي السَّمَاءِ ، مَا اتَّقَيْنَاهُ إِلَّا بِأَخٍ لَنَا مِنْ فَرَازَةِ ، كَانَ ضَخَمَ الْجَزَارَةِ^(١٧) ،
فَوَقَصَهُ^(١٨) ثُمَّ نَقَضَهُ نَقْضَةً ، فَقَضَقَصَ^(١٩) مَتْنِيَهُ ، فَجَعَلَ يَلْغُ فِي دَمِهِ ، فَذَمَرَتْ^(٢٠)
أَحْمَابِي ، قَبَعْدَ لَايَ^(٢١) مَا اسْتَقْدَمُوا ، فَهَجَّهَجْنَا^(٢٢) بِهِ ، فَكَّرَ مَقْشِعِرَ الزُّبُرَةِ^(٢٣) ،

(١) القصرة : أصل المتق ؛ والربالة بالفتح : كثرة اللحم ، وهي ربلة ومربلة .

(٢) الهمزتان نائتان تحت الأذنين ، والجمع لهما ، ورهل لحمه : كفرح انتفخ وورم من غير دام .

(٣) البكتد : مجتمع الكتفين ، أو الكاهل ، أو ما بين الكاهل إلى الظهر ، وأغبط النبات : غطي

الأرض ، وكثف وتدافى ، وأرض مغطاة بفتح الباء ، أى وكاهل مغطى بالشعر .

(٤) من أفرطه : إذا ملأه حتى أسال الماء فهو مفرط . (٥) شنة : أى غليظة خشنة ، شنت

كفه : كفرح وكرم ، والبرائن : جمع برثن كبرقع ، وهو مخلب الأسد . (٦) المحاجن : جمع محجن

كثير ومكنسة : العصا المعوجة وكل معطوف معوج . (٧) أرهج : أثار الغبار ، والرهج (كشمس

وسبب) الغبار . (٨) كثر عن أسنانه : أبلى . (٩) من الشدق (كسبب) وهو سعة الشدق .

(١٠) من الخوق (كسبب أيضا) وهو السعة ومنه مفازة خوقاء . (١١) حفزه : دفعه .

(١٢) أفعى : جلس على استه مفترشا رجله ناصبا يديه . (١٣) مثل : قام متصبيا ، والمكفهر

من الوجوه : الضارب لونه إلى الغبرة مع غلظ ، والمتمبس . (١٤) تجهمه وجهه (كنع وسم) استقبله

بوجه كرية ، وأزبار : تنفش . (١٥) ذو : بمعنى الذى فى لغة طيىء :

* فحسبى من ذو عندهم ما كفانيا *

(١٦) الجزارة : بالضم اليدان والرجلان والمتق . (١٧) وقص عنقه : كمرها . (١٨) من نقص

البناء : أى هلسه ، وقضة : مزق . (١٩) اللمر : الملامة ، والحفس والتهدد . (٢٠) اللأى : الإبطاء

والاحتباس . (٢١) هججهج بالأسد : صاح . (٢٢) الزيرة (كفرصة) هى الشعر المجتمع بين كنى

الأسد .

كَأَن بِهِ شَيْهَمًا^(١) حَوْلِيًّا ، فَاخْتَلَجَ^(٢) رَجُلًا أَعْبَرَ ذَا حَوَايَا ، فَنَقَضَهُ نَقْضَةً تَزَايَلَتْ مِنْهَا مَفَاصِلُهُ ، ثُمَّ كَهَمَهُمْ قَفَرَقَرٌ^(٣) ، ثُمَّ زَفَرَ فَبَزَبِرٌ^(٤) ، ثُمَّ زَارَ فَجَرَ جَرٍّ^(٥) ، ثُمَّ لَحَظَ ، فَوَاللَّهِ نَحَلْتُ الْبَرْقَ يَنْطَاطِرُ مِنْ تَحْتِ جَفْوَنِهِ ، عَنْ شِمَالِهِ وَيَمِينِهِ ، فَأَرْعَشَتِ الْأَيْدِي ، وَأَصْطَكَّتِ الْأَرْجُلُ ، وَأَطَلَتْ^(٦) الْأَضْلَاعُ ، وَارْتَجَّتِ الْأَسْمَاعُ ، وَشَخَّصَتِ^(٧) الْعَيُونُ ، وَتَحَقَّقَتِ الظُّنُونُ ، وَانْخَزَلَتْ^(٨) الْمُتُونُ ، وَلَحِقَتْ الظُّهُورُ بِالْبَطُونِ ، ثُمَّ سَاءَتِ الظُّنُونُ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : اسْكُتْ قَطَعَ اللَّهُ لِسَانَكَ ! فَقَدْ أَرَعَبْتَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ .

(الْأَغَانِي ١١ : ٢٣ وَالْحَاسِنُ وَالْأَضْدَادُ ص ١١٢)

(١) الشَّيْهَمُ : مَا عَظُمَ شَوْكُهُ مِنْ ذِكْرَانِ الْقَنَافَةِ ، وَالْحَوْلَى : مَا أَقَى عَلَيْهِ حَوْلٌ .

(٢) اخْتَلَجَ : جَذِبَ وَانْتَزَعَ ، وَالْأَعْجَرُ : السَّمِينُ ، عَجَرَ : كَفَرَ حَ غَلَفَ وَسَمَنَ وَضَخَمَ بَطْنَهُ ، وَالْحَوَايَا : جَمْعُ حَاوِيَةٍ ؛ وَهِيَ مَا تَحْتَوِي مِنَ الْأَمْعَاءِ أَيْ اسْتِدَارَ ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ عَظِيمُ الْبَطْنِ . (٣) الْهَمَمَةُ : تَرَدُّدُ الزَّنْبِيرِ فِي الصَّدْرِ ، وَكُلُّ صَوْتٍ مَعَهُ بَجَجٌ ، وَالْقَرَقَرَةُ : هَدِيرُ الْبَعِيرِ . (٤) الْبَرْبَرَةُ : الْجَلْبَةُ وَالصِّيَاحُ . (٥) الْجَرْجَرَةُ : صَوْتُ يَرُدُّهُ الْبَعِيرُ فِي حَنْجَرَتِهِ . (٦) الْأَطْيَاطُ : صَوْتُ الرَّحْلِ وَالْإِبِلِ إِذَا أَنْتَ تَهْبَا أَوْ حَنِينَا ، وَصَوْتُ الظَّهْرِ ، وَالْجُوفُ مِنَ الْجُوعِ . (٧) شَخَّصَ بَصَرَهُ كَنَعَ : فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَجَعَلَ لَا يَطْرَفُ . (٨) الْإِنْخَزَالُ وَالْإِنْخَزَالُ : مَشْيَةٌ فِي تَشَاوُلٍ . وَمَتْنَا الظَّهْرِ : مَكْتَنَفَا الصَّلْبِ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ .

خلافة الإمام على

كرم الله وجهه

١٥٩ - وصية على لقيس بن سعد

ولما قتل عثمان رضى الله عنه وولى على بن أبى طالب الأمر ، دعا قيس بن سعد ابن عبادة الأنصارى وولاه مصر سنة ٣٦ هـ .
وقال له :

« سر إلى مصر فقد وليتكم ، واخرج إلى رحلك ، واجمع إليك ثقاتك ، ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند ، فإن ذلك أرعب لعدوك ، وأعز لوليك ، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن ، واشتد على المريب ، وارفق بالعامّة والخاصة فإن الرفق يُمنّ » .
(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٢٧)

١٦٠ - خطبة لقيس بن سعد

ولما دخل قيس مصر قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم
وقال :

« الحمد لله الذى جاء بالحق وأمات الباطل ، وكبت الظالمين .
أيها الناس إنا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمد نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقوموا
أيها الناس فبايعوا على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن نحن
لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم » .
فقام الناس فبايعوا .
(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٢٨)

فتنة أصحاب الجمل

ولما قدمت السيدة عائشة رضى الله عنها البصرة ، للطلب بدم عثمان ، خرج إليها من أهلها من أراد أن يكون معها ، واجتمع القوم بالمزبد ، وجعلوا يشوبون ، حتى غصَّ بالناس ، فتكلم طلحة ، فأنصتوا له :

١٦١ - خطبة طلحة

حمد الله وأثنى عليه ، وذكر عثمان رضى الله عنه وفضله ، والبلد وما أُسْتُحِلَّ منه ، وعظم ما أتى إليه ، ودعا إلى الطلب بدمه وقال :

« إن في ذلك إهزازَ دين الله عزَّ وجل وسلطانه ، وأما الطلب بدم الخليفة المظلوم ، فإنه حَدٌّ من حدود الله ، وإنكم إن فعلتم أصبتم ، وعاد أسركم إليكم ، وإن تركتم لم يقيم لكم سلطان ، ولم يكن لكم نظام . »
وتكلم الزبير بمثل ذلك ، ثم تكلمت السيدة عائشة وكانت جَهْوَريَّة الصوت .

١٦٢ - خطبة السيدة عائشة بالمزبد

حمدت الله عزَّ وجل ، وأثنت عليه وقالت :

« كَانَ الناس يتَجَنَّوْنَ^(١) على عثمان رضى الله عنه ، وَيُزْرُونَ^(٢) على عماله ، ويأتوننا بالمدينة ، فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم ، فننظر في ذلك فنجد به برياً ، تقياً وقيماً ،

(١) تجنى عليه : ادعى ذنباً لم يفعله . (٢) زرى عليه : عابه كآزرى لكنه قليل .

ونجدهم فجرة غدرة كذبة ، يحاولون غير ما يُظهرون ، فلما قووا على المكاثرة كاثروه ، واقتحموا عليه داره ، واستحلوا الدماء الحرام ، والمال الحرام ، والبلد الحرام ، بلا ترة^(١) ولا عذر ، ألا إن مما ينبغي ، لا ينبغي لكم غيره ، أخذ قتلة عثمان رضى الله عنه ، وإقامة كتاب الله عز وجل : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكَمَ بَيْنَهُمْ) الآية .

(تاريخ الطبرى ٥ : ١٧٥ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ١٠٥)

١٦٣ - خطبة لعلی

وخطب علی لما سار الزبير وطلحة من مكة ومعهما عائشة يريدون البصرة فقال :
« أيها الناس : إن عائشة سارت إلى البصرة ومعها طلحة والزبير ، وكل منهما يرى الأمر له دون صاحبه ، أما طلحة فابن عمها ، وأما الزبير فختها ، والله لو ظفروا بما أرادوا - ولن يغالوا ذلك أبدا - ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد ، والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولا تحل عقدة ، إلا في معصية الله وسخطه ، حتى تُورد نفسها ومن معها موارد الهلكة ، إى والله ليُقتلن ثلثهم ، وليهزبن ثلثهم ، وليتوبن ثلثهم ، وإنها التى تنبجها كلاب الحوآب ، وإنهما ليعلمان أنهما مخطئان ، ورب عالم قتله جهله ، ومعهم علمه لا ينفعه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، فقد قامت الفتنة فيها الفئة الباغية ، أين المحتسبون ؟ أين المؤمنون ؟ مالى ولقریش ! أما والله لقد قتلتم كافرين ، ولأقتلنهم مفتونين ، وما لنا إلى عائشة من ذنب إلا أننا أدخلناها في حيزنا ، والله لأبقرن الباطل حتى يظهر الحق من خاصرته ، فقل لقریش فلتضجّ ضجيجها » ثم نزل .

(ابن أبي الحديد م ١ : ص ٧٨)

١٦٤ - خطبة لعلی

ولما رجعت رسل علیّ من عند طلحة والزبیر وعائشة یؤذنونہ بالحرب قام لحمد الله
وأثنی علیہ وصلى علی رسولہ ثم قال :

« أيها الناس : إني قد راقبت هؤلاء القوم كي يرفعوا أو يرجعوا ، ووبختهم
بنكثهم ، وعرفتهم بغيهم فلم يستحيوا ، وقد بعثوا إلى أن ابرؤز للطعان ، واصبر للجلاد ،
وإنما تمنيك نفسك أمانى الباطل ، وتعدك الفرور ، ألا هبيلتهم^(١) الهبول ، لقد كنت
وما أهدد بالحرب ، ولا أرهب بالضرب ، ولقد أنصف القارة^(٢) من رامها ، فليعدوا
وليبرقوا ، فقد رأوني قديما ، وعرفوا نكايتي ، فكيف رأوني ؟ أنا أبو الحسن الذي قلتُ
حدّ المشركين ، وفترت جماعتهم ، وبذلك القلب ألقى عدويّ اليوم ، وإني لعلی ما وعدني
ربي من النصر والتأييد ، وعلى يقين من أمري ، وفي غير شبهة من ديني .

أيها الناس : إن الموت لا يفوته المقيم ، ولا يُعجزه الهارب ، ليس عن الموت تحييد
ولا تحييص ، من لم يُقتل مات ، إن أفضل الموت القتل ، والذي نفس على بيده لألف
ضربة بالسيف أهون من موة واحدة على الفراش .

اللهم إن طلحة نكث بيعتي ، وألب على عثمان حتى قتله ، ثم عضه^(٣) به ورماني ،
اللهم فلا تُنمِّله .

اللهم إن الزبیر قطع رحى ، ونكث بيعتي ، وظاهر علیّ عدوى ، فاكفنيه اليوم
بما شئت » ثم نزل .
(ابن أبي الحديد م ١ : ١٠١)

(١) هبيلته أمه : شكته .

(٢) القارة : قبيلة ، وهم قوم رماة . (٣) عضه : بهته وقال فيه مالم يكن .

١٦٥ - خطبة لعلی

حمد الله وصلى على رسوله ثم قال :

« أما بعد فإنه لما قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأوليائه دون الناس ، لا ينازعنا سلطانه أحد ، ولا يطمع في حقنا طامع ، إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا ، فصارت الإمرة لغيرنا ، وصرنا سُوقَ يطمع فينا الضعيف ، ويتعزز علينا الدليل ، فبكت الأعين منا لذلك ، وخشنت الصدور ، وجزعت النفوس . وأيمُّ الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين ، وأن يعود الكفر ويبور الدين ، لكنا على غير ما كنا لهم عليه ، فولى الأمر ولادة لم يألوا الناس خيرا ، ثم استخرجتموني أيها الناس من بيتي ، فبايعتموني على شئ منى لأمركم ، وفِرَاسة تصدقني مافي قلوب كثير منكم ، وبايعني هذان الرجلان في أول من بايع - تعلمون ذلك - وقد نكثا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ، ليفرقا جماعتكم ، ويلقيا بأسكم بينكم ، اللهم فخذها بما عملا أخذة واحدة رابية ، ولا تنعش لها صرعة ، ولا تُثقل لها عثرة ، ولا تمهلها فؤاقا^(١) ، فإنهما يطلبان حقا تركاه ، ودما سفكاه ، اللهم إني أقتضيك وعدك ، فإنك قلت وقولك الحق « ثُمَّ بُنِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ » اللهم فأنجز لي موعودك ، ولا تكلفني إلى نفسي إنك على كل شيء قدير .

(ابن أبي الحديد م ١ : ١٠١)

١٦٦ - خطبة عدی بن حاتم

يستنفر قومه لنصرة الإمام على

ولما شَخَّصَ الإمام على كرم الله وجهه من المدينة إلى البصرة وقد علم بمسير طلحة والزبير وعائشة إليها ، قام عدی بن حاتم إليه فقال : يا أمير المؤمنين لو تقدمتُ إلى قومي

(١) الفواق بالضم ويفتح : ما بين الحلبتين من الوقت ، أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع .

أخبرهم بمسيرك ، وأستنفِرم ، فإن لك من طيبي مثل الذى معك ، فقال على : نعم فافعل ،
فتقدم عدى إلى قومه ، فاجتمعت إليه رؤساء طيبي ، فقال لهم :

« يا معشر طيبي : إنكم أمسكنم عن حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشرك ،
ونصرتم الله ورسوله فى الإسلام على الردة ، وعلى قادم عليكم ، وقد ضمنت له مثل عِدَّة
من معه منكم ، فخففوا ^(١) معه ، وقد كنتم تقاتلون فى الجاهلية على الدنيا ، فقاتلوا فى
الإسلام على الآخرة ، فإن أردتم الدنيا فعند الله معانم كثيرة ، وأنا أدعوكم إلى الدنيا
والآخرة ، وقد ضمنت عنكم الوفاء ، وباهيت بكم الناس ، فأجيبوا قولى ، فإنكم أعز
العرب داراً ، لكم فضلُ معاشكم وخيلكم ، فاجعلوا فضل المعاش للميال ^(٢) ، وفضل
الخليل للجهد ، وقد أظلمكم على والناس معه من المهاجرين والبدرين ^(٣) والأنصار ،
فكونوا أكثرهم عدداً ، فإن هذا سبيلٌ للحى فيه الغنى والسرور ، وللقاتل فيه
الحياة والرزق . »

فصاحت طيبي : نعم نعم ! حتى كاد أن يُعَمَّ من صياحهم .

(الإمامة والسياسة ١ : ٤٥)

١٦٧ — خطبة زفر بن زيد

يستنفِر قومه لنصرة على أيضاً

وقام إلى على زفر بن زيد الأسدى - وكان من سادة بنى أسد - فقال :
يا أمير المؤمنين ، إن طيئنا إخواننا وجيراننا قد أجابوا عدياً ، ولى فى قوى طاعة ،
فأذن لى فآتيهم ، قال : نعم ، فأتاهم فجمعهم ، وقال :

(١) أى ارتحلوا مسرعين . (٢) جمع عيل (كجيد) وهو من يجب الإنفاق عليه .

(٣) أى الذين حضروا وقعة بدر .

« يا بني أسد : إن عدِيَّ بن حاتم ضَمِنَ لَعَلِّيَ قَوْمَهُ ، فأجابوه ، وقضوا عنه ذِمَّامَهُ^(١) ، فلم يَغْتَلِ الْعَتَى بِالْفَتَى ، ولا الفقيرُ بالفقر ، وواسى بعضهم بعضاً حتى كأنهم المهاجرون في الهجرة ، والأنصار في الأثرَةِ^(٢) ، وهم جيرانكم في الديار ، وخُلَطَاؤُكُمْ^(٣) في الأموال ، فأنشدكم الله لا يقولُ الناسُ غداً : نصرت طيئاً ، وَخَذَلْتُ بنو أسد ، وإن الجار يُقاس بالجار ، كالنمل بالنمل ، فإن خِفْتُمْ فتوسَّعوا في بلادهم ، وانضموا إلى جبلهم ، وهذه دعوة لها ثَوَابٌ من الله في الدنيا والآخرة .

(الإمامة والسياسة ١ : ٤٦)

١٦٨ — خطبة علي بالربذة

روى الطبري قال :

لما أتى عليا الخبر - وهو بالمدينة - بأمر عائشة وطلحة والزبير أنهم قد توجهوا نحو العراق ، خرج يبادر وهو يرجو أن يدرّكهم ويردهم ، فلما انتهى إلى الربذة^(٤) أتاه عنهم أنهم قد أمعنوا ، فأقام بالربذة أياماً ، وبقي بها يتهياً ، وأرسل إلى المدينة فلحقه ما أراد من دابة وسلاح ، وقام في الناس فخطبهم وقال :

« إن الله عز وجل أعزنا بالإسلام ، ورفّعنا به ، وجعلنا به إخواناً بعد ذلّة وقلّة ، وتباغض وتباعد ، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله ، الإسلامُ دينُهُم ، والحقُّ فيهِم ، والكتابُ إمامُهُم ، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان ، لِيَنزِغَ بين هذه الأمة ، ألا إن هذه الأمة لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلهم ، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن .

(١) المهد والحرمة . (٢) أي يؤثر كل منهم أخاه على نفسه ، ويفضله كما فعل الأنصار بالمهاجرين

« وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » (٣) الخُلَطَاءُ : جمع خَلِيط ، وهو الشريك .

(٤) قرب المدينة .

ثم عاد ثانية فقال : إنه لا بد مما هو كائن أن يكون . ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، شرها فرقة تنتحلني ولا تعمل بعملى ، فقد أدركتم ورأيتم ، فالزموا دينكم واهدؤا بهدى نبيكم صلى الله عليه وسلم واتبعوا سنته ، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن ، فما عرفه القرآن فالزموه ، وما أنكره فردوه ، وارضوا بالله عز وجل رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، وبالقرآن حكماً وإماماً .

(تاريخ الطبرى ٥ : ١٨٥)

١٦٩ خطبة سعيد بن عبيد الطائى

ولما كان الإمام على كرم الله وجهه بالرَّبْدَةِ ، أنته جماعة من طيى ، فقيل لعلّى : « هذه جماعة من طيى قد أتتك ، منهم من يريد الخروج معك ، ومنهم من يريد التسليم عليك » قال : « جزى الله كلاً خيراً ، وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » ثم دخلوا عليه ، فقال على : ما شهدتمونا به ؟ قالوا : شهدناك بكل ما تحب ، قال : « جزاكم الله خيراً ، فقد أسلمتم طائعين ، وقاتلم المرتدين ، ووافيتهم بِصَدَقَاتِكُمُ الْمَسَامِينَ » فنهض سعيد بن عبيد الطائى فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن من الناس مَنْ يُعَبِّرُ لسانه عما فى قلبه ، وإنى والله ما كُلتُ ما أُجِدُّ فى قلبى يُعَبِّرُ عنه لسانى ، وسأجهدُ (وبالله التوفيق) أما أنا فساأنصح لك فى السِّرِّ والعَلَانِيَةِ ، وأقاتل عدوك فى كل موطن ، وأرى لك من الحق ما لا أراه لأحد من أهل زمانك ، لفضلك وقرابتك » .

قال : رحمك الله ! قد أدّى لسانك عما يُجِنُّ^(١) ضميرك ، فقتل معه نصفين رحمه الله !

(تاريخ الطبرى ٥ : ١٨٤)

(١) يجن : أى يستر ويخفى .

١٧٠ - خطبة الحسن بن علي

ولما دخل الحسن وعمار الكوفة اجتمع إليهما الناس فقام الحسن فاستنفر الناس .
فحمد الله وصلى على رسوله ثم قال :

« أيها الناس إنّا جئنا ندعوكم إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله ، وإلى أفقه من تفقه من المسلمين وأعدل من تعدلون ، وأفضل من تفضلون ، وأوفى من تبايعون ، من لم يعبه القرآن ، ولم تجهله السنة ، ولم تقعد به السابقة ، إلى من قرّبه الله تعالى ورسوله قرابتين قرابة الدين وقرابة الرحم ، إلى من سبق الناس إلى كل مآثرة ، إلى من كفى الله ورسوله والناس متخاذلون ، فقرّب منه وهم متباعدون ، وصلى معه وهم مشركون ، وقاتل معه وهم منهزمون ، وبارز معه وهم محجمون ، وصدّقه وهم يكذبون ، إلى من لم تردّ له ولا تكافأ له سابقة ، وهو يسألكم النصر ، ويدعوكم إلى الحق ، ويأمركم بالمسير إليه لتوازروه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته ، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه ، ومثلوا بعماله ، وانتهبوا بيت ماله ، فاشخصوا إليه رحمكم الله ، فمروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر ، واحضروا بما يحضر به الصالحون » .
(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ٢٩٢)

١٧١ - خطبة أخرى للحسن

« الحمد لله العزيز الجبار ، الواحد القهار ، الكبير المتعال ، سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ، أحمدته على حسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، وعلى ما أحبيننا وكرهنا من شدة ورخاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، امتن علينا بنبوته ، واختصه برسالته ، وأنزل عليه وحيه ، واصطفاه على جميع خلقه ، وأرسله إلى الإنس والجن ، حين عبّدت الأوثان ، وأطيع الشيطان ، وجحد الرحمن ، وصلى الله عليه وعلى آله ، وجزاه أفضل ما جزى المسلمين .

أما بعد ، فإني لا أقول لكم إلا ما تعرفون ، إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ،
أرشد الله أمره ، وأعز نصره ، بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب ، وإلى العمل بالكتاب ،
والجهاد في سبيل الله ، وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون ، فإن في آجله ما تحبون
إن شاء الله .

ولقد علمتم أن عليا صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحده . وإنه يوم صدق به
لني عاشرة من سنه ، ثم شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله جميع مشاهدته ، وكان من
اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم ، ولم يزل
رسول الله صلى الله عليه وآله راضياً عنه ، حتى غمضه بيده ، وغسله وحده ، والملائكة
أعوانه ، والفضل ابن عمه ينقل إليه الماء ، ثم أدخله حفرة ، وأوصاه بقضاء دينه وعداته
وغير ذلك من أموره ، كل ذلك من من الله عليه .

ثم والله ما دعا إلى نفسه ، ولقد تذاك الناس عليه تذاك الإبل الهيم عند ورودها ،
فبايعوه طائعين ، ثم نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه ، ولا خلاف أتاه ، حسدا
له وبغيا عليه .

فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته والجد والصبر والاستعانة بالله والخوف إلى ما دعاكم
إليه أمير المؤمنين ، عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه وأهل طاعته ، وألهمنا وإياكم
نقواء ، وأعاننا وإياكم على جهاد أعدائه ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ٢٩٢)

١٧٢ — خطبة عمار بن ياسر

وقام بعده عمار ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال :

أيها الناس أخو نبيكم وابن عمه يستنفركم لنصر دين الله . وقد بلاكم الله بحق دينكم ،
وحرمة أمكم ، فحق دينكم أوجب ، وحرمة أعظم .

« أيها الناس عليكم بإمام لا يؤدّب ، وقيقه لا يعلم ، وصاحب بأس لا ينكل ، وذى سابقة فى الإسلام ليست لأحد ، وإنكم لو قد حضرتموه بين لكم أمركم إن شاء الله » .

١٧٣ - خطبة أبى موسى الأشعرى

فلما سمع أبو موسى الأشعرى خطبة الحسن وعمار قام فصعد المنبر وقال :

الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد فجمعنا بعد الفركة ، وجعلنا إخواناً متحابين بعد العداوة وحرّم علينا دماءنا وأموالنا ، قال الله سبحانه : (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) وقال تعالى : (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا) فاتقوا الله عباد الله . وضعوا أسلحتكم ، وكفوا عن قتال إخوانكم .

أما بعد ، ياهل الكوفة إن تطيعوا الله بأديا ، وتطيعوني ثانيا تكونوا جُرثومة^(١) من جرائيم العرب ، يأوى إليكم المضطر ، ويأمن فيكم الخائف ، إن علياً إنما يستنفركم للجهاد أمكم عائشة وطلحة والزبير حوارى رسول الله ومن معهم من المسلمين ، وأنا أعلم بهذه الفتن . إنها إذا أقبلت شبّهت ، وإذا أدبرت أسفرت ، إني خائف عليكم أن يلتقى غارّان منكم فيقتتلا ، ثم يُتركا كالأحلاس الملقاة بنجوة من الأرض لا يُدرى من أين تؤتى ، ترك الحليم حيران ، كأنى أسمع رسول الله صلى الله عليه وآله بالأمس يذكر الفتن فيقول : أنت فيها نائماً خيراً منك قاعداً ، وأنت فيها جالسا خيراً منك قائماً ، وأنت فيها قائماً خيراً منك ساعياً ، فمَلُّوا سيوفكم ، وقصّفوا رماحكم ، وأنصِلُوا^(٢) سهامكم ، وقطعوا أوتاركم ، وخلوا قرشاً ترتق فتقها ، وترأب صدعها ، فإن فعلت فلا نفسها مافعلت ، وإن أبت فعلى أنفسها ما جنت ، سمها فى أديها ، استنصحنى ولا تستغشونى ، وأطيعونى ولا تعصونى ، يتبين لكم رشدكم ، وتصلى هذه الفتنة من جناها . (شرح ابن الحديّد م ٢٩٣)

(١) جرثومة الشيء: أصله . (٢) أنصل السهم ونصله بالتشديد: جعل فيه نصلاً وأزاله عنه - ضد .

صورة أخرى

١٧٤ - خطبة أبي موسى الأشعري

وكتب الإمام عليّ من الرّبذة أبا موسى الأشعري - وكان عامله على الكوفة -
ليستنفر الناس لقتال عائشة ومن معها ، فنبطهم وخطبهم ، فقال :

« أيها الناس : إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين محبوبه في المواطن ، أعلم بالله
جلّ وعزّ وبرسوله صلى الله عليه وسلم ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقاً ، فأنا مؤدّيه
إليكم ، كان الرأي ألاّ تستخفّوا بسلطان الله عزّ وجلّ ، ولا تجترئوا على الله عزّ وجلّ ،
وكان الرأي الثاني أن تأخذوا من قدّم عليكم من المدينة فتدروم إليها ، حتى يجتمعوا ، وهم
أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم ، ولا تكلّفوا الدخول في هذا ، فأما إذ كان ما كان ،
فإنها فتنة صمّاء ، الدائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القاعد . والقاعد خير
من القائم ، والقائم خير من الراكب ، فكونوا جرّثومة^(١) من جراثيم العرب ،
فأغمّدوا^(١) السيوف ، وأنصّلوا الأسنة ، واقطعوا الأوتار ، وآووا المظلوم والمضطهد ،
حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجلي هذه الفتنة » .

(تاريخ الطبري ٥ : ١٨٧ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ١١٣)

(١) غمد السيوف يغمده كنصر وضرب وأغمده : جعله في الغمد .

١٧٥ — صورة أخرى

وخطب أيضاً في هذا الصدد ، فقال :

« أيها الناس : أطيعوني تسكنوا جرثومة من جرائم العرب ، ياوئى إليكم المظلوم ، ويأمن فيكم الخائف ، إنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أعلم بما سمعنا ، إن الفتنة إذا أقبلت شُبِّهَتْ ، وإذا أدبرت بَيِّتَتْ ، وإن هذه الفتنة باقرة^(١) كداء البطن ، تجرى بها الشَّمالُ والجَنُوبُ ، والصِّبا^(٢) والدَّبُورُ ، فتسكن أحيانا ، فلا يُدْرَى من أين تؤتى ، تَذَرُ الحليم كابن أمس ، شيموا^(٣) سيوفكم ، وقَصِّدُوا^(٤) رماحكم ، وأرسلوا سهامكم ، واقطعوا أوتاركم ، والزموا بيوتكم ، خَلُّوا قريشاً إذا أبوا إلاَّ الخروجَ من دار الهجرة ، وفراق أهل العلم بالإمرة ، ترتق^(٥) فتقها ، وتَشَعَّب^(٦) صدعها ، فإن فعلت فلا نفسها سَمَتْ ، وإن أبت فعلى أنفسها جنت ، سَمَّها شَرِيق في أديمها ، استنصحنوني ولا تستغشوني ، وأطيعوني يَسَلَمَ لكم دينكم ودنياكم ، ويشقى بحرَّ هذه الفتنة من جناها . »

١٧٦ — خطبة زيد بن صوحان

فقام زيد بن صوحان ، فشال^(٧) يده المقطوعة ، فقال :

« يا عبد الله^(٨) بْنَ قَيْسٍ ، رُدَّ الْفُرَاتُ عَنْ أَدْرَاجِهِ^(٩) ، أَرُدُّدَهُ مِنْ حَيْثُ يَجْئِ ،

(١) فتنة باقرة : صادعة للألفة شاقة للعصا . وفي الكامل لابن الأثير : فاقرة بانفاء ، وهي الداهية تسكر فقار الظهر . (٢) الصبا : ريح تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار . والدبور : ريح تقابلها . (٣) شام سيفه يشيمه : غمده واستله ، ضد . (٤) التقصيد والقصد : الكسر بأى وجه كان أو بالنصف ، ورمح قصد ككتف وقصيد وأقصاء متكسر . (٥) رتق الفتق : سده . (٦) الشعب : الإصلاح والإفصاد ، والجمع والتفريق ، ضد . (٧) شال : رفع ؛ قطعت يده يوم جلولاه ، وقيل بالقادسية في قتال الفرس ؛ وقتل يوم الجمل (أسد الغابة ٢ : ٢٣٤) . (٨) هو اسم أبي موسى . (٩) جمع درج بفتحيتين ، وهو الطريق .

حتى يعود كما بدأ ، فإن قدرت على ذلك ، فستقدر على ما تريد ، فدع عنك ما لست
مُذْرِكُهُ ، ثم قرأ : (اَلَمْ ، اَحَسِبَ النَّاسُ اَنْ يُتْرَكُوا اَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ،
وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِيْنَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِيْنَ) سيروا
إلى أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، وَأَنْفِرُوا^(١) إليه أجمعين ، تصيبوا الحق .

١٧٧ — خطبة القعقاع بن عمرو

فقام القعقاع بن عمرو فقال :

« إني لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، أحب أن ترشدوا^(٢) ، وَلَا قَوْلَانِ لَكُمْ قَوْلًا
هُوَ الْحَقُّ ، أما ما قال الأمير فهو الأمر ، لو أن إليه سبيلاً ، وأما ما قال زيد فزيد عدو هذا
الأمر ، فلا تدنصحوه ، فإنه لا ينتزع أحد من الفتنة طعن فيها ، وجرى إليها ، والقول
الذي هو الحق أنه لا بدّ من إمارة تنظم الناس ، وتزَع^(٣) الظالم ، وتُعِزُّ المظلوم ، وهذا
على بلى بما ولي ، وقد أنصف في الدعاء ، وإنما يدعو إلى الإصلاح ، فأنفروا وكونوا من هذا
الأمر بمرأى ومسمع . »

١٧٨ — خطبة سيحان بن صوحان

وقال سيحان :

« أيها الناس : إنه لا بدّ لهذا الأمر وهؤلاء الناس من وال ، يدفع الظالم ويُعِزُّ
المظلوم ، ويجمع الناس ، وهذا واليكم يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحبيه^(٤) ، وهو المأمون
على الأمة ، الفقيه في الدين ، فمن نهَضَ إليه ، فإننا سائرُونَ معه . »

(١) اذهبوا . وكانت السيدة عائشة قد كتبت إليه كتاباً تأمره فيه بملازمة بيته أو نصرتها ، فقال :
أمرت أن تقر في بيتها ، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة ، فأمرتنا بما أمرت به ، وركبت ما أمرنا به .
(٢) رشد : كنصر وفرح . (٣) تردع وتكف . (٤) طلحة والزبير .

١٧٩ — خطبة الحسن بن علي

وقام الحسن بن علي رضي الله عنه ، فقال :

« أيها الناس : أجيئوا دعوة أميركم ، وسيروا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفّر إليه ، والله لأن يلبّيه أولو النهى أمثل في العاجلة ، وخير في العاقبة ، فأجيئوا دعوتنا ، وأعِينُونَا عَلَى مَا ابْتَلَيْنَا بِهِ وَابْتَلَيْتُمْ ، وإن أمير المؤمنين يقول : قد خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً ، وإنّي أذكر الله رجلاً رعى حق الله إلا نفّر ، فإن كنت مظلوما أعانني ، وإن كنت ظالماً أخذ مني ، والله إن طلحة والزبير لأول من بايعني ، وأول من غدر ، فهل استأثرت ببال ، أو بدلت حكماً ؟ فانفّروا ، ففروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر » .

(تاريخ الطبري ٥ : ١٨٨ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ١١٤)

١٨٠ — وفادة القعقاع بن عمرو إلى أصحاب الجمل

ولما نزل الإمام عليّ كرم الله وجهه بذي قارٍ ، دعا القعقاع بن عمرو ، فأرسله إلى أهل البصرة ، وقال له : إلقِ هذين الرجلين — طلحة والزبير — يا ابن الحنظلية ، « وكان القعقاع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم » فادّعهما إلى الألفة والجماعة ، وعظّم عليهما الفرقة ، وقال له : كيف أنت صانع فيما جاءك منهما ، مما ليس عندك فيه وصاة^(١) مني ؟ فقال : نلقاهم بالذي أمرت به ، فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأي ، اجتهدنا الرأي ، وكلمناه على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي ، قال : أنت لها .

فخرج القعقاع حتى قَدِمَ البصرة فبدأ بعائشة رضى الله عنها ، فسلم عليها ، وقال :
 أَيْ أُمِّهِ : مَا أَشْخَصَكَ وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبَلَدَةَ ؟ قَالَتْ : أَيْ بُنَى : إِصْلَاحُ بَيْنِ النَّاسِ ،
 قَالَ : فَأَبْنَى إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ، حَتَّى تَسْمَعَ كَلَامِي وَكَلَامَهُمَا ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِمَا فَجَاءَا ، فَقَالَ :
 إِنِّي سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَشْخَصَهَا وَأَقْدَمَهَا هَذِهِ الْبِلَادَ ؟ فَقَالَتْ : إِصْلَاحُ بَيْنِ النَّاسِ ،
 فَمَا تَقُولَانِ أَنْتُمَا ؟ أُمْتَابِعَانِ أَمْ مُخَالَفَانِ ؟ قَالَا : مُتَعَابِعَانِ ، قَالَ : فَأَخْبِرَانِي ، مَا وَجَّهَ هَذَا
 الْإِصْلَاحَ ؟ فَوَاللَّهِ لَنْ عَرَفْنَاهُ أَنْصَلِحَنَّ ، وَلَنْ أَنْكَرْنَاهُ لَا نُصْلِحْ ، قَالَا : قَتَلَهُ عُمَانُ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنْ هَذَا إِنْ تَرَكْ كَانَ تَرْكَاً لِلْقُرْآنِ ، وَإِنْ عَمِلَ بِهِ كَانَ إِحْيَاءً لِلْقُرْآنِ ،
 فَقَالَ : قَدْ قَتَلْتُمَا قَتْلَةَ عُمَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَأَنْتُمْ قِيلَ قَتَلْتُمْ أَقْرَبُ إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ مِنْكُمْ
 الْيَوْمَ ، قَتَلْتُمْ سِتْمَانَةَ إِلَّا رَجُلًا ، فَغَضِبَ لَهُمْ سِتَّةَ آلَافٍ ، وَاعْتَزَلُوكُمْ ، وَخَرَجُوا مِنْ بَيْنِ
 أَظْهُرِكُمْ ، وَطَلَبْتُمْ ذَلِكَ الَّذِي أَفْلَتَ — يَعْنِي حُرْقُوصَ بْنِ زُهَيْرٍ — فَفَعْنَهُ سِتَّةَ آلَافٍ
 وَهَمَّ عَلَى رَجُلٍ ، فَإِنْ تَرَكْتُمُوهُ كُنْتُمْ تَارِكِينَ لِمَا تَقُولُونَ ، فَإِنْ قَاتَلْتُمُوهُمُ وَالَّذِينَ اعْتَزَلُوكُمْ
 فَأَدْبِلُوا^(١) عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِي حَذَرْتُمْ وَقَرَّبْتُمْ^(٢) بِهِ هَذَا الْأَمْرَ أَعْظَمُ مِمَّا أَرَأَاكُمْ تَكْرَهُونَ ،
 وَأَنْتُمْ أَحْمِيتُمْ مُضَرَ وَرَبِيعَةَ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ ، فَاجْتَمِعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ وَخَذِلَانَكُمْ نُصْرَةَ هَؤُلَاءِ
 كَمَا اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ لِأَهْلِ هَذَا الْحَدَثِ الْعَظِيمِ ، وَالذَّنْبِ السَّكْبِيرِ .

فَقَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ : فَتَقُولُ أَنْتِ مَاذَا ؟ قَالَ : أَقُولُ هَذَا الْأَمْرَ دَوَاوُهُ التَّسْكِينُ ، وَإِذَا
 سَكَنَ اخْتَلَجُوا^(٣) ، فَإِنْ أَنْتُمْ بَايَعْتُمُونَا فَعَلَامَةُ خَيْرٍ ، وَتَبَاشِيرُ رَحْمَةٍ ، وَدَرَكٌ بِثَأْرِ هَذَا
 الرَّجُلِ ، وَعَافِيَةٌ وَسَلَامَةٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَإِنْ أَنْتُمْ أَبَيْتُمْ إِلَّا مَكَابِرَةَ هَذَا الْأَمْرِ وَاعْتِسَافَهُ ،
 كَانَتْ عَلَامَةُ شَرٍّ وَذَهَابَ هَذَا النَّارُ ، وَبَعَثَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ هَزَاوَةً^(٤) ، فَأَثَرُوا الْعَافِيَةَ
 تَرْزُقُوهَا ، وَكُونُوا مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ ، كَمَا كُنْتُمْ تَسْكُونُونَ ، وَلَا تَعْرِضُوا لِلْبَلَاءِ ، وَلَا تَعْرِضُوا

(١) أَيْ غَلِبُوكُمْ وَانْتَصَرُوا عَلَيْكُمْ . (٢) قَرَبَهُ (كَسَمَعَ) قَرَبَ مِنْهُ (كَسَكَّرَ) .

(٣) اضْطَرَبُوا وَتَفَكَّكُوا . (٤) الْمُهْزَاةُ وَالْمُهْزَاةُ : تَحْرِيكُ الْبَلَايَا وَالْحُرُوبِ النَّاسِ .

له ، فَيَصْرَعَنَّا وَإِيَّاكُمْ ، وَأَيُّمُ اللَّهِ إِنِّي لَأَقُولُ هَذَا وَأَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ ، وَإِنِّي لَخَائِفٌ الْآيَتِمْ
حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَاجَتَهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، الَّتِي قُلَّ مَتَاعُهَا ، وَنَزَلَ بِهَا مَا نَزَلَ ، فَإِن
هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي حَدَثَ لَيْسَ يَقْدَرُ ، وَلَيْسَ كَالْأُمُورِ ، وَلَا كَقَتْلِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ ، وَلَا
النَّفَرِ الرَّجُلَ ، ، وَلَا الْقَبِيلَةَ الرَّجُلَ » .

فَقَالُوا : نَعَمْ ، إِذْنٌ قَدْ أَحْسَنْتَ وَأَصَبْتَ الْمَقَالَةَ فَارْجِعْ ، فَإِن قَدِمَ عَلَيَّ ، وَهُوَ عَلَى مِثْلِ
رَأْيِكَ ، صَلَحَ هَذَا الْأَمْرُ ، فَارْجِعْ إِلَى عَلِيٍّ فَأَخْبِرْهُ ، فَأَعْجِبْهُ ذَلِكَ ، وَأَشْرَفَ الْقَوْمَ عَلَى الصَّلَحِ ^(١) .
(تاريخ الطبري ٥ : ١٩١)

١٨١ - خطبة علي بن أبي طالب

فَلَمَّا رَجَعَ الْقَمَقَاعُ مِنْ عِنْدَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ، جَمَعَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ النَّاسِ ، ثُمَّ قَامَ
عَلَى الْفَرَائِثِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَكَرَ
أَجْلَاهِلِيَّةَ وَشَقَايَا ، وَالْإِسْلَامَ وَالسَّعَادَةَ ، وَإِنْعَامَ اللَّهِ عَلَى الْأُمَّةِ بِالْجَمَاعَةِ بِالْخَلِيفَةِ ، بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ ، ثُمَّ حَدَّثَ هَذَا الْحَدَّثَ ، الَّذِي جَرَّهَ
عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَقْوَامٌ طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا ، حَسَدُوا مَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى الْفَضِيلَةِ ، وَأَرَادُوا
رَدَّ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَدْبَارِهَا ، وَاللَّهُ بِالْغَيْبِ أَمْرُهُ ، وَمُصِيبٌ مَا أَرَادَ ، أَلَا إِنِّي رَاحِلٌ غَدًا فَارْتَحِلُوا ،
أَلَا وَلَا يَرْتَحِلُنْ غَدًا أَحَدٌ أَعَانَ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِشَيْءٍ ، فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ ،
وَلْيُفْنِ السَّفَهَاءُ عَنْ أَنْفُسِهِمْ » .
(تاريخ الطبري ٥ : ١٩٤)

(١) وَلَكِنَّ السَّبْئِينَ أَحْبَبُوا مَسَاعِيَ الصَّلَحِ ، إِذْ خَرَجُوا إِلَى الْغُلَسِ دُونَ أَنْ يَشْرِبَهُمْ أَحَدٌ ؛ فَقَصَدَ
مَضْرِبَهُمْ مَضْرِبَ الْبَصْرَةِ ، وَرَبِعَتُهُمْ رِبْعَةُ الْبَصْرَةِ ، وَبَيْنَهُمْ بَيْنَ الْبَصْرَةِ ، وَوَضَعُوا فِيهِمُ السَّلَاحَ . فَتَارَكَلْ
قَوْمٌ فِي وَجْهِهِمْ أَصْحَابَهُمْ ، وَدَارَتْ رَحَى الْقِتَالِ بَيْنَهُمْ ، وَكَلَّا انْفَرِيقَيْنِ لَا يَعْلَمُ بَكْتَهُ تِلْكَ الْمُسْكِدَةُ ، وَكَانَ
بَيْنَهُمَا مَا كَانَ .

١٨٢ - خطبة لعلی

ولما أراد علیّ المسير إلى البصرة قام فخطب الناس فقال بعد أن حمد الله وصلى على رسوله :

إن الله لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله . استأثرت علينا قریش بالأمر ، ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة ، فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين ، وسفك دمائهم ، والناسُ حديثو عهد بالإسلام ، والدين يُمخض مخض الوطْب^(١) يفسده أدنى وهن ، وينكسه^(٢) أقل خلق ، فولى الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهادا ، ثم انتقلوا إلى دار الجزاء ، والله ولى تمحيص سيئاتهم ، والعفو عن هفواتهم ، فما بال طلحة والزبير — وليس من هذا الأمر بسبيل — لم يصبرا على حولا ولا أشهراً حتى وثبا ومرقا ، ونازعانى أمرا لم يجعل الله لهما إليه سبيلا ، بعد أن بايعانى طائعين غير مكرهين ، يرتضعان أمّا قد قطعت ، ويحييان بدعة قد أميتت ، أدمَ عثمان زَعَمًا ؟ والله ما التبعة إلا عندهم وفيهم ، وإن أعظم حجتهم لعلی أنفسهم ، وأنا راض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم ، فإن فاءا وأنا با فخطهما أحرزا ، وأنفسهما غنيا ، وأعظم بهما غنيمةً ، وإن أبيا أعطيتهما حدَّ السيف ، وكفى به ناصرا لحقٍّ ، وشافيا لباطلٍ » ثم نزل .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ١٠٢)

(١) الوطْب : سقاء اللبن . (٢) فى الأصل « ويمكسه » وأراه محرفا ، نكسه : قلبه

١٨٣ - خطبة لعلی

وخطب فقال :

« الحمد لله على كلِّ أمرٍ وحالٍ ، في الغدوِّ والآصال ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ابتعثه رحمة للعباد ، وحياء للبلاد ، - حين امتلأت الأرض فتنة ، واضطرب حيلها ، وعُبد الشيطان في أكفافها ، واشتمل عدوُّ الله إبليس على عقائد أهلها ، فكان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي أطفأ الله به نيرانها ، وأخذ به شرارها ، ونزع به أوتادها ، وأقام به ميلها ، إمام الهدى ، والنبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، فلقد صدع بما أمر به ، وبلغ رسالات ربه ، فأصلح الله به ذات البين ، وآمن به السبل ، وحقن به الدماء ، وآلف به بين ذوى الضغائن الواغرة في الصدور ، حتى أتاه اليقين ، ثم قبضه الله إليه حميدا .

ثم استخلف الناس أبا بكر فلم يأل جهده ، ثم استخلف أبو بكر عمر فلم يأل جهده ، ثم استخلف الناس عثمان ، فنال منكم ونلت منكم ، حتى إذا كان من أمره ما كان ، أتيتموني لتبايعوني فقلت لا حاجة لي في ذلك ودخلت منزلي فاستخرجتموني ، فقبضت يدي فبسطتموها ، وتداككتم على حتى ظننت أنكم قاتلي ، وأن بعضكم قاتل بعض ، فبايعتموني وأنا غير مسرور بذلك ولا جذل ، وقد علم الله سبحانه أني كنت كارها للحكومة بين أمة محمد صلى الله عليه وآله ، ولقد سمعته صلى الله عليه وآله يقول : « مَا مِنْ وَائِلٍ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي إِلَّا أَتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولَةٌ يَدَاهُ إِلَى عِقِهِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ ، ثُمَّ يُنْشَرُ كِتَابُهُ ، فَإِنْ كَانَ عَادِلًا نَجَا ، وَإِنْ كَانَ جَائِرًا هَوِيَ » حتى اجتمع على ملؤكم ، وبايعني طلحة والزبير ، وأنا أعرف الغدر في أوجههما ، والنكث في أعينهما ، ثم استأذناني في العمرة فأعلمتهما أن ليس العمرة يريدان ، فساروا إلى مكة واستخفعا شاة وخذعاها ، وشخص معهما أبناء الطلقاء ، فقدموا البصرة فقتلوا بها المسلمين وفعلوا المنكر ، ويا عجبا

لاستقامتهما لأبي بكرٍ وعمر وبغيهما علىّ وهما يعلمان أنّي لست دون أحدهما ، ولو شئت أن أقول لقلتُ ، ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشّام كتاباً يندعهما فيه ، فكتماهُ عنّي ، وخرجا يوهمان الطّعام أنهما يطلبان بدم عثمان ، والله ما أنكرا علىّ منكرا ، ولا جعلنا بيني وبينهم نصفاً ، وإن دم عثمان لمعصوب بهما ومطلوبٌ منهما ، يا خيبة الدّاعي لإلّام دعا ؟ وبماذا أجيب ؟ والله إني لعلّ ضلالة صمّاء ، وجهالة عمياء ، وإنّ الشيطان قد ذمر لها حزبه ، واستجلب منهما خيله ورّجه ، ليعيد الجور إلى أوّطانه ، ويردّ الباطل إلى نصابه .

ثم رفع يديه فقال : اللهم إنّ طلحة والزبير قطعاني وظلماني وألبّا علىّ ، فاحلّ ما عقدا ، وانكث ما أبرما ، ولا تنفر لهما أبداً ، وأرهما المساء فيما عملا وأمّلا .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ١٠٢)

١٨٤ — خطبة الأشتر

فقام إليه الأشتر فقال :

« الحمد لله الذي منّ علينا فأفضل ، وأحسن إلينا فأجزل ، قد سمعنا كلامك يا أمير المؤمنين ، ولقد أصبت ووقفت وأنت ابن عم نبيّنا ، وصهره ووصيه ، وأوّل مصدّق به ومصلّ معه ، شهدت مشاهدته كلها ، فكان لك الفضل فيها على جميع الأمّة ، فن اتبعك أصاب حظّه ، واستبشر بفلّجه^(١) ، ومن عصاك ورغب عنك فإلى أمه الهاوية ، لعمرى يا أمير المؤمنين ما أسر طلحة والزبير وعائشة علينا بمُخِيل^(٢) ، ولقد دخل الرّجلان فيما دخلا فيه ، وفارقا على غير حدّث أحدثت ولا جور صنعت ، فإن زعما أنهما يطلبان بدم عثمان فليقيدا من أنفسهما ، فإنهما أوّل من ألب عليه وأغرى النّاس بدمه ، وأشهد الله لنن لم يدخلنا فيما خرّجا منه لنلحقنهما بعمان ، فإن سيوفنا في عواتقنا ، وقلوبنا في صدورنا ، ونحن اليوم كما كنّا أمس » ثم قعد .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ١٠٢)

(١) الفلج : الفوز . (٢) من أخالت الناقة إذا كان في ضرعها لبن ، والأرض بالنبات ازدانت .

١٨٥ — خطبة السيدة عائشة (توفيت سنة ٥٧ هـ)

وخطبت السيدة عائشة وقد أخذ الناس مصافهم للحرب فقالت :

« أما بعد : فإننا كنا نعلمنا على عثمان ضرب السوط ، وإسرة الفتيان ، وموقع السحابة الحمية ، ألا وإنكم استعيتبتموه فأعتبكم ، فلما مُضْتَمَّوْهُ (١) كما يماص الثوب الرّاحيض (٢) عدوتم عليه ، فارتكبتم منه دما حراما ، وإيم الله إن كان لأحصنكم فرجا ، وأتقاكم الله . »

(شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٨١)

١٨٦ — خطبة لعلی

وخطب على لما تواقف الجمعان فقال :

« لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤكم ، فإنكم محمد الله على حجة ، وكفكم عنهم حتى يبدؤكم حجة أخرى، وإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح ، وإذا هزمتهم فلا تتبعوا مدبرا ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تملأوا بقتيل ، وإذا وصلتم إلى حال القوم فلا تهتكوا سترًا ، ولا تدخلوا دارا ، ولا تأخذوا من أموالهم شيئا ، ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم ، وسببن أمراءكم وصلحاءكم ، فإنهن ضعاف القول والأنفس والعقول ، لقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات ، وإن كان الرجل ليقناول المرأة بالهراوة والجريدة ، فيعتير بها وعقبه من بعده . »

(شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٨١)

(١) الموص : بذلك باليد . (٢) رخص الثوب كتمه : غسله فهو رحيض ومرحوض .

١٨٧ — خطبة السيدة عائشة يوم الجمل

وخطبت السيدة عائشة رضى الله عنها أهل البصرة يوم الجمل فقالت :

« أيها الناس : صه صه ، إن لى عليكم حقّ الأُمومة ، وَحُرْمَةُ المَوْعِظَةِ ، لَا يَتَّبِعُهُمُنِي إِلَّا مَنْ عَصَى رَبَّهُ ، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَخْرِي ^(١) وَنَحْرِي ، فأنا إحدى نساياه في الجنة ، له أَدَخَرَنِي رَبِّي ، وَخَلَصَنِي مِنْ كُلِّ بَضَاعَةٍ ، وَبَيَّ مَيِّزَ مَنْافَقِكُمْ مِنْ مُؤْمِنِكُمْ ، وَبَيَّ أَرْخَصَ اللَّهِ لَكُمْ فِي صَيْدِ الْأَبْوَاءِ ^(٢) ، ثُمَّ أَيْ ثَانِي اثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا وَأَوَّلُ مِنْ تُسَمَّى صِدِّيقًا ، مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم راضياً عنه ، وطوّقه أعباء الإمامة ، ثم اضطرب حبل الدين بعده ، فسك أبي بطرفيه ، ورتق لكم فتق النفاق ، وأغاض نَبْعَ الرَّدَّةِ . وأطفأ ما حَشَّ ^(٣) يهود ، وأنتم يومئذ جُحُظُ العيون ، تنظرون الغدرة ، وتسمعون الصيحة ، فَرَّأَبَ الثَّأِي ^(٤) وَأَوْدَ ^(٥) مِنَ الْغِلَظَةِ ، وانتاش من الهُوَّةِ ،

(١) السحر : الرثة . (٢) الصيد : التراب أو وجه الأرض ، والأبواء : قرية بها قبر أمّته بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم ، تشبر إلى ما حدث ببركتها من ترخيص المولى (جل وعلا) للمسلمين في التيمم إذا لم يجدوا ماء يتوضئون به . وفي الحديث : « عن عائشة رضى الله عنها : قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقدى ، فأقام رسول الله على التماسه ، وأقام الناس معه وليسوا على ماء ، فأقى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا ألا ترى ما صنعت عائشة ؟ أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ، وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فجاء أبو بكر ورسول الله قد نام ، فقال حبست رسول الله والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فقالت عائشة فعاتبني أبو بكر ، وقال ما شاء الله أن يقول ، وجعل يطعنني بيده في خصاصرك ، فقام رسول الله حين أصبح على غير ماء ، فأنزل الله آية التيمم ، فتييموا ، فقال أسيد بن الحضير (بصيغة التصغير) ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر ، قالت فبعثنا البعير الذي كنت عليه فأصبنا العقد تحته » (راجع الحديث كاملاً في باب التيمم من صحيح البخارى ١ : ٧٠ ، وصحيح مسلم ١ : ١٤٦) . (٣) حش النار : أوقدها . (٤) الثأى والثأى يسكون الهمزة وفتحها : الإفساد . (٥) أوده فتأود : عطفه فانعطف .

وَأَجْتَعَى^(١) دَفِينَ الدَّاءِ ، حَتَّى أَعْطَنَ^(٢) الْوَارِدُ ، وَأَوْرَدَ الصَّادِرُ ، وَعَلَ^(٣) النَّاهِلُ ، فَقَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَاطَّأَ عَلَى هَامَاتِ^(٤) النِّفَاقِ ، مُذْ كَيَّا^(٥) نَارَ الْحَرْبِ لِلْمُشْرِكِينَ ، فَانْتَضَمَتْ طَاعَتُكُمْ بِحَبْلِهِ ، فَوَلَّى أَمْرَكُمْ رَجُلًا مَرْعِيًّا إِذَا رُكِنَ إِلَيْهِ ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ اللَّابَتَيْنِ^(٦) ، عُرْكَةَ لِلْأَذَاةِ يَجْنِبُهُ^(٧) ، صَفُوحًا عَنْ أَذَاةِ الْجَاهِلِينَ ، يَقْظَانِ اللَّيْلَ فِي نَصْرَةِ الْإِسْلَامِ ، فَسَلَكَ مَسَلَّكَ السَّابِقَةِ ، فَفَرَّقَ شَمْلَ الْفِتْنَةِ ، وَجَمَعَ أَعْضَادَ مَا جَمَعَ الْقُرْآنُ ، وَأَنَا نُصَبُ الْمَسْأَلَةَ عَنْ مَسِيرِي هَذَا ، لَمْ أَلْمَسْ إِثْمًا ، وَلَمْ أُوْنِسْ فِتْنَةً أَوْ طَشَّ كُوهًا ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا صِدْقًا وَعَدْلًا ، وَإِعْذَارًا وَإِنْذَارًا ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَصْلِيَ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَأَنْ يَخْلِفَهُ فِيكُمْ بِأَفْضَلِ خَلَافَةِ الْمُرْسَلِينَ .

(المقد الفريد ٢ : ١٥٦ - ٢٢٦)

١٨٨ — خطبة زفر بن قيس

وكتب الإمام على كرم الله وجهه ، مع زُفر بن قيس إلى جرير بن عبد الله البجلي — وكان على ثغر همدان استعمله عليه عثمان — كتابًا يخبره فيه بما كان بينه وبين أصحاب الجمل ، وما أوتي من الانتصار عليهم ، واستعمال ابن عباس على البصرة ، فلما قدم زفر على جرير بكتاب على وقراه جرير ، قام زفر خطيبًا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إن عليًّا كتب إليكم بكتاب ، لا نقول بعده إلا رَجِيْعًا^(٨) من القول ، إن الناس بايعوا عليًّا بالمدينة غير محاباةٍ ببيعتهم ، لعله بكتاب الله وَبُرَى الحق

(١) اجتعا: استأصله . (٢) أعطن الإبل: حبسها عند الماء . (٣) العل والعلل : (بفتحين)

الشرب بعد الشرب تباعا عل يعمل بكسر العين وضمة ، والنهل : أول الشرب نهل ينهل كفرج .

(٤) جمع هامة : وهي الرأس . (٥) مشعلا . (٦) اللابة : الحرة بفتح الحاء (أرض ذات حجارة

نخرة سود) ولابتا المدينة : حرتان تكتنفانها . أرادت أنه واسع الصدر واسع العطن فاستعارت له اللابة ، كما

يقال : رحب الفناء واسع الجنب . (٧) أي يعرك الأذى يجنبه : أي يحتمله . وفي هذه الخطبة تحريف شديد

في الأصل وقد أصلحته كما يتبين بالمراجعة . (٨) الرجيع : كل مردد .

فيه ، وإن طلحة والزبير نَقَضَا بَيْعَةَ عَلِيٍّ عَلَى غَيْرِ حَدَثٍ ، ثم لم يرضيا حتى نَصَبَا له الحرب ، وَالْبَاءُ^(١) عليه الناس ، وأخرجوا أم المؤمنين عائشة من حِجَابٍ ضربه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عليها ، فلقبهما فَأَعْذَرَ في الدعاء ، وَخَشِيَ البغي ، وَحَمَلَ الناس على ما يعرفون ، فهذا عَيَانٌ^(٢) ما غاب عنكم ، وإن سألتكم الزِّيَادَةَ زدناكم .
(الإمامة والسياسة ١ : ٦٩)

١٨٩ — خطبة جرير بن عبد الله البجلي

وقام جرير بن عبد الله البجلي خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« أيتها الناس : هذا كتاب أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، وهو للأمن على الدين والدنيا ، وكان من أمره وأمر عدوه ما قد سمعتم ، والحمد لله على أَقْصَيْتِهِ ، وقد بايعه السابقون الأولون ، من المهاجرين والأنصار ، والتابعون بإحسان ، ولو جعل الله هذا الأمر شُورَى بين المسلمين لكان عليٌّ أَحَقَّ بها ، ألا وإن البقاء في الجماعة ، والقضاء في الفرقة ، وَعَلَيَّْ حَامِلِكُمْ ما استقمتم له ، فَإِنْ مِثْلُكُمْ أَقَامَ مِثْلَكُمْ » .
قال الناس : سمعاً وطاعة ، وَرِضَانَا رِضَا مَنْ بَعْدَنَا .
(الإمامة والسياسة ١ : ٦٩)

١٩٠ — خطبة زياد بن كعب

وكتب الإمام على كرم الله وجهه ، إلى الأشعث بن قيس — وكان عاملاً بأَذْرَبِيجَانَ ، استعمله عليها عثمان — بمثل ما كتب به إلى جرير بن عبد الله ، ووجه بالكتاب مع زياد بن كعب ، فلما قرأ الأشعث كتاب عليٍّ ، قام زياد بن كعب خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

(١) حرصاً . (٢) مصدر عاين الشيء : إذا رآه بعينه .

« أيها الناس : إنه مَنْ لم يَكْفِه القليل ، لم يَكْفِه الكثير ، وإنَّ أَمْرَ عَثْمَانَ لم يَنْفَع فيه الْعِيَانُ ، ولم يَشْفِ مِنْهُ الْخَبْرُ ، غَيْرَ أَنَّ مَنْ سَمِعَهُ لَيْسَ كَمَنْ عَايَنَهُ ، وإنَّ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ بَايَعُوا عَلِيًّا رَاضِينَ بِهِ ، وإنَّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ نَقَضَا بَيْعَةَ عَلِيٍّ عَلَى غَيْرِ حَدَثٍ ، وَأَخْرَجَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى غَيْرِ رِضَا ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَنْلُهِمْ ، فَتَرَكَهُمْ وَمَا فِي نَفْسِهِ مِنْهُمْ حَاجَةٌ فَأَوْرَثَهُ اللَّهُ الْأَرْضَ ، وَجَعَلَ لَهُ عَاقِبَةَ الْمُتَّقِينَ » .
(الإمامة والسياسة ١ : ٧٠)

١٩١ - خطبة الأشعث بن قيس

فَقَامَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ :
« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ عَثْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَآئِي أَذْرَبِيحَانَ ، وَهَلَكَ وَهِيَ فِي يَدِي ، وَقَدْ بَايَعَ النَّاسُ عَلِيًّا ، وَطَاعَتُنَا لَهُ لَازِمَةٌ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ عَدُوِّهِ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ ، وَهُوَ الْمَأْمُونُ عَلَى مَا غَابَ عَنَّا وَعَنْكُمْ مِنْ ذَلِكَ » .
(الإمامة والسياسة ١ : ٧٠)

١٩٢ - خطبة جرير بن عبد الله البجلي

وَبَعَثَ عَلِيٌّ إِلَى مُعَاوِيَةَ مَعَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ بِكِتَابٍ يَدْعُوهُ إِلَى بَيْعَتِهِ ، فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ قَامَ جَرِيرٌ فَخَطَبَ فَقَالَ :
« الْحَمْدُ لِلَّهِ الْحَمْدُ بِالْعَوَائِدِ ، الْمَأْمُولِ فِيهِ الزَّوَائِدُ ، الْمَرْتَجَى مِنْهُ الثَّوَابُ ، الْمُسْتَعَانَ عَلَى النَّوَائِبِ ، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي تَحْسِرُ دُونَهَا الْأَلْبَابُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ، لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الرِّسْلِ الْمَاضِيَةِ ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ ، فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ ، وَنَصَحَ لِلْأَمَةِ ، وَأَدَّى الْحَقَّ الَّذِي اسْتَوْدَعَهُ اللَّهُ وَأَمْرَهُ بِأَدَائِهِ إِلَى أُمَّتِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، مِنْ رَسُولٍ وَمُبْتَغَتْ وَمُنْتَخَبٍ وَعَلَى آلِهِ .

أيها الناس إن أمر عثمان قد أعيأ من شهده ، فكيف بمن غاب عنه ، وإن الناس بايعوا عليا غير واثق ولا متور ، وكان طلحة والزبير ممن بايعاه ، ثم نكثا بيعته على غير حدث ، ألا وإن هذا الدين لا يحتمل الفتن ، وقد كانت بالبصرة أمس روعة مُلّة ، إن يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للناس ، وقد بايعت الأمة عليّا ، ولو ملكنا والله الأمور لم نختر لها غيره ، فادخل معاوية فَمَا دخل فيه الناس ، فإن قلت استعملني عثمان ثم لم يعزاني فإن هذا قول لو جاز لم يقر لله دين ، وكان لكل امرئ ما في يديه ، ولكن الله جعل للآخر من الولاية حقّ الأول ، وجعل الأمور موطأة ينسخ بعضها بعضا » ثم قعد .
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٤٨)

١٩٣ — خطبة معاوية

فقال معاوية : أنظر وتنظر وأستطلع رأي أهل الشام ، فضت أيام ، وأمر معاوية مناديا ينادى : الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس صعد المنبر ثم قال :
« الحمد لله الذي جعل الدعاء للإسلام أركاناً ، والشرائع للإيمان برهاناً ، يتوقد قلبه في الأرض المقدسة ، جعلها الله محل الأنبياء والصالحين من عبادته ، فأحلهم أرض الشام ، ورضيهم لها ، لما سبق في مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم خلفاءه والقوام بأمره ، والذابين عن دينه وحرمانه ، ثم جعلهم لهذه الأمة نظاماً ، وفي سبيل الخيرات أعلاماً ، يردع الله بهم الناكثين ، ويجمع بهم ألفة المؤمنين ، والله نستعين على ما تشعب من أمر المسلمين بعد الائتلاف ، وتباعد بعد القرب .

اللهم انصرنا على أقوام يوقظون نائمنا ، ويخيفون آمننا ، ويريدون إراقة دماننا ، وإخافة سبلنا ، وقد علم الله أننا لا نريد لهم عقاباً ، ولا نهتك لهم حجاباً ، ولا نوطئهم زلقاً ، غير أن الله الحميد كسانا من الكرامة ثوباً لن ننزعه طوعاً ، ما جاوب الصدى ، وسقط الندى ، وعرف الهدى ، حملهم على ذلك البغي والحسد ، فنستعين بالله عليهم .

« أنها الناس قد علمتم أني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وأمير المؤمنين عثمان
ابن عفان عليكم ، وأنى لم أقم رجلا منكم على خزاية قط ، وأنى ولّى عثمان وقد قتل
مظلوما ، والله تعالى يقول « وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ
فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا » وأنا أحب أن تُعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان .

فقام أهل الشام بأجمعهم فأجابوا إلى الطلب بدم عثمان وبايموه على ذلك ، وأوثقوا له
على أن يبذلوا بين يديه أموالهم وأنفسهم حتى يدركوا بثأره أو تلحق أرواحهم بالله .
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٤٨)

فتنة معاوية

استطلاع الإمام عليّ كرم الله وجهه آراء أصحابه

وقد أراد المسير إلى الشام

لما أراد الإمام عليّ كرم الله وجهه المسير إلى الشام ، دعا من كان معه من المهاجرين والأنصار فجمعهم .

١٩٤ - خطبة الإمام عليّ

ثم حمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : فإنكم مَيَّامِينُ الرأى ، مَرَّاجِيحُ الحلم ، مُبَارِكُوا الأمر ، مَقَاوِيلُ بالحق ، وقد عزمنا على المسير إلى عدونا وعدوكم ، فأشيروا علينا برأيكم » .

١٩٥ - خطبة هاشم بن عتبة

فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقَّاص ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد - يا أمير المؤمنين - فأنا بالقوم جِدُّ خَبِير ، هم لك ولأشياعك أعداء ، وهم لمن يطلب حَرْث^(١) الدنيا أولياء ، وهم مقاتلوك ومجادلوك ، لَا يُبْقُونَ جُهْدًا ، مُشَاحَّةً^(٢) على الدنيا ، وَضِنًا^(٣) بما في أيديهم منها ، ليس لهم إِرْبَةٌ^(٤) غيرها ،

(١) أى متاعها . (٢) بخلا عليها وحرصا . (٣) ضن ضنا : بالكسر وضنائة بالفتح : بخل . (٤) الإربة : الأرب .

إِلَّا مَا يَخْذَعُونَ بِهِ الْجَهَّالَ ، مِنْ طَلَبِ دَمِ ابْنِ عَفَّانَ ، كَذَبُوا ! لَيْسُوا لِدَمِهِ يَنْفِرُونَ^(١) ولكن الدنيا يطلبون، انهض بنا إليهم، فإن أجابوا إلى الحق فليس بعد الحق إلا الضلال، وإن أبوا إلا الشقاق، فذاك ظني بهم، والله ما أراهم يبايعون، وقد بقي فيهم أحد ممن يُطَاع إذا نَهَى، ولا يسمع إذا أمر.»

١٩٦ - خطبة عمار بن ياسر

وقام عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :
« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تُقِيمَ يَوْمًا وَاحِدًا فَاغْلِبْ ، اشْخَصْ بِنَا قَبْلَ اسْتِعْمَارِ^(٢) نَارِ الْفَجْرَةِ ، واجتمع رأيهم على الصدود والفرقة ، وادعهم إلى حظهم ورُشدِهم ، فَإِنْ قَبِلُوا سَعِدُوا ، وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا حَرْبَنَا ، فَوَاللَّهِ إِنْ سَفَكْنَا دِمَاءَهُمْ ، وَالْجِدَّةَ فِي جِهَادِهِمْ ، لَقُرْبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ ، وَكَرَامَةٌ مِنْهُ . »

١٩٧ - خطبة قيس بن سعد بن عباد

نَمَّ قَامَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَبَّادَةَ ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : انكش^(٣) بنا إلى عدونا ولا تُعَرِّجْ ، فَوَاللَّهِ لَجِهَادِهِمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جِهَادِ التُّرُكِ وَالرُّومِ ، لِإِدْهَانِهِمْ^(٤) فِي دِينِ اللَّهِ ، وَاسْتِذْلَالِهِمْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ ، إِذَا غَضِبُوا عَلَى رَجُلٍ حَبَسُوهُ وَضَرَبُوهُ وَحَرَمُوهُ وَسَيَّرُوهُ^(٥) ، وَفَقِئْنَا لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ حِلَالًا ، وَنَحْنُ لَهُمْ فِيمَا يَزْعَمُونَ قَطِينٌ^(٦) . »

(١) نفر للأمر : ذهب له . (٢) أى اشتعال . (٣) انكش وتكش : أسرع .
(٤) الإدهان : المداينة والنش . (٥) المراد أبعده . (٦) القطين : الرقيق والخدم .

فقال أشياخ الأنصار ، منهم خزيمة بن ثابت وأبو أيوب وغيرهما : لِمَ تَقْدَمْتَ
أشياخ قومك ، وبدأنهم بالكلام يا قيس ، فقال : أما إني عارف بفضلكم ، مُعْظَم
ثُأْنُكُمْ ، واسكني وجدت في نفسي الضغن الذي في صدوركم ، جاش حين ذكرت
الأحزاب ، فقال بعضهم لبعض : ليقم رجل منكم ، فليُجِيبَ أمير المؤمنين عليه السلام
عن جماعتكم .

١٩٨ - خطبة سهل بن حنيف

فقام سهل بن حنيف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« يا أمير المؤمنين : نحن سلم لمن سالمت ، وحرب لمن حاربت ، ورأينا رأيك ،
ونحن يمينك ، وقد رأينا أن تقوم في أهل الكوفة ، فتأمرهم بالشخص ، وتُخبرهم بما صُنِعَ
لهم في ذلك من الفضل ، فإنهم أهل البلد ، وهم الناس ، فإن استقاموا لك ، استقام لك
الذي تريد وتطلب ، فأما نحن فليس عليك خلاف منا ، متى دعوتنا أجبتك ، ومتى
أمرتنا أطعناك » .

١٩٩ - خطبة الامام علي

وقام الإمام علي خطيباً على منبره ، يحرض الناس ويأمرهم بالمسير إلى صفين ، لقتال
أهل الشام ، فقال :

« سيروا إلى أعداء الله ، سيروا إلى أعداء القرآن والشَّيْنِ ، سيروا إلى بقية الأحزاب ^(١)
وَقَتْلَةِ المهاجرين والأنصار » .

(١) يشير إلى الأحزاب التي تألبت وتظاهرت على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ،
وغطفان ، وبنى مرة ، وبنى أشجع ، وبنى سليم ، وبنى أسد في غزوة الأحزاب - غزوة الخندق - التي كانت
سنة خمس للهجرة ، وكانت عدة الجميع عشرة آلاف مقاتل وقائدهم العام أبو سفيان .

فقام رجل من بنى فزارة فقال له : أتريد أن تسير بنا إلى إخواننا من أهل الشام
نقتلهم كُلاً ، كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلهم كُلاً ؟ ها الله^(١)
إذن لا نفعل ذلك ، فقام الأشر فقال : من هذا المارق ؟ فهَرَبَ الْفَزَارِيُّ ، واشتد الناس
على أثره ، فَلَحِقَ فِي مَكَانٍ مِنَ السُّوقِ ، تَبَاعَ فِيهِ الْبَرَاذِينُ^(٢) ، فوطئوه بأرجلهم ،
وضربوه بأيديهم ونصال سيوفهم ، حتى قُتِلَ ، فَأَتَى عَلَى^٣ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فقيل له :
يا أمير المؤمنين قُتِلَ الرَّجُلُ ، قال : ومن قتله ؟ قالوا : قتلته همدان ومعهم شَوْبٌ^(٣)
من الناس ، فقال : قتل عَمِيَّةَ^(٤) لَا يُدْرَى مَنْ قَتَلَهُ ، دَيْتُهُ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ،
فقام الأشر فقال :

٢٠٠ - خطبة الأشر النخعي

« يا أمير المؤمنين لَا يَهْدُوكَ مَا رَأَيْتَ ، وَلَا يُؤَلِّينَكَ مِنْ نَعْرِنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ
مَقَالَةِ هَذَا الشَّقِيِّ الْخَائِنِ ، إِنْ جَمِيعَ مَنْ تَرَى مِنَ النَّاسِ شِيعَتُكَ ، لَا يَرْغَبُونَ بِأَنْفُسِهِمْ
عَنْ نَفْسِكَ ، وَلَا يَجْهَدُونَ الْبَقَاءَ بَعْدَكَ ، فَإِنْ شِئْتَ فَسِيرْ بِنَا إِلَى عَدُوِّكَ ، فَوَاللَّهِ مَا يَنْجُو مِنْ
الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ ، وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مِنْ أَحَبِّهِ ، وَإِنَّا لَعَلَى بَيْتِنَا مِنْ رَبَّنَا ، وَإِنْ أَنْفُسُنَا
لَنْ تَمُوتَ حَتَّى يَأْتِيَ أَجْلُهَا ، وَكَيْفَ لَا نَقَاتِلُ قَوْمًا هُمْ كَمَا وَصَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ
وُثِّبَتْ عَصَابَةٌ مِنْهُمْ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَمْسِ ، وَبَاعُوا خَلَاقَهُمْ^(٥) بِعَرَضٍ مِنْ
الدُّنْيَا يَسِيرُ . »

فقال على^٦ : الطَّرِيقُ مُشْتَرَكٌ ، وَالنَّاسُ فِي الْحَقِّ سَوَاءٌ ، وَمَنْ اجْتَهِدَ رَأْيَهُ فِي نَصِيحَةِ
الْعَامَةِ ، فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ « ثُمَّ نَزَلَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ . »

(١) هـى ها التنبية ، وهى تدخل على اسم الله فى القسم عند حذف الحرف ، تقول : ها الله بقطع
الهمزة ووصلها ، وكلاهما مع إثبات ألف « ها » وحذفها . (٢) البراذين : الدواب ، جمع برذون .
(٣) خليط . (٤) قتل عميا بكسر العين والميم مشددة مع تشديد الياء : لم يدر من قتله . (٥) الخلاق :
النصيب الوافر من الخير .

٢٠١ - مقال من ثبطوه عن المسير

ولما أمر الإمام بالمسير إلى الشام ، دخل عليه عبد الله بن المِقَمِّمِ الْمُبَسَّى وَحَنَظَلَةُ ابن الزَّبَّيعِ التَّمِيمِي ، في رجال كثير من غَطَفَانَ وَبَنِي تَمِيم ، فقال له حنظلة :

« يا أمير المؤمنين : إنا قد مشينا إليك في نصيحة فاقبلها ، وَرَأَيْنَاكَ لَكَ رَأْيًا فَلَا تَرُدُّنَاهُ عَلَيْنَا ، فَإِنَا نَنْظُرُنَا لَكَ وَلَمِنْ مَعَكَ ، أَقِيمْ وَكَاتِبُ هَذَا الرَّجُلِ ، وَلَا تَمَجِّلْ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ ، فَإِنَا وَاللَّهِ مَا نَدْرِي وَلَا تَدْرِي لِمَنْ تَكُونُ الْغَلَبَةُ إِذَا التَّقِيمُ ، وَلَا عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّبْرَةُ ^(١) » .

وقال ابن المِثَمِّمِ مثل قوله ، وتكلم القوم الذين دخلوا معها بمثل كلامهما .

٢٠٢ - رد الإمام عليهم

فحمد على عليه السلام الله وأثنى ، ثم قال :

« أما بعد : فإن الله وارثُ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ ، وَرَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، يُوْتِي الْمَلِكَ مِنْ يَشَاءَ ، وَيَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ يَشَاءَ ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، أَمَا الدَّبْرَةُ ، فَإِنَّهَا عَلَى الضَّالِّينَ الْعَاصِينَ ، ظَفَرُوا أَوْ ظَفَرَ بِهِمْ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنِّي لِأَسْمَعَ كَلَامَ قَوْمٍ مَا أَرَاهُمْ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا ، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا » .

فقام إليه مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ الرِّيَّاحِيِّ فَقَالَ :

« يا أمير المؤمنين : إن هؤلاء والله ما آثروك بنصح ، ولا دخلوا عليك إلا بغش ، فَاحْذَرِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ أَدْنَى الْعَدُوِّ » .

(١) الدبرة بسكون الباء وفتحها: الغزيرة في القتال .

وقال له مالك بن حبيب : « إنه بلغني يا أمير المؤمنين أن حنظلة هذا يكاتب معاوية ، فادفعه إلينا نحبسّه ، حتى تَنْقُضِيَ غَزَاتَكَ وتُتَصَرَّفَ » .

وقام من بنى عبس قَائِدُ بْنُ بُكَيْرٍ ، وَعَيَّاشُ بْنُ رَبِيعَةَ ، فقالا :

« يا أمير المؤمنين ، إن صاحبنا عبد الله بن المَعَمِّ قد بلغنا أنه يكاتب معاوية ، فاحبسّه أَوْ مَكَنَّا مِنْ حَبْسِهِ ، حتى تَنْقُضِيَ غَزَاتَكَ ثم تتصرف » .

فقالا : « هذا جزاء لمن نظر لكم ، وأشار عليكم بالرأى فيما بينكم وبين عدوكم ؟ »

فقال لهما على عليه السلام : « الله بيني وبينكم وإليه أكلُكم ، وبه أَسْتَظْهَرُ عليكم ، اذهبوا حيث شئتم ^(١) » .

٢٠٣ - خطبة عدى بن حاتم الطائى

وقام عَدِيُّ بْنُ حَاتِمِ الطَّائِي ، بين بدى على عليه السلام ، فحيد الله ، وأثنى عليه ، وقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما قُلْتُ إِلَّا بِعِلْمٍ ، وَلَا دَعَوْتُ إِلَّا إِلَى حَقٍّ ، وَلَا أَمَرْتُ إِلَّا بِرُشْدٍ ، وَلَكِنْ إِذَا رَأَيْتَ أَنْ تَسْتَأْنِي ^(٢) هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ وَتَسْتَدِينَهُمْ ، حَتَّى تَأْتِيَهُمْ كِتَابُكَ ، وَتَقْدَمَ عَلَيْهِمْ رُسُلُكَ ، فَمَلَمْتُ ، فَإِنْ يَقْبَلُوا يُصِيبُوا رُشْدَهُمْ ، وَالْعَافِيَةُ أَوْسَعُ لَنَا وَلَهُمْ ، وَإِنْ يَتِمَادُوا فِي الشَّقَاقِ ، وَلَا يَنْزِعُوا عَنِ الْغَىِّ ، نَسِرَ إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ قَدَّمْنَا إِلَيْهِمُ الْعِذْرَ ، وَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى مَا فِي أَيْدِينَا مِنَ الْحَقِّ ، فَوَاللَّهِ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ أَبَعْدُ ، وَعَلَى اللَّهِ أَهْوَنُ

(١) هذا ، وقد خرجا إلى معاوية في رجال من قومهما ، ولكنهما لم يقاتلا معه واعتزلا الفريقين جميعا .

(٢) تنتظر .

من قوم قاتلناهم أُمسٍ بناحية البصرة ، لمَّا دعوناهم إلى الحق فتركوه ، ناوخنهم بَرَاكَاءَ القتال^(١) ، حتى بلغنا منهم ما نحب ، وبلغ الله منهم رضاه .

٢٠٤ — خطبة زيد بن حصين الطائي

فقام زيد بن حُصَيْن الطائي - وكان من أصحاب البرانس المجتهدين - فقال :
« الحمد لله حتى يَرْضَى ، ولا إله إلا الله رَبُّنَا ، أما بعد : فوالله إن كنا في شك في قتال من خالفنا ، ولا تَصْلُحُ لنا النِّيَّةُ في قتالهم حتى نستديمهم ونستأنئهم ، فما الأعمال إلا تَبَابٌ^(٢) ، ولا السعي إلا في ضلال ، والله تعالى يقول : (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)
إننا والله ما ارتبنا طَرْفَةَ عين فيمن يتبعونه ، فكيف بأتباعه القاسية قلوبهم ، القليل من الإسلام حَظُّهُمْ ، أعوان الظلمة ، وأصحاب الجورِ والعدوان ؟ ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار ، ولا التابعين بإحسان .

فقام رجل من طيٍّ فقال : « يا زَيْدُ بنَ حصين ، أكلأُ سيدنا عدى بن حاتم يُهَجِّنُ^(٣) ؟ » فقال زيد : « ما أتم بأعْرَفَ بحق عَدِيٍّ مني ، ولا كنى لا أدع القول بالحق وإن سَخَطَ الناس .

٢٠٥ — خطبة أبي زينب بن عوف

ودخل أبو زينب بن عوف على الإمام عليّ فقال :

« يا أمير المؤمنين ، لئن كنا على الحق لأنت أهدانا سبيلا ، وأعظمنا في الخير نصيباً ، ولئن كنا على ضلال إنك لأنقلنا ظهراً^(٤) ، وأعظمنا وزراً ، قد أمرتنا بالسير

(١) براكاء القتال وبروكاء : موضع اصطدام القوم ، وناوخنهم مفاعلة ، من أناخ الإبل : إذا أبركها ، والمعنى التقينا وإياهم في ساحة القتال . (٢) خمران . (٣) يقبح . (٤) لأنه حينئذ يكون أكثرهم ذنوباً .

إلى هذا العدو ، وقد قطعنا ما بيننا وبينهم من الولاية ، وأظهرنا لهم العداوة ، نريد بذلك ما يعلم الله تعالى من طاعتك ، أليس الذى نحن عليه هو الحق المبين ، والذى عليه عدونا هو الحوب^(١) الكبير ؟ » .

فقال عليه السلام : « بلى ، شهدت أنك إن مضيت معنا ناصراً لدعوتنا ، صحيح النية فى نصرنا ، قد قطعت منهم الولاية ، وأظهرت لهم العداوة ، كما زعمت ، فإنك ولى الله تسبح فى رضوانه ، وترزق فى طاعته ، فأبشر أبا زينب » وقال له عمار بن ياسر : « أثبت أبا زينب ، ولا تشك فى الأحزاب أعداء الله ورسوله » فقال أبو زينب : « ما أحب أن لى شاهدين من هذه الأمة ، شهدا لى عما سألت من هذا الأمر الذى أهمنى مكانكما » .

٢٠٦ - خطبة يزيد بن قيس الأرحبي

ودخل يزيد بن قيس الأرحبي^(٢) على على عليه السلام فقال : « يا أمير المؤمنين : نحن أولو جهاز^(٣) وعدة ، وأكثر الناس أهل قوة ، ومن ليس به ضعف ولا علة ، فمر مناديك فليناد الناس يخرجوا إلى معسكرهم بالنخيلة ، فإن أخا الحرب ليس بالسئوم ولا التئوم ، ولا من إذا أمكنته الفرص أجلمها ، واستشار فيها ، ولا من يؤخر عمل الحرب اليوم لغد ، وبعد غد » .

٢٠٧ - خطبة زياد بن النضر

فقال زياد بن النضر :

« لقد نصح لك يزيد بن قيس يا أمير المؤمنين ، وقال : ما يعرف ، فتوكل »

(١) الحوب بالفتح والضم : الإثم . (٢) نسبة إلى أرحب : وهى قبيلة من همدان .

(٣) جهاز المسافر والعروس والميت (بالكسر والفتح) ما يحتاجون إليه .

على الله وثق به ، واشخص بنا إلى هذا العدو راشداً معاناً ، فإن يرد الله بهم خيراً لا يتركوك ، رغبة عنك إلى من ليس له مثل سابقتك وقدمك ، وإلاً يُنبئوا ويُقبَلُوا ، وأبوا إلا حرباً نجح حربهم علينا هيئنا ، ونرحو أن يعصرهم الله مصارع إخوانهم ثم^(١) بالأمس .

٢٠٨ — خطبة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي

ثم قام عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقال :
« يا أمير المؤمنين ، إن القوم لو كانوا ، الله يريدون ، والله يعملون ، ما خالفونا ، ولكن القوم إنما يقاتلوننا فراراً من الأسوة^(٢) ، وحُباً للأثرة^(٣) ، وضناً بسلطانهم ، وكرهاً لفراق دنياهم التي في أيديهم ، وعلى إحن^(٤) في نفوسهم ، وعداوةٍ يجذونها في صدورهم ، لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة ، قتلت فيها آباءهم وأعوانهم » ثم التفت إلى الناس فقال : « كيف يبائع معاوية علياً ، وقد قتل أخاه حنظلة ، وخاله الوليد ، وجدّه عتبة ، في موقف واحد^(٥) والله ما أظهم يفعلون ، ولن يستقيموا لكم دون أن تُقصّ فيهم قنأ المران^(٦) ، وتُقطع على هامهم^(٧) السيوف ، وتُنثر حواجرهم بعمد الحديد ، وتكون أمور رجّة بين الفريقين .

(١) هناك ، يريد البصرة . (٢) الأسوة بالضم والكسر : القدوة : أي فراراً من أن يكونوا تابعين لك مسودين وأن تكون لهم إماماً وسيداً . (٣) استأثر على أصحابه : اختار لنفسه أشياء حسنة ، والاسم الأثرة . (٤) جمع إحنة ، وهي الحقد والعداوة . أي ويقاتلوننا على إحن : أي من أجلها . (٥) هو جده لأمه عتبة بن أبي ربيعة ، وقد قتلهم على يوم بدر . وفي كتاب بعث به الإمام إلى معاوية يقول : « فأنا أبو حسن قاتل جدك وخالك وأخيك شديداً يوم بدر وذلك السيف معي » . (٦) القنا : الرماح جمع قنأة ، والمران : الرماح الصلبة اللدنة الواحدة مرانة ، وشجر ، والإضافة على المعنى الأول على حد قوله تعالى (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) — إن فسر العرم بالمطر الشديد — (وفسر أيضاً بالأحباس والسدود تبنى في الأودية ، وبالجرذ ، وبواد جاء السيل من قبله) وعلى المعنى الثاني : أي القنا المتخذة من الشجر . (٧) الهام جمع هامة : وهي الرأس .

٩ ٢ — أدب الامام على ، وكرم خلقه

وخرج جُبْر بن عَدِيّ ، وعمر بن الحَمِق ، يُظهِران البراءة من أهل الشام ، فأرسل على عليه السلام إليهما أن كُفّا عما يبلغني عنكما ، فأتياه فقالا : « يا أمير المؤمنين : ألسنا مُحَمِّقَيْن ؟ » قال : بلى ، قالوا : « أو ليسوا مُبْطِلَيْن ؟ » قال : بلى ، قالوا : « فَلِمَ مَنَعْتَنَا من شتمهم ؟ » قال :

« كَرِهْتُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِعَانِينَ شَقَّامِينَ ، تَشْتُمُونَ وَتَبْرَهُونَ ، وَلَكِنْ لَوْ وَصَفْتُمْ مَسَاوِي أَعْمَالِهِمْ فَقُلْتُمْ : مِنْ سِيَرَتِهِمْ كَذَا وَكَذَا ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ كَذَا وَكَذَا ، كَانَ أَصَوَّبَ فِي الْقَوْلِ ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ لَعْنِكُمْ إِيَّاهُمْ ، وَبَرَاءَتِكُمْ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ احْقِنِ دِمَاءَهُمْ وَدِمَاءَنَا ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَنَا ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مِنْهُمْ مَنْ جِهَلَهُ ، وَيَرْعَوْىَ عَنِ الْغَى وَالْعُدْوَانِ مِنْهُمْ مَنْ لَهَجَ بِهِ ، لَسْكَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ ، وَخَيْرًا لَكُمْ » .

فقالا : يا أمير المؤمنين ، نقبل عظمتك ، ونؤادب بأدبك .

٢١٠ — مقال عمرو بن الحمق

وقال له عمرو بن الحَمِق يومئذ :

« والله يا أمير المؤمنين ، إني ما أحببتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك ، ولا إرادة مال تُؤَوِّبِنِيهِ ، ولا التماس سلطان ترفع ذِكْرِي بِهِ ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُكَ بِخِصَالِ خَمْسٍ ، إِنَّكَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَوَصِيِّهِ ، وَأَبُو الذَّرِيَةِ الَّتِي بَقِيَتْ فِيْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأَسْبَقَ النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَعْظَمَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ »

في الجهاد ، ولو أني كُلفْتُ نَقَلَ الجبال الرَّوَاسي ، ونَزَحَ البحور الطَّوَامي^(١) حتى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي فِي أَمْرٍ أَقْوَى بِهِ وَلَيْكَ وَأَهْلِينَ عَدُوَّكَ ، مَا رَأَيْتُ أَنِي قَدْ أَدَيْتُ فِيهِ كُلَّ الَّذِي يَحِقُّ عَلَيَّ مِنْ حَقِّكَ .

فقال عليٌّ عليه السلام : « اللهم نُورَ قلبه بالتقى ، واهدده إلى صراطك المستقيم ، ليت أن في جندي مائة مثلك » فقال حجر : إذن والله يا أمير المؤمنين صح جنودك ، وقلَّ فيهم من يُفْشِك .

٢١١ - مقال حجر بن عدى

وقام حجر بن عدى فقال :

« يا أمير المؤمنين نحن بنو الحرب ، وأهلها الذين نُلْعِجُهَا^(٢) وَنُنْتَجِجُهَا ، قد ضَارَسْنَا^(٣) وضارسانها ، ولنا أعوانٌ وعشيرةٌ ذاتُ عددٍ ، ورأى مجرَّبٌ ، وبأس محمود ، وأزِيتُنَّا ، منقاداً لك بالسمع والطاعة ، فإن شَرَقْتَ شَرَقْنَا ، وإن غَرَبْتَ غَرَبْنَا ، وما أمرتنا به من أمر فملنا » .

فقال عليٌّ عليه السلام : أَكُلُّ قَوْمِكَ يَرَى مِثْلَ رَأْيِكَ ؟ قال : ما رأيتُ منهم إلا حسناً ، وهذه يَدِي عَنْهُمْ بِالْإِجَابَةِ ، فقال له عليٌّ عليه السلام خيراً .

٢١٢ - مقال هاشم بن عتبة

وقال زياد بن النضر الحارثي لعبد الله بن بُذَيْل الخزاعي :

« إِنْ يَوْمَنَا لِيَوْمٍ عَصَبُصَبٍ^(٤) ، مَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا كُلُّ مُشْبَعِ الْقَلْبِ ، صادق النية

(١) جمع طام ، من طامى البحر : إذا امتلأ . (٢) أصله من ألحح الفحل الناقة . (٣) ضرسه

الحرب تضريساً : جريته وأحكته ، وضارس الأمور : جربها وعرفها . (٤) أى شديد .

رابط الجأش ، وإيم الله ما أظن ذلك اليوم يُبقي منهم ولا منا إلا الرذال^(١) » فقال عبد الله بن بديل : أنا والله أظن ذلك ، فبلغ كلامهما علياً عليه السلام ، فقال لهما : « ليكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركما ، لا تُظهراه ، ولا يسمعه منكما سامع ، إن الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين ، وكل آتية مَنيته كما كتب الله له ، فطوبى للمجاهدين في سبيله ، والمقتولين في طاعته » فلما سمع هاشم بن عتبة ما قالاه أتى علياً عليه السلام فقال :

« سر بنا يا أمير المؤمنين ، إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم ، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وعملوا في عباد الله ، بغير رضا الله ، فأحلوا حرامه ، وحرّموا حلاله ، واستهوى^(٢) بهم الشيطان ، ووعدهم الأباطيل ، ومنّاهم الأمانى ، حتى أزاغهم عن الهدى ، وقصد بهم قصد الردى ، وحبّب إليهم الدنيا ، فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها ، كرهت لنا في الآخرة ، وانتجّاز موعده ربنا ، وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله رحماً ، وأفضل الناس سابقة قدما ، وهم يا أمير المؤمنين يعلمون منك مثل الذى نعلم ، ولكن كُتب عليهم الشقاء ، ومالت بهم الأهواء ، وكانوا ظالمين . فأيدينا مبسوطة لك بالسمع والطاعة ، وقلوبنا منشحة لك ببذل النصيحة ، وأنفسنا تنصرك على من خالفك ، وتولى الأمر دونك ، جذلةً ، والله ما أحب أن لى ما على الأرض فاقلت^(٣) ، ولا ماتحت السماء فاطلّت ، وأنى وَاليت عدوّاك ، وعاديت وليّاك . »

فقال على عليه السلام : « اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك والمواقفة لنبيك » .

(١) الدون : الخسيس ، أو الردى من كل شيء . (٢) استهوى : استأواه : استأله والفعل متعد ومفعوله هنا

محذوف : أى استهوى الشيطان أتباعهم بهم — فالباء للسببية . (٣) أى حلت .

٢١٣ - خطبة الامام عليّ

ثم إن عليّاً عليه السلام صعد المنبر ، فخطب الناس ودعاهم إلى الجهاد ، فبدأ بحمد الله والثناء عليه ، ثم قال :

« إن الله قد أكرمكم بدينه ، وخلقكم لعبادته ، فانصبوا أنفسكم في أداء حقه ، وتنجّزوا موعوده ، واعلموا أن الله جعل أمراًس^(١) الإسلام متينةً ، وعُراه وثيقةً ، ثم جعل الطاعة حظّ الأنفس ورضا الرب ، وغنيمة الأكياس^(٢) عند تفريط المعجزة ، وقد حملت أمر أسودها وأحمرها ، ولا قوة إلا بالله ، ونحن سائرون إن شاء الله إلى من سقّه^(٣) ، نفسه وتناول ما ليس له ، وما لا يدركه ، معارضة وجنده ، الفئة الطاغية الباغية ، بقودهم إبليس ، ويبرق لهم ببارق تسويغه ، ويدلّهم^(٤) بقُروره ، وأنتم أعلم الناس بالحلل والحرام ، فاستغنوا بما علمتم ، واحذروا ما حذركم الله من الشيطان ، وارغبوا فيما عنده من الأجر والكرامة ، واعلموا أن المسلوب من سلب دينه وأمانته ، والمغرور من آثر الضلالة على الهدى ، فلا أعرفن أحداً منكم تقاعس^(٥) عني ، وقال في غيري كفاية ، فإن الدرد إلى الدودِ إيل^(٦) : * وَمَنْ لَا يَذُدُّ عَنْ حَوْضِهِ يَتَهَدَّمْ *

ثم إنى آمركم بالشدة في الأمر ، والجهاد في سبيل الله ، وأن لا تفتأوا مسلماً ، وانتظروا النصر العاجل من الله ، إن شاء الله .

(١) جمع مرس بفتحين ، ومرس جمع مرسة بفتحين أيضاً : وهو الحبل . (٢) جمع كيس : وهو ضد الأحق . (٣) أصله سفهت نفسه ، فلما حول الفعل إلى الرجل انتصب ما بعده بوقوع الفعل عليه لأنه صار في معنى سفه نفسه بالتشديد ، ومثله : رشد أمره وبطر عيشه . (٤) أى يحطهم عن منزلتهم . قال تعالى : (فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ) (٥) تأخر وتقاعد . (٦) الدود : ثلاثة أبعرة إلى العشرة أو خمسة عشر أو عشرين أو ثلاثين وهو مثل : أى إذا جمعت القليل مع القليل صار كثيراً ، فإلى بمعنى مع .

٢١٤ - خطبة الحسن بن علي

ثم قام بعده ابنه الحسن رضى الله عنه فقال :

« الحمد لله لا إله غيره ، ولا شريك له ، ثم قال : إن مما عظم الله عليكم من حقّه وأسبغ عليكم من نعمه ، ما لا يحصى ذِكْرُهُ ، ولا يُودَى شكرُهُ ، ولا يبلغه قول ولا صفة ، ونحن إنما غضبنا الله وإلّا ، إنه لم يجتمع قَوْمٌ قطّ على أمرٍ واحد إلا اشتد أمرهم ، واستحكمت عُقدتهم ، فاحتشدوا في قتل عدوكم معاوية وجنوده ، ولا تحاذلوا ، فإن الخذلان يقطع نياط القلوب^(١) ، وإن الإقدام على الأُسنة نَحْوَة وعِصْية ، لم يتمنّع قوم قطّ إلا رفع الله عنهم العلة ، وكفاهم جوائِح الذلة ، وهداهم إلى معالم المِلّة ، ثم أنشد :

والصلح تأخذ منه ما رزيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جُرْع

٢١٥ - خطبة الحسين بن علي

ثم قام الحسين رضى الله عنه ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أهل الكوفة : أنتم الأحبة الكرماء ، وَالشُّعَارُ^(٢) دُونَ الدِّثَارِ ، جدّوا في إطفاء مَا وَتَرَ^(٣) بينكم ، وتسهيل ما توَعَّرَ عليكم ، ألا إن الحرب شرها ورِيع^(٤) ، وطعمها

(١) عرق غليظ يبط به القلب إلى الوتين ، جمه أنوطة . « والوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه

جمه أوتنة » . (٢) الشعار : ما يلبس على شعر الجسد ، والدثار : ما فوق الشعار من الثياب .

(٣) الوتر والبرة : الثأر ، وتره يبره ، وورده حقه : نقصه إياه ، ووتره : أدركه بمكروه .

(٤) الوريح : الكاف . أى إن شرها عظيم يدهو الناس إلى أن يكفوا عن خوض غمارها .

فقطع ، فن أخذ لها أُهْبَتَهَا ، واستعد لها عُدَّتَهَا ، ولم يَأْلَمْ كُلُّومَهَا^(١) قبل حلولها ، فذاك صاحبها ، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها ، واستبصار سعيه فيها ، فذاك قَمِنْ^(٢) أن لا ينفع قومه ، وأن يهلك نفسه ، نسأل الله بقوَّته أن يدعَّكم بالقيِّنة^(٣) . ثم نزل .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٧٨)

٢١٦ - خطبة عبد الله بن عباس

وكتب على إلى ابن عباس بالبصرة .

« أما بعد فاشخص إلى بمن قبلك من المسلمين والمؤمنين ، وذكرهم بلائي عندهم ، وعفوى عنهم في الحرب ، وأعلمهم الذي لهم في ذلك من الفضل والسلام . »

فلما وصل كتابه إلى ابن عباس قام في الناس فقرأ عليهم الكتاب وحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أيها الناس : استعدوا للشخص إلى إمامكم ، وانفروا خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم ، فإنكم تقاتلون المُجِلِّين القاسطين ، الذين لا يقرءون القرآن ولا يعرفون حكم الكتاب ، ولا يدينون دين الحق ، مع أمير المؤمنين وابن عم رسول الله ، الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والصادق بالحق ، والقيِّم بالهدى ، والحاكم بحكم الكتاب ، الذي لا يرتشى في الحكم ، ولا يدهن الفجَّار ولا تأخذه في الله لومة لائم . »
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٨٣)

(١) كلوم : جمع كلم ، وهو الجرح . (٢) جدبر وحقيق . (٣) القبيصة : بفتح الفاء وكسرهما ، والفاء : الغنيمة ، أي نبال الله أن يقويكم بما تقتنون من عدوكم .

٢١٧ — خطبة معاوية

ولما نزل على النخيلة متوجها إلى الشام ، وبلغ معاوية خبره ، وهو يومئذ بدمشق قد ألبس منبر دمشق قميص عثمان مخضبا بالدم وحول المنبر سبعون ألف شيخ يبكون حوله لا تحفّ دموعهم على عثمان خطبهم وقال :

« يا أهل الشام قد كنتم تكذبونني في علي ، وقد استبان لكم أمره ، والله ما قتل خليفتكم غيره ، وهو أمر بقتله ، وألب الناس عليه ، وآوى قتلته ، وهم جنده وأنصاره وأعوانه ، وقد خرج بهم قاصدا بلادكم ودياركم لإبادتكم .

يا أهل الشام ، الله الله في دم عثمان فأنا وليه وأحق من طلب بدمه ، وقد جعل الله لولي المقتول ظلما سلطانا ، فانصروا خليفتكم المظلوم ، فقد صنع القوم ما تعلمون ، قتلوه ظلما وبغيا ، وقد أمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله » ، ثم نزل .
فأعطوه الطاعة وانقادوا له وجمع إليه أطرافه واستعد للقاء علي .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٨٦)

وفد على علي معاوية

بعد أن نزل الإمام عليّ كرم الله وجهه بصفين ، دعا بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري ، وسعيد بن قيس المهملاني ، وشبث بن ربعي التميمي ، فقال : انتوا هذا الرجل ، فادعوه إلى الله ، وإلى الطاعة والجماعة ، فقال له شبث بن ربعي : يا أمير المؤمنين : ألا تطمعه في سلطان توليه إياه ، ومنزلة يكون له بها أثرٌ عندك إن هو بايعك ؟ فقال عليّ : انتوه فالتقوه واحتجوا عليه ، وانظروا ما رأيته ؟ - وهذا في أول ذي الحجة سنة ٣٦ هـ - فاتوه ، ودخلوا عليه .

٢١٨ - خطبة بشير بن عمرو

حمد الله أبو عمرة بشير بن عمرو ، وأثنى عليه وقال :

« يا معاوية : إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، وإن الله عزّ وجلّ محاسبك بملكك ، وجازيك بما قدّمت يداك ، وإنني أنشدك الله عزّ وجلّ أن تفرّق جماعة هذه الأمة ، وأن نسفك دماءها بينها » .

فقطع عليه الكلام ، وقال : هلا أوصيت بذلك صاحبك ؟ فقال أبو عمرة :

« إن صاحبي ليس مثلك ، إن صاحبي أحقّ البرية كلها بهذا الأمر ، في الفضل ، والدين ، والسابقة في الإسلام ، والقراية من الرّسول صلى الله عليه وسلم ، قال : فيقول ماذا ؟ قال : بأمرك بتقوى الله عزّ وجلّ » ، وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق ، فإنه أسلم لك في دنياك ، وخير لك في عاقبة أمرك » .

قال معاوية : وَنُظِلَ دَمُ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ! لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ أَبَدًا ، فذهب سعيد بن قيس يتكلم ، فبادره شُبَيْثُ بْنُ رَبِيعٍ ، فتكلم :

٢١٩ - خطبة شُبَيْثِ بْنِ رَبِيعٍ

فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال :

« يَا مُعَاوِيَةَ ، إِنِّي قَدْ فَهِمْتُ مَا رَدَدْتَ عَلَى ابْنِ مُحَظَّنَ ، إِنَّهُ وَاللَّهِ لَا يَخْفَى عَلَيْنَا مَا تَفْرَوُ وَمَا تَطْلُبُ ، إِنَّكَ لَمْ تَجِدْ شَيْئًا تَسْتَغْوِي بِهِ النَّاسَ ، وَتَسْتَمِيلُ بِهِ أَهْوَاءَهُمْ ، وَتَسْتَخْلَصُ بِهِ طَاعَتَهُمْ ، إِلَّا قَوْلَكَ : « قُتِلَ إِمَامُكُمْ مَظْلُومًا ، فَنَحْنُ نَطْلُبُ بَدَمَهُ » فَاسْتَجَابَ لَكَ سَفَهَاءُ طَفَافٍ ، وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ قَدْ أَبْطَأَتْ عَنْهُ بِالْغَصْرِ ، وَأَحْبَبْتَ لَهُ الْقَتْلَ ، لِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ تَطْلُبُ . وَرُبَّ مَتَمَنَى أَمْرٍ وَطَالِبٍ ، اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَحُولُ دُونَهُ بِقُدْرَتِهِ ، وَرَبِّمَا أُوتِيَ الْمُتَمَنَّى أَمْنِيَّتُهُ ، وَفَوْقَ أَمْنِيَّتِهِ ، وَوَاللَّهِ مَالِكٌ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا خَيْرٌ ، لَأَنْ أَخْطَأْتَ مَا تَرْجُو ، إِنَّكَ لَشَرُّ الْعَرَبِ حَالًا فِي ذَلِكَ ، وَلَئِنْ أَصَبْتَ مَا تَمَنَّى لَا تَصِيْبُهُ حَتَّى تَسْتَحِقَّ مِنْ رَبِّكَ صُلِيًّا^(١) النَّارَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةَ ، وَدَعْ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، وَلَا تَتَنَازَعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ . »

٢٢٠ - خطبة معاوية

فحمد الله معاوية وأثنى عليه ، ثم قال :

« أَمَّا بَعْدُ : فَإِنْ أَوَّلَ مَا عَرَفْتُ فِيهِ سَفَهَكَ ، وَخِفَةَ حِلْمِكَ ، قَطَعْتُكَ عَلَى هَذَا الْحَسِيبِ الشَّرِيفِ سَيِّدِ قَوْمِهِ مَنْطِقَهُ ، ثُمَّ عُنَيْتَ بَعْدُ فِيمَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ ، فَقَدْ كَذَبْتَ وَلَوْ مِتَّ^(٢) ،

(١) صلى النار : كرضى ، وصل بها صليبا بكسر الصاد وضمتها ، قامى حرما .

(٢) لامة لوما : حذله ، وألامه ولومه للمبالغة .

أيها الأعرابي الجلف^(١) الجاني ، في كل ما ذكرت ووصفت ، انصرفوا من عندي ، فإنه ليس ببني وبينكم إلا السيف .

وغضب وخرج القوم وشبث يقول : أفعلىنا تهوّل بالسيف ؟ أقسم بالله ليُعْجَلَنَّ بها إليك ، فأتوا علياً ، وأخبروه بالذي كان من قوله ، فأخذ على يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج معه جماعة ، ويخرج إليه من أصحاب معاوية آخر معه جماعة ، فيقتتلان في خيلهما ورجلها ، ثم ينصرفان ، وكانوا يكرهون أن يلقوا بجمع أهل العراق أهل الشام ، لما يتخوفون أن يكون في ذلك الاستئصال والهلاك .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٤٢)

(١) الجلف : للرجل الجاني .

وفد على إلي معاوية أيضا

ولما دخلت سنة ٣٧ هـ توادعا على ترك الحرب في المحرم إلى انقضائه ، طمعا في الصلح واختلفت فيما بينهما الرسل في ذلك دون جدوى ، فبعث على عدي بن حاتم ، ويزيد ابن قيس ، وشبث بن ربعي ، وزيايد بن خصفة إلى معاوية .

٢٢١ - خطبة عدي بن حاتم

فلما دخلوا حمد الله عدي بن حاتم ، ثم قال :

« أما بعد : فإننا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله عز وجل به كلمتنا وأمتنا ، ويحقق به الدماء ، ويؤمن به السبل ، ويصلح به ذات البين ، إن ابن عمك سيد المسلمين ، أفضلها سابقة ، وأحسنها في الإسلام أنرا ، وقد استجمع له الناس ، وقد أرشدهم الله عز وجل بالذي رأوا ، فلم يبق أحد غيرك وغير من معك ، فانت يا معاوية ، لا يصبك الله وأصحابك بيوم مثل يوم الجمل » .

٢٢٢ - جواب معاوية

فقال معاوية : « كأنك إنما جئت متهددا ، لم تأت مصلحا هيهات يا عدي ، كلاً والله ، إني لأبني حرب^(١) ما يقع^(٢) لي بالشنان ، أما والله إنك لمن المجذبين على

(١) هو جده . (٢) القمعة : تحريك اللسان الصلب مع صوت ، والشنان : جمع شن

بالفتح ، وهو القرية البالية ، وإذا قمع بالشنان للإبل نفرت ، وهو مثل يضرب لمن لا يروعه ما لاحقيقة له .

ابن عفان رضى الله عنه ، وإنك لمن قَتَلْتَهُ ، وإنى لأرجو أن تكون ممن يَقْتُلُ^(١) الله عز وجل به ، هَيْهَاتَ يَا عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ ، قَدْ حَلَبْتُ بِالسَّاعِدِ الْأَشَدِّ^(٢) .

فقال له شَبْتُ بن ربيع وزِيَاد بن خَصَفَةَ - وتنازعا جواباً واحداً -

« أتيناك فيما يصلحنا وإياك ، فأقبلت تضرب لنا الأمثال ، دع ما لا يُنْتَفَعُ به من القول والفعل ، وأجبتنا فيما يَعْمُنَا وإياك نَفَعُهُ » .

٢٢٣ - خطبة يزيد بن قيس

وتكلم يزيد بن قيس فقال :

« إنا لم نأتك إلا لنُبَلِّغَكَ ما بُمِئْنَا به إليك ، وَلِنُؤَدِّيَ عَنْكَ ما سَمِعْنَا مِنْكَ ، ونحن على ذلك - لن نَدَعَ أن ننصح لك ، وأن نذكر ما ظننَّا أن لنا عليك به حُجَّةٌ ، وأنتك راجع به إلى الالفة والجماعة ، إنَّ صَاحِبِنَا من قد عَرَفْتَ وَعَرَفَ المسلمون فضلهُ ، ولا أظنه يخفى عليك ، إن أهل الدين والفضل لن يَعْدِلُوا بعلَى ، ولن يُمَيِّلُوا^(٣) بينك وبينه فاتق الله يا معاوية ، ولا تخالف علياً ، فإننا والله ما رأينا رجلاً قَطُّ أَعْمَلَ بالتقوى ، ولا أزهَدَ في الدنيا ، ولا أجمعَ لِحِصَالِ الْخَيْرِ كلها منه » .

٢٢٤ - خطبة معاوية

نحمد الله معاوية وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد : فإنكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة ، فأما الجماعة التي دعوتم إليها فَمَعْنَاهُ ،

(١) أى يقتله . (٢) يعنى بذلك قوة استمداده للقتال وتأهبه له . (٣) التميل بين الشيئين ،

كالترجيح بينهما .

وَأَمَّا الطاعة لصاحبكم فإننا لا نراها ، إن صاحبكم قَتَلَ خليفتنا ، وفرَّق جماعتنا ، وآوَى ثَأْرَنَا^(١) وَقَتَلْتَنَا ، وَصَاحِبُكُمْ يزعم أنه لم يقتله ، فنحن لانرد ذلك عليه ، أَرَأَيْتُمْ قَتَلَةَ صَاحِبِنَا ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ صَاحِبِكُمْ ؟ فَلْيَذْفَعْنَاهُمْ إِلَيْنَا فَلْنَقْتُلْهُمْ بِهِ ، ثُمَّ نَحْنُ بِحَبِيبِكُمْ إِلَى الطاعة والجماعة .

فقال له شُبْث : أيسرك يا معاوية أنك أُمِّكَنْتَ من عَمَّار^(٢) تقتله ؟ فقال معاوية :

(١) الثَّأْر : قاتل حبيبي . (٢) هو عمار بن ياسر رضى الله عنه ، أحد السابقين الأولين ، وقد عذبه المشركون في بدء الدعوة الإسلامية فاحتمل العذاب ، وكان يعذب هو وأخوه وأبوه وأمه بالنار ، فر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « صبرا آل ياسر فوعدكم الجنة . اللهم اغفر لآل ياسر » ومراد شُبْث بهذا القول إحراج معاوية . نقوله عليه الصلاة والسلام لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » : أى إنك يا معاوية إن قتلت عمارا — وكان من أصحاب علي — كنت من الفئة الباغية . وتفصيل الخبر في ذلك ما روت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : « لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده بالمدينة أمر بالبن يضرى وما يحتاج إليه ، ثم قام فوضع رداءه فلما رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضعوا أرويتهم وأكسيهم يرتجزون ويقولون ويعملون .

لئن قمنا والنبي يعمل ذاك إذن لعمل مضلل

قالت : وكان عثمان بن عفان رجلا نظيفاً منتظفاً ، فكان يحمل اللبنة ويحافى بها عن ثوبه ، فإذا رضعها نفّض كفيه ، وذاكر إلى ثوبه ، فإذا أصابه شيء من التراب نفّضه فنظر إليه على رضى الله عنه فأنشد :

لا يستوى من يعمر المساجدا يدأب فيها راكعاً وساجداً

وقائماً طوراً وطوراً قاعداً ومن يرى عن التراب حائداً

فسممها عمار بن ياسر فجعل يرتجزها وهو لا يدري من يعنى ، فسمعه عثمان فقال : يابن سمية (وسمية أمه) ما أعرفني بمن تعرض ، ومعه جريدة ، فقال لتكفن أو لأعترضن بها وجهك ، فسمعه النبي وهو جالس في ظل حائط فقال : « عمار جلدة ما بين عيني وأنتي » فن بلغ ذلك منه فقد بلغ منى : وأشار بيده فوضمها بين عينيه فكف الناس عن ذلك ، وقالوا لعمار : إن رسول الله قد غضب عليك ، ونخاف أن ينزل فينا قرآن ، فقال : أنا أرضيه كما غضب ، فأقبل عليه فقال : يا رسول الله مالى ولأصحابك ؟ قال : مالك ولهم ؟ قال يريدون قتلى ، يحملون ابنة ويحملون على لبنتين ، فأخذ به وطاف به في المسجد وجعل يمسح وجهه من التراب ويقول « يابن سمية لا يقتلك أصحابي ، ولكن تقتلك الفئة الباغية » فلما قتل بصفين ، وروى هذا الحديث عبد الله ابن عمرو بن العاص ، قال معاوية : هم قتلوه ، لأنهم أخرجوه إلى القتل ، فلما بلغ ذلك عليا قال : ونحن قتلنا أيضاً حزة لأننا أخرجناه (المقد الفريد ٢ : ٢٣٧) .

وما يمنعني من ذلك ؟ والله لو أمكنت من ابن سُمَيَّة ما قتلتهُ بعثمان رضي الله عنه ولكن كنتُ قَاتِلَهُ بَنَاتِل مولى عثمان ، فقال شُبث :

« وَإِلَهَ الْأَرْضِ وَإِلَهَ السَّمَاءِ ، مَا عَدَاتُ مَعْتَدِلَا ^(١) ، لَا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، لَا تَصِلُ إِلَى عَمَّارٍ ، حَتَّى تَنْدُرَ ^(٢) الْمَأْمُ عَنْ كَوَاهِلِ الْأَقْوَامِ ، وَتَضِيقَ الْأَرْضُ الْفَضَاءَ عَلَيْكَ بِرُحْبَاهَا ^(٣) » فقال له معاوية : « إِنَّهُ لَوْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ كَانَتْ الْأَرْضُ عَلَيْكَ أَضْيَقَ » وتفرَّقَ الْقَوْمُ عَنْ مَعَاوِيَةَ ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا بَعَثَ مَعَاوِيَةَ إِلَى زِيَادِ بْنِ خَصْفَةَ التَّمِيمِيِّ فَخَلَا بِهِ . فحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ :

« أَمَا بَعْدَ يَا أَخَا رِبِيعَةَ ، فَإِنِ عَلِيًّا قَطَعَ أَرْحَامَنَا ، وَأَوَى قَتَلَةَ صَاحِبِنَا ، وَإِنِ أَسْأَلَكَ النَّصْرَ بِأَسْرَتِكَ وَعَشِيرَتِكَ ، ثُمَّ لَكَ عَهْدُ اللَّهِ جَلًّا وَعِزًّا وَمِيثَاقُهُ أَنَّ أَوَّلِيكَ إِذَا ظَهَرْتُ ^(٤) أَيْ الْمَصْرِينَ أَحْبَبْتَ ، قَالَ زِيَادُ : فَلَمَّا قَضَى مَعَاوِيَةَ كَلَامَهُ حَدَّثَ اللَّهَ عِزًّا وَجَلًّا وَأَثْنَيْتَ عَلَيْهِ ثُمَّ قُلْتَ : « أَمَا بَعْدَ فَإِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ، وَبِمَا أُنْعَمَ عَلَيَّ ، فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا ^(٥) لِلْمَجْرُمِينَ » ثُمَّ قَتَلَ .

(تاريخ الطبري ٦ : ٢)

(١) أى إنك إذا عداك عمارا بناتل مولى عثمان : أى سويت بينهما لم تكن معتدلا فى حكمك .

(٢) ندر الشيء كنصر ندورا : سقط من جوف شيء أو من بين أشياء فظهر . وإلهام الرءوس : جمع هامة .

(٣) الرحب بالضم : الاتساع . (٤) أى غلبت وانتصرت . (٥) معيننا وناصرا .

وفد معاوية إلى عليّ

وفدت معاوية إلى عليّ حبيب بن مسلمة الفهري ، وشرحبيل بن السمط ، ومغن ابن يزيد بن الأخنس ، فدخلوا عليه .

٢٢٥ - خطبة حبيب بن مسلمة

فحمد الله حبيب وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد فإن عثمان بن عفان رضى الله عنه كان خليفة مهدياً ، يعمل بكتاب الله عز وجل ، ويُنِيب إلى أمر الله تعالى ، فاستنقلم حياته ، واستبطأتم وفاته ، فعَدَّوتم عليه ، فقتلتموه رضى الله عنه ، فادفع إلينا قتلة عثمان - إن زعمت أنك لم تقتله - نقتلهم به ، ثم اعتزل أمر الناس ، فيكون أمرهم شورى بينهم ، يؤلّي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم . »

فقال له عليّ بن أبي طالب : « وما أنت لا أم لك والعزل ، وهذا الأمر ؟ اسكت ، فإنك لست هناك ، ولا بأهل له » فقام وقال له : « والله لترينى بحيث تكره » ، فقال عليّ : « وما أنت ولو أجنبت بخيلك ورجلك ؟ لا أبقي الله عليك إن أبيت علىّ ، أحقره^(١) وسوءاً ، أذهب فصوب وصعد ما بدا لك . وقال شرحبيل بن السمط :

(١) في كتب اللغة : حقره حقراً بفتح الحاء وحقرية بضمها وتشديد الياء ولم أجده كلمة « حقرة » وأرى أنها مثل هزاة وضحكة ، يقال رجل هزاة بضم الهاء وسكون الزاى أى يهزأ به وضحكة كذلك أى يضحك منه ، فاللعنى أتكون حقرة أى حقيراً وتسوونى سوءاً .

إني إن كلمتك فلمعري ما كلامي إلا مثل كلام صاحبي قبل ، فهل عندك جواب غير الذي أجبت به ؟ فقال علي : نعم لك ولصاحبك جواب غير الذي أجبت به .

٢٢٦ - خطبة علي بن أبي طالب

فحمّد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، فإن الله جلّ ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق ، فأخذ به من الضلالة ، وانتاش^(١) به من الهدى ، وجمع به من الفرقة ، ثم قبضه الله إليه ، وقد أدى ما عليه ، صلى الله عليه وسلم ، ثم استخلف الناس أبا بكر رضى الله عنه ، واستخلف أبو بكر عمر رضى الله عنه ، فأحسننا السيرة ، وعدّلا في الأمة ، وقد وجدنا^(٢) عليهما أن تولّينا علينا ، ونحن آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففغرنا ذلك لها ، وولى عثمان رضى الله عنه فعمل بأشياء جابها الناس عليه ، فساروا إليه فقتلوه ، ثم أتاني الناس وأنا معتزلٌ أمورهم ، فقالوا لي : بايع ، فأبيت عليهم ، فقالوا لي : بايع ، فإن الأمة لا ترضى إلا بك ، وإنا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس ، فبايعتهم ، فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني^(٣) ، وخلاف معاوية الذي لم يجعل الله عزّ وجلّ له سابقة في الدين ، ولا سلف صدق في الإسلام ، طليق^(٤) بن طليق ، حزب^(٥) من هذه الأحزاب ، لم يزل لله عزّ وجلّ ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وللمسلمين عدواً ، هو وأبوه ، حتى دخلا في الإسلام كارهين ،

(١) انتشل وأخرج . (٢) وجد عليه : غضب . (٣) يعني طلحة والزبير وما كان منهما من

الخلاف عليه ، وانضمّاهما إلى السيدة عائشة . (٤) الطلقاء : هم الذين عفا عنهم النبي عليه الصلاة

والسلام بعد فتح مكة ، فقال لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء . (٥) حزب بدل من طليق الثاني : أي ابن حزب

من هذه الأحزاب التي تألبت وتظاهرت على حربته صلى الله عليه وسلم من قريش ، وغطفان ، وبني مرة ،

وبني أشجع ، وبني سليم ، وبني أسد (في غزوة الأحزاب ، وهي غزوة الخندق سنة ٥ هـ) وكانت عدة

الجميع عشرة آلاف مقاتل ، وقادهم أبو سفيان .

فَلَا غُرُو^(١) إِلَّا خِلَافَكُمْ مَعَهُ ، وَاتَّقِيادَكُمْ لَهُ ، وَتَدْعُونَ آلَ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
الَّذِينَ لَا يَنْبَغِي لَكُمْ شِقَاقُهُمْ وَلَا خِلَافُهُمْ ، وَلَا أَنْ تَعْدِلُوا بِهِمْ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا ، أَلَا إِنِّي
أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِمَاتَةِ الْبَاطِلِ ،
وإِحْيَاءِ مَعَالِمِ الدِّينِ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ، وَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ،
وَمُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ .

فَقَالَا : « أَشْهَدُ أَنَّ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُتِلَ مَظْلُومًا » فَقَالَ لَهَا : « لَا أَقُولُ إِنَّهُ قُتِلَ
مَظْلُومًا ، وَلَا إِنَّهُ قَتَلَ ظَالِمًا » . قَالَا : « فَن لَمْ يَزْعَمْ أَنَّ عُمَانَ قَتَلَ مَظْلُومًا ، فَنَحْنُ مِنْهُ بِرَاءٌ »
ثُمَّ قَامَا فَانْصَرَفَا ، فَقَالَ عَلِيٌّ : « إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ، وَلَا تُسْمِعُ الْعُصَمَاءَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا
مُذْبِرِينَ ، وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ، إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ،
فَهُمْ مُسْلِمُونَ » .
(تاريخ الطبري ٦ : ٤)

(١) فلا غرو : أى لا عجب ، وقوله إلا خلافاكم معه : أى خلافاكم علىّ معه ، أو هو « خلافاكم معه »
بالحاء : أى مخالفتكم له ، ومناصرتكم إياه .

التحريض على القتال من قبل معاوية

٢٢٧ — خطبة عمرو بن العاص (المتوفى سنة ٤٣ هـ)

لما بلغ معاوية أن الإمام علياً (كرّم الله وجهه) يجهّز الجيوش لقتاله ، دعا عمرو ابن العاص ، فاستشاره ، فقال : « أما إذ بلغك أنه يسير فسر بنفسك ، ولا تغيب عنه برأيك ومكيدتك » . قال : « أما إذا يا أبا عبد الله فجهز الناس » . فجاء عمرو فخصّص الناس ، وضعّف علياً وأصحابه ، وقال :

« إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم ، وأوهنوا شوكتهم ، وفلّوا حدم ، ثم إن أهل البصرة مخالفون لعليّ ، قد وترهم وقتلهم ، وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل ، وإنما سار في شِرْذِمَةٍ قَلِيلَةٍ ، منهم من قد قَتَلَ خليفتك ، فالله الله في حكم أن تُضَيِّمُوهُ ، وفي دمكم أن تُطْلُوهُ » .
(تاريخ الطبري ٥ : ٢٣٦)

٢٢٨ — خطبة أخرى لعمر بن العاص

وخطب عمرو بن العاص قبل الوقفة العظمى بصفين ، يحرض أهل الشام « وقد كان منحنياً على قوس » فقال :

« الحمد لله العظيم في شأنه ، القويّ في سلطانه ، العليّ في مكانه ، الواضح في برهانه ، أحمدّه على حُسْنِ البلاء ، وتظاهر النعماء ، في كل رَزِيَّةٍ من بلاء^(١) ، أو شدة أو رخاء ،

(١) البلاء : يكون محنة ، ويكون منحة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ثم إنا نحتسب عند الله ربَّ العالمين ما أصبح في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، من اشتغال نيرانها ، واضطراب حبلها ، ووقوع بأسها بينها ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله ربَّ العالمين .

أَوْ لَا تَعْلَمُونَ أَنَّ صَلَاتَنَا وَصَلَاتَهُمْ ، وَصِيَامَنَا وَصِيَامَهُمْ ، وَحُجَّتَنَا وَحُجَّتَهُمْ ، وَقِبْلَتَنَا وَقِبْلَتَهُمْ ، وَدِينَنَا وَدِينَهُمْ وَاحِدٌ ؟ وَلَكِنِ الْأَهْوَاءُ مُخْتَلِفَةٌ ، اللَّهُمَّ أَصْلَحْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِمَا أَصْلَحْتَ بِهِ أَوَّلَهَا ، وَاحْفَظْ فِيمَا بَيْنَنَا ، مَعَ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ وَطَّنُوا بِلَادَكُمْ ، وَبَعَوْا عَلَيْكُمْ ، فَجِدُّوا فِي قِتَالِ عَدُوِّكُمْ ، وَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ، وَحَافِظُوا عَلَى حُرْمَاتِكُمْ ^(١) » ثم جلس .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٥٠٤)

٢٢٩ — خطبة معاوية بن أبي سفيان يحرض أهل الشام

وقام معاوية في أهل الشام خطيباً ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : أَعِيرُونَا جَمَاعَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ^(٢) ، لَا تُقَتِّلُوا ^(٣) ، وَلَا تَتَخَذَلُوا ^(٤) ، فَإِنَّ الْيَوْمَ يَوْمٌ أَخْطَارٌ ، وَيَوْمٌ حَقِيقَةٌ وَحِفَاطٌ ^(٥) ، إِنَّكُمْ لَعَلَى حَقٍّ ، وَبِأَيْدِيكُمْ حُجَّةٌ ، إِنَّمَا تَقَاتِلُونَ مِنْ نَكَثِ الْبَيْعَةِ ، وَسَفْكَ الدَّمِ الْحَرَامِ ، فَلَيْسَ لَهُ مِنَ السَّمَاءِ عَازِرٌ ، قَدَّمُوا أَصْحَابَ السَّلَاحِ الْمُسْتَلِمِينَ ^(٦) ، وَأَخْرَوْا الْحَاسِرَ ^(٧) ، وَانْحَلُّوا بِأَجْمَعِكُمْ ، فَقَدْ بَاغَ الْحَقُّ مَقْطَعَهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ ظَالِمٌ وَمَظْلُومٌ » .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨١)

(١) جمع حرمة ، وهي ما لا يحل انتهاكه . (٢) أى جودوا برؤوسكم ، ولا تبخلوا بنفوسكم على القتل .

(٣) فى الأصل « لا تقتلوا » على أن القتل مجزوم بلا الناهية ، وأراه محرفاً ، وإنما هو « لا تقتلوا » مجزوم فى جواب الأمر ، أى إن تسخروا ببذل رؤوسكم وبنفوسكم وتقاتلوا مستبسلين تنجوا من القتل .

(٤) فى الأصل « ولا تتجاذلوا » وأراه مصحفاً عن « ولا تتخاذلوا » أى لتتعاونوا ، ولا يتخذل بعضهم بعضاً .

(٥) أى يوم محافظة على الأرواح والأعراض والأموال ودفاع عنها . (٦) استلام : لبس اللأمة ،

وهى الدرع . (٧) الحاسر : من لا مغفر له ، ولا درع ، أو لا جنة له .

٣٣٠ - خطبة ذى الكلاع الحميرى^(١)

وطلب معاوية إلى ذى الكلاع الحميرى أن يخطب الناس ، ويحرضهم على قتال على رضى الله عنه ومن معه من أهل العراق ، فعقد فرسه « وكان من أعظم أصحاب معاوية خطراً^(٢) » وخطب الناس فقال :

« الحمد لله حمداً كثيراً ، نامياً واضحاً مُنيراً ، بُكْرَةً وأصبلاً ، أَحْمَدَهُ واستعينه ، وأومن به ، وأتوكل عليه ، وكفى بالله وكيلاً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالعرفان إماماً ، وبالهدى ودين الحق ، حين ظهرت المعاصى ، وَدَرَسَتْ^(٣) الطاعة ، وامتلأت الأرض جوراً وضلالة ، واضطربت الدنيا نيراناً وفتنة ، وَوَرَكَ^(٤) عدو الله إبليسُ على أن يكون قد عُبدَ فى أكنافها ، واستولى على جميع أهلها ، فكان محمد صلى الله عليه وآله هو الذى أطفأ الله به نيرانها ، وَنَزَعَ به أوتادها ، وأوهن به قوى إبليس ، وَأَبَسَ مما كان قد طَمَعَ فيه مِنْ ظَفَرِهِ بهم ، وأظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون .

ثم كان من قضاء الله أن ضَمَّ بيننا وبين أهل ديننا بَصِيفَيْنِ ، وإنا لنعلم أنَّ فيهم قوماً قد كانت لهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله سابقةٌ ذاتُ شأنٍ وَخَطَرٍ عظيم ، ولسكنى ضربت الأمر ظهراً وبطناً ، فلم أَرِ يسعنى أن يُهْدَرَ دَمُ عثمان ، صِهْرُ نبينا صلى الله عليه وآله ، الذى جَهَّز جيش العُسرة^(٥) ، وألحق فى مُصَلَّى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بيتاً ،

(١) هو ذو الكلاع الأصغر سميفع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذى الكلاع الأكبر يزيد بن النعمان وهما من أدواء البين . (٢) أى شأناً وقدرًا . (٣) اتحت . (٤) ورك على الأمر وروكا : قدر .

(٥) وذلك أنه فى غزوة تبوك — وكانت سنة تسع للهجرة — أنفق فى تجهيز المقاتلة من المسلمين عشرة آلاف دينار ، وأعطى ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها (والأحلاس : جمع حلس بالكسر : وهو كساء على ظهر البعير تحت البرذعة . والأقتاب جمع قتب بالتحريك : وهو ما يوضع على سنام البعير) وخمسين فرساً ، فقال =

وَبَنَى سِقَايَةَ^(١) ، وَبَايَعَ لَهُ نَبِيُّ اللَّهِ بِيَدِهِ الْيَمْنَى عَلَى الْيَسْرَى^(٢) ، وَاخْتَصَمَهُ بِكَرِيمَتَيْهِ أُمُّ كَلْثُومٍ وَرُقِيَّةٌ^(٣) ، فَإِنْ كَانَ قَدْ أَذْنَبَ ذَنْبًا ، فَقَدْ أَذْنَبَ مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ، قَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ : (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) وَكَتَلَ مُوسَى نَفْسًا^(٤) ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ

== عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « اللَّهُمَّ ارْضُ عَنْ عَثَانَ ، فَإِنِّي رَاضٍ عَنْهُ » وَكَانَ ذَلِكَ فِي زَمَنِ صِرَةِ النَّاسِ وَجَدِبَ الْبِلَادَ ، وَشَدَّ الْحَرْ ، قَالَ تَعَالَى : « لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى الذَّيْبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ » أَيْ وَقْتَهَا ، وَهِيَ حَالُهُمْ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ ، ذَكَرُوا أَنَّ الرَّجُلَيْنِ كَانَا يَقْتَتِمَانِ تَمْرَةً ، وَأَنَّ الْعُشْرَةَ كَانُوا يَمْتَقِبُونَ الْبَعِيرَ الْوَاحِدَ . (١) وَذَلِكَ أَنَّهُ اشْتَرَى بِئْرَ رُومَةَ (بِضَمِّ الرَّاءِ : بِئْرٌ بِالْمَدِينَةِ) ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَكَانَ رِشَاؤُهُ فِيهَا كَرِشَاءِ أَحَدِهِمْ ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « مَنْ حَفَرَ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ » وَأَشْرَفَ عَثَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الثَّوَارِ حِينَ حَصَرُوهُ وَمَتَعُوا الْمَاءَ عَنْهُ ، فَقَالَ : أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ ، هَلْ عَلِمْتُمْ أَنِّي اشْتَرَيْتُ رُومَةَ مِنْ مَالِي يَسْتَعْذِبُ بِهَا ، فَجَعَلْتُ رِشَائِي مِنْهَا كَرِشَاءِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؟ قِيلَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَشْرَبَ مِنْهَا حَتَّى أَنْفُرَ عَلَى مَاءِ الْبَحْرِ ؟ ثُمَّ قَالَ : أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ هَلْ عَلِمْتُمْ أَنِّي اشْتَرَيْتُ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْأَرْضِ ، فَرَدَدْتُهُ فِي الْمَسْجِدِ ؟ قِيلَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَهَلْ عَلِمْتُمْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ مَنَعَ أَنْ يَصِلَ فِيهِ قَبْلُ ؟ ثُمَّ قَالَ : أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ ، هَلْ سَمِعْتُمْ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ كَذَا وَكَذَا — أَشْيَاءَ فِي شَأْنِهِ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ : مَهْلًا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

(٢) وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَصَدَ إِلَى مَكَّةَ فِي غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ (سِتَّةَ سَنَاتٍ لِلْهِجْرَةِ) بَعَثَ عَثَانَ بْنَ عَفَّانٍ إِلَى أَبِي سَفْيَانَ وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لِلْبَيْتِ وَمُعْظَمًا لِحُرْمَتِهِ ، فَخَرَجَ عَثَانُ إِلَى مَكَّةَ وَبَلَغَ الرِّسَالَةَ ، وَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْشٌ عَنْدهَا ، فَشَاحَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ عَثَانَ قَدْ قُتِلَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : لَا نَبْرَحَ حَتَّى نَنَاجِزَ الْقَوْمَ ، وَدَمَا الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْبَيْعَةِ عَلَى الْمَوْتِ فَكَانَتْ بَيْعَةُ الرُّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَبَايَعَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعَثَانَ ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ الْيَمْنَى عَلَى يَدِهِ الْيَسْرَى وَقَالَ : هَذِهِ يَدُ عَثَانَ .

(٣) تَزَوَّجَ عَثَانُ السَّيِّدَةَ رُقِيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَلَمَّا مَاتَتْ جَزَعَ عَثَانُ عَلَيْهَا وَقَالَ يَارَسُولَ اللَّهِ انْقَطِعْ صَهْرِي مِنْكَ ، قَالَ : إِنْ صَهْرُكَ مِنِّي لَا يَنْقَطِعُ ، وَقَدْ أَمَرَنِي جَبْرِيلُ أَنْ أَزُوجَكَ أختَهَا بِأَمْرِ اللَّهِ : السَّيِّدَةِ أُمِّ كَلْثُومٍ .

(٤) وَذَلِكَ أَنَّهُ فِي إِبَانِ نَشَأَتِهِ بِمِصْرَ دَخَلَ مَدِينَةَ مَنْفٍ ذَاتَ مَرَّةٍ ، فَوُجِدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ قِبْطِيًّا يَسْخُرُ إِسْرَائِيلِيًّا لِيَحْمِلَ حَطْبًا إِلَى مَطِيخِ فِرْعَوْنَ ، فَاسْتَفَانَهُ الْإِسْرَائِيلِيُّ ، فَقَالَ مُوسَى الْقِبْطِيُّ : خُلِّ سَبِيلُهُ ، فَقَالَ لَهُ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَحْمِلَهُ عَلَيْكَ ، فَوَكَزَهُ مُوسَى (أَيْ ضَرَبَهُ بِجَمْعِ كَفِّهِ) وَكَانَ شَدِيدَ الْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ فَقَتَلَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ يَقْصِدُ قَتْلَهُ (وَذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ إِذْ ذَلِكَ ابْنُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً) وَقَدْ اغْتَمَّ لِذَلِكَ خَوْفًا مِنْ عِقَابِ اللَّهِ . =

فغفر له ، وقد أذنب نوح^(١) ، ثم استغفر الله فغفر له ، وقد أذنب أبوكم آدم^(٢) ، ثم استغفر الله فغفر له ، ولم يَمْزُ أحدكم من الذنوب ، وإنا لنعم . قد كانت لابن أبي طالب سابقة حسنة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن لم يكن مالا^(٣) على قتل عثمان فقد

= ومن اقتصاص فرعون واستغفر الله فغفر له ، وفي ذلك يقول الله تعالى : « وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ، وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ، فَاسْتَمَاعَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ، فَوَكَّزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ، قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » (سورة القصص) وقال تعالى : « وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ » (سورة طه)

(١) يشير إلى ما كان من نوح عليه السلام بشأن ابنه كنعان حين حدث الطوفان ، قال تعالى : « وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ، يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا ، وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ، قَالَ سَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِفُ مِنْ الْمَاءِ ، قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ، وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ » إلى أن قال : « وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي (أى وقد وعدتني بنجاتهم) وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ، قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ، وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (سورة هود) .

(٢) وذلك أنه إذ أسكنه الله هو وزوجه حواء الجنة وأباح لهما أن يأكلا من حيث شاءا ، نهاه أن يقرب شجرة عينها له ، فوسوس له إبليس أن يأكل منها فطاعه : وفي ذلك يقول الله تعالى : « وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ، فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ » . «سورة الأعراف» . (٣) ناصر وشايع .

خذله ، وإنه لأخوه في دينه ، وابنُ عمِّه^(١) ، وسلفه^(٢) ، وابنُ عمته^(٣) ، ثم قد أقبلوا من عراقهم حتى نزلوا شامكم وبلادكم وبيضتكم^(٤) ، وإنما عامتهم بين قاتل وخاذل ، فاستعينوا بالله واصبروا ، فلقد ابتليتم أيتها الأمة ، ولقد رأيت في منامي في ليلتي هذه ، لكاننا وأهل العراقِ أعتورنا^(٥) مُضْحَفًا نضربه بسيوفنا ، ونحن في ذلك جميعا ننادى : وَيَحْكُمُ اللهُ ! ومع أنا والله لانفارق العرصة^(٦) حتى نموت ، فمليكم بتقوى الله ، وليكن الثبات لله ، فإني سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « إِنَّمَا يُبْعَثُ الْمُقْتَلُونَ عَلَى الثَّبَاتِ » أفرغ الله علينا وعليكم الصبر ، وأعزَّ لنا ولكم النصر ، وكان لنا ولكم في كل أمر ، وأستغفر الله لي ولكم .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨٤)

٣٣١ - خطبة يزيد بن أسد البجلي

وقام يزيد بن أسد البجلي في أهل الشام يخطب الناس بصفين ، وعليه قبالة من خَزَّ وعمامة سوداء ، آخذاً بقائم سيفه ، واضعاً نَصْلَ السَّيْفِ فِي الْأَرْضِ مَتَوَكِّئًا عليه ، فقال :

« الحمد لله الواحد الفرد ، ذى الطول^(٧) والجلال ، العزيز الجبار ، الحكيم الغفار ، الكبير المتعال ، ذى العطاء والفعال^(٨) ، والسَّخَاءِ والنَّوَالِ ، والبهاء والجمال ، وَلَمَّا

-
- (١) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وعلى بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف . (٢) السلف (بفتح فكسر وبكسر فسكون) من الرجل : زوج أخت امرأته وقد علمت أن عثمان تزوج السيدة رقية أخت السيدة فاطمة زوج الإمام على . (٣) أم عثمان هي أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم عمه النبي صلى الله عليه وسلم . (٤) البيضة : ساحة القوم . (٥) اعتوروا الشيء : تداولوه . (٦) العرصة : كل بقعة بين الدور واحة ليس فيها بناء . (٧) الطول : الفضل والقدرة والغنى . (٨) الفعال : اسم الفعل الحسن ، والكرم .

والإفضال ، مالكِ اليوم الذى لا يَبِيعُ فيه ^(١) ولا خِلَال ^(٢) ، أَحْمَدُه على حسن البلاء ،
وتظَاهرُ النِّعْمَاءُ ، وفى كل حال من شِدَّةٍ أو رخاء ، أَحْمَدُه على نِعَمِهِ التَّوَامِ ، وآلائِهِ
العِظَامِ ، حمداً يستنير بالليل والنهار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كلمة
النَّجاة فى الحياة الدنيا وعند الوفاة ، وفيها الخلاص يوم القِصاص ، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله النّبي المصطفى ، وإمام الرِّحمة والهدى ، صلى الله عليه وآله .

ثم كان من قضاء الله أن جَمَعَنَا وأهلَ ديننا فى هذه الرُّقعة من الأرض ، والله يعلم أنى
كنت كارهاً لذلك ، ولكنهم لم يُبَلِّغُونَا رِيقَنَا ، ولم يتركونا نرتادُ لأنفسنا ، وننظر لمعَادِنَا ،
حتى نزلوا بين أظهرنا ، وفى حريمنا وَبَيضَتْنَا ^(٣) ، وقد علمنا أن فى القوم أحلاماً
وطغماً ^(٤) ، ولسنا نأمن طغفائهم على ذَرَارِينَا ونسائنا ، ولقد كنا نحب أن لا نقاتل أهل ديننا ،
فأخرجونا حتى صارت الأمور إلى أن قاتلناهم عِدَا حِمِيَّةٍ ^(٥) ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ،
والحمد لله رب العالمين .

أما والذي بعث محمداً بالرسالة لَوَدِدْتُ أنى مِتُّ منذ سنة ، ولكن الله إذا أراد أمراً
لم يستطع العبادُ رَدَّه ، فنستمع بالله العظيم ، وأستغفر الله لى ولِسْكم .
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨٥ والأغانى ١٩ : ٥٥)

(١) لا يبيع فيه فيحتاج المقصر ما يتدارك به تقصيره ، أو يفدى به نفسه . (٢) الخلال والمخاللة مصدر
خال : المصادقة ، أى ولا مخاللة فيه فيشفع لك خليلك . (٣) البيضة : ساحة القوم . (٤) الحلم
بالكسر : الأناة والعقل ، وهو حلم والجمع حلماء وأحلام ، والطغام : أوغاد الناس . (٥) الحمية :
الأنفة (وفى الأصل غدا ، وأرى صوابه عدا أى أعداء) .

التحريض على القتال

من قبل الإمام عليّ أيضاً

٢٣٢ - خطبة الإمام علي

وخطب الإمام عليّ كرم الله وجهه أصنابه ، متوكلنا على قوسه ، وقد جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عنده فهم يُلَوْنُهُ - كأنه أحبّ أن يعلم الناس أن الصحابة متوافرون معه - فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : فَإِنَّ الْخِيَلَاءَ ^(١) مِنَ التَّجَبُّرِ ، وَإِنَّ النُّخُوءَ ^(٢) مِنَ التَّكْبُرِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ حَاضِرٌ ، يَعِدُّكُمْ الْبَاطِلَ . أَلَا إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ ، فَلَا تَتَابَذُوا ، وَلَا تَحَاذِلُوا ، أَلَا إِنَّ شُرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ ، وَسُبُلُهُ قَاصِدَةٌ ^(٣) ، مِنْ أَخْذِهَا الْحَقُّ ^(٤) ، وَمَنْ فَارَقَهَا بِحَقِّ ^(٥) ، وَمَنْ تَرَكَهَا مَرَقَ ^(٦) ، لَيْسَ الْمُسْلِمُ بِالْخَائِنِ إِذَا أَوْثَمُنَ ، وَلَا بِالْخَلِيفِ إِذَا وَعَدَ ، وَلَا بِالْكَذَّابِ إِذَا نَطَقَ ، نَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ الرَّحْمَةِ ، وَقَوْلُنَا الصَّدَقُ ، وَفِعْلُنَا الْفَضْلُ ، وَمِنَّا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَمِنَّا قَادَةُ الْإِسْلَامِ ، وَمِنَّا حَمَلَةُ الْكِتَابِ ، أَلَا إِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَى رَسُولِهِ ، وَإِلَى جِهَادِ عَدُوِّهِ ، وَالشَّدَّةِ فِي أَمْرِهِ ، وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحُجِّ الْبَيْتِ ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَتَوْفِيرِ الْفَنَاءِ عَلَى أَهْلِهِ . أَلَا وَإِنَّ مِنْ أَعْجَبِ

(١) الخيلاء : الكبر . (٢) النخوة : الافتخار والتعظم . (٣) القصد : استقامة الطريق .

(٤) أى أدرك رضا الله وثوابه . (٥) محقه : محامه ، ومحق الله الشيء ذهب ببركته . (٦) أى

خرج من الدين ، وأصله من مرق السهم من الرمية مروقا : إذا خرج من الجانب الآخر .

العجائب أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ الْأُمَوِيَّ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ السَّهْمِيَّ ، أَصْبَحَا يُحَرِّضَانِ النَّاسَ عَلَى طَلَبِ الدِّينِ بِزَعَمِهِمَا ، وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي لَمْ أَخَالَفْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَطُّ ، وَلَمْ أُغْصِهِ فِي أَسْرٍ ، أَفِيهِ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي يَنْكُصُ^(١) فِيهَا الْأَبْطَالُ وَتُرْعَدُ فِيهَا الْفَرَايِصُ^(٢) ، بِنَجْدَةِ أَكْرَمَنِ اللَّهِ - بِحَاكِنَةِ بَيْهَا وَلَهُ الْحَمْدُ - ، وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَإِنَّ رَأْسَهُ لَفِي حِجْرِي ، وَلَقَدْ وَلَيْتَ غُسْلَهُ بِيَدِي وَحَدِي تَقْلِبُهُ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ مَعِي ، وَإِيمَانُهُ مَا اخْتَلَفَتْ أُمَّةٌ قَطُّ بَعْدَ نَبِيِّهَا ، إِلَّا ظَهَرَ أَهْلُ بَاطِلِهَا عَلَى أَهْلِ حَقِّهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨١)

٢٣٣ - خطبة أخرى له

وروى أَنَّ الْإِمَامَ عَلِيًّا قَالَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ : حَتَّى مَتَى لَا نَفَاهُضَ الْقَوْمَ بِأَجْمَعِنَا ؟ فقام في الناس فقال :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُبْرَمُ مَا نَقَضَ ، وَلَا يُنْقَضُ مَا أُبْرِمَ ، لَوْ شَاءَ مَا اخْتَلَفَ اثْنَانِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلَا مِنْ خَلْقِهِ ، وَلَا تَنَازَعَ الْبَشَرُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ ، وَلَا جَعَدَ الْمَفْضُولُ ذَا الْفَضْلِ فَضْلَهُ ، وَقَدْ سَاقَتْنَا وَهَوْلَاءَ الْقَوْمِ الْأَقْدَارُ ، حَتَّى لَفَّتْ بَيْنَنَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَنَحْنُ مِنْ رَبِّنَا بِمَرَأَى وَمَسْمَعٍ ، وَلَوْ شَاءَ لَعَجَّلَ النَّقْمَةَ ، وَلَكِنْ مِنْهُ النَّصْرُ ، حَتَّى يَكْذِبَ اللَّهُ الظَّالِمَ ، وَيَعْلَمَ الْمُحِقُّ أَيْنَ مَصِيرُهُ ، وَلَكِنْ جَعَلَ الدُّنْيَا دَارَ الْأَعْمَالِ ، وَالْآخِرَةَ دَارَ الْجَزَاءِ وَالْقَرَارِ ، « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » إِلَّا لَأَنكُمْ لَا قُوَّةَ لَكُمْ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَاطِيلُوا اللَّيْلَةَ الْقِيَامَ ، وَأَكْثَرُوا تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الصَّبْرَ وَالنَّصْرَ ، وَالْقُوَّةَ بِالْحِلْدِ وَالْحَزْمِ ، وَكُونُوا صَادِقِينَ . »

(شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٤٨١ وتاريخ الطبري ٧: ٦)

(١) نكص عن الأمر : أحجم عنه .

(٢) جمع فريضة ، وهي لمة بين الجنب والكتف لاتزال ترتد .

٢٣٤ - ومن كلام له كرم الله وجهه

كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين

« مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ : اسْتَشْمِرُوا ^(١) الْخَشْيَةَ ، وَتَجَلَّبَبُوا السَّكِينَةَ ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِدِ ^(٢) ، فَإِنَّهُ أَنْبَى السَّيْفِ عَنْ الْهَامِ ^(٣) ، وَأَكْمَلُوا اللَّأْمَةَ ^(٤) ، وَقَلَّعُوا السَّيْفَ فِي أَغْصَانِهَا ، قَبْلَ سَلْمِهَا ^(٥) ، وَالْحِظُّوا الْخِزَرَ ^(٦) ، وَاطْعَنُوا الشَّرَرَ ^(٧) ، وَانْفَحُوا بِالظُّبَا ^(٨) ، وَصَلُّوا السَّيْفَ بِالْخَطَا ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَعَيْنُ اللَّهِ ^(٩) ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَعَاوِدُوا الْكَرَّ ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ ، فَإِنَّهُ عَارِضٌ فِي الْأَعْقَابِ ، وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ، وَطَيَّبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا ، وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا سُجَّحًا ^(١٠) ، وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ ^(١١) الْأَعْظَمِ ، وَالرَّوَاقِ الْمُطَنَّبِ ^(١٢) ، فَاضْرِبُوا مَبْجَهَ ^(١٣) ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ ^(١٤) ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوُتْبَةِ يَدَا ، وَأَخَّرَ لِلنَّكَوْصِ رِجْلَا ، فَصَمَدًا صَمَدًا ^(١٥) ، حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ ، وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ ، وَإِنْ يَتَرَكَمِ ^(١٦) أَعْمَالُكُمْ » .

(نهج البلاغة : ١ : ٥٧)

-
- (١) استشعر : لبس الشعار وهو ما يلبس البدن من الثياب . وتجلبب : لبس الجلباب ، والمراد : لازموا الخشية والسكينة . (٢) النواجد جمع ناجذ : أقصى الأضرار ، ويعرض المرء نواجذه حين يشتد غيظه ، والمراد : استجمعوا كل قوتكم . (٣) فإنه : أي أدعى إلى نبوها عن رهوسكم ، نبا السيف عن الضريبة : كل ، وإهام : الرهوس جمع هامة . (٤) اللأمة : الدرع ، ويجوز أن يعبر بالألأمة عن جميع أدوات الحرب ، يريد أكلوا السلاح . (٥) مخافة أن تستمضى عن الخروج وقت سلمها . (٦) الخزر : النظر في أحد الشقين ، وتلك أمانة الغضب . (٧) الطعن في الجوانب يمينا وشمالا . (٨) نافحوا : كافحوا وضاربوا ، والظبا : جمع ظبة ، وهي حد السيف . (٩) أي ملحوظون بها . (١٠) اللين : السهل . (١١) العدد الكثير . يعني جمهور أهل الشام . (١٢) الرواق : بكسر الراء وضمها الفسطاط ، يريد به مضرب معاوية المطنب ، أي المشدود بالأطواب (جمع طنب بضمين ، وهو الحبل) وكان معاوية في مضرب عليه قبة عالية وحوله صناديد أهل الشام . (١٣) أي وسعاه . (١٤) جانبها . (١٥) الصمد : القصد ، صمده من باب نصر قصده . (١٦) لن ينقصكم منها شيئا .

٢٣٥ - خطبة أخرى للإمام

وخطب الإمام على ذلك اليوم أيضاً ، فقال :

« أيها الناس : إن الله تعالى ذكركم ، قد دلكم على تجارة تُنجيكم من العذاب ، وتُشفي^(١) بكم على الخير ، إيمان بالله ورسوله ، وجهاد في سبيله ، وجعل ثوابه مغفرة الذنوب ، ومساكن طيبة في جنات عدن ، ورضوان من الله أكبر ، وأخبركم بالذي يجب فقال : (إن الله يُحبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا ، كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْمُوسٌ) فسووا صفوفكم كالبنيان المرموص ، وقدّموا الدارع ، وأخروا الحاسر ، وعَضُّوا على الأضراس ، فإنه أنبي السيف عن الهام ، وأربط للجأش ، وأسكن للقلوب ، وأميتوا الأصوات ، فإنه أطرِد للفشل ، وأولى بالوقار ، والتَّوَوُّا في أطراف الرِّمَاح ، فإنه أَمُورٌ^(٢) للأسيمة ، ورايتكم فلا تُمِيلوها ، ولا تُزِيلوها ، ولا تجمعوها إلا بأيدي شجعانكم ، المانعي الذِّمار^(٣) ، والصَّبر عند نزول الحقائق ، أهل الحِفاظ الذين يَحْفَرُونَ^(٤) برايتكم ويكفونها يضربون خلفها وأمامها ، ولا يُضَيِّعُونَهَا ، أجزاً كلِّ امرئٍ مسلم قرنه^(٥) ، وواسي أخاه بنفسه ، ولم يَكِلْ قرنه إلى أخيه ، فيجمع عليه قرنه وقرن أخيه ، فيكسب بذلك اللأئمة ، ويأتي به دناءة ، أتى هذا ، وكيف يكون هذا ؟ هذا يقاتل اثنين ، وهذا مُنْسِك يده ، قد خَلَّى قرنه إلى أخيه هارباً منه ، أو قائماً ينظر إليه ؟ من يفعل هذا مقتله الله ، فلا تَمَرَّضُوا لِمَتِ الله ، فإنما مردُّكم إلى الله ، قال الله تعالى لقوم عابهم : (لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ، وَإِذَنْ لَا تُمَتِّعُونَ إِلَّا

(١) أشفى عليه : أشرف . (٢) اسم تفضيل من مار ، سهم مائر : أى خفيف نافذ داخل في الأجسام .

(٣) ما يلزمك حفظه وحمايته . (٤) خفره وبه وعليه يخفر بكسر الفاء وضمها : أجاره ومنعه وآمنه .

(٥) القرن : كفؤك في الشجاعة (أو عام) وأجزأه : أغناه وكفاه .

خليلاً) وإيم الله إن فررتُم من سيف الله العاجلة ، لا تسلمون من سيف الآخرة ، استمعينوا بالصدق والصبر ، فإنه بعد الصبر يُنزل النصر .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٣ وتاريخ الطبري ٦ : ٩)

٢٣٦ - خطبة للإمام عليّ

ومرّة الإمام عليّ كرّم الله وجهه على جماعة من أهل الشام ، فيها الوليد بن عُقبة وهم يشتمونه ، فخبر بذلك ، فوقف فيمن يليهم من أصحابه ، فقال :

« انهدوا^(١) إليهم ، عليكم السكينة والوقار ، وقارُ الإسلام وسميى الصالحين ، فوالله لأقرب قوم من الجهل فائدهم ومؤذِنهم^(٢) معاوية وابن النابغة^(٣) وأبو الأعور الشلمي ، وابن أبي معيط ، شارب الخمر ، المجلود خدا في الإسلام ، وهم أولى من يقومون فينقضوني ويخدّبوني^(٤) ، وقبل اليوم ما قاتلوني ، وأنا إذ ذاك أدعهم إلى الإسلام ، وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام ، الحمد لله ، قديماً عاداني الفاسقون ، فعبدتهم^(٥) الله ، ألم يُفَنِّخُوا^(٦) ؟ إن هذا هو الخطب الجليل ، إن فُسلنا كانوا غير مرصيين ، وعلى الإسلام وأهله متخوفين ، خدعوا شطر هذه الأمة ، وأشرّبوا قلوبهم حبّ الفتنة ، واستمالوا أهواءهم بالإفك والبُهتان ، قد نصبوا لنا الحرب في إطفاء نور الله عز وجل ، اللهم فافضّ خدَمَتهم^(٧) ،

(١) نهّد الرجل : نهض ، ونهّد لعدوه : صمّد له . (٢) الأذنين والمؤذِن : الزعيم .

(٣) هو عمرو بن العاص ، والنابغة : لقب أمه سلمى بنت حرمة . (٤) الجذب بالتسكين : العيب .

(٥) ذلّهم . المعبد : المذل من الطريق وغيره . (٦) الفَنِّخ بالسكون : القهر ، والغلبة والتذليل

كالتفنيخ (وفي الأصل : « ألم يفتنّحو » وهو تصحيف) . (٧) يقال فض الله خدَمَتهم أي فرق جماعتهم ،

الخدمة بالتحريك سير غليظ مضفور مثل الحلقة يشد في رسغ البعير ، ثم يشد إليه سرائح النمل (أي سيورها :

جمع سريحة) فإذا انفضت الخدمة انحلت السرائح وسقطت النمل ، فضرِب ذلك مثلاً لذهاب ما كانوا عليه وتفرقه ،

وشبه اجتماع أمرهم واتساقه بالخدمة المستديرة .

وَشَتَّتْ كَلِمَتَهُمْ ، وَأَبْسَلَهُمْ ^(١) بِخَطَايَاهُمْ ، فَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مِنَ الْبَيْتِ ، وَلَا يَعِزُّ مِنْ عَادِيَتِ « ،
(تاريخ الطبري ٦ : ٢٤)

٢٣٧ - خطبة أخرى له

وَمَرَّةً بِأَهْلِ رَايَةَ ، فَرَأَاهُمْ لَا يَزُولُونَ عَنْ مَوْقِفِهِمْ ، فَخَرَّضَ عَلَيْهِمُ النَّاسَ — وَذُكِرَ
أَنَّهُمْ غَسَّانٌ — فَقَالَ :

« إِنْ هَؤُلَاءِ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوْقِفِهِمْ دُونَ طَعْنِ دَرَاكٍ ، يُخْرِجُ مِنْهُمْ النَّسَمَ ^(٢) ،
وَضَرْبٍ يُفَلِّقُ مِنْهُ الْهَامَ ^(٣) . وَيَطِيحُ ^(٤) الْعِظَامَ ، وَتَسْقُطُ مِنْهُ الْمَعَاصِمُ ^(٥) وَالْأَكْفُ .
وَحَتَّى يُضْدَعَ جِبَاهُهُمْ بِعُمْدِ الْحَدِيدِ ، وَتَنْتَشِرَ حَوَاجِبُهُمْ عَلَى الصُّدُورِ وَالْأَذْقَانِ ، أَيْنَ أَهْلُ
الصَّبْرِ ، وَطُلَّابُ الْأَجْرِ ؟ » .
(تاريخ الطبري ٦ : ٢٥)

٢٣٨ - خطبة عبد الله بن عباس

وَخُطِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ أَهْلَ الْعِرَاقِ بِصُفَيْنَ ، فَقَالَ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الَّذِي دَحَا ^(٦) نَحْتَنَا سَبْعًا ، وَتَمَكَّنَ ^(٧) فَوْقَنَا سَبْعًا ، وَخَلَقَ فِيمَا
بَيْنَهُنَّ خَلْقًا ، وَأَنْزَلَ لَنَا مِنْهُنَّ رِزْقًا ، ثُمَّ جَمَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ، يَنْبَلِي وَيَقْفَى ، غَيْرَ وَجْهِهِ
إِلَى الْقَبُورِ ، الَّذِي يَحْيَا وَيُبْقِي .

(١) أبسله : أسلمه للهلكة ، أى أهلكهم . (٢) جمع نسمة ، وهى نفس الروح (يفتح الفاء)
ثم سميت بها النفس (بالسكون) . (٣) جمع هامة ، وهى الرأس . (٤) يصح أن يكون مضارع
طيح بالتشديد : طيح بثوبه : رمى به فى مضیعة ، وطیح الشيء : ضيعه ، وأن يكون مضارع أطاح : أطاح
شعره أسقطه ، والشيء أفناه وإذبه ، وأن يكون مضارع طاح : طاح يطيح ويطوح هلك ، أو أشرف على
الملاك وذهب وسقط وتاه فى الأرض . (٥) جمع معصم بكسر الميم ، وهو موضع للسوار أو اليد .
(٦) دحا الله الأرض يدحوها ويدحاها : بسطها . (٧) أى رفع .

إن الله تعالى بعث أنبياء ورُسلًا ، فجعلهم حُجَجًا على عباده عُدْرًا وَنُذْرًا^(١) ، لا يُطَاعُ إلا بعلمه وإذنه ، يَمُنُّ بالطاعة على من يشاء من عباده ، ثم يُثيب عليها ، وَيُعصِي بعلم منه ، فيعفو ويغفر بحلمه ، لا يُقَدَّر قدره ، ولا يَبْلُغُ شيء مكانه ، أَحصى كل شيء عددًا ، وأحاط بكل شيء علمًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، إمام الهدى والنبي المصطفى .

وقد ساقنا قَدْرُ اللهِ إلى ما تَرَوْنَ ، حتَّى كان مما اضطرب من حبل هذه الأمة ، وانتشر من أمرها ، أَنَّ معاوية بن أبي سفيان وجد من طَغَامِ الناس أعوانًا على ابن عمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَصِهره ، وأوَّلِ ذَكَرٍ صَلَّى معه ، بَدْرِي^(٢) قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله كلَّ مَشَاهِدِهِ التي فيها الفضل ، ومعاوية مُشْرِكٌ كان يعبد الأصنام ، والذي ملك الملك وحده ، وبان به وكان أهله ، لقد قاتل على بن أبي طالب عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول : صدق الله ورسوله ، ومعاوية يقول : كذب الله ورسوله : فعليكم بتقوى الله ، وَالْجِدِّ والحزم والصبر ، والله إنا لنعلم إنكم لَعَلَى حق ، وإن القوم لعلى باطل ، فلا يكونُنَّ أولى بِالْجِدِّ على باطلهم منكم في حقكم ، وإنا لنعلم أن الله سيعذبهم بأيديكم أو بأيدي غيركم ، اللهم أعِنَّا ولا تخذُلْنَا ، وانصرنا على عدونا ، ولا تَحُلْ عَنَّا ، وافتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وَأنت خير الفاتحين .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٥٠٤)

(١) هما مصدران : عُدْره يعُدْره عُدْرًا بضم فسكون وبضمحين وأنذره إنذارًا ونذرا بضم فسكون وبضمحين : أو جمان : العذر بضمحين جمع عذير وهو العاذر ، والنذر بضمحين جمع نذير وهو المنذر .

(٢) أى حضر غزوة بدر الكبرى التي نشبت بين رسول الله عليه الصلاة والسلام وبين مشركي قريش

٢٣٩ - خطبة عبد الله بن بديل الخزاعي

وقام عبد الله بن بُدَيْلُ الْخَزَاعِي في أصحابه فخطبهم ، فقال :

« إن معاوية ادعى ما ليس له ، ونازع الأمر أهله ، ومن ليس مثله ، وجادل بالباطل ، لِيُدْحِضَ^(١) به الحق ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب ، وَزَيْنَ لَهُم الضلالة ، وزرع في قلوبهم حبَّ الفتنة ، وَلَبَسَ^(٢) عليهم الأُمُور ، وزادهم رِجْسًا^(٣) إلى رِجْسِهِمْ ، وأنتم والله على نور وبرهان ، قاتلوا الطَّغَامَ الجفاة ، قاتلوه ولا تخشوه ، وكيف تخشونهم ؟ وفي أيديكم كتابٌ من ربكم ظاهر مُبِين ، قوله سبحانه : (اُنْخَشَوْهُمْ قَالَهُ أَحقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) لقد قاتلتهم مع النبي صلى الله عليه وآله ، والله مأمٍ في هذه بأزكى ولا أتقى ولا أبرَّ ، انهضوا إلى عدو الله وعدوكم ، بارك الله عليكم .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٣ وتاريخ الطبري ٦ : ٩)

٢٤٠ - خطبة أبي الهيثم بن التيهان

وكان أبو الهيثم بن التيهان يسوي صفوف أهل العراق ، ويقول :

« يا معشر أهل العراق ، إنه ليس بينكم وبين الفتح في العاجل ، والجنة في الآجل . إلا ساعة من النهار ، فأرْسُوا أقدامكم ، وسوُّوا صفوفكم ، أعيرُوا ربكم جاحمكم ، واستعينوا بالله إلهكم ، واجاهدوا عدو الله وعدوكم ، واقتلوهم قتلهم الله وأبادهم . واضربُوا فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ . »

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٤)

(١) دحضت الحجة : بطلت ، وأدحضتها : أبطلتها . (٢) التلبيس : التخليط .

(٣) الرجس : القذر والمأثم ، وكل ما استقذر من العمل ، والعمل المؤدى إلى العذاب .

٢٤١ - خطبة للإمام عليّ

وخطب عليّ عليه السلام بصفتين أيضاً فقال :

« الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البرّ والفاجر ، وعلى حُجَجِهِ
البالغة على خلقه مَنْ أطاعه منهم ومن عصاه ، إِنْ يَرْحَمَ بفضله ومنه ، وَإِنْ عَذَّبَ
فبما كَسَبَتْ أيديهم ، وَإِنْ الله ليس بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ . أَتُحَدِّثُ عَلَى حَسَنِ الْبَلَاءِ ، وتظاهر
النِّعَمَاءِ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَا نَابَنَا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَكِيلًا .
ثُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ
بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ، ارْتِضَاءً لِدَلَالِكَ وَكَانَ أَهْلُهُ ، وَاصْطِفَاءً لِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ وَجَعَلَهُ رَحْمَةً مِنْهُ
عَلَى خَلْقِهِ . فَكَانَ عِلْمُهُ فِيهِ رِءُوفًا رَحِيمًا ، أَكْرَمَ خَلْقَ اللهِ حَسَبًا ، وَأَجْلَلَهُمْ مَنْظَرًا ،
وَأَسْخَاهُمْ نَفْسًا ، وَأَبْرَمَ لُؤْلُؤًا ، وَأَوْصَلَهُمْ لِرَحِمٍ ، وَأَفْضَلَهُمْ عِلْمًا ، وَأَتَقَلَّهَمُ حِلْمًا ، وَأَوْفَاهُمْ
لِعَهْدٍ ، وَأَمَنَهُمْ عَلَى عَقْدٍ ، لَمْ يَتَمَلَقْ عَلَيْهِ مُسْلِمٌ وَلَا كَافِرٌ بِمُظْلَمَةٍ قَطُّ ، بَلْ كَانَ يُظْلَمَ فَيَغْفِرُ
وَيَقْدِرُ فَيَصْفَحُ ، حَتَّى مَضَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُطِيعًا لِلَّهِ ، صَابِرًا عَلَى مَا أَصَابَهُ ، مُجَاهِدًا
فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَكَانَ ذَهَابَهُ أَعْظَمُ الْمَصِيبَةِ
عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ ، ثُمَّ تَرَكَ فِيكُمْ كِتَابَ اللهِ يَأْمُرُكُمْ بِطَاعَةِ اللهِ ، وَيَنْهَاكُمْ
عَنْ مَعْصِيَتِهِ .

وقد عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً ، فلست أحيدهُ عنه ، وقد حضرتم
عدوكم ، وعلمتم أن رئيسهم منافق يدعوهم إلى النار ، وابن عمّ نبيكم معكم وبين أظهركم
يدعوكم إلى الجنة ، وإلى طاعة ربكم ، والعمل بسنة نبيكم ، ولا سواء^(١) مَنْ صَلَّى قَبْلَ
كُلِّ ذِكْرٍ ، لَا يَسْتَبْقَى بِصَلَاةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ أَحَدٌ . وَأَنَا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ ، وَمَعَاوِيَةُ طَلِيقٌ ،

(١) أى ولا مثل من صلى .

والله إنا على الحق ، وإناهم على الباطل ، فلا يَجْتَمِعَنَّ على باطلهم ، وتفرقوا عن حكمكم ، حتى يغلب باطلهم حكمكم ، قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فإن لم تفعلوا يعذبهم بأيدي غيركم . (شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٥٠٣)

٢٤٢ — خطبة سعيد بن قيس

وقام سعيد بن قيس يحطّب أصحابه بِقُنَاصِرِينَ^(١) ، فقال :

« الحمد لله الذى هدانا لدينه ، وأورثنا كتابه ، وامتنَّ علينا بنبيه ، فجعله رحمة للعالمين ، وسيد المرسلين ، وقائد المؤمنين ، وختامًا للنبيين ، وحبّة الله العظيم ، على الماضين والغابرين ، ثم كان مما قضى الله وقدره - وله الحمد على ما أحببنا وكرهنا - أن ضَمَّنَا وعدُونا بِقُنَاصِرِينَ ، فلا يَحْمِلُ بنا اليومَ الحِياصُ^(٢) ، وليس هذا بأوان انصراف ، ولات حينَ مناص^(٣) ، وقد خصّنا الله بمتّنه برحمته لا نستطيع أداء شكرها ، ولا تقدُّر^(٤) قدرها ، إن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله المُصْطَفَيْنَ الأخيار معنا وفي حَيِّزنا ، فوالله

(١) قال صاحب اللسان والقاموس : قنصرين موضع بالشّام ، ولم يذكره ياقوت في معجمه .

(٢) حاص عنه يحيص حيصا ومحيصا ومحاصا عدل وحاد ، والحياص والمحايصة : مفاعلة من الحيص أى العدول واخرى . قال صاحب اللسان : وفى حديث مطرف (بتشديد الراء المكسورة) أنه خرج من الطاعون فليل له فى ذلك ، فقال : « هو الموت نحايصه ولا يد منه » « قال أبو عبيد معناه : نروغ عنه » وليس بين العبد والموت مفاعلة ، وإنما المعنى أن الرجل فى فرط حرصه على الفرار من الموت كأنه يباريه ويقال به ، فأخرجه على المفاعلة لكونها موضوعة لإفادة المبالاة والمغالبة بالفعل ، كقوله تعالى : « يُجَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ » فيقول معنى نحايصه إلى قولك نحرس على الفرار منه هـ .

(٣) النوص والمناص : التأخر والفرار ، ناص عن قرنه ينوص : فر وراغ . أى وليس الوقت وقت تأخر وفرار . (٤) قدر الشيء قدره من التقدير وبابه ضرب ونصر « وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ » أى ما عظموه حق تعظيمه .

الذى هو بالعباد بصير ، أن لو كان قائدنا رجلاً مخدوعاً ، إلا أن معنا من البدرين سبعين رجلاً ، لكان ينبغي لنا أن تحسن بصائرنا ، وتطيب أنفسنا ، فكيف وإنما رئيسنا ابن عم نبينا ، بذري صدق ، صلى صغيراً ، وجاهد مع نبيكم صلى الله عليه وسلم كثيراً ، ومعاوية طليق من وثاق^(١) الأسارى ، إلا أنه أخو جفاة ، فأوردتهم النار ، وأورثهم العار ، والله يحل بهم الذل والصغار^(٢) ، ألا إنكم ستلقون عدوكم غداً ، فعليكم بتقوى الله من الجِدِّ وَالْحَزْمِ والصدق والصبر ، فإن الله مع الصابرين ، ألا إنكم تفوزون بقتلهم ، ويشقون بقتلكم ، والله لا يقتل رجل منكم رجلاً منهم إلا أدخل الله القاتل جنات عدن وأدخل المقتول ناراً تَلْظَى ، لا تَفْتَرُ عنهم وهم فيها مُبْلِسُونَ^(٣) ، عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه ، وجعلنا وإياكم ممن أطاعه واطاعه ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم وللمؤمنين .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٣)

٢٤٣ — خطبة يزيد بن قيس الأرحبي

وحرص يزيد بن قيس الأرحبي أهل العراق بصفين ، فقال :

« إن المسلم من سلم دينه ورأيه ، وإن هؤلاء القوم والله ما إن يقاتلوننا على إقامة دين رأونا ضيعناه ، ولا على إحياء حق رأونا أبتناه ، ولا يقاتلوننا إلا على هذه الدنيا ، ليكونوا فيها جبابرة وملوكاً ، ولو ظهرُوا عليكم - لا أراهم الله ظهوراً ولا سروراً - إذن

(١) الوثاق بالفتح ويكسر : ما يشد به ، وأوثقه فى الوثاق شدة «فَشَدُّوا الْوُثَاقَ»

(٢) الذل والضم . (٣) من أبلس : إذا يئس وتغير .

لَؤْلِيكُم مِّثْلَ سَعِيدٍ^(١) وَالْوَلِيدِ^(٢) وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ^(٣) السَّفِيهِ ، يَحْدُثُ أَحَدُهُمْ فِي مَجْلِسِهِ بِذِيَّتٍ وَذِيَّتٍ^(٤) ، وَيَأْخُذُ مَالَ اللَّهِ ، وَيَقُولُ لَا إِنَّمَا عَلَىَّ فِيهِ ، كَأَنَّمَا أُعْطِيَ ثَرَاتُهُ مِنْ أَبِيهِ . كَيْفَ ؟ إِنَّمَا هُوَ مَالُ اللَّهِ ، أَفَاءَهُ عَلَيْنَا بِأَسْيَافِنَا وَرِمَاحِنَا ، قَاتَلُوا : عَبَادَ اللَّهِ : الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . الْحَاكِمِينَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَا تَأْخُذْكُمْ فِيهِمْ لَوْمَةٌ لَّائِمٌ . إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ، يُفْسِدُوا عَلَيْكُمْ دِينَكُمْ وَدُنْيَاكُمْ . وَهُمْ مَنْ قَدْ عَرَقْتُمْ وَجَرَّبْتُمْ . وَاللَّهُ مَا أَرَادُوا بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا شَرًّا ، وَاسْتَغْفِرَ اللَّهُ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٠ ؛ شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٥)

٢٤٤ - خطبة هاشم بن عتبة المرقال

وَشَدَّ هَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ الْمَرْقَالُ^(٥) فِي عَصَابَةِ مَنْ أَصْحَابِهِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ مَرَارًا ،

(١) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ؛ قتل أبوه العاص يوم بدر كافرا ؛ قتله علي بن أبي طالب ؛ وقد استعمل عثمان بن عفان سعيدا على الكوفة بعد الوليد بن عقبة ابن أبي معيط ، وولاه معاوية في خلافته المدينة ، فكان يوليه إذا عزل مروان بن الحكم عن المدينة ويولي مروان إذا عزله . (٢) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبان بن أبي عمرو ذكوان بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه (أمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس) ولله عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص ، ثم عزله حين اتهم بشرب الخمر ، واستعمل بعده سعيد بن العاص . (٣) هو عبد الله بن عامر بن كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو ابن خال عثمان بن عفان ، استعمله عثمان على البصرة بعد أبي موسى الأشعري ، وولاه أيضا بلاد فارس بعد عثمان بن أبي العاص ، ولم يزل واليا على البصرة إلى أن قتل عثمان ، وقد ولاه معاوية البصرة ثلاث سنين . (٤) ذيت وذيت مثلثة الآخر : أي كيت وكيت . (٥) هو هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص ، وأقرب بالمرقال لأن عليا رضي الله عنه أعطاه الراية بصفين ، فكان يرقل بها أي يسرع ، وهو الذي افتتح جلولا من بلاد الفرس ، وكانت جلولا تسمى فتح الفتوح ، وفقشت عينه يوم اليرموك بالشام ، وقتل في وقعة صفين ، قطعت رجله يومئذ ، فجعل يقاتل من دنا منه وهو بارك .

فليس من وجهٍ يَحْمِلُ عليه ، إِلَّا صَبَرَ لَهُ ، وَقَاتَلَ فِيهِ قِتَالًا شَدِيدًا . فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ :
 « لَا يَهْوَ لَكُمْ مَاتَرُونَ مِنْ صَبْرِهِمْ . فَوَاللَّهِ مَا تَرُونَ فِيهِمْ إِلَّا حَيَّةَ الْعَرَبِ ، وَصَبْرَهَا
 تَحْتَ رَايَاتِهَا ، وَعِنْدَ مَا كَرَّهَا ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَّى الضَّلَالِ ، وَإِنَّكُمْ لَعَلَّى الْحَقِّ ، يَقُومُ اصْبِرُوا
 وَصَابِرُوا وَاجْتَمِعُوا ، وَامْشُوا بِنَا إِلَى عَدُونَا ، عَلَى تَوَكُّدَةٍ رُؤْيَدًا ، ثُمَّ اثْبُتُوا وَتَنَاصَرُوا ،
 وَادْكُرُوا اللَّهَ ، وَلَا يَسْأَلُ رَجُلٌ أَخَاهُ ، وَلَا تُكْثِرُوا الِاتِّفَاتِ ، وَاصْمَدُوا ^(١) صَمَدَهُمْ ،
 وَجَاهِدُوا مُحْتَسِبِينَ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ » .

(تاريخ الطبري ٦ : ٢٣)

٢٤٥ — خطبة عمار بن ياسر

وقام عمار بن ياسر يوم صفين ، فقال :

« انْهَضُوا مَعِيَ : عِبَادَ اللَّهِ : إِلَى قَوْمٍ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ بَدَمَ ظَالِمٍ ، إِنَّمَا قَتَلَهُ
 الصَّالِحُونَ الْمُنْكَرُونَ لِلْعُدُوَانِ ، الْآمِرُونَ بِالْإِحْسَانِ ، فَقَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَبَالُونَ إِذَا سَلِمَتْ
 لَهُمْ دُنْيَاهُمْ ، وَلَوْ دَرَسَ ^(٢) هَذَا الدِّينُ ، لِمَ قَتَلْتُمُوهُ ؟ فَقُلْنَا : لِأَحْدَاثِهِ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لَمْ
 يُحْدِثْ شَيْئًا ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَكَّاهُمْ مِنَ الدُّنْيَا ، فَهُمْ يَأْكُلُونَهَا وَيَرْعَوْنَهَا ، وَلَا يَبَالُونَ
 لَوْ أَنَّهُدَمَتِ الْجِبَالُ ، وَاللَّهُ مَا أَظْنَمَهُمْ يَطْلُبُونَ بَدَمَ ، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ ذَاقُوا الدُّنْيَا ، فَاسْتَحْلَوْهَا
 وَاسْتَمَرَّوْهَا ^(٣) ، وَاعْلَمُوا أَنَّ صَاحِبَ الْحَقِّ لَوْ وَلِيَهُمْ لِحَالٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَأْكُلُونَ
 وَيَرْعَوْنَ مِنْهَا ، إِنْ الْقَوْمُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ سَابِقَةٌ فِي الْإِسْلَامِ ، يَسْتَحِقُّونَ بِهَا الطَّاعَةَ وَالْوَلَايَةَ ،
 فَخَدَعُوا أَتْبَاعَهُمْ بِأَن قَاتَلُوا : قَتَلِ إِمَامَنَا مَظْلُومًا : لِيَكُونُوا بِذَلِكَ جَبَابِرَةً وَمُلُوكًا ، تِلْكَ

(١) أَيْ اقْصَدُوا جَهَنَّمَ . (٢) أَيْحَى . (٣) اسْتَمَرَّ الطَّعَامُ : وَجَدَهُ مَرِيئًا أَيْ هَنِئًا

مكيدة قد بلغوا بها ما ترَوْن ، ولولاها ما تابِعهم من الناس رَجُلٌ ، اللهم إِنْ تَنْصُرْنَا ،
فَطَالَمَا نَصَرْتَ ، وَأَنْ تَجْعَلَ لَهُمُ الْأَمْرَ فَاذْخِرْ لَهُمْ بِمَا أَحْدَثُوا لِعِبَادِكَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ » .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٥٠٤ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٢١ والكامل لابن الأثير ٣ : ١٢٣)

٢٤٦ - خطبة الأشعث بن قيس

وخطب الأشعث بن قيس أصحابه من كِنْدَةَ ليلة الحرير بصفين فقال :

« الحمد لله أحده وأستعينه ، وأومن به ، وأتوكل عليه ، وأستنصره وأستغفره ،
وأستجير به ، وأستهديه وأستشير به ، وأشهد به ، فإنه من هداه الله فلا مُضِلَّ له ، ومن
يضل الله فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله ، صلى الله عليه وآله ثم قال :

قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي ، وما قد فنيَ فيه من
العرب ، فوالله لقد بلغت من السنِّ ما شاء الله أن أبلغ ، فما رأيتم مثل هذا اليوم قط ،
ألا فليبلغ الشاهد الغائب أنا نحن إن توافقنا غداً إنه لقنيت العرب ، وضيقت الحرُمات ،
أما والله ما أقولُ هذه المقالة جزعا من الحرب ، ولكني رجل مسنٍّ أخافُ على النساء
والذراري غداً إذا فنينا .

اللهمَّ إنك تعلم أني قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آلُ ، وما توفيقي إلا بالله ،
عليه توكلتُ وإليه أُنِيبُ ، والرأي يخطئ ويصيب ، وإذا قضى اللهُ أمراً أمضاه على
ما أحب العبادُ أو كرهوا .

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله العظيم لي ولكم » .

فانطلقت عيون معاوية إليه بخطبة الأشعث فاغتنمها وبنى عليها تدييره .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ١٨٥)

٢٤٧ - خطبة الأشر النخعي

وقام الأشر يخطب الناس بِقُنَاصِرِينَ ، وهو يومئذ على فرس أدمَ مثل حَلَك^(١)
الفراب ، فقال :

« الحمد لله الذى خلقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى ، الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ، له ما فى
السَّمَوَاتِ وما فى الْأَرْضِ وما بينهما وما تحت الثَّرَى ، أحده على حَسَنِ الْبَلَاءِ ، وتظاهر
النِّعْمَاءِ ، حمداً كثيراً ، بُكْرَةً وَأَصِيلاً ، من هداهُ الله فقد اهتدى ، ومن يُضِلِّ فقد
غوى ، أرسل محمداً بالصواب والهدى ، فأظهره على الدِّين كله ولو كره المشركون ،
صلى الله عليه وآله .

ثم قد كان مما قضى الله سبحانه وقَدَّرَ ، أن ساقطنا المقاديرُ إلى أهل هذه البلدة من
الأرض ، فَلَقَّتْ بَيْنَنَا وبين عدو الله وعدونا ، فنحن بحمد الله ونعمه وَمَنَّهُ وَفَضْلِهِ ، قريرةٌ
أَعْيَنَنَا ، طيبةٌ أَنفَسْنَا ، نرجو بقتالهم حُسْنَ الثَّوَابِ ، والأَمْنِ مِنَ الْعِقَابِ ، معنا ابن عم
نبينا ، وسيف من سيوف الله ، على بن أبى طالب ، صلى مع رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ،
لم يَسْبِقْهُ إِلَى الصَّلَاةِ ذَكَرٌ ، حتى كان شيخاً لم يكن له صَبُوءَةٌ^(٢) ، ولا نَبُوءَةٌ^(٣) ،
ولا هَفْوءَةٌ ، ولا سَقَطَةٌ ، فقيهٌ فى دين الله تعالى ، عالمٌ بحدود الله ، ذو رأيٍ أصيل ، وَصَبْرٍ
جميل ، وَعَفَافٍ قديم ، فاتقوا الله وعليكم بالحزم والجد ، واعلموا أنكم على الحق ، وأنَّ
القوم على الباطل ، إنما تقاتلون معاوية وأنتم مع البدرين قريبٌ من مائة بدرى ، سوى
مَنْ حَوْلَكُمْ من أصحاب محمد ، أكثرُ ما معكم راياتٌ قد كانت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ومعاوية مع رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) الحلك : شدة السواد ، وفى الأصل : « حُلَّ » وهو تحريف . (٢) الصبوة : جهلة الفتوة

(٣) نبا السهم عن الهدف : قصر ولم يصبه ، والمراد أنه لا يعرف عنه تقصير فى الدين ولا وهن .

فمن يَشْكُ في قتال هؤلاء ؟ إلا مَيَّت القلب ، أنتم على إحدى الحسنيين ، إما الفتح ، وإما الشهادة ، عصمنا الله وإياكم بما عصم به من أطاعه واتقاه ، وألهمنا وإياكم طاعته وتقواه ، وأستغفر الله لى ولكم .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٤) .

٢٤٨ — خطبة الأشر في المنهزمين من الميمنة

ولما أهرزمت ميمنة العراق ، قال له على : يا مالك ، قال : كَيْتِكَ ، قال : أنت هؤلاء القوم قتل لهم : « أين فراركم من الموت الذى لن تُعْجِزُوهُ ، إلى الحياة التى لن تبقى لكم » فضى فاستقبل الناس منهزمين ، فقال لهم هذه الكلمات ، وقال : إِيَّ أيها الناس ، أنا مالك بن الحارث ، أنا مالك بن الحارث ، ثم ظَنَّ أنه بالأشتر أعرفُ فى الناس ، فقال : أنا الأشتر ، إِيَّ أيها الناس ، فأقبلت إليه طائفة ، وذهبت عنه طائفة ، فنادى : أيها الناس ، عَضَضْتُمْ بِيَهْنٍ ^(١) آبائكم ، ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم ! أيها الناس : أَخْلِصُوا إِيَّ مَذْحِجًا ^(٢) ، فأقبلت إليه مَذْحِج فقال :

« عَضَضْتُمْ بِصُتْمٍ ^(٣) الجندل ، ما أرضيتُم رَبَّكم ، ولا نصحتُم له فى عدوكم ، وكيف بذلك وأنتم أبناء الحروب ، وأصحاب الغارات ، وفتيان الصَّبَاح ^(٤) ، وفُرُسان الطُّراد ، وَحُتُوفُ الأقران ، ومَذْحِج الطُّعْمَانِ ، الذين لم يكونوا يُسَبِّحُونَ بِأَرْهَم ، ولا تُطَلُّ دُمَاؤُهُمْ ، ولا يُعْرَفُونَ فى مَوْطِنٍ بِخُسْفٍ ^(٥) ، وأنتم حَدُّ أهل مصركم ، وأعزُّ حَيٍّ فى قومكم ، وما تفعلوا فى هذا اليوم ، فإنه مأثور بعد اليوم ، فأتقوا مأثور الأحاديث فى غد ، وَأَصْدُقُوا عدوكم اللقاء ، فإن الله مع الصادقين ، والذى نفس مالك بيده ما من هؤلاء (وأشأرك بيده

(١) الهن : اسم يكنى به عن الفرج . (٢) كان الأشتر من النخع (بالتحريك) ، وهى قبيلة

كبيرة من مذحج باليمن . (٣) الصتم : جمع صتمة (كفرصة) ، وهى الصخرة الصلبة كالصتمة .

(٤) الغارة . (٥) الخسف : الدل .

إلى أهل الشام) رَجُلٌ عَلَى مِثَالِ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنْتُمْ مَا أَحْسَنْتُمُ الْفِرَاعَ^(١) ، اجْلُؤُوا سَوَادَ وَجْهِ ، يَرْجِعُ فِي وَجْهِ دُمَى ، عَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَوْ قَدْ فَضَّهَ ، تَبِعَهُ مِنْ بِحَائِبِهِ كَمَا يَتَّبِعُ مُؤَخَّرَ السَّبِيلِ مُقَدِّمَهُ .
قَالُوا اخْذْ بِنَا حَيْثُ أَحْبَبْتَ .

(تاريخ الطبري ٦ : ١١ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٧)

٢٤٩ - خطبة أخرى له فيهم

وروى أنه لما اجتمع إليه عَظَمٌ مِّنْ كَانَ انْهَزَمَ عَنِ الْمِيْمَةِ حَرَّضَهُمْ ثُمَّ قَالَ :
« عَصُوا عَلَى النَّوَاجِدِ مِنَ الْأَضْرَاسِ ، وَاسْتَقْبِلُوا الْقَوْمَ بِهَامِكُمْ ، وَشَدُّوا عَلَيْهِمْ شِدَّةَ قَوْمِ مَوْتورِينَ^(٢) ، ثَارًا بِآبَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ، حِنَاقًا عَلَى عَدُوِّهِمْ ، قَدْ وَطَنُوا عَلَى الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ ، كَيْلًا يُسَبِّقُوا بَوْتَرَ ، وَلَا يُلْحَقُوا فِي الدُّنْيَا عَارًا ، وَايْمُ اللَّهِ مَا وَتَرَ قَوْمٌ قَطُّ بِشَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يُوتَرُوا دِينَهُمْ ، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَقَاتِلُونَكُمْ إِلَّا عَنْ دِينِكُمْ ، لِيُمِيتُوا السُّنَّةَ وَيُحْيُوا الْبِدْعَةَ ، وَيَعِيدُوا فِي ضَلَالَةٍ قَدْ أَخْرَجَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا بِحَسَنِ الْبَصِيرَةِ ، فَطِيبُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنْفُسًا بِدُمَائِكُمْ دُونَ دِينِكُمْ ، فَإِنْ ثَوَّابَكُمْ عَلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ جَنَّاتُ النَّعِيمِ وَإِنْ الْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ فِيهِ السَّابُّ لِلْعِزِّ ، وَالْغَلْبَةُ عَلَى الْفَيْءِ ، وَذَلِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتُ ، وَعَارُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَسَخَطُ اللَّهِ وَالْإِيمُ عِقَابُهُ » .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٢ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٧)

(١) المقارعة والمناضلة . (٢) وترة : إذا أصابه بوترة ، وهو الثار .

٢٥٠ - خطبة على فيهم وقد عادوا إلى مواقفهم

ولما رأى الإمام كرم الله وجهه ميمنته قد عادت إلى مواقفها ومصافئها ، وكشفت من يلازئها من عدوها ، حتى صار بهم في مواقفهم ومراكرهم ، أقبل حتى انتهى إليهم فقال :

« إني قد رأيت جَولتكم وانحيازكم عن صفوفكم ، يحوزكم الطغاة الجفأة ، وأعراب أهل الشام ، وأنتم لهاميم^(١) العرب ، والسنام الأعظم ، ومُحار الليل بتلاوة القرآن ، وأهل دعوة الحق إذضل الخاطئون ، فلولا إقبالكُم بعد إدارككم ، وكركم بعد انحيازكم وجب عليكم ما وجب على المولى يوم الزحف دُبُرُهُ ، وكنتم من الهالكين ، ولكن هَوْنٌ وَجْدِي ، وشَقِيَّ بعضَ أحاح^(٢) نفسي ، أئى رأيتكم بأخرة^(٣) حُزتموهم كما حازوكم ، وأزلموهم عن مصافكم كما أزالوكم ، تحسُونَهُمْ^(٤) بالسيوف تركب أولاهم أخراهم كالإبل المطرودة الهيم^(٥) ، فالآن فاصبروا نزلت عليكم السكينة ، وثبتكم الله عزَّ وجلَّ باليقين ، وليعلم المهزَمُ أَنَّهُ مُسْخِطُ رَبِّهِ ، ومُؤَبِّقُ^(٦) نفسه ، إن في الفرار مَوْجِدَةً^(٧) الله عزَّ وجلَّ عليه ، وألذلَّ اللازم له ، والعارَ الباقي ، واعتصارَ النية من يده ، وفساد العيش عليه ، وإن الفارَّ لا يزيد الفرار في عمره ، ولا يُرضى ربه ، فبوت المرء مُحَقَّاقًا قبل إتيان هذه الخصال ، خير من الرضا بالتلبُّسِ بها والإصرار عليه . »

(تاريخ الطبرى ١٣٠٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٨)

(١) الهمم ، والهميم (بكسر اللام والميم فيهما) : السابق الجواد من الحيل والناس .
(٢) الأحاح : الفيظ وحرارة الغم . (٣) يقال جاء أخرة وبأخرة محركتين وقد يضم أولهما أى آخرها . (٤) من الحس بالفتح : وهو القتل والاستئصال . (٥) العطاش : جمع أهيم وهيماء (والهيام بالضم : أشد العطش) . (٦) مهلك . (٧) أى غضبه .

٢٥١ — خطبة خالد بن معمر

ولما ولّى الإمام خالد بن معمر راية ربيعة ، وحمل عليها أهل الشام حملة شديدة ، وانهزم ناس من قومه ، صاح بمن انهزم ، وقال يومئذ :

« يا معشر ربيعة : إن الله عز وجل قد أتى بكل رجل منكم من مَنبِئِهِ ، وَمَسْقَطِ رأسه ، فجمعكم في هذا المكان جمعا لم يجمعكم مثله مُنْذُ نَشَرَ كُمْ في الأرض ، فإن تَمَسَّكُوا أيديكم وَتَنَكَّلُوا^(١) عن عدوكم ، وتزوُّلُوا عن مَصَافِّكم ، لا يرض الله فعلكم ولا تَعْلَمُوا من الناس معيِّرا يقول : فضحت ربيعةُ الدِّمار^(٢) ، وَحَاصَتْ^(٣) عن القتال ، وأُتِيتَ مِنْ قِبَلِهَا العربُ ، فأياكم أن تتشاءم بكم العرب والمسلمون اليوم ، وإنكم إن تَمَضَوْا مُقْبِلِينَ مُقَدِّمِينَ ، وَتَصَبَرُوا مُحْتَسِبِينَ ، فإن الإقدام لكم عادة ، والصبر منكم سَجِيَّةٌ ، واصبروا وَنَبِّئْكُمْ أن تُؤَجَّرُوا ، فإن ثواب مَنْ نوى ما عند الله شرفُ الدنيا وكرامة الآخرة ، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٩٦)

٢٥٢ — خطبة عقبة بن حديد النمرى

وقال عُقْبَةُ بن حديد النمرى يوم صفين لأهله وأصحابه :

« ألا إن مَرَعَى الدنيا قد أصبح هَشِيئاً^(٤) ، وأصبح شجرها خَضِيئاً^(٥) ، وجديدها سَلَالاً^(٦) ، وحُلُوهَا مَرًّا المذاق ، ألا وإنى أنبئكم نبأ امرئ صادق : إني قد سِئِمْتُ الدنيا

(١) أى تنكصوا وتجنبوا . (٢) ماتجب حمايته وحفظه . (٣) هربت وفرت .

(٤) الهشيم من النبات : الياض المتكسر . (٥) مقطوعا ، خضده : كضربه ، فهو خضيد ومخضود .

(٦) السمل : الخلق من الثياب .

وَعَزَفَتْ^(١) نفسى عنها ، وقد كنت أتمنى الشهادة ، وأتعرض لها فى كل جيش وغارة ، فأبى الله عز وجل إلا أن يُبلغنى هذا اليوم ، ألا وإنى متعرض لها من ساعتى هذه ، قد طمعتُ ألا أحرَمَهَا ، فما تنتظرون ، عبادَ الله ، بجهاد من عادى الله ، أخوفا من الموت القادم عليكم ، الذاهب بأنفسكم لا محالة ؟ أو من ضربة كَفٍ بالسيف ؟ أنستبدلون الدنيا بالنظر فى وجه الله عز وجل ، ومرافقة النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين فى دار القرار ؟ ما هذا بالرأى السديد ! » .

ثم مضى فقال : « يا إخوتى إني قد بعث هذه الدار بالتي أمامها ، وهذا وجهى إليها . لا تُبرَحْ وجوهُكُمْ ، ولا يقطع الله عز وجل رجاءكم » فتبعه إخوته وقالوا : « لا نطلب رزق الدنيا بعدك ، فقَبَّحَ الله العيش بعدك : اللهم إنا نحتسب أنفسنا عندك » فاستقدموا فقاتلوا حتى قتلوا . (تاريخ الطبرى ٦ : ١٥ ، شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٤٩٠)

٢٥٣ — خطبة خنثر بن عبيدة بن خالد

وكان من « مُحَارِب » رجل يقال له خَنَثَرُ بن عبيدة بن خالد ، وكان من أشجع الناس ، فلما اقتتل الناس يوم صفين ، جعل يرى أصحابه منهزمين ، فأخذ ينادى :

« يا معشر قيس ، أطاعةُ الشيطانِ آثَرُ^(٢) عندكم من طاعة الرحمن ؟ ألا إنَّ الفرار فيه معصية الله سبحانه وسُخْطُهُ ، وإن الصبر فيه طاعةُ الله عز وجل ورضوانه ، أفتختارون سُخْطَ الله تعالى على رضوانه ، ومعصيتهُ على طاعته ؟ ألا إنما الراحة بعد الموت لمن مات محاسباً نفسه ، ثم قال :

(١) انصرفت . (٢) أنضل .

لَا وَالَّتِ نَفْسُ امْرِئٍ وَلِيَّ الدُّبُرِ^(١) أَنَا الَّذِي لَا يَنْقِي وَلَا يَغْفِرُ
وَلَا يُرَىٰ مَعَ الْمَعَاذِلِ الْغُدْرُ^(٢)

(تاريخ الطبري ٦ : ١٨ ، شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٩٥)

٢٥٤ - تحريض معاوية أيضا

وخطب معاوية الناس بصفين فقال :

« الحمد لله الذي دنا في علوه ، وعلا في دنوه ، وظهر وبطن ، وارتفع فوق كل ذي منظر ، هو الأول والآخِر ، والظاهر والباطن ، يقضى فيفصل ، ويقدر فيغفر ، ويفعل ما يشاء ، إذا أراد أمرا أمضاه ، وإذا عزم على شيء قضاه ، لا يؤامر^(٣) أحدا فيما يملك ، ولا يُسأل عما يفعل وهم يسألون ، والحمد لله رب العالمين على ما أحببنا وكرهنا » .

وقد كان فيما قضاه الله أن ساقننا المقادير إلى هذه البقعة من الأرض ، وَلَقَدْ بَيْنَا وبين أهل العراق ، فنحن من الله بمنظر ، وقد قال الله سبحانه وتعالى : « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ » انظروا يا أهل الشام ، إنكم غدا تَلْقَوْنَ أهل العراق ، فكونوا على إحدى ثلاث خصال : إما أن تكونوا طلبتم ما عند الله في قتال قوم بغوا عليكم ، فأقبَلُوا من بلادهم حتى نزلوا في بَيْضَتِكُمْ^(٤) ، وإما أن تكونوا قوماً يطلبون بدم خليفَتكم وصهر نبيكم ، وإما أن تكونوا قوماً تَذُبُّونَ عن نساءكم وأبنائكم ، فعليكم بتقوى الله والصبر الجميل ، واسألوا الله لنا وإياكم النصر ، وأن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وهو خير الفاتحين » .

(شرح ابن أبي الحديد م ١١ ص ٤٩٧)

(١) وآل : طلب النجاة ، وخلص . (٢) المعاذيل : جمع معزال بكسر الميم ، وهو الضعيف الأحمق (ومن لا سلاح معه ، ومن يعزل أهل الميسر لوما) ، والغدر : جمع غدور مبالغة من غادر . (٣) أي لا يشاور . (٤) ساحتكم .

٢٥٥ - ماخاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد

في وقعة صفين

وقف النعمان بن بشير الأنصاري بين الصفين بصفين فقال :

« يَا قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ، أَمَا أَنْصَفَكُمْ مِنْ دَعَاكُمْ إِلَى مَارَضَى لِنَفْسِهِ ؟ إِنْكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، أَخْطَأْتُمْ فِي خَذَلِ عُمَانَ يَوْمَ الدَّارِ ، وَقَتَلْتُمْ أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَلِ ، وَإِقْعَامَكُمْ ^(١) عَلَى أَهْلِ الشَّامِ بِصَفِينِ ، فَلَوْ كُنْتُمْ إِذْ خَذَلْتُمْ عُمَانَ خَذَلْتُمْ عَلِيًّا ، كَانَ هَذَا بِهِذَا ، وَلَكِنْكُمْ خَذَلْتُمْ حَقًّا ، وَنَصَرْتُمْ بَاطِلًا ، ثُمَّ لَمْ تَرْضَوْا أَنْ تَكُونُوا كَالنَّاسِ ، شَعَلْتُمْ ^(٢) الْحَرْبَ ، وَدَعَوْتُمْ إِلَى الْبِرَازِ ، فَقَدْ وَاللَّهِ وَجَدْتُمْ رِجَالَ الْحَرْبِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ سَرِيعًا إِلَى بِرَازِكُمْ ، غَيْرَ أَنْكَاسٍ ^(٣) عَنْ حَرْبِكُمْ ؛ ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ بَعْلَى أَمْرٌ قَطُّ إِلَّا هَوَّيْتُمْ عَلَيْهِ الْمَصِيبَةَ ، وَوَعَدْتُمُوهُ الظَّفَرَ ، وَقَدْ وَاللَّهِ أَخْلَفْتُمُوهُ ، وَهَانَ عَلَيْنَا بِأَسْكُمْ ، وَمَا كُنْتُمْ لِتُخْلُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ مِنْ شِدَّتِكُمْ فِي الْحَرْبِ ، وَقَدَّرْتُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ أَذِلَّاءَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ ، لَا يَرَوْنَ حَرْبَكُمْ شَيْئًا ، وَأَنْتُمْ أَكْثَرُ مِنْهُمْ عِدْدًا وَمَدَدًا ، وَقَدْ وَاللَّهِ كَانَتْ أَرْوَاحُكُمْ بِالْقِلَّةِ ، فَكَيْفَ لَوْ كَانُوا مِثْلَكُمْ فِي الْكَثَرَةِ ، وَاللَّهِ لَا تَزَالُونَ أَذِلَّاءَ فِي الْحَرْبِ بِمَدَاهَا أَبَدًا ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَكُمْ أَهْلُ الشَّامِ ، وَقَدْ أَخَذَتْ الْحَرْبُ مَنَا وَمِنْكُمْ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ ، وَنَحْنُ أَحْسَنُ بَقِيَّةً ، وَأَقْرَبُ إِلَى الظَّفَرِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي الْبَقِيَّةِ » فَضَحَكَ قَيْسٌ وَقَالَ :

(١) قحمة في الأمر : رمى بنفسه فيه من غير روية ، وأقحمت الفرس النهر : أدخلته فيه فانقحمت

واقحمت . (٢) شعل النار ، وأشعلها : ألهبها . (٣) أنكاس : جمع تكس (بالكسر) ،

وهو الضعيف المقصر .

٢٥٦ - جواب قيس بن سعد

« والله ما كنت أراك يا نعمان تجترئ على هذا المقام ، أما المنصف الحق فلا ينصح أحياه من غش نفسه ، وأنت والله الغاش لنفسه ، المبطل فيما نصَحَ غيره ، أما ذكر عثمان فإن كان الإيجاز يكفيك فخذ ، قَتَلَ عثمانَ من لستَ خيراً منه ، وخذله من هو خير منك . وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النَّكث . وأما معاوية ، فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلهم الأنصار . وأما قولك إنا لسنا كأناس ، فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله ، تلقى السيوف بوجوهنا ، والرماح بنحورنا ، حتى جاء الحق ، وظهر أمر الله وهم كارهون ، ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلا طليقاً أعرابياً ، أو يمانياً مُسْتَدْرِجاً^(١) ، وانظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان ، الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وَصُؤَيْحِبَكَ^(٢) ، ولستما والله بدرينين ولا عَقَبَيْنِ^(٣) ، ولا لكما سابقة في الإسلام ، ولا آية في القرآن . »

(الإمامة والسياسة ١ : ٨٣)

(١) استدرجه : خدعه وأدناه . (٢) أراه يعنى به عمرو بن العاص ، وقد كان أكبر أعوان معاوية ونصرائه ، عاقده على نصرته ، على أن يجعل له مصر طعمة . (٣) أى لا يمن حضروا وقعة بدر مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يمن بأيموه في العقبة .

خطب الشيعة في وقعة صفين

٢٥٧ - خطبة عكرشة بنت الأترش

دخلت عكرشة بنت الأترش على معاوية متوكئة على عُكَّاز ، فسالت عليه بالخلافة ثم جلست ، فقال لها معاوية : الآن يا عكرشة صرت عندك أمير المؤمنين ؟ قالت نعم ، إذ لا علىَّ حى ، قال : ألسنتِ المتقلدة حائل السيوف بصفين ، وأنت واقفة بين الصفين تقولين :

« أيها الناس : عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم ، إن الجنة لا يبرَّحَ حلٌّ من أوطئها ، ولا يهْرَم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها ، وكونوا قوماً مستبصرين في دينهم ، مستظهرين ^(١) بالصبر على طلب حقهم ، إن معاوية دَلَفَ ^(٢) إليكم بعجم العرب ، غُلِفَ ^(٣) القلوب ، لا يَفْقَهُونَ الإيمان ، ولا يدرون الحكمة ، دعاهم بالدنيا فأجابوه ، واستدعاهم إلى الباطل فلبَّوه ، فآله الله عباد الله في دين الله ، إياكم والتواكل فإن ذلك يَنْقُضُ عُرَا الإسلام ، ويُطْفِئُ نور الحق ، هذه بذر الصغرى ، وَالْعَقَبَةُ ^(٤) الأخرى ، يا معشر المهاجرين والأنصار ،

(١) مستعينين . (٢) دلف : مشى مشى المقيد ، وفي التعبير به إيماء إلى ضعف معاوية ووهن قوته .

(٣) جمع أغلف وقلب أغلف كأنما غشى بغلاف فهو لا يرى . (٤) تشير إلى بيعة العقبة (الأولى

والثانية) حين بايع المسلمون الأولون من الأنصار النبي صلى الله عليه وسلم بالعقبة على نصرته : أى إن هذه الموقعة دفاع عن الإسلام ونصرة له كذلك .

امضوا على بصيرتكم ، واصبروا على عزيبتكم ، فكانى بكم غدا ، وقد لقيتم أهل الشام كالجر الناهقة ، تصقع^(١) صقع البعير .

فكانى أراك على عصاك هذه ، وقد انكفأ عليك المسكران ، يقولون هذه عكرشة بنت الأطرش بن راحة ، فإن كدت لتفلىن أهل الشام لولا قدر الله ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، فما حلاك على ذلك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين يقول الله جل ذكره : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ» الآية . وإن اللبيب إذا كره أمراً لا يحب إعادته ، قال صدقت ، فاذكرى حاجتك ، قالت : إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا ، فترد على فقرائنا ، وإنا قد فقدنا ذلك ، فما يجبر أنا كسير ولا ينعمش لنا فقير ، فإن كان ذلك عن رأيك ، فمثلك تنبه من الغفلة ، وراجع التوبة ، وإن كان عن غير رأيك ، فما مثلك من استعانة بالخوانة ، ولا استعمل الظلمة ، قال معاوية : يا هذه إنه ينوبنا من أمور رعيننا أمور تنبثق^(٢) ، وبحور تنفلق^(٣) ، قالت : يا سبحان الله ! والله ما فرض الله لنا حقاً ، فجعل فيه ضرراً على غيرنا ، وهو علام الغيوب . قال معاوية : يا أهل العراق ، نهكم على بن أبى طالب ، فلم تطاقوا ، ثم أمر برد صدقاتهم فيهم ، وإنصافهم .

(المقا. الفريد ٢ : ١٣١ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٥٣)

٢٥٨ - خطبة أم الخير بذت الحريش

كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن سراقبة البارقي برخلها ، وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيراً ، وبالشر شراً بقولها فيه ، فلما ورد عليه

(١) الصقع : رفع الصوت ، صقع بصوته : رفعه . وفى صبح الأعشى تقصع قصع البعير . من قصع الجمل بجرته ردها إلى جوفه . (٢) انبثق : انفجر ، وانبثق السيل عليهم : أقبل ولم يحتسبوه . (٣) تنفلق : تنشق .

كتابه ، ركب إليها ، فأقرأها كتابه ، فقالت : أما أنا فغير زائنة عن طاعة ، ولا معتلة بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين ، لأمر مختاج في صدرى . فلما شيعها ، وأراد مفارقتها ، قال لها : يا أم الخير إن أمير المؤمنين كتب إلى^(١) أنه مجازينى بقولك في^(٢) بالخير خيراً ، وبالشرّ شرّاً ، فالى عندك ؟ قالت : يا هذا ، لا يطعمك برك بى ، أن أسرك بباطل ، ولا يؤيسك معرفتى بك ، أن أقول فيك غير الحق ، فسارت خير مسير ، حتى قدمت على معاوية ، فأنزلها مع الحرم ، ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ! فقال لها : وعليك السلام يا أم الخير ؟ بحقّ ما دعوتنى بهذا الاسم ؟ قالت : مه يا أمير المؤمنين ، فإن بديهة^(٣) السلطان مدحضة^(٤) لما يجب علمه ، ولكل أحل كتاب ، قال : صدقت ، فكيف حالك يا خالة وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت : لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية ، حتى صرت إليك ، فأنا في مجلس أتيق ، عند ملك رقيق . قال معاوية : بحسن نيتى ظفرت بكم . قالت يا أمير المؤمنين : يعيذك الله من دحض^(٥) المقال ، وما تُردى عاقبته ، قال : ليس هذا أردنا ، أخبرينا كيف كان كلامك إذ قُتل عمّار بن ياسر ؟ قالت : لم أكن والله زورته^(٦) قبل ، ولا رويته بعد ، وإنما كانت كلمات نفثها لسانى عند الصدمة ، فإن أحببت أن أحدث لك مقلاً غير ذلك فعلت ، فالتفت معاوية إلى جلسائه ، فقال : أياكم يحفظ كلامها ؟ فقال رجل منهم : أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين . قال : هات ؟ قال : كأتى بها بين بردين زبريين^(٧) كشيقي النسبج ، وهى على جمل أزمك^(٨) ، وييدها سوط منتشر الضفيرة ، وهى كالفلح يهذر^(٩) في شقشيقته تقول :

(١) البديهة : أول كل شيء وما يفجأ منه . (٢) المدحضة : الزلة . (٣) دحضت الحجة دحضاً من باب نفع : بطلت ورجله زلقت ، ومكان دحض زلق . (٤) زور الشيء : حسنه وقومه وهذبه . (٥) الزبر : ما يعلو الثوب الجديد كالذى تراه في القطيفة . وفى رواية أخرى : عليها برد زيدي نسبة إلى زييد (يفتح الزاى) بلد باليمن . (٦) من الرمكة : بالغم ، وهى لون الرماد . (٧) يصوت . والشقشقة : شيء كالرثة يخرج للبعير من فيه إذا هاج .

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ الْحَقَّ ، وَأَبَانَ الدَّلِيلَ ، وَبَيَّنَّ السَّبِيلَ ، وَرَفَعَ الْعِلْمَ ، وَلَمْ يَدْعَمْ فِي عَمَيَاءٍ مُذْهِمَةٍ ، فَأَيُّنَ تَرِيدُونَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ؟ أَفَرَارًا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمْ فَرَارًا مِنَ الزَّحْفِ ، أَمْ رَغْبَةً عَنِ الْإِسْلَامِ ، أَمْ ارْتِدَادًا عَنِ الْحَقِّ ؟ أَمَّا سَمِعْتُمْ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاهُ يَقُولُ : (وَلَتَبْلَوُنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ تَقُولُ : اللَّهُمَّ قَدْ عِيلَ الصَّبْرُ ، وَضَعَفَ الْيَقِينُ ، وَانْتَشَرَتِ الرِّغْبَةُ ، وَبِيَدِكَ يَا رَبُّ أَرْزَمَةُ الْقُلُوبِ ، فَاجْمَعْ الْكَلِمَةَ عَلَى التَّقْوَى ، وَأَلْفَ الْقُلُوبِ عَلَى الْهُدَى ، وَارْجِعْ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ . هَلُمُّوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى الْإِمَامِ الْعَادِلِ ، وَالرَّضِيِّ التَّقِيِّ ، وَالصَّدِيقِ الْأَكْبَرِ ، إِنَّهَا إِحْنٌ ^(١) بَدْرِيَّةٌ ، وَأَحْقَادُ جَاهِلِيَّةٍ ، وَضَغَائِنُ أُحْدِيَّةٍ ^(٢) وَثَبَّ بِهَا مَعَاوِيَةُ حِينَ الْغَفْلَةِ ، لِيَدْرِكَ نَارَاتُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ، ثُمَّ قَالَتْ : (قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يُنْتَهَوْنَ) صَبْرًا يَامَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، قَاتِلُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَثَبَّاتُ مِنْ دِينِكُمْ ، فَكَأَنِّي بِكُمْ غَدَا ، وَقَدْ لَقِيتُمْ أَهْلَ الشَّامِ كَحُمُرٍ مُسْتَنْفِرَةٍ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ^(٣) ، لَا تَدْرِي أَيْنَ يُسَلِّكُ بِهَا مِنْ فُجَاجِ الْأَرْضِ ، بَاعُوا الْآخِرَةَ بِالْدُّنْيَا ، وَاشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ، وَعَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ، حِينَ تَحْمِلُ بِهِمُ النَّدَامَةُ ، فَيَطْلُبُونَ الْإِقَالَةَ ، وَلَاتُ حِينَ مَنَاصٍ ، إِنَّهُ مِنْ ضَلٍّ وَاللَّهُ عَنِ الْحَقِّ وَقَعَ فِي الْبَاطِلِ . أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ اسْتَقْصَرُوا عَمْرَ الدُّنْيَا فَرَفَضُوهَا ، وَاسْتَطَابُوا الْآخِرَةَ فَسَمَوْا لَهَا ؛ فَاللَّهُ اللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ ، قَبْلَ أَنْ تَبْطُلَ الْحَقُوقُ ، وَتَعْطَلَ الْحُدُودُ ، وَتَقْوَى كَلِمَةُ الشَّيْطَانِ ، فَإِلَى أَيْنَ تَرِيدُونَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَنْ ابْنِ عَمٍّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصِهْرِهِ ، وَأَبِي سَبْطِيهِ ، خُلِقَ مِنْ طِينَتِهِ ، وَتَفَرَّعَ مِنْ نَبْتَتِهِ ^(٤) ،

(١) جمع إحنة : وهي الضغينة والحقد ، تؤمى إلى ما كان من قتل على يوم بدر أخا معاوية (حنظلة ابن أبي سفيان) وجده لأمه (عتبة بن ربيعة) وغاله (الوليد بن عتبة) . (٢) تشير إلى ما حدث من هتد زوج أبي سفيان (أم معاوية) في غزوة أحد ، إذ بقرت بطن حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم بعد قتله وأخذت كبده لتأكلها فلا كتبها ثم أرسلتها . (٣) الأسد والرماة من الصيادين ، والواحد قمر . (٤) النبتة في الأصل واحدة النبع : شجر القسي والسهم .

وجعله باب دينه ، وأبان بينغضه المنافقين . وهاهو ذا مُعَلِّقُ الهام ، ومكسر الأصنام ، صلى
والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزى بدر ،
وأفنى أهل أحد ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، وفرق به جمع هوازن ؛
فيا لها من وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقاً ، ورِدَّةً وشقاقاً ، وزادت المؤمنين إيماناً ؛
قد اجتهدت في القول ، وبالغت في النصيحة ، وبالله التوفيق . والسلام عليكم
ورحمة الله .

فقال معاوية : يا أُم الخير ، ما أردت بهذا الكلام إلا قتلى ، ولو قتلناك ماحِرَجْتَ^(١)
في ذلك . قالت : والله ما يسوءني يا بن هند أن يجرى قتلى على يَدَيَّ من يُسعدُنِي الله بشِقَاتِهِ .
قال : هيهات يا كثيرة الفضول ! ما تقولين في عثمان بن عفان رحمه الله ؟ قالت : وما عَسَيْتُ
أن أقول في عثمان ؟ استخلفه الناس وهم به راضون ، وقتلوه وهم له كارهون . قال معاوية :
يا أُم الخير هذا ثناؤك الذي تُثْنين ؟ قالت لكن الله يشهد ، وكفى بالله شهيداً ، ما أردت
بعثمان نقصاً . ولقد كان سباً قافاً إلى الخيرات ، وإنه لرفيع الدرجة غداً . قال : فما تقولين في
طلحة بن عبيد الله ؟ قالت : وما عسى أن أقول في طلحة ؟ اغتيل من مأمنه ، وأتى من
حيث لم يحذر . وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة . قال : فما تقولين في الزبير ؟
قالت : وما أقول في ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وَحَوَّارِيَّ^(٢) . وقد شهد له
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة . وأنا أسألك بحق الله يا معاوية (فإن قریشاً تحدثت
أنك أحلها) أن تُعفيني من هذه المسائل ، وتَسألني عما شئت من غيرها . قال : نعم
وَنَعْمَةً^(٣) عَيْنٍ ، قد أعفيتك منها ، ثم أمر لها بمجازة رفيعة ، وردها مكرمة .

(المقد الفريد ١ : ١٣٢ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٤١ . وصحيح الأعمش ١ : ٢٤٨)

(١) أثمت . (٢) الحوارى : الناصر ، أو ناصر الأنبياء . (٣) أى أقبل ذلك إنعاماً لعينك

٢٥٩ - خطبة الزرقاء بنت عدى الهمدانية

وَذُكِرَت الزرقاء بنت عدى بن قيس الهمدانية عند معاوية يوماً ، فقال جلسائه :
أبيكم يحفظ كلامها ؟ قال بعضهم : نحن نحفظه يا أمير المؤمنين . قال : فأشيروا علىّ في
أمرها ، فأشار بعضهم بقتلها ، فقال : بئس الرأي ، أيجوز بمنلى أن يقتل امرأة ثم كتب إلى
عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوى محارمها ، وعدّة من فرسان قومها ، وأن يهد
لها وطاء^(١) ليناً ، ويسترها بستر خَصِيف^(٢) ، ويوسع لها فى النفقة ، فأرسل إليها ، فأقرأها
الكتاب ، فقالت : إن كان أمير المؤمنين جعل الخيار إلىّ فإنى لا آتية ، وإن كان حتمّ فالطاعة
أولى فحملها وأحسن جهّازها ، على ما أمر به . فلما دخلت على معاوية . قال : مرحباً بك وأهلاً !
قدّمت خير مقدّم قدّمه وافد ، كيف حالك ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين ، أدام الله لك النعمة .
قال : كيف كنت فى مسيرك ؟ قالت : ربيبة بيت ، أو طفلاً مُمَهَّدًا . قال : بذلك أمرناهم ،
أندرين فيم بمثلك ؟ قالت : وأنى لى بعلم مالم أعلم ؟ قال : ألسنت الراكبة الجبل الأحمر ،
والواقعة بين الصّفين بصّفين ، تحضين على القتال ، وتوقدين الحرب ؟ فما حملك على ذلك ؟
قالت : يا أمير المؤمنين ، مات الرأس وبُترَ الذنب ، ولن يعود مذهب ، والدهر ذو غير^(٣)
ومن تفكر أبصر ، والأمر يحدث بعده الأمر ، قال لها معاوية : أتخفظين كلامك يومئذ ؟
قالت : لا والله لا أحفظه ، ولقد أنسيته . قال : لكنى أحفظه ، لله أبوك حين تقولين :
« أسها الناس : ارعوا وارجموا » ، إنكم قد أصبحتم فى فتنة غشتكم جلابيب الظلم ،
وجارت بكم عن قصد المحجّة^(٤) ، فيا لها فتنة عمياء صماء بكاء لاتسمع لناعقها ، ولا تنساق

(١) الفراش . (٢) أصله من خصف النعل يخصفها كضرب : ظاهر بعضها على بعض وخزرها وهى .

نعل خصيف ، وكل ما طورق بعضه على بعض فقد خصف . (٣) أحداث ، جمع غيرة بالكسر أو مفردة .

وجمعه أغيار . (٤) جادة الطريق .

لقائدها ، إن المصباح لا يضيء في الشمس ، ولا تنير الكواكب مع القمر ، ولا يقطع الحديد إلا الحديد . ألا من استرشدنا أرشدناه ، ومن سألنا أخبرناه . أيها الناس : إن الحق كان يطلب ضالتيه فأصابها ، فصبراً يامعشر المهاجرين والأنصار على العَصْرِ ، فكان قد اندمل شَعْبُ الشَّتَات ، والتأمت كلمة الحق ، ودمغ الحق الظَّلَمَةَ ، فلا يجهن أحد فيقول : كيف وأنتي ؟ ليقضى الله أمراً كان مفعولاً . ألا وإن خضاب النساء الحناء ، وخضاب الرجال الدماء ، ولهذا اليوم ما بعده . والصبر خير في الأمور عواقباً :

لِهَا^(١) في الحرب قُدُماً ، غير ناكصين ، ولا متشاكسين .

ثم قال لها : والله يازرقاء لقد شَرِكتُ علياً في كلِّ دم سَفَكه . قالت : أحسن الله بشارتك ، وأدام سلامتك ! فثلك بَشْرٌ بخير وسرٍّ جليسه . قال : أويسرُك ذلك ؟ قالت نعم . والله لقد سُرِرْتُ بالخَيْر ! فأنى لي بتصديق الفعل ! فضحك معاوية ، وقال : والله لو فَاوُكُم له بعد موته أعجب من حُكْمٍ له في حياته ، اذ كرى حاجتك . قالت : يا أمير المؤمنين آليت على نفسي ألا أسأل أميراً أعنت عليه أبداً ، ومثلك أعطى عن غير مسألة ، وجاد عن غير طِئْبَةٍ . قَالَ : صَدَقَتْ ، وأمر لها وللاذين جاؤا معها بجوائز وكُأ .

(المقد الفريد ١ : ١٣٠ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٥٢)

(١) ليها : كلمة زجر بمعنى حسبك (وإليه بالكسر منونة وغير منونة كلمة استزادة واستنطاق) والقدم : المضي أمام ، وهو يمشي القدم : إذا مضى في الحرب ، ورجل قدم : أى شجاع . وفي الحديث « طوبى لعبد مغرب قدم في سبيل الله » القدم : الإقدام ، أقدم على قرنه إقداماً وقنماً : تقدم عليه بجرأة صدر .

اختلاف أهل العراق في الموادة

وذكروا أنه لما اشتد الأمر ، واستمرّ القتال ، قال رأسٌ من أهل العراق لعلّ : إن هذه الحرب قدأكلتنا ، وأذهبت الرجال ، والرأى الموادة . وقال بعضهم : لا ، بل نقاتلهم اليوم على ما قاتلناهم عليه أمس ، وكانت الجماعة قد رضيت الموادة ، وجنّحت إلى الصلح والمسألة ، فقام على خطيباً ، فقال :

٢٦٠ - خطبة الامام على كرم الله وجهه

« أيها الناس : إنه لم أزل من أمرى على ما أحب ، حتى قدّحتكم الحرب ، وقد والله أخذت منكم وتركت ، وهى لعدوكم أنهلك ، وقد كنت بالأمس أميراً ، فأصبحت اليوم مأموراً ، وكنت ناهياً ، فأصبحت اليوم منهيّاً ، فليس لى أن أحملك على ما تكرهون . »

٢٦١ - خطبة كردوس بن هانى

وقام كردوس بن هانى ، فقال .

« إنه والله ما تولينا معاوية منذ تبرأنا منه ، ولا تبرأنا من على منذ توليناه ، وإن قتلنا لشهيد ، وإن حيّنا لفائز ، وإن عليّاً على بينة من ربه ، وما أجاب القوم إلاّ بإنصافاً ، وكلّ مُحِق مُنْصِف ، فمن سلّم له نجا ، ومن خالفه هوى . »

٢٦٢ - خطبة سفيان بن ثور

وقام سفيان بن ثور ، فقال :

« أيها الناس : إنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله ، فردوه علينا فقاتلناهم ، وإنهم دعونا إلى كتاب الله ، فإن رددناه عليهم ، حلّ لهم منا ما حلّ لنا منهم ، ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ورسوله ، وإن عليّاً ليس بالراجع الناكس ، وهو اليوم على ما كان عليه أمس ، وقد أكلتنا هذه الحرب ، ولا نرى البقاء إلّا في المَوَادَّعة » .

٢٦٣ - خطبة حريث بن جابر

ثم قام حُرَيْثُ بن جابر فقال :

« إنّ عليّاً لو كان خِلوا من هذا الأمر لسكان المرجع إليه ، فكيف وهو قائده وسائقه ، وإنه والله ما قبل من القوم اليوم إلّا الأمر الذي دعاهم إليه أمس ، ولورده عليهم كنتم له أعيب ، ولا يلجِدُ في هذا الأمر إلّا راجع على عَقَبَيْهِ ، أو مُسْتَدْرَج مغرور ، وما بيننا وبين من طعن علينا إلّا السيف » .

٢٦٤ - خطبة خالد بن معمر

ثم قام خالد بن مَعْمَر فقال :

« يا أمير المؤمنين : إنا والله ما أخرجنا هذا المقام أن يكون أحد أولى به منا ، ولكن قلنا أحب الأمور إلينا ما كُفِينَا مَثُونَتَهُ ، فأما إذ استغفينا ، فإننا لا نرى البقاء إلّا فيما دعاك القوم إليه اليوم ، إن رأيت ذلك ، وإن لم تره فرأيك أفضل » .

٢٦٥ - خطبة الحصين بن المنذر

ثم قام الحصين بن المنذر وكان أحدث القوم سنًا ، فقال :

« إنما بُنيَ هذا الدين على التسليم ، فلا تدفعوه بالقياس ، ولا تهذموه بالشبهة ، وإنا والله لو أننا لا نقبل من الأمور إلا ما نعرف ، لأصبح الحق في الدنيا قليلًا ، ولو تركنا وما نهوى ، لأصبح الباطل في أيدينا كثيرًا ، وإن لنا راعيًا قد حمّدنا وزّده وصدّره ، وهو المأمون على ما قال وفعل ، فإن قال لا . قلنا لا ، وإن قال نعم ، قلنا نعم » .

٢٦٦ - خطبة عثمان بن حنيف

ثم قام عثمان بن حنيف ، وكان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عاملًا لعلى على البصرة وله فضل ، فقال :

« أيها الناس : اتّهموا رأيكم ، فقد والله كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحدّين يوم أبى جندل^(١) ، وإنا لنريد القتال إنكاراً للصّلاح حتى ردّنا عن رسول الله

(١) هو أبو جندل بن سهيل بن عمرو . وقصته : أنه لما كانت غزوة الحديبية (سنة ست للهجرة) بعث قريش من قبلها سهيل بن عمرو ليكلّم الرسول صلى الله عليه وسلم في المصالحة ، وقد جرى بينهما الصّلاح وكتبته صحيفته ، وكان من شروطه ، وضع الحرب عن الناس عشر سنين يكفّ بعضهم عن بعض على أن من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً من مع محمد لم يردوه عليه ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل إذ جاء أبو جندل بن سهيل يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان المسلمون حين خرجوا لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ما رأوا من الصّلاح والرجوع دخل عليهم من ذلك أمر عظيم ، ولما رأى سهيل ابنه أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتليبيه « بفتح التاء : ما في موضع اللب (أى النحر) من الثياب » ثم قال : يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال صدقت ، -

صلى الله عليه وسلم، وإن أهل الشام دعونا إلى كتاب الله اضطراراً، فأجبناهم إليه إغذاراً، فلسنا والقوم سواء، إنا والله ما عدلنا الحى بالحى، ولا القليل بالقتيل، ولا الشامى بالعراقى، ولا معاوية بعلى، وإنه لأمر منعه غير نافع، وإعطاؤه غير ضائر، وقد كلت البصائر التى كنا نقاتل بها، وقد حمل الشك التيقين الذى كنا نشول إليه، وذهب الحياء الذى كنا نمارى به، فاستظلوا فى هذا النقي^(١)، واسكنوا فى هذه العافية، فإن قلتم نقاتل على ما كنا نقاتل عليه أمس، فهيهات هيهات ذهب والله قياس أمس وجاء غد.

= فجعل يثّره بتليبيه ويجره ليرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يامعشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونى فى دينى؟ فزاد الناس إلى ما بهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولن مملك من المستضعفين فرجا ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناكم على ذلك وأعطينا عهد الله وإنا لا نقدر بهم، ووثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه ويقول: اصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون. وإنما دم أحدهم دم كلب. وينف قائم السيف منه. قال عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أياه ففضن الرجل بأبيه ونفذت القضية.

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد وكان من حبس بمكة، فبعث قريش فى أثره رجلين يطلبان تسليمه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا بصير إنا قد أعطينا القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا فى ديننا القدر، وإن الله جاعل لك ولن مملك من المستضعفين فرجا ومخرجاً. فانطلق إلى قومك. قال: يا رسول الله أتردنى إلى المشركين يفتنونى فى دينى؟ قال: يا أبا بصير انطلق، فانطلق معهم حتى إذا كان فى بعض الطريق عدا على أحدهما فقتله وهرب الآخر، ورجع أبو بصير إلى المدينة، فقال: يا رسول الله وقت ذمتك، وأدى الله عنك، أسلمتنى ورددتنى إليهم ثم أنجأتهم الله منهم، وخرج أبو بصير إلى ساحل البحر بطريق قريش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام، وخرج المسلمون الذين كانوا حبسوا بمكة إليه، وانفلت إليه أبو جندل بن سهيل، فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً منهم وضيقوا على قريش، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه، ولا تمر بهم غير إلا اقتطعوها، حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامها إلا آواهم، فلا حاجة لهم بهم، فأواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدموا عليه المدينة. (١) النقي: ما كان شمسا فينسخه الظل.

٢٦٧ - خطبة عدى بن حاتم

ثم قام عدى بن حاتم فقال :

« أيها الناس : إنه والله لو غيرُ عليّ دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه ، ولا وقع بأمر قط إلا ومعه من الله برهان ، وفي يديه من الله سبب ، وإنه وقفَ عن عثمان بشبهة ، وقاتل أهل الجبل على التكت ، وأهل الشام على البغي ، فانظروا في أموركم وأمره ، فإن كان له عليكم فضل فليس لكم مثله . فسلموا له وإلا فنازعوا عليه ، والله لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنة إنه لأعلم الناس بهما ، ولئن كان إلى الإسلام إنه لأخو نبي الله والرأس في الإسلام ، ولئن كان إلى الزهد والعبادة إنه لأظهر الناس زهداً ، وأنهمهم عبادة ، ولئن كان إلى العقول والذخائر^(١) إنه لأشد الناس عقلاً ، وأكرمهم نخيزة ، ولئن كان إلى الشرف والنجدة إنه لأعظم الناس شرفاً ونجدة ، ولئن كان إلى الرضا لقد رضى عنه المهاجرون والأنصار في شُورى عمر رضى الله عنهم ، وبايعوه بعد عثمان ونصروه على أصحاب الجبل وأهل الشام ، فما الفضل الذي قرّكم إلى الهدى ، وما النقص الذي قرّبه إلى الضلال ؟ والله لو اجتمعتم جميعاً على أمر واحد ، لأتاح الله له من يقاتل لأمر ماض ، ككتاب سابق . »

فاعترف أهل صفين لعدى بن حاتم بعد هذا المقام ، ورجع كل من تشب على عدى رضى الله عنه .

(١) النخيزة : الطبيعة .

٢٦٨ — خطبة عبد الله بن حجل

ثم قام عبد الله بن حَجَل ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إنك أمرتنا يوم الجمل بأمر مختلف ، كانت عندنا أمراً واحداً ، فقبلناها بالتسليم ، وهذه مثل تلك الأمور ، ونحن أولئك أصحابك ، وقد أكثر الناس في هذه القضية ، وإيم الله ما ألكثر المنكر بأعلم بها من المقلِّ المعترف ، وقد أخذت الحرب بأفاسنا ، فلم يبق إلا رجاء ضعيف ، فإن تجب القوم إلى مادَعوك إليه ، فأنت أولنا إيماناً ، وآخرنا بنبي الله عهداً ، وهذه سيوفنا على أعناقنا ، وقلوبنا بين جوانحننا ، وقد أعطيناك بقيتنا ، وشُرِّحت بالطاعة صدورنا ، ونفذت في جهاد عدوك بصيرتنا ، فأنت الوالى المطاع ، ونحن الرعية الاتباع . أنت أعلمنا برنا ، وأقربنا بنبينا ، وخيرنا في ديننا ، وأعظمنا حقاً فينا ، فسدد رأيك تتبعك ، واستخير الله تعالى في أمرك ، واعزم عليه برأيك ، فأنت الوالى المطاع » .

فمرَّ على كرم الله وجهه بقوله ، وأثنى خيراً .

٢٦٩ — خطبة صعصعة بن صوحان

ثم قام صعصعة بن صُوحان فقال :

« يا أمير المؤمنين : إنا سبقنا الناس إليك ، يوم قدوم طلحة والزبير عليك ، فدعانا حَكِيم^(١) إلى نصره عاملك عثمان بن حنيف^(٢) فأجبتناه ، فقاتل عدوك ، حتى أصيب في قوم من بنى عبد قيس عبدوا الله حتى كانت أكَفُّهم مثل أكَفِّ الإبل ، وجباهم مثل

(١) هو حكيم بن حبل . (٢) كان عامل على البصرة ، وقد نشب للقتال بينه وبين أصحاب

عائشة حين قتلوا البصرة .

رُكِبَ الْمَعَزُ ، فَأُسِرَ الْحَيُّ ، وَسُلِبَ الْقَتِيلُ ، فَكُنَّا أَوَّلَ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ ، ثُمَّ رَأَيْتُ بِلَادَنَا
بَصْفَيْنِ ، وَقَدْ كَلَّتِ الْبَصَائِرُ ، وَذَهَبَ الصَّبْرُ ، وَبَقِيَ الْحَقُّ مَوْفُورًا ، وَأَنْتَ بِالْغَيْبِ هَذَا حَاجِبُكَ
وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ مَا أَرَاكَ اللَّهُ فَمَرُّنَا بِهِ .

٢٧٠ - خطبة المنذر بن الجارود

ثم قام المنذر بن الجارود فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَرَى أَمْرًا لَا يَدِينُ لَهُ الشَّامُ إِلَّا بِهَلَاكِ الْعِرَاقِ ، وَلَا يَدِينُ لَهُ
الْعِرَاقُ إِلَّا بِهَلَاكِ الشَّامِ ، وَلَقَدْ كُنَّا نَرَى أَنْ مَا زَادَنَا نَقْصَهُمْ ، وَمَا نَقَصْنَا أَضْرَمَهُمْ ، فَإِذَا فِي
ذَلِكَ أَمْرَانِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ غَيْرَهُ ^(١) فَفَيْتِنَا وَاللَّهِ مَا يُقَالُ بِهِ الْخُدْ ^(٢) وَيُرَدُّ بِهِ الْكَلْبُ ^(٣) ،
وَلَيْسَ لَنَا مَعَكَ إِيرَادٌ وَلَا صَدَرٌ .

٢٧١ - خطبة الأحنف بن قيس

ثم قام الأحنف بن قيس ، فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنْ النَّاسُ بَيْنَ مَاضٍ وَوَاقِفٍ ، وَقَائِلٍ وَسَاكِتٍ ، وَكُلٌّ فِي
مَوْضِعِهِ حَسَنٌ ، وَإِنَّهُ لَوْ نَسَّ كُلُّ الْآخِرِ عَنِ الْأَوَّلِ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ الْيَوْمَ
مَا قَدْ قِيلَ أَمْسَ ، وَلَكِنَّهُ حَقٌّ يُقْضَى ، وَلَمْ نَقَاتِلِ الْقَوْمَ لَنَا ذِلَالُكَ ، إِنَّمَا قَاتَلْنَاهُمُ لِلَّهِ ، فَإِنْ
حَالَ أَمْرُ اللَّهِ دُونَنَا وَدُونَكَ فَاقْبَلْهُ ، فَإِنَّكَ أَوْلَى بِالْحَقِّ ، وَأَحَقُّنَا بِالتَّوْفِيقِ ، وَلَا أَرَى
إِلَّا الْقِتَالَ »

(١) أى فإن رأيت غير رأيي « وهو الذى عبر عنه بقوله : إني أرى أمرا . . . الخ » وفى الأصل
« غيرك » وأراه محرفا . (٢) أى ففينا من البأس ما يفل به حد الأعداء وقوتهم . (٣) الكلب : داء
يشبه الجنون يأخذ الكلاب فتحقر الناس ويعتري الناس أيضا من عضها ، وقد استعاره هنا لطمع الأعداء
فيهم وغارتهم عليهم .

٢٧٢ — خطبة عمير بن عطار

ثم قام عُمَيْرُ بْنُ عَطَّارٍ ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن طلحة والزبير وعائشة كانوا أحب الناس إلى معاوية ، وكانت البصرة أقرب إلينا من الشام ، وكان القوم الذين وثبوا عليك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خيراً من الذين وثبوا عليك من أصحاب معاوية اليوم ، فوالله ما منعنا ذلك من قتل المحارب ، وَغَيْبِ الواقف ، فقاتل القوم ، إِنَّا مَعَكَ » .

٢٧٣ — خطبة علي بن أبي طالب

ثم قام علي خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إنه قد بلغ بكم وبعدوكم ما قد رأيتم ، ولم يبق منهم إلا آخر نفس ، وإن الأمور إذا أقبلت اعتُبر آخرها بأولها ، وقد صَبَرْتُ لَكُمْ القوم على غير دين حتى بلغوا منكم ما بلغوا ، وأنا غَادٍ عليهم بنفسى بالفداء ، فأحَا كُفْرَهُمْ بِسُفَى هذا إلى الله » .

وأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يدعو علياً إلى تحكيم كتاب الله ، فأصبح أصحاب معاوية ، وقد رفعوا المصاحف على الرِّمَاح ، وقلدوها أعناق الخيل يقولون : « هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم » .

٢٧٤ — مقال عدي بن حاتم

فقام عدي بن حاتم ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن أهل الباطل ، لَا تُعَوِّقُ أهل الحق ، وقد جَزَعَ القوم حين تَاهَبْتَ للقتال بنفسك ، وليس بعد الجزع إلا ما تحب ، نَاجَزَ القوم » .

٢٧٥ — مقال الأشر النخعي

ثم قام الأشر فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما أجنبناك لدنيا . إن معاوية لا خَلَفَ له من رجاله ، ولا يكن بمحمد الله الخلفُ لك ، ولو كان له مِثْلُ رجالك ، لم يكن له مِثْلُ صبرك ، ولا نصرتك ، فافرج^(١) الحديدَ بالحديد ، واستعين بالله . »

٢٧٦ — مقال عمرو بن الحمق

ثم قام عمرو بن الحمق فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما أجنبناك لدنياً ، ولا نصرناك على باطل ، ما أجنبناك إلا الله تعالى وما نصرناك إلا للحق ، ولو دعائنا غيرك إلى ما دعوتنا إليه ، لكثُر فيه اللجاج ، وطالت له النَجْوَى^(٢) ، وقد باغ الحق مقطعه ، وليس لنا معك رأى . »

٢٧٧ — مقال الأشعث بن قيس

ثم قام الأشعث بن قيس فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إنا لك اليوم على ما كنا عليه أمس ، ولست أدرى كيف يكون غداً ، وما القوم الذين كلوك بأحد لأهل العراق مني ، ولا بأوتر^(٣) لأهل الشام مني ، فأجب القوم إلى كتاب الله ، فإنك أحق به منهم ، وقد أحب الله البُقيّا . »

(١) أى شق سلاحهم ومزقه بسلاحك . (٢) المصارة . (٣) أى ولا أشد وتراً . من

وتره إذا أدركه بمكرهه .

٢٧٨ - مقال عبد الرحمن بن الحارث

ثم قام عبد الرحمن بن حارث فقال :

« يا أمير المؤمنين ، امض لأمر الله ولا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لايوقنون ، أحمك بعد حكم وأمر بعد أمر ؟ مضت دماؤنا ودماؤهم ، ومضى حكم الله علينا وعليهم . »

٢٧٩ - مقال عمار بن ياسر

فلما أظهر على أنه قد قبل التحكيم قام عمار بن ياسر فقال :

« يا أمير المؤمنين ، أما والله لقد أخرجها إليك معاوية بيضاء ، من أقر بها هلك ، ومن أنكرها ملك ، مالك يا أبا الحسن ، شككتنا في ديننا ، ورددتنا على أعقابنا ، بعد مائة ألف قتلوا منا ومنهم ، أفلا كان هذا قبل السيف ، وقبل طلحة والزبير وعائشة قد دعوك إلى ذلك فأبيت ، وزعمت أنك أولى بالحق ، وأن ما خالفنا منهم ضالٌّ حلال الدم وقد حكم الله تعالى في هذا الحال ما قد سمعت ، فإن كان القوم كفاراً مشركين ، فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى يَفِيئُوا^(١) إلى أمر الله ، وإن كانوا أهل فتنة فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، والله ما أسلموا ، ولا أدوا الجزية ، ولا قاموا إلى أمر الله ولا طَفِئَتْ^(٢) الفتنة » فقال على : والله إني لهذا الأمر كاره .

ثم كثر اللجاج والجدال في الأمر ، وجعل على يبين لهم أنها خُدعة ومكيدة يرام بها

(١) يرجعوا . (٢) أي انطفأت .

توهين قوتهم ، وتشتيت جمعهم ، وهم لا يستمعون لقواه ، ولا يذعنون لنصحه ، وأقبل الأشعث بن قيس في ناس كثير من أهل اليمن ، فقالوا لعلّ : « لا تردّ ما دعاك القوم إليه ، قد أنصفك القوم ، والله لننّ لم تقبل هذا منهم لا وفاء معك ، ولا نرى معك بسهم ولا حجر ، ولا نقف معك موقفاً » .

وغلا أنصار التحكيم في تطرفهم فقالوا « يا علىّ أجب إلى كتاب الله إذ دعيت إليه ، وإلاّ ندفعك برؤمتك إلى القوم ، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان » فلم يردّأ من الإذعان وقبول التحكيم .
(الإمامة والسياسة ١ : ٨٩)

التحكيم بين عليّ ومعاوية

٢٨٠ - كلام عبد الله بن عباس لأبي موسى الأشعري

ولما أجمع أهل العراق على طلب أبي موسى الأشعري وأحضروه للتحكيم على كُرُوهِ من عليّ عليه السلام ، أتاه عبد الله بن العباس ، وعنده وجوه الناس وأشرافهم ، فقال له : « أبا موسى : إن الناس لم يرضوا بك ، ولم يجتمعوا عليك ، لفضل لا تُشَارِكُ فيه ، وما أكَثَرَ أشباهَكَ من المهاجرين والأنصار المتقدمين قبْلَكَ ، ولكن أهل العراق أبَوْا إلا أن يكون الحَكْمُ يَمَانِيَا ، ورأوا أن معظم أهل الشام يمانٍ ، وأيمُ الله إني لأظن ذلك شرًّا لك ولنا ، فإنه قد ضُمَّ إليك داهيةُ العرب ، وليس في معاوية خَلَّةٌ ^(١) يستحق بها الخلافة ، فإن تَقَذَّفَ بِحَقِّكَ على باطله ، تُدْرِكُ حاجتك منه ، وإن يطمعُ بِاطِلِهِ في حَقِّكَ يُدْرِكُ حاجته منك ، واعلم يا أبا موسى أن معاوية طليقُ الإسلام ، وأن أباه رأسُ الأحزاب ، وأنه يدَّعي الخلافة من غير مشورة ولا بَيْعَةٍ ، فإن زعم لك أن عمر وعثمان استعملاه ، فلقد صدق ، استعمله عمر وهو الوالي عليه بمنزلة الطبيب يَحْمِيهِ ما يشتهي ، وَيُوجِرُهُ ^(٢) ما يكره ، ثم استعمله عثمان برأى عمر ، وما أكَثَرَ من استعملوا ممن لم يدَّعِ الخلافة ، واعلم أن لعمر ومع كل شيء يَسْرُوكَ خَبَأٌ ^(٣) يسوءك ، ومهما نَسِيت فلا تَنْسَ أن عليًّا

(١) غصلة . (٢) وجره الدواء (كوعده) وأوجره إياه : جعله في فيه ، وأوجره الرمح :

طلعته ، ووجره : أسعمه ما يكره . (٣) الخبء : ماخبي .

بايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، وأنها بيعةٌ هُدًى ، وأنه لم يقاتل إلا العاصين والفاكثين .

فقال أبو موسى : « رحمك الله والله مالى إمام غير على ، وإنى لواقف عند ما رأى ، وإن حق الله أحبُّ إلى من رضا معاوية وأهل الشام ، وما أنت وأنا إلا بالله . »
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٥)

٢٨١ — وصية شريح بن هانىء لأبي موسى الأشعرى

ولما أراد أبو موسى السير ، قام إليه شريح بن هانىء الحارثى ، فأخذ بيده وقال :
« يا أبا موسى : إنك قد نُصِيتَ لأمر عظيم لا يُجْبَرُ صَدْعُهُ ، ولا تَسْتَقَالُ فُلْتُهُ ،
ومهما نُقِلَ من شيء لك أو عليك ، يَثْبُتَ حَقُّهُ ، وَيَبْرَى صِحَّتُهُ ، وإن كَانَ باطلا ،
ولمَّنه لابقاء لأهل العراق إن ملكهم معاوية ، ولا بأسَ على أهل الشام إن ملكهم على ،
وقد كانت منك تَنْبِيْطَةٌ ^(١) أَيَّامَ الكوفة والجل ، فَإِنْ تَشَفَّعَهَا بِمَثَلِهَا يَكُن الظن بك يقيناً ،
والرجاء منك يأساً ، ثم قال :

أبا موسى : رُمِيتَ بِشَرٍّ خَصِمٍ فلا تُضِعِ العراق (فَدَتِكَ نَفْسِي)
وَأَعْطِ الْحَقَّ شَأْمَهُمْ وَخُذْهُ فَإِنْ الْيَوْمَ فِي مَهَلٍ كَأَمْسٍ
وإن غَدًا يَجِئُ بِمَا عَلَيْهِ كَذَاكَ الدَّهْرُ مِنْ سَعْدٍ وَنَحْسٍ
ولا يَخْدَعُكَ عَمْرُو ، إن عمراً عَدُوُّ اللَّهِ مَطْلَعُ كُلِّ شَمْسٍ
لَهُ خُدْعٌ يَحَارُ الْعَقْلَ مِنْهَا مُمَوَّهَةٌ مَزْخَرَةٌ يَلْبَسُ

فلا تجعل معاوية بن حرب كشيخ في الحوادث غير نكس^(١)

هذه الله الإسـلام فردا سوى عرس^(٢) النبي، وأى عرس؟

فقال أبو موسى : « ما ينبغي لقوم اتهموني أن يرسلوني لأدفع عنهم باطلا ، أو أجـر »

إليهم حقاً . (شرح ابن أبي الحديد ج ١ : ص ١٩٥ ، والإمامة والسياسة ١ : ٩٩)

٢٨٢ - وصية الأحنف بن قيس لأبي موسى الأشعري

ولما حُكِّم أبو موسى الأشعري أتاه الأحنف بن قيس ، فقال له :

« يا أبا موسى ، إن هذا مسير له ما بعده ، من عز الدنيا أو ذلها آخر الدهر ، ادع القوم إلى طاعة عليّ ، فإن أبوا فادعهم أن يختار أهل الشام من قريش العراق من أحبوا ، ويختار أهل العراق من قريش الشام من أحبوا ، وإياك إذا لقيت ابن العاص أن تصافه بنية ، وأن يُقعدك على صدر المجلس فإنها خديعة ، وأن يضمك وإياه بيت ، فيمكن لك فيه الرجال ، ودعه فليتكلم ، لتكون عليه بالخيار ، فالبادئ مستغلق^(٣) ، والحبيب ناطق . »

فما عمل أبو موسى إلا بخلاف ما قال الأحنف ، وأشار به ، فكان من الأمر ما كان ، فلقيه الأحنف بعد ذلك ، فقال له : « أدخل والله قدميك في خف واحدة . »

(نهاية الأرب ٧ : ٢٣٩ ، الإمامة والسياسة ١ : ٩٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ج ١ : ص ١٩٦)

(١) كشيخ : يريد به الإمام عليا ، والنكس : الضعيف والمقصر عن غاية الكرم . (٢) أى

زوجه ، يريد السيدة خديجة رضى الله عنها ، وأى عرس : أى وأى عرس هى . استفهام المراد به

التعظيم . (٣) أصله من قولهم : استغلقنى في بيعة : لم يجعل لي خيارا في رده : أى أن البادئ ليس له

الخيار في رد ما قال .

٢٨٣ - وصية معاوية لعمر بن العاص

وقال معاوية لعمر :

« إن أهل العراق أكرهوا علياً على أبي موسى ، وأنا وأهل الشام راضون عنك ، وأرجو في دفع هذه الحرب قوة لأهل الشام ، وفُرقة لأهل العراق ، وإمداداً لأهل اليمن ، وقد ضُمَّ إليك رجل طويل اللسان ، قصير الرأي ، وله على ذلك دين وفضل ، فدعه يقول فإذا هو قال فاصمتُ ، واعلم أن حسن الرأي زيادةٌ في العقل ، إن خوفك العراق فخوفه بالشام ، وإن خوفك مصر فخوفه باليمن ، وإن خوفك علياً ، فخوفه بمعاوية ، وإن أذاك بالجميل فأتبه بالجميل . »

٢٨٤ - رد عمرو بن العاص عليه

فقال عمرو :

« يا أمير المؤمنين . أقلل الاهتمام بما قبلي ، وأرج الله تعالى فيما وجهتني له ، إنك من أمرك على مثل حدِّ السيف ، لم تغل في حربك ما رجوت ، ولم تأمن ما خفت ، ونحن نرجو أن يصنع الله تعالى لك خيراً ، وقد ذكرت لأبي موسى ديناً ، وإن الدين منصور ، أرايت إن ذكر علياً وجاءنا بالإسلام والهجرة واجتماع الناس عليه ما أقول ؟ » .

٢٨٥ - مقال شرحبيل بن السمط لعمر

ولما ودَّعه شَرْحَبِيلُ بْنُ السَّمْطِ قَالَ لَهُ :

« يَا عَمْرُو إِنَّكَ رَجُلٌ قَرِيشٌ ، وَإِنْ مَعَاوِيَةُ لَمْ يَبْعَثْكَ إِلَّا لَعَلَّهُ أَنْكَ لَا تُؤَاتِي مِنْ عَجْزٍ وَلَا مَكِيدَةٍ ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ وَطْأَةَ هَذَا الْأَمْرِ لَكَ وَلصَاحِبِكَ ، فَكُنْ عِنْدَ ظَنِّنَا بِكَ » .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٦ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٠)

٢٨٦ - خطبة أبي موسى الأشعري

ولما التقى الحَكَّانُ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ ، وَدَارَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْحَوَارِ مَا دَارَ ، أَقْبَلَا إِلَى النَّاسِ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ ، فَتَقَدَّمَ أَبُو مُوسَى ، فَحَمَدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا قَدْ نَظَرْنَا فِي أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَلَمْ نَرِ أَصْلَحَ لِأَمْرِهَا ، وَلَا أَلَمَ لِسَمْعِهَا مِنْ أَمْرِ قَدْ أَجْمَعَ رَأْيِي وَرَأَى عَمْرُو عَلَيْهِ ، وَهُوَ أَنْ نَخْلَعَ عَلِيًّا وَمَعَاوِيَةَ ، وَتَسْتَقْبِلَ هَذِهِ الْأُمَّةُ هَذَا الْأَمْرَ ، فَيُؤْتُوا مِنْهُمْ مَنْ أَحَبُّوا عَلَيْهِمْ ، وَإِنِّي قَدْ خَلَعْتُ عَلِيًّا وَمَعَاوِيَةَ ، فَاسْتَقْبَلُوا أَمْرَكُمْ ، وَوَلُّوا عَلَيْكُمْ مَنْ رَأَيْتُمُوهُ لِهَذَا الْأَمْرِ أَهْلًا ^(١) » . ثُمَّ تَنَحَّى .

(١) وفي رواية ابن قتيبة في الإمامة والسياسة : « وَإِنِّي رَأَيْتُ وَعَمْرُو أَنْ نَخْلَعَ عَلِيًّا وَمَعَاوِيَةَ وَنَجْعَلَهَا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَبْسُطْ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ يَدًا وَلَا لِسَانًا » وفي رواية المسعودي في مروج الذهب : « وَقَدْ خَلَعْتُ عَلِيًّا كَمَا خَلَعْتُ عُمَامَتِي هَذِهِ (وَأَهْوَى إِلَى عِمَامَتِهِ فَخَلَعَهَا) وَاسْتَخْلَفْنَا رَجُلًا قَدْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَفْسِهِ ، وَصَحِبَ أَبُوهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَرَزَ فِي سَابِقَتِهِ ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو أَطْرَاهُ وَرَغِبَ النَّاسُ فِيهِ » .

٢٨٧ - خطبة عمرو بن العاص

وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :
« إن هذا قد قال ما سمعتم ، وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت
صاحبي معاوية ، فإنه وليّ عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والطالب بدمه ، وأحق
الناس بمقامه » .

فقال أبو موسى : « مالك - لا وفقك الله - غدرت وفجرت ! إنما مثلك كمثل
الكلب إن تخيل عليه يلهث ، أو تنزكه يلهث^(١) » قال عمرو : « إنما مثلك
كمثل الحمار يحمل أسفارا » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٤٠ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٩٨ ،

والإمامة والسياسة ١ : ١٠١ ومروج الذهب ٢ : ٣٢)

٢٨٨ - خطبة الامام على بعد التحكيم

وخطب الإمام على كرم الله وجهه بعد فشل التحكيم فقال :
« الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح^(٢) ، والحديث^(٣) الجليل ، وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره ، وأن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه
 وآله . أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق العالم الجرب ، تُورث الحُمرة ، وتُعقب
 الندامة ، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمرى ، ونخلت لكم مخزون رأى ، لو كان

(١) لث الكلب كقطع : أخرج لسانه من المطش أو التعب ، وكذا الرجل إذا أعيأ . (٢) من

فدحه الدين : أى أثقله . (٣) الحادث .

يُطَاعُ لِقَصِيرٍ^(١) أَمْرٌ ، فَأَيُّكُمْ عَلَى إِبَاءِ الْخَالَفِينَ الْجَفَاءَ ، وَلِلْمُذَابِذِينَ الْعَصَاةَ ، حَتَّى ارْتَابَ
النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ ، وَضَنَّ الزَّئِدُ بِقَدْحِهِ ، فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُوهُوَازِنُ^(٢) :

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوِيِّ فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النَّصِيحَ إِلَّا ضُحَى الْقَدِّ

ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حَكَمَيْنِ قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما ،
وأحييا ما أمات القرآن ، واتبع كل واحد منهما هواه ، بغير هدى من الله ، فحكما بغير
حُجَّةٍ بَيِّنَةٍ ، ولا سُنَّةٍ ماضية ، واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يَرشُدْ ، فبرى الله منهما
ورسوله وصالح المؤمنين . اسْتَعِدُّوا وتأهبوا للسَّير إلى الشَّامِ .

(نهج البلاغة ١ : ٤٤ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٤٣ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٥)

٢٨٩ - خطبة الحسن بن علي

وقال الإمام علي : قم يا حسن فتكلم في أمر هذين الرجلين أبي موسى وعمرو ، فقام
الحسن فتكلم فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، قَدْ أَكْثَرْتُمْ فِي أَمْرِ أَبِي مُوسَى وَعَمْرُو ، وَإِنَّمَا بُعِثَا لِيَحْكُمَا بِالْقُرْآنِ
دُونَ الْهَوَى ، فَحَكَمَا بِالْهَوَى دُونَ الْقُرْآنِ ، فَمَنْ كَانَ هَكَذَا لَمْ يَكُنْ حَكَمًا ، وَلَكِنَّهُ
مُحَكَّمٌ عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ خَطَا أَبِي مُوسَى أَنْ جَعَلَهَا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو ، فَأَخْطَأَ فِي ثَلَاثِ
خِصَالٍ : خَالَفَ (يَعْنِي أَبَا مُوسَى) أَبَاهُ عَمْرًا إِذْ لَمْ يَرْضَهُ لَهَا ، وَلَمْ يَرَهُ أَهْلًا لَهَا ، وَكَانَ أَبُوهُ
أَعْلَمُ بِهِ مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَا أَدْخَلَهُ فِي الشُّورَى إِلَّا عَلَى أَنَّهُ لَا شَيْءَ لَهُ فِيهَا ، شَرْطًا مُشْرُوطًا مِنْ

(١) قصير : هو مولى جذيمة الأبرش ، وكان قد أشار على سيده أن لا يأمن الزبراء ملكة الجزيرة ،

وقد دعت إليه ليتزوجها ، فخالفه وقصد إليها ، فقال قصير « لا يطاع لقصير أمر » فذهبت مثلاً .

(٢) هو دريد بن الصمة .

عمر على أهل الشورى ، فهذه واحدة . وثانية : لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار ، الذين يَمَقِدُونَ الإمامة ، ويحكمون على الناس . وثالثة : لم يستأمر الرجل في نفسه ، ولا عَمَّ ماعنده من ردّ أو قبول » ثم جلس .

٢٩٠ — خطبة عيد الله بن عباس (توفي سنة ٦٨ هـ)

ثم قال على لعبد الله بن عباس : قم فتكلم ، فقام عبد الله بن عباس وقال :
« أيها الناس : إن للحق أناساً أصابوه بالتوفيق والرضا ، والناس بين راض به ، وراغب عنه ؛ وإنما سار أبو موسى بهدى إلى ضلال ، وسار عمرو بضلال إلى هدى ، فلما التقيا رجع أبو موسى عن هداه ، ومضى عمرو على ضلاله ، فوالله لو كانا حكماً عليه بالقرآن لقد حكما عليه ، ولئن كانا حكماً بهواهما على القرآن ، ولئن مسكا بما سارا به ، لقد سار أبو موسى وعلى إمامه ، وسار عمرو ومعاوية إمامه » ثم جلس .

٢٩١ — خطبة عبد الله بن جعفر

فقال على لعبد الله بن جعفر : قم فتكلم ، فقام وقال :
« أيها الناس : هذا أمر كان النظر فيه لعل ، والرضا فيه إلى غيره ، جثم بأبي موسى فقلتم قد رضينا هذا فارض به ، وإيم الله ما أصابنا بما فعلا الشأم ، ولا أفسدا العراق ، ولا أمانا حقّ على ، ولا أحييا باطل معاوية ، ولا يذهب الحقّ قلة رأي ، ولا نفخة شيطان ، وإنا لعلى اليوم كما كنا أمس عليه » ثم جلس . (الإمامة والسياسة ١ : ١٠٢)

٢٩٢ - خطبة على

ولما نزل على النُخَيْلَة وأيس من الخوارج ، قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
« أما بعد : فإنه من ترك الجهاد في الله ، وادّهن في أمره ، كان على شفا هلكة ،
إلا أن يتداركه الله بنعمة ، فاتقوا الله ، وقاتلوا من حادّ الله ، وحاول أن يُعفى نور الله ،
قاتلوا الخاطئين الضالين القاسطين المجرمين الذين ليسوا بقراء للقرآن ، ولا فقهاء في الدين ،
ولا علماء في التأويل ، ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الإسلام ، والله لو وُلّوا عليكم لعمَلوا
فيكم بأعمال كسرى وهرقل ، تيسروا وتهيئوا المسير إلى عدوكم من أهل المغرب . وقد بعثنا
إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم ، فإذا قدموا فاجتمعتم شخصنا إن شاء الله ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله » . (تاريخ الطبري ٦ : ٤٤)

٢٩٣ - خطبة عبد الله بن عباس

وكتب على إلى عبد الله بن عباس : « أما بعد : فإننا قد خرجنا إلى معسكرنا بالنخيلة ،
وقد أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل المغرب ، فأشخص بالناس حين يأتيك رسولى ،
وأقم حتى يأتيك أمرى والسلام » .
فلما قدم عليه الكتاب قرأه على الناس ، وأمرهم بالشخص مع الأحنف بن قيس ،
فشخص معه منهم ألف وخمسمائة رجل ، فاستقلمهم عبد الله بن عباس ، فقام في الناس
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد يأهل البصرة فإنه جاءنى أمر أمير المؤمنين يأمرنى بإشخاصكم ، فأمرتكم
بالنفيذ إليه مع الأحنف بن قيس ، ولم يشخص معه منكم إلا ألف وخمسمائة ، وأنتم ستون
ألفا سوى أبنائكم وعبيدائكم ومواليكم ألا انفروا مع جارية بن قدامة السعدى ،

ولا يجعلن رجل على نفسه سبيلا ، فإنى مَوْقع بكل من وجدته متخلفا عن مكتبه ، عاصياً لإمامه . وقد أمرت أبا الأسود الدؤلى بحشركم ، فلا يلم رجل جعل السبيل على نفسه إلا نفسه » (تاريخ الطبرى ٦ : ٤٤) .

٢٩٤ - خطبة على

فخرج جارية ففسكر ، وخرج أبو الأسود فحشر الناس ، فاجتمع إلى جارية ألف وسبعائة ، ثم أقبل حتى وافاه على بالنخيلة ، فلم يزل بالنخيلة حتى وافاه هذان الجيشان من البصرة ثلاثة آلاف ومائتا رجل ، فجمع إليه رءوس أهل الكوفة ورءوس الأسباع ورءوس القبائل ووجوه الناس .

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « يا أهل الكوفة ، أنتم إخوانى وأنصارى وأعوانى على الحق ، وصحابتى على جهاد عدوى المُجَلِّين ، بكم أضربُ المُدْبِرَ ، وأرجو تمام طاعة المقبل ، وقد بعثت إلى أهل البصرة فاستنفرتهم إليكم ، فلم يأتنى منهم إلا ثلاثة آلاف ومائتا رجل ، فأعينونى بمناسحة جليلة خلية من الغش ، إنكم . . . ^(١) نخرجنا إلى صفين ، بل استجمعوا بأجمعكم ، وإنى أسألكم أن يكتب لى رئيس كل قوم مافى عشيرته من المقاتلة وأبناء المقاتلة الذين أدركوا القتال وعبدان عشيرته ومواليهم ، ثم يرفع ذلك إلينا » .

فقام سعيد بن قيس الهمداني فقال : يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة ووداً ونصيحة ، أنا أول الناس جاء بما سألتَ وبما طلبتَ ، وقام مَعْقِل بن قيس الرِّياحى فقال له نحواً من ذلك ، وقام حدى بن حاتم وزِيَاد بن خصفة وحجر بن عدى وأشراف الناس والقبائل فقالوا مثل ذلك ، ثم إن الرءوس كتبوا من فيهم ثم رفعوهم إليه . (تاريخ الطبرى ٤ : ٤٥)

(١) فراغ فى الأصل .

٢٩٥ - خطبة على

وكتب على إلى سعد بن مسعود الثقفي ، وهو عامله على المدائن : « أما بعد فإني قد بعثت إليك زياد بن خصيفة فأشخص معه مَنْ قبلك من مقاتلة أهل الكوفة ، وعجل ذلك إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله »

وبلغ علياً أن الناس يقولون : لو سار بنا إلى هذه الحُرورية فبدأنا بهم ، فإذا فرغنا منهم وَجَّهنا مِنْ وَجْهنا ذلك إلى المحلين . فقام في الناس لحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فإنه قد بلغني قولكم : لو أن أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت عليه ، فبدأنا بهم ، فإذا فرغنا منهم وجهنا إلى المحلين .

وأن غير هذه الخارجة أهم إلينا منهم ، فدعوا ذكرهم ، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكا ، ويتخذوا عباد الله خولا^(١) » .

فتنادى الناس من كل جانب : سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت ، وقام إليه صفى ابن فسيل الشيباني فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن حزبك وأنصارك ، نعادي من عاديت ، ونشايع من أناب إلى طاعتك ، فسر بنا إلى عدوك من كانوا وأينما كانوا ، فإنك إن شاء الله إن تؤتي من قلة عدد ، ولا ضعف نية أتباع .

وقام إليه محرز بن شهاب التيمي من بني سعد فقال : يا أمير المؤمنين : شيعتك كقلب رجل واحد في الإجماع على بصرك ، والجد في جهاد عدوك ، فأبشر بالنصر ، وسر بنا إلى أي الفريقين أحببت ، فإننا شيعتك الذين نرجو في طاعتك ، وجهاد من خالفك صالح الثواب ، ونخاف في خذلانك والتخلف عنك شدة الوبال (تاريخ الطبري ٦ : ٤٥)

٢٩٦ - خطبة لمعاوية

ولما فشل التحكيم بايع أهل الشام معاوية بالخلافة ، واختلف الناس بالعراق على عليّ
فما كان لمعاوية همّ إلا مصر ، فدعا أصحابه ليستشيرهم في أمرها ، وكان فيهم عمرو بن العاص
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد فقد رأيتم كيف صنع الله بكم في حربكم عدوّكم ، جاءوكم وهم لا ترون إلا
أنهم سيقبضون بيضتكم^(١) ، ويخربون بلادكم ، ما كانوا يرون إلا أنكم في أيديهم ، فردهم
الله بغيظهم لم ينالوا خيراً مما أحبوا ، وحاكمتهم إلى الله فحكم لنا عليهم ، ثم جمع لنا كلمتنا
وأصلح ذات بيننا ، وجعلهم أعداء متفرقين يشهد بعضهم على بعض بالكفر ، ويسفك
بعضهم دم بعض ، والله إنى لأرجو أن يتم لنا هذا الأمر ، وقد رأيت أن نحاول أهل مصر
فكيف ترون ارتئاءنا لها ؟ » .

وكان عمرو بن العاص قد صالح معاوية حين بايعه على قتال علي بن أبي طالب ، على أن
له مصر طعمة مابقي ، فقال لمعاوية : فإنى أشير عليك كيف تصنع : أرى أن تبعث جيشاً
كثيفاً عليهم رجل حازم صارم تأمنه وتثق به ، فيأتى مصر حتى يدخلها . . . فسيّره إليها .
(تاريخ الطبري ٦ : ٥٦)

٢٩٧ - وصية معاوية لعمر بن العاص

وجهز معاوية عمرو بن العاص ، وبعثه في ستة آلاف رجل ، وخرج وودّعه ، وقال
له عند وداعه إياه :

(١) البيضة : حوزة كل شيء .

« أوصيك يا عمرو بتقوى الله والرفق ، فإنه يُمنَّ ، وبالمهل والتؤدة ، فإن العجلة من الشيطان ، وبأن تقبل ممن أقبل ، وأن تعفو عن أدبر ، فإن قيل فيها ونعمت ، وإن أبي فإن السطوة بعد المعذرة أبلغ في الحجة ، وأحسن في العاقبة ، وادع الناس إلى الصلح والجماعة ، فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك آثرَ الناس عندك ، وكلَّ الناس فأولُ حُسنا » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٥٧)

٢٩٨ — خطبة محمد بن أبي بكر

وقدم محمد بن أبي بكر مصر واليا عليها من قبل على بن أبي طالب (سنة ٣٦ هـ) فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« الحمد لله الذى هدانا وإياكم لما اختلف فيه من الحق ، وبصرنا وإياكم كثيرا بما عصى عنه الجاهلون ، ألا إن أمير المؤمنين ولأنى أموركم ، وعهد إلى ما قد سمعتم ، وأوصانى بكثير منه مشافهة ، ولن آلوكم خيرا ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . فإن يكن ما ترون من إمارتى وأعمالى طاعةً لله وتقوى ، فاحمدوا الله عز وجل على ما كان من ذلك ، فإنه هو الهادى . وإن رأيتم عاملا لى عمل غير الحق زائفا ، فارفعوه إلى وعاتبونى فيه ، فإنى بذلك أسعد ، وأنتم بذلك جديرون ، وفقنا الله وإياكم لصالح الأعمال برحمته » .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٣٢)

٢٩٩ — خطبة لمحمد بن أبي بكر

وأقبل عمرو بن العاص حتى قصد مصر ، فقام محمد بن أبى بكر فى الناس ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال :

« أما بعد معاشر المسلمين والمؤمنين ، فإن القوم الذين كانوا ينتهكون الحرمة ،

وينعشون الضلالة ، ويشبّون نار الفتنة ، ويتسلطون بالجريرة ، قد نصبوا لكم العداوة ،
وساروا إليكم بالجنود .

عباد الله فمن أراد الجنة والمغفرة ، فليخرج إلى هؤلاء القوم ، فليجاهدكم في الله .
انتدبوا إلى هؤلاء رحمكم الله مع كنانة بن بشر « ثم انتهى الأمر بقتل محمد بن أبي بكر .
(تاريخ الطبري ٦ : ٥٩)

٣٠٠ — خطبة لعلّى وقد استصرخه محمد بن أبي بكر

ولما سير معاوية عمرو بن العاص إلى مصر (سنة ٣٨ هـ) - وكان عليها محمد بن أبي بكر
من قبل علّى - بعث ابن أبي بكر إلى علّى يستصرخه ، فقام على في الناس ، فحمد الله وأثنى
عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أما بعد ، فإن هذا صريح محمد بن أبي بكر ، وإخوانكم من أهل مصر ، قد سار
إلهم ابن النافعة ، عدوا لله ، وولى من عادى الله ، فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم
والركون إلى سبيل الطاغوت ، أشدّ اجتماعاً منكم على حقكم هذا ، فإنهم قد بدءوكم
وإخوانكم بالفزو ، فاعجلوا إليهم بالمؤاساة والنصر .

عباد الله : إن مصر أعظم من الشام ، أكثر خيراً ، وخير أهلاً ، فلا تغلبوا على
مصر ، فإن بقاء مصر في أيديكم عزّ لكم ، وكنت لعدوكم ، اخرجوا إلى الجرعة بين
الحيرة والكوفة ، فولفوني بها هناك غدا إن شاء الله . »

(تاريخ الطبري ٦ : ٦١ وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ٣٤)

٣٠١ - خطبة عليّ حين بلغه مقتل محمد بن أبي بكر

ولما بلغ عليا مقتل محمد بن أبي بكر ، حزن عليه حتى رُئِيَ ذلك في وجهه وتبين فيه وقام في الناس خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقال :
« ألا إن مصر قد افتتحتها الفَجَرَةُ أولو الجور والظلم ، الذين صدّوا عن سبيل الله ، وبغّوا الإسلام عِوَجًا ، ألا وإن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمه الله ، فعند الله نحتسبه ، أما والله إن كان - ما علمتُ - لَمَن يَنْتَظِرُ القضاء ، ويعمل للجزاء ، ويبغض شكل الفاجر ، ويحب هدى المؤمن .

إني والله ما ألوم نفسي على التقصير ، وإني لمقاساة الحرب نَجِدُ^(١) خير ، وإني لأُقدِّم على الأمر وأعرف وجهَ الحزم ، وأقوم فيكم بالرأى المصيب ، فأستصرخكم مُعَلِّنا ، وأناديكم نداء المستغيث مُعْرِبا ، فلا تسمعون لي قولا ، ولا تطيعون لي أمرا ، حتى تصير بي الأمور إلى عواقب المساءة ، فأنتم القوم لا يدرك بكم الثأرُ ، ولا ينقض بكم الأوتار ، دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة ، فتجر جرتكم جرجرة^(٢) الجمل الأشدق ، وثاقلتم إلى الأرض ثناقل من ليس له نية في جهاد العدو ، ولا اكتساب الأجر ، ثم خرج إلى منكم جُنَيْدٌ متذائب^(٣) كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، فأف لكم » ثم نزل :
(تاريخ الطبري ٦ : ٦٢)

(١) التجد : الشجاع الماضي فيما يعجز غيره . (٢) الجرجرة : صوت رددته البعير في حنجرتة ،

وأكثر ما يكون ذلك عند الإعياء والتعب . (٣) جنيد : تصغير جند ، متذائب : مضطرب . من

قولهم : تذاهب الريح أي اضطرب هبوبها ، ومنه سمي الذئب ذئبا لاضطراب مشيته .

فتنة الخوارج

٣٠٢ - مناظرة عبد الله بن عباس لهم

لما رجع الإمام على كرم الله وجهه من صفين إلى الكوفة - بعد كتابة صحيفة التحكيم بينه وبين معاوية - اعتزله جماعة من أصحابه ممن رأوا التحكيم ضللا ، ونزلوا حروراء^(١) في اثني عشر ألفا ، وأمرُوا على القتال شَبَثَ بن رِيعِي ، وعلى الصلاة عبد الله بن الكواء ، فبعث إليهم على عبد الله بن عباس ، فقال : لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك ، فخرج إليهم حتى أتاهم ، فأقبلوا يكلمونه ، فلم يصبر حتى راجعهم فقال :

« مَا نَقِمْتُمْ مِنَ الْحَكَمِينَ ؟ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا »^(٢) فكيف بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت الخوارج : قلنا أما ما جعل حكمه إلى الناس وأمر بالنظر فيه والإصلاح له ، فهو إليهم كما أمر به ، وما حكم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه ، حكم في الزاني مائة جلدة ، وفي السارق بقطع يده ، فليس للعباد أن ينظروا في هذا ، قال ابن عباس : فإن الله عز وجل يقول : « يَخْكُمُ بِهِ »

(١) بظاهر الكوفة .

(٢) الآية في الصلح بين الزوجين (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ، إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا)

ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ^(١)» فقالوا له : « أَوْ تَجْعَلُ الْحَكَمَ فِي الصَّيْدِ ، وَالْحَدَّثَ يَكُونُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا كَالْحَكَمِ فِي دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ؟ » وقالت الخوارج قلنا له : فهذه الآية بيننا وبينك ، أَعَدْلٌ عِنْدَكَ ابْنُ الْعَاصِ وَهُوَ بِالْأَمْسِ يِقَاتِلُنَا ، وَيَسْفِكُ دِمَاءَنَا ؟ فَإِنْ كَانَ عَدْلًا فَلَسْنَا بِمَدُولٍ ، وَنَحْنُ أَهْلُ حَرْبِهِ ، وَقَدْ حَكَّمْتُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ الرَّجَالَ ، وَقَدْ أَمْضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حُكْمَهُ فِي مَعَاوِيَةَ وَحِزْبِهِ أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يَرْجَعُوا^(٢) ، وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَبَوْهُ ، ثُمَّ كَتَبْتُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ كِتَابًا ، وَجَعَلْتُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ الْمَوَادِعَةَ وَالِاسْتِفَاضَةَ^(٣) وَقَدْ قَطَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الِاسْتِفَاضَةَ وَالْمَوَادِعَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْحَرْبِ . مِنْذُ نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ ، إِلَّا مِنْ أَقْرَبِ الْجَزِيرَةِ .

(تاريخ الطبري ٦ : ٣٦ ، والكامل للمبرد ٢ : ١٢٠)

٣٠٣ — مناظرة الامام عليّ لهم

ثم خرج إليهم عليّ حتى انتهى إليهم وهم يحاصمون ابن عباس ، فقال : انته عن كلامهم ألم أنهلك رحمك الله ؟

(١) الآية في حكم قاتل الصيد وهو محرم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) .

(٢) يشارون إلى قوله تعالى (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

(٣) استفاض المكان استفاضة : اتسع ، وهي هنا مرادفة للموادعة .

ثم تكلم فحمد الله عزَّ وجلَّ وأثنى عليه ثم قال :

« اللهم إن هذا مقام من أفلج^(١) فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة ، ومن نطق فيه وأوعث^(٢) فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ، ثم قال لهم : من زعيمكم ؟ قالوا : ابن الكواء ، قال عليّ : فما أخرجكم علينا؟ قالوا حكومتكم يوم صفين . قال : أنشدكم بالله أتعلون أنهم حيث رفعوا المصاحف ، فقلتم نجيبهم إلى كتاب الله ، قلت لكم إني أعلم بالقوم منكم ، إنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، إني صحبتهم وعرفتهم أطفالا ورجالا ، فكانوا شرَّ أطفال وشرَّ رجال ، امضوا على حكم وصدقكم ، فإنما رفع القوم هذه المصاحف خديعة وإدهانا^(٣) ومكيذة ، فرددتم عليّ رأيي ، وقلتم لا بل نقبل منهم ، فقلت لكم اذكروا قولي لكم ومعصيتكم إياي ، فلما أبيتم إلا الكتاب ، اشتدَّتْ على الحكمين أن يحيا ما أحيا القرآن ، وأن يميتا ما أمات القرآن ، فإن حكما بحكم القرآن ، فليس لنا أن نخالف حكما يُحكّم بما في القرآن ، وإن أبيا فنحن من حكمهما برآء . قالوا له : فخبّرنا أترأه عدلا تحكيم الرجال في الدماء ؟ فقال : إنا لسنا حكمنا الرجال ، إنما حكمنا القرآن وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق ، إنما يتكلم به الرجال . قالوا : فخبّرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك وبينهم ؟ قال : ليعلم الجاهل ، ويتثبت العالم ، ولعل الله عزَّ وجلَّ يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة ، ادخلوا مصركم رحمكم الله ، فدخلوا من عند آخرهم » .

(تاريخ الطبري ٦ : ٣٧ ، الكامل للبهرد ٢ : ١٢٨)

(١) الفلج والإفلاج : الظفر والفوز . (٢) أوعث : وقع في الوعث (الوعث بالسكون : المكان

السهل الدهس تغيب فيه الأقدام والطريق المسر) . (٣) الإدهان : النش .

٣٠٤ - صورة أخرى

وروى صاحب العقد المناظرة بين عليّ وبين الخوارج بصورة أخرى وها کہا :

« قالوا إن عليّاً لما اختلف عليه أهل النهران والقرى وأصحاب البرانس ، ونزلوا قرية يقال لها حرّوراء - وذلك بعد وقعة الجمل - رجع إليهم عليّ بن أبي طالب ، فقال لهم : يا هؤلاء من زعيمكم ! قالوا : ابن الكواء ، قال : فليبرز إلىّ ، فخرج إليه ابن الكواء ، فقال له عليّ : يا ابن الكواء ، ما أخرجكم علينا بعد رضاكم بالحكمين ، ومُقامكم بالكوفة ؟ قال : قاتلت بنا عدوا لا نشكُّ في جهاده ، فزعمتُ أن قتلانا في الجنة ، وقتلام في النار ، فبينما نحن كذلك إذ أرسلت منافقا ، وحكمتُ كافراً ، وكان من شكك في أمر الله أن قلت للقوم حين دعوتهم : كتاب الله بيني وبينكم ، فإن قضى عليّ بابعثكم ، وإن قضى عليكم بابعثوني ، فلو لا شكك لم تفعل هذا ، وآلحق في يدك . قال عليّ : يا ابن الكواء ، إنما الجواب بعد الفراغ ، أفرغت فأجيبك ؟ قال : نعم ، قال عليّ : أما قتالنا معي عدوا لا نشكُّ في جهاده فصدقت ، ولو شككت فيهم لم أقاتلهم ، وأما قتلانا وقتلام ، فقد قال الله في ذلك ما يُستغنى به عن قولي ، وأما إرسال المنافق وتحكيمي الكافر ، فانت أرسلت أبا موسى مُبرّئاً ، ومعاوية حَكَمَ عَمْرًا ، أتيت بأبي موسى مبرئاً ، فقلت : لا نرضى إلا أبا موسى ، فهلا قام إلى رجل منكم فقال : يا علي لا تعط هذه الدّنية فإنها ضلالة ؟ وأما قولي لمعاوية : إن جرّني إليك كتابُ الله تبعيتك ، وإن جرّك إلىّ تبعتنى . زعمتُ أني لم أعط ذلك إلا من شك ، فقد علمت أن أوثق مافي يديك هذا الأمر ، فخذنني ويحك عن اليهودي والنصراني ومُشرّكي العرب ، أأهم أقرب إلى كتاب الله أم معاوية وأهل الشام ؟ قال : بل معاوية وأهل الشام أقرب ، قال عليّ : أفرسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوثق بما في يديه من كتاب الله أو أنا ؟ قال : بل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أفرأيت الله تبارك وتعالى حين يقول : (قُلْ فَأَنُؤَا

بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . أَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُوْتَىٰ بَكِتَابٍ هُوَ أَهْدَىٰ مِمَّا فِي يَدَيْهِ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَلِمَ أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَوْمَ مَا أُعْطَاهُمْ ؟ قَالَ : إِنْصَافًا وَحُجَّةً ، قَالَ : فَإِنِّي أُعْطِيتُ الْقَوْمَ مَا أُعْطَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ ابْنُ الْكُوَّاءِ : فَإِنِّي أَخْطَأْتُ . هَذِهِ وَاحِدَةٌ . زِدْنِي ، قَالَ عَلِيٌّ : فَمَا أُعْظِمُ مَا نَقَمْتُ عَلَىَّ ؟ قَالَ : تَحْكِيمَ الْحَكَمِينَ ، نَظَرْنَا فِي أَمْرِنَا ، فَوَجَدْنَا تَحْكِيمَهُمَا شُكًا وَتَبْذِيرًا ، قَالَ عَلِيٌّ : فَتَى سُمِّيَ أَبُو مُوسَى حَكَمًا ، حِينَ أُرْسِلَ ، أَوْ حِينَ حَكَمَ ؟ قَالَ : حِينَ أُرْسِلَ ، قَالَ : أَلَيْسَ قَدْ سَارَ وَهُوَ مُسْلِمٌ ، وَأَنْتَ تَرْجُو أَنْ يَحْكُمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ عَلِيٌّ : فَلَا أَرَى الضَّلَالَةَ فِي إِرْسَالِهِ ، فَقَالَ ابْنُ الْكُوَّاءِ ، سُمِّيَ حَكَمًا حِينَ حَكَمَ ، قَالَ : نَعَمْ إِذْنًا فِرْسَالَهُ كَانَ عَدْلًا ، أَرَأَيْتَ يَا ابْنَ الْكُوَّاءِ لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُؤْمِنًا إِلَى قَوْمٍ مُشْرِكِينَ يَدْعُوهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، فَارْتَدَّ عَلَى عَقِبِهِ كَافِرًا ، كَانَ يَضْرُؤُ نَبِيَّ اللَّهِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ عَلِيٌّ : فَمَا كَانَ ذَنْبِي إِنْ كَانَ أَبُو مُوسَى ضَلَّ ، هَلْ رَضِيتُ حُكْمَهُ حِينَ حَكَمَ ، أَوْ قَوْلَهُ إِذْ قَالَ ؟ قَالَ ابْنُ الْكُوَّاءِ : لَا ، وَلَكِنْ جَعَلْتَ مُسْلِمًا وَكَافِرًا يَحْكُمَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، قَالَ عَلِيٌّ : وَيْلَكَ يَا ابْنَ الْكُوَّاءِ ! هَلْ بَعَثَ عَمْرًا غَيْرُ مُعَاوِيَةَ ؟ وَكَيْفَ أَحْكَمُهُ وَحَكَمُهُ عَلَى ضَرْبِ عُنُقِي ، إِنَّمَا رَضِيَ بِهِ صَاحِبُهُ ، كَمَا رَضِيتَ أَنْتَ بِصَاحِبِكَ ، وَقَدْ يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ يَحْكُمَانِ فِي أَمْرِ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا مُؤْمِنًا تَزَوَّجَ يَهُودِيَّةً أَوْ نَصْرَانِيَّةً ، خَافَا شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ، فَفَزَعَ النَّاسَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، وَفِي كِتَابِهِ : (فَابْتَغُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا) فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ ، أَوْ رَجُلٌ مِنَ النَّصَارَى ، وَرَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، الَّذِينَ يَجُوزُ لَهُمَا أَنْ يَحْكُمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ فَحَكَمَا . قَالَ ابْنُ الْكُوَّاءِ : وَهَذِهِ أَيْضًا ، أَمَلْنَا حَتَّى نَنْظُرَ ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ عَلِيٌّ .

فَقَالَ لَهُ صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، ائْذَنْ لِي فِي كَلَامِ الْقَوْمِ ، قَالَ : نَعَمْ مَا لَمْ تَبْسُطْ يَدًا ، فَنادى صَعْصَعَةُ ابْنَ الْكُوَّاءِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَقَالَ : أَنْشُدْكُمْ اللَّهُ يَا مَعْشَرَ

الخارجين أن لا تكونوا عارًا على من يغزوا لغيره^(١) ، وأن لا تخرجوا بأرض نسَمُون بها بعد اليوم ، ولا تستعجلوا ضلال العام خشية ضلال عام قابل ، فقال له ابن الكواء : إن صاحبك لَقِينَا بِأَمْرٍ ، قولك فيه صغيرٌ فأَمْسِك .

قالوا إن عليًا خرج بعد ذلك إليهم ، فخرج إليه ابن الكواء ، فقال له عليّ : يا ابن الكواء : إنه من أذنب في هذا الدين ذنبًا يكون في الإسلام حَدًّا ، اسْتَقْبَلْنَاهُ مِنْ ذَلِكَ الذنب بعينه ، وإنَّ توبتك أن تعرف هُدًى ما خرجت منه ، وضلال ما دخلت فيه . قال ابن الكواء : إنا لا ننكر أنا قد فُتِنَّا ، فقال له عبد الله بن عمرو بن جُرْمُوز : أدركنا والله هذه الآية (الم ، أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) - وكان عبد الله من قراء أهل حروراء ، فرجعوا فَصَلَّوْا خَلْفَ عَلِيٍّ الظَّهْرَ ، وانصرفوا معه إلى الكوفة ، ثم اختلفوا بعد ذلك في رجعتهم ولام بعضهم بعضًا ، ثم خرجوا على عليّ ، فقتلهم بالنَّهْرَوَان .

(المقد الفريد ٢ : ٢٤٠)

٣٠٥ - مناظرة ابن عباس لهم

فلما استقرروا بالكوفة أشاعوا أن عليًا رجع عن التحكيم ، وتاب منه ، ورآه ضلالًا ، فأتى الأشعث بن قيس عليًا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الناس قد تحدّثوا أنك رأيت الحكومة ضلالًا ، والإقامة عليها كفرًا وتبت ، فخطب على الناس فقال :

« من زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب ، ومن رآها ضلالًا فهو أضلُّ منها ، فخرجت الخوارج من المسجد فحكمت ، فقبل لعلّ إنيهم خارجون ، فقال : لا أقاتلهم حتى يقاتلوني ، وسيفعلون ، فوجه إليهم عبد الله بن العباس .

فلما سار إليهم رحبوا به وأكرموه ، فرأى منهم جباها قَرِحَتْ لطول السجود ،

(١) أى لغير منفعة الشخصية بل لئلا شمت المسلمين وجمع كلمتهم يبنى عليا وأصحابه .

وأيديا كَشَفَتَا^(١) الإبل ، وعليهم قُمْصٌ مَرْحُضَةٌ^(٢) وهم مشمرون . قالوا : ما جاء بك يا ابن عباس ؟ قال : جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه ، وأعلمنا بربه وسنة نبيه ، ومن عند المهاجرين والأنصار ، فقالوا : إنا أتينا عظيما حين حكمتنا الرجال في دين الله ، فإن تاب كما تدنا ، ونهض لمجاهدة عدونا رجعتنا ، فقال ابن عباس : نَشَدْتُكُمْ الله إلا ما صَدَقْتُمْ أنفسكم . أما علمتم أن الله أَمَرَكم بتحكيم الرجال في أرب تساوى ربع درهم تصاد في الحرم ، وفي شقاق امرأة ورجلها ، فقالوا : اللهم نعم ، قال : فَأَنشُدْكُمْ الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمْسَكَ عن القتال ، للهدنة بينه وبين الحُدَيْبِيَّةِ^(٣) ، قالوا : نعم ولكن عليا محبا نفسه من خلافة المسلمين ، قال ابن عباس : أذلك يزيلها عنه ؟ وقد محبا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة ، قال سُهَيْل^(٤) بن عمرو : لو علمت أنك رسول الله ما حاربتك ، فقال للكانب^(٥) : اكتب محمد بن عبد الله وقد أخذ على الحكيم أن لا يجورا ، فعلى أولى من معاوية وغيره ، قالوا : إن معاوية يدعى مثل دعوى على . قال : فأيهما رأيتموه أولى فوئوه ، قالوا : صدقت ، قال ابن عباس : ومتى جار الحكمان فلا طاعة لهما ، ولا قبول لقولهما .

فاتبعه منهم ألفان وبقي أربعة آلاف ، فلم يزالوا على ذلك حتى اجتمعوا على البيعة

لعبد الله بن وهب الراسبي . (للعقد الفريد ١ : ٢١٢)

(١) ثفتة البعير : ركبته . (٢) قمص جمع قميص ، ورحض الثوب : غسله .

(٣) أي وبين أهل الحديبية . والحديبية بئر قرب مكة ، وكانت غزوة الحديبية سنة ست هجرية .

(٤) النائب عن قريش في عقد الصلح مع المسلمين . (٥) وكان هلي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

٣٠٦ - خطبة يزيد بن عاصم المحاربي

وخرج الإمام على كرم الله وجهه ذات يوم بخطب ، فإنه لفي خطبته ، إذ حكمت^(١) المحكمة في جوانب المسجد ، فقال على : الله أكبر ، كلمة حق يراد بها باطل : إن سكتوا عمعنهم ، وإن تكلموا حججناهم ، وإن خرجوا علينا قاتلناهم ، فوثب يزيد ابن عاصم المحاربي فقال :

« الحمد لله غير مؤدع^(٢) ربنا ولا مستغنى عنه ، اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنية^(٣) في ديننا ، فإن إعطاء الدنية في الدين إذهان^(٤) في أمر الله عز وجل ، وذلل راجع بأهله إلى سخط الله ، يا على أباقتل تخوفنا ؟ أما والله إني لأرجو أن تضربكم بها عما قليل غير مصفحات^(٥) ، ثم لتعلمن أيننا أولى بها صلياً^(٦) . »

ثم خرج بهم هو وإخوة له ثلاثة هورابهم ، فأصيبوا مع الخوارج بالنهر ، وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة .
(تاريخ الطبري ٦ : ٤١)

٣٠٧ - خطبة عبد الله بن وهب الراسبي

ولما بعث الإمام على أبا موسى الأشعري لإنفاذ الحكومة ، لقيت الخوارج بعضها بعضاً ، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

(١) أى قالوا لا حكم إلا الله ، ويسمى الخوارج المحكة : أى الذين يمتعون التحكيم . (٢) أى غير متروك ولا مقطوع : أى هذا دائماً . (٣) يريد بها قبول التحكيم . (٤) الإذهان والمداينة : إظهار غير ما يضر . (٥) أى تضربكم بجدها لا بعرضها ، ضربه بالسيف مصفحاً : أى بعرضه . (٦) صلى النار وبها صلياً : قاسى حرها .

« أما بعد : فوالله ما يذنبني لقوم يؤمنون بالرحمن ، ويُنبئون إلى حكم القرآن ، أن تكون هذه الدنيا - التي الرضا بها والركون إليها ، والإيثار إياها عَنَاءً وَتَبَارُكٌ ^(١) - آتَرَ عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقول بالحق ، وإن من ^(٢) وضرر ، فإنه من يُمِنُّ وَيُضَرُّ في هذه الدنيا ، فإن ثوابه يوم القيامة رضوانُ الله عزَّ وجلَّ ، والخلودُ في جناته ، فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها ، إلى بعض كُور ^(٣) الجبال ، أو إلى بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه البدع المُضِلَّة » .

٣٠٨ - خطبة حرقوص بن زهير السعدي

فقام حُرْقُوصُ بن زُهَيْرِ السَّعْدِيِّ فقال :

« إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وَشِيكٌ ^(٤) ، فلا تدعوا نِسْمَ زِينَتِهَا ، وبهجتها إلى المقام بها ، ولا تَلَفَتَنَّكُمْ عن طلب الحق ، وإنكار الظلم ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ » .

٣٠٩ - خطبة حمزة بن سنان الأسدي

فقام حمزة بن سنان الأسدي فقال :

« يا قوم إن الرأي ما قد رأيتم ، والحق ما قد ذكرتم ، فولوا أمركم رجلا منكم فإنه لا بد لكم من عماد وسناد ، ورأية تحفون بها ، وترجعون إليها » .

فعرضوها على زيد بن حصين الطائي فأبى ، وعلى حرقوص بن زهير فأبى ، وعلى

(١) هلاك . (٢) أي قطع وهجر . (٣) جمع كورة بالضم ، وهي المدينة والصقع .

(٤) سريع .

حمزة بن سنان ، وشريح بن أوفى العبسي فأبيا ، وعلى عبد الله بن وهب فقال : « هاتوها ، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ، ولا أدعها فرقا^(١) من الموت » فبايعوه (لعشر خلون من شوال سنة ٤٣٧ هـ) .

٣١٠ - خطبة شريح بن أوفى العبسي^(٢)

ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي ، فقام شريح فقال .

« إن الله أخذ عهودنا ومواثيقنا على الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والقول بالحق ، والجهاد في تقويم السبيل ، وقد قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام : « يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ » وقال : « وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » فاشهدوا على أهل دَعْوَتَنَا أَنْ قَدِ اتَّبَعُوا الْهَوَىٰ ، وَتَبَدَّؤْا حَكْمَ الْقُرْآنِ ، وَجَارُوا فِي الْحَكْمِ وَالْعَمَلِ ، وَأَنْ جِهَادَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَرَضَ ، وَأَقْسَمَ بِالَّذِي تَعْمَلُونَ^(٣) لَهُ الْوَجْوهَ ، وَتَخْشَعُ دُونَهُ الْأَبْصَارَ ، لَوْلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ حَتَّى تَغْيِيرَ الْمَنْكَرَ ، وَقَتَالَ الْقَاسِطِينَ^(٤) مُسَاعِدًا ، لِقَاتَلْتَهُمْ وَحْدِي فَرَدًّا حَتَّى أَلْقَى اللَّهُ رَبِّي ، فِيرَى أَنَّى قَدْ غَيَّرْتَ (إِرَادَةَ رِضْوَانِهِ) بِلِسَانِي ، يَا إِخْوَانِنَا ، اضْرِبُوا جِبَاهَهُمْ وَوُجُوهُهُمْ بِالسَّيْفِ ، حَتَّى يُطَاعَ الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنْ

(١) جزعا وخوفا . (٢) قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة : « ثم اجتمعوا في منزل زفر بن حصين الطائي ، فقالوا : إن الله أخذ عهودنا ومواثيقنا . . . إل آخر الخطبة ، ولم يذكر قائلها . وذكر الطبري في تاريخه : أنهم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي ، وذكر الفقرات الأخيرة من هذه الخطبة وعزاها إلى شريح » . (٣) تذلل وتخضع . (٤) الجائرين .

يُطْعِمُ اللهَ كَمَا أَرَدْتُمْ أَثَابَكُمْ ثَوَابَ الْمُطِيعِينَ لَهُ الْأَمْرَيْنِ بِأَمْرِهِ ، وَإِنْ قُتِلْتُمْ فَأَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ
مِنَ الْمَسِيرِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ ؟ وَاعْلَمُوا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ خَرَجُوا لِإِقْصَاءِ حُكْمِ الضَّلَالَةِ ،
فَاخْرَجُوا بَنِي إِلَى بَلَدٍ نَقَّيْدٍ فِيهِ الْاجْتِمَاعُ مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ، فَإِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَةِ رَبِّكُمْ وَأَنْتُمْ
أَهْلُ الْحَقِّ بَيْنَ الْخَلْقِ ، إِذْ قُلْتُمْ بِالْحَقِّ ، وَصَدَقْتُمْ لِقَوْلِ الصِّدْقِ ، فَاخْرَجُوا بَنِي إِلَى
« الْمَدَائِنِ ^(١) » نَسَكْنُهَا فَنَأْخُذُ بِأَبْوَابِهَا ، وَنُخْرِجُ مِنْهَا سَكَانَهَا ، وَنَبْعَثُ إِلَى إِخْوَانِنَا مِنْ
أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَيَقْدَمُونَ عَلَيْنَا .

٣١١ - مقال زيد بن حصين الطائي

فقال زيد بن حصين الطائي :

« إِنَّكُمْ إِنْ خَرَجْتُمْ مَجْتَمِعِينَ أَتَبِعْتُمْ ، وَلَكِنْ اخْرَجُوا وَحِدَانًا مُسْتَخْفِينَ ، فَأَمَّا
الْمَدَائِنُ ، فَإِنْ بِهَا قَوْمًا يَمْنَعُونَكُمْ مِنْهَا ، وَيَمْنَعُونَهَا مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ اكْتُبُوا إِلَى إِخْوَانِكُمْ مِنْ
أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَأَعْلِمُوهُمْ بِخُرُوجِكُمْ ، وَسِيرُوا حَتَّى تَنْزِلُوا جِسْرَ النَّهْرَوَانِ ^(٢) » .

قالوا : هذا هو الرأي ، فَاجْتَمِعُوا عَلَى ذَلِكَ ، وَكُتِبُوا بِهِ إِلَيْهِمْ .

(تاريخ الطبري ٥ : ٤٢ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٤)

(٢) النهروان : بليدة بالقرب من بغداد ، نحو أربعة فراسخ .

(١) على نهر دجلة شرقا .

٣١٢ - خطبة عليّ في تخويف أهل النهر وان

فلما نزلوا بالنهر وان ، وأتوا بها ما أتوا من الأحداث^(١) ، أتاهم الإمام عليّ كرم الله وجهه ، فوقف عليهم فقال :

« أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء واللجاجة ، وصدها عن الحق الموصى ، وطمخ بها النزق^(٢) وأصبحت في اللبس والخطب العظيم ، إني نذير لكم أن تُضبحوا تُلقمكم الأمة غدا صرعى بأثاء^(٣) هذا النهر ، وبأهضام^(٤) هذا الغائط^(٥) ، على غير بينة من ربكم ، ولا سلطان مبين معكم ، وقد طوّحت بكم الدار ، واحتبلكم^(٦) المقدار .

ألم تعلموا أني نهيتكم عن الحكومة ، وأخبرتكم أن طلب القوم إياها منكم دهن^(٧) ومكيدة لكم ؟ ونبتأتكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وأنّي أعرفُ بهم منكم ؟

(١) من ذلك أنهم لقوا عبد الله بن خباب بن الارت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه امرأته وهي جبل تم (أى دنا ولادها) فقالوا : ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى عليهما خيرا ، قالوا : ماتقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها ؟ قال : إنه كان محقا في أولها وفي آخرها ، قالوا : فأتقول في علي قبل التحكيم وبعده ؟ قال : إنه أعلم بالله منكم وأشد توفيا على دينه وأنفذ بصيرة ، فقالوا : إنك تتبع الهوى ، وتوالى الرجال على أسمائها لاعل أفعالها ، ثم قربوه إلى شاطئ النهر فذبحوه ، وسال دمه في الماء ، وبقروا بطن امرأته ، وقتلوا ثلاث نسوة من طيئه ، وقتلوا أم سنان الصيداوية ، وأصابوا مسلما ونصرانيا ، فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني خيرا ، وقالوا : احفظوا ذمة نبيكم ، وأرسل إليهم على رسولا ينظر فيما بلغه عنهم فقتلوه ، فبعث إليهم أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى أتى أهل الشام ، فلعل الله يقلب قلوبكم ويردكم إلى خير ما أنتم عليه من أمركم ، فبعثوا إليه ، فقالوا كلنا قتلهم ، وكلنا نستحل دماءهم ودماهم . (٢) الطيش . (٣) جمع ثني بالكسر : أى منعطفاته . (٤) جمع هضم (بالفتح ويكسر) وهو المطمئن من الأرض . (٥) الغائط : المطمئن الواسع من الأرض . (٦) أوقعكم في الحبالاة . (٧) دهن الرجل : إذا نافق .

(عرقهم أطفالا ورجالا ، فهم أهل المكر والغدر) وأنكم إن فارقتم رأيي جانبتم الحزم ؟ فعضيتموني وأكرهتموني حتى حكمت ، فلما أن فعلت شرطت واستوفقت ، فأخذت على الحكمين أن يحيا ما أحيا القرآن ، وأن يميتا ما أمات القرآن ، فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة ، وعملاً بالهوى ، فنَبَذْنَا أمرهما ، ونحن على أمرنا الأول ، فما الذى بكم ، ومن أين أتيتم ؟ » .

قالوا : إنا حكمنا ، فلما حكمنا أثمنا ، وكنا بذلك كافرين ، وقد تبنا ، فإن ثبت كما تبنا ، فنحن منك ومعك ، وإن أبيت فاعتزلنا ، فإننا منابذك على سواء ^(١) إن الله لا يحب الخائنين .

فقال على : « أصابكم حاصب ^(٢) ، ولا بقى منكم وابر ^(٣) ، أبعد إيماني برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهجرتي معه ، وجهادى فى سبيل الله ، أشهد على نفسى بالكفر ؟ لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين ، فأوبؤا شر ما ب ^(٤) ، وارجموا على أثر الأعقاب ^(٥) أما إنكم ستلقون بهدى ذلاً شاملاً ، وسيفاً قاطعاً ، وأثرة ^(٦) يتخذها الظالمون فيكم سنة » .

(١) هو من قوله تعالى (وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ

اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) ومعناه إذا هادنت قوما فعلمت منهم النقض للعهد ، فلا توقع بهم سابقا إلى النقض حتى تعلمهم أنك نقضت العهد ، فتكونوا فى علم النقض مستوين لئلا يتهموك بالغدر ، ثم أوقع بهم . (٢) الحاصب : الريح الشديدة تثير الحصباء (الخصى) ، وحصبه : رماه بالحصباء . (٣) أى أحد . وروى آبر ، وهو الذى يأبر النخل أى يصلحه . وروى أثر ، وهو الذى يأثر الحديث أى يرويه ويحكيه . وروى أبز ، وهو الوائب . (٤) أى ارجموا شر مرجع .

(٥) الأعقاب جمع عقب (بكسر القاف) : وهو مؤخر القدم ، وهو مأخوذ من قوله تعالى : « وَنُرِدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ » يدعو عليهم بانمكاس حالهم وارتدادهم وعودهم من المز إلى الذل . (٦) أى استبدادا عليكم بالنوى والغنائم .

٣١٣ - صورة أخرى

وفي رواية أخرى أن علياً قال لأهل النهر :

« يا هؤلاء : إن أنفسكم قد سَوَّلت لكم فراق هذه الحكومة ، التي أنتم ابتدأتموها وسألتُموها ^(١) وأنا لها كاره ، وأنبأتكم أن القوم سألوكموها مكيدة ودَهْنًا ، فأبينم على إباء المخالفين المناذيين ، وعدلتم على عدول النكداء ^(٢) العاصين ، حتى صرفت رأيي إلى رأيكم ، وأنتم والله معاشرُ أخفاء المهام ^(٣) ، سُفَهَاء الأحلام ، فلم آتِ (لا أبا لكم) بِجُرْأٍ ^(٤) ، ولا أردت بكم ضُرًّا ، والله ما خَبَلْتكم ^(٥) عن أموركم ، ولا أخفيت شيئًا من هذا الأمر عنكم ؛ ولا أوطأتكم عُشْوَةً ^(٦) ، ولا دنيت ^(٧) لكم الضَّرَّاء ، وإن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهرًا ، فأجمع رأيي مَلَيْتكم على أن اختاروا رجلين ، فأخذنا عليهما أن يحكما بما في القرآن ولا يَغْدُوا ، فتأهَّا ^(٨) وتركنا الحق وهما يُبْصِرانه ، وكان الجور هوأهما (وقد سبق استيتاقنا عليهما في الحكم بالعدل) والصدُّ للحق بسوء رأيهما وجورِ حكمهما ، والثقة في أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيل الحق ، وأتيا بما لا يُعرَف ، فبينوا لنا بماذا تستحلون قتالنا ، والخروج من جماعتنا ؟ أن اختار الناس رجلين ^(٩) أحلَّ لكم أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم ، ثم تستعرضوا الناس تضربون رقابهم ، وتسفكون

(١) المراد : سألتهم أن أجيب إليها . (٢) رجل نكد (يكر الكاف وفتحها وسكونها)

وأنكد أى عسر ، وقوم أنكاد ومناكيد ، ولم أر في كتب اللغة جمعه على نكداء . (٣) أخفاء : جمع

خفيف ، والهام : الرءوس ، وهو كناية عن قلة العقل . (٤) البجر ، بالضم والفتح : الشر والأمر

العظيم ، ويروى حراما . (٥) منمتكم وحبستكم . (٦) العشوة مثلة : ركوب الأمر على غير

بيان ، وبالفتح الظلمة ، ويقال : أوطأته عشوة ، أى غررته وحملته على أن يركب أمرا غير مستبين الرشد ،

فربما كان فيه عطبه . (٧) دناء وأدناه : قربه . (٨) ضلا . (٩) همزة الاستفهام

مقدرة قبل أن : أى هل اختيار الناس رجلين أحل لكم ذلك ؟

دماءهم ؟ إن هذا هو الخسران المبين ، والله لو قتلتم على هذا دجاجة لَعَظُمَ عند الله قتلها ، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام ؟ » .

فتنادوا لا تخاطبهم ولا تكلموهم ، وَهَيَّئُوا لِقَاءَ الرَّبِّ ، الرَّوَاحَ الرَّوَاحَ إِلَى الْجَنَّةِ ، فزحف عليهم على فأنفاهم ، وقتل ابن وهب في المعركة ، ولم يُفْلِتْ منهم إلا عشرة (وكان ذلك سنة ٣٧ ، وقيل سنة ٣٨ هـ) .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٤٧ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٩ ونهج البلاغة ١ : ٤٤ - ٥٤)

٣١٤ - خطبة المستورد بن عُلْفَةَ

واجتمع بعد وقعة النهروان بالثخيلة جماعة من الخوارج ، ممن فارق عبد الله ابن وهب ، ومن لجأ إلى راية أبي أيوب^(١) ، ومن كان أقام بالكوفة فقال : لا أقاتل علياً ولا أقاتل معه ، فتواصوا فيما بينهم وتعاقدوا وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم ، فقام منهم قائم يقال له المستورد بن عُلْفَةَ من بنى سعد بن زيد مَنَافَ ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ثم قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا بالعدل تحقّق راياته ، مُعَلِّناً مَقَالَتَهُ ، مُبَلِّغاً عن ربه ، ناصحاً لأُمتِهِ ، حتى قبضه الله مُحَيَّراً مُخْتَاراً ، ثم قام الصديق فَصَدَّقَ عن نبيه ، وقاتل من ارتدّ عن دين ربه ، وذكر أن الله عز وجل قرّن الصلاة بالزكاة ، فرأى أن تعطيل إحداها طعنٌ على الأخرى ، لا بل على جميع منازل الدين ، ثم

(١) وذلك أن الإمام قبل أن يزحف عليهم في وقعة النهروان نصب لهم راية أمان مع أبي أيوب الأنصاري ، فناداهم أبو أيوب : « من جاء هذه الراية منكم لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن . ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن ، وخرج من هذه الجماعة فهو آمن ، إنه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم في سفك دمائكم » .

قبضه الله إليه موفوراً ، ثم قام الفاروق ففرق بين الحق والباطل ، مُسوِّياً بين الناس في إعطائه ، لا مؤثراً لأقاربه ، ولا مُحَكِّماً في دين ربه ، وهأنتم تعلمون ما حدث ، والله يقول : « وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْفَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيماً » فكلُّ أجاب وبائع^(١) .
(السكامل للمبرد ٢ : ١٥٤)

(١) وقد وجه إليهم الإمام علي ، عبد الله بن عباس داعياً فأبوا ، فسار إليهم فطحنهم جميعاً لم يفلت منهم إلا خمسة منهم المستورد .

خور أصحاب الإمام

وتقاعسهم عن نصرته

٣١٥ - خطبة عبد الله بن عباس في أهل البصرة

ورأى الإمام على كرم الله وجهه بعد فشل التحكيم أن يمضى لمناجزة معاوية وأهل الشام ، فكتب إلى عبد الله بن عباس - وكان على البصرة - أن يُشخص^(١) إليه مَنْ قبله من الناس . فأمرهم ابن عباس بالشخص مع الأحنف بن قيس ، فَشَخَّصَ معه ألف وخمسمائة رجل ، فاستقلهم ابن عباس ، فقام خطيباً ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أهل البصرة : قد جاءني كتاب أمير المؤمنين يأمرني بإشخاصكم ، فأمرتكم بالمسير إليه مع الأحنف بن قيس ، فلم يُشَخَّصْ إليهم منكم إلا ألف وخمسمائة ، وأنتم في الديوان^(٢)

(١) شخص كنع شخصاً : خرج من موضع إلى غيره ، وأشخصته أنا .

(٢) الديوان : الكتاب الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء ، وهو فارسي معرب . قال القلقشندي في صبح الأعشى ١ : ٩٠ « وقد حكى الماوردي في الأحكام السلطانية في سبب تسميته بذلك وجهين : أحدهما أن كسرى ذات يوم اطلع على كتاب ديوانه في مكان لهم ، وهم يحسبون مع أنفسهم فقال « ديوانه » أي مجازين فسمى موضعهم بهذا الاسم ولزمه من حينئذ ، ثم حذفت الهاء من آخره لكثرة الاستعمال تخفيفاً . فقيل ديوان ، والثاني : أن الديوان بالفارسية اسم للشياطين ، وسمى الكتاب بذلك لحذقهم بالأمور ، ووقوفهم على الجلى منها والخفى » اهـ ، ومنه ترى أن الديوان كان يطلق في الفارسية على موضع الكتاب الحاسبين وعلى جماعة الكتاب ، وقد أطلق في العربية على جريدة الحساب ، ثم أطلق على الحساب ، ثم على موضع الحساب ، =

ستون ألفاً ، سوى أبنائكم وعِبْدانكم^(١) ومواليكم ، ألا فانفروا^(٢) ، ولا يَجْعَلِ امرؤ على نفسه سبيلاً ، فإنني مَوْقِعٌ بِكُلِّ من وجدته تخلف عن دعوته ، عاصياً لإمامه ، حَزُنًا يُعْقِبُ ندماً ، وقد أمرت أبا الأسود بِحَشْدِكُمْ ، فلا يَلْمِ امرؤ جعل السبيل على نفسه إلا نفسه » .

(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٦ ، تاريخ الطبري ٦ : ٤٤)

٣١٦ - خطبة الإمام وقد أراد الانصراف من النهر وان

ولما أراد الإمام الانصراف من النهر وان ، قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
« أما بعد ، فإن الله قد أحسن بلاءكم وأعزَّ نصركم ، فتوجهوا من فوركم هذا إلى معاوية وأشياعه القاطنين ، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، « واشتروا به ثمناً قليلاً » ف « يئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .

٣١٧ - مقال الأشعث بن قيس

فقال الأشعث بن قيس فقال :

« يا أمير المؤمنين : نَفِدَتْ نِبالُنا ، وكَلَّتْ سيوفُنا ، وَنَصَلَتْ^(٣) أَسِنَّةُ رماحنا وعادَ

= ثم على طائفة الكتاب ، وكان ذلك عهد في عصر الدولة العباسية ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من دون الدواوين في العرب سنة ٢٣ أي رتب الجرائد للعمال ورجال الجيش فيها أسماءهم ومراتبهم في النسب وأرزاقهم (انظر تاريخ الطبري ٥ : ٢٣) . (١) جمع عبد . (٢) نفر إلى الشيء : أسرع إليه . (٣) سقطت .

أكثرها قصدا^(١) فارجع بنا إلى مصرنا ، فلنستمد بأحسن عدتنا ، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عددنا مثل من هلك منا ، فإنه أقوى لنا على عدونا .

فأقبل على الناس حتى نزل بالنخيلة^(٢) ، ثم دخل الكوفة .

(الامامة والسياسة ١ : ١١٠ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥١ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٧٩) .

٣١٨ - خطبة الإمام بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج

يستنفر الناس لقتال معاوية

وخطب الناس بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج فقال :

« أيها الناس استعدوا لقتال عدِّي ، في جهادهم القربة إلى الله عز وجل ، ودرك الوسيلة عنده ، قوم خيارى عن الحق لا يبصرونه ، مؤزعين^(٣) بالجور والظلم لا يعدلون به ، جفاة عن الكتاب ، نكب^(٤) عن الدين ، يعمهون^(٥) في الطغيان ويتسكعون^(٦) في غمرة الضلال ، ف « أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط^(٧) الخيل - وتوكلوا على الله ، وكنى بالله وكيلاه .

(١) رمح قصد ، وقصيد ، وأقصاد : أى متكسر . (٢) وعسكر بها حين نزها ، وأمر

الناس أن يلزموا معه مسكرهم ، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يقللوا من زيارة أبنائهم ونسائهم حتى يسيروا إلى عدوهم من أهل الشام . فجعلوا يتسللون ويدخلون الكوفة ، حتى تركوه وما معه إلا نفر من وجوه الناس ينسبر ، وبقى المعسكر خاليا ، فلا من دخل الكوفة خرج إليه ، ولا من أقام معه صبر ، فلما رأى ذلك دخل الكوفة . (٣) أوزعه بالشئ : أغراه فأوزع به بالضم . (٤) من نكب

عن الطريق : أى عدل ومال . (٥) من العمه (محركة) : وهو التحير والتردد في الضلال .

(٦) تسكع : مشى مشيا متعصفا ، وتحير . (٧) اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله ، فعال بمعنى

مفعول أو مصدر سمي به كالمرباطة أو جمع رباط فيمل بمعنى مفعول .

فَا نَفَرُوا وَلَا تَيْسَّرُوا ، فتركهم أياماً حتى إذا أيس من أن يفعلوا دعا رؤساءهم ووجوههم ، فسألهم عن رأيهم ، وما الذي يُنظرون^(١) ، فمنهم المعتل ، ومنهم المتكره ، وأقلهم من نشط ، فقام فيهم خطيباً فقال :

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٧٩ ، والامامة والسياسة ١ : ١١٠ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥١)

٣١٩ - خطبة له أيضاً في استنفارهم لقتال معاوية

« عبادَ الله : مالكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله اثأقلتم^(٢) إلى الأرض ! أرَضِيتُم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلاً ، وبالذل والهوان من العز خلفاً ؟ أو كلما نذبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم ، كأنكم من الموت في سكرة ، وكأن قلوبكم مألوسة^(٣) فأنتم لاتعقلون ، وكأن أبصاركم كُمه^(٤) فأنتم لا تبصرون ؛ لله أنتم ! ما أنتم إلا أسودُ الشرى^(٥) في الدعة^(٦) ، وثعالبُ رواغة حين تُدعون إلى البأس ! ما أنتم لي بثقة سَجِيسَ الليالي^(٧) ، ما أنتم بركب يُصَال بكم ، ولا ذى عز يُعْتَصَم إليه ، لعمرُ الله لبئس حُشاش^(٨) الحرب أنتم ، لأنكم تُسكادون ولا تُكِيدُونَ ، وتُنْتَقِصُ أطرافكم ولا تتحاشون^(٩) ، ولا يُنَامُ عنكم وأنتم في غفلة ساهون ، إن أخوا الحرب اليقظان ذو العقل ، وبات لذلٍ مَنْ وَاَدَعَ ، وغلب المتخاذلون ، والمتغلوب مقهور ومسلوب ، ثم قال :

(١) يؤخروهم . (٢) ثأقلتم . (٣) من الألس : كشمس ، وهو الجنون واختلاط العقل ،

ألس (كفى) فهو مألوس . (٤) كه : جمع أكه من كه بصره (كفرج) اعترته ظلمة تطمس عليه .

(٥) الشرى : موضع تنسب إليه الأسد ، قيل هو شرى الفرات وناحيته وبه غياض وآجام ومأسدة .

(٦) أى في وقت الدعة والخفض . (٧) يقال : لا آتيك سَجِيسَ الليالي : أى أبداً .

(٨) جمع حاش اسم فاعل ، من حش النار : أى أوقدها . (٩) أى ولا تباعدون عن ذلك وتتلافونه

بالدفاع عنها ، من حاشية الشيء وهى ناحيته كما تقول تنحى عنه : أى تباعد عنه من الناحية .

« أما بعد : فإن لى عليكم حقاً ، وإن لكم على حقاً ، فأما حقكم على فالنصيحة لكم ما صحتكم ، وتوفير فيشكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا ، وأما حقى عليكم ، فالوفاء بالبيعة والنصح لى فى الغيب والشهد ، والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم ، فإن يرد الله بكم خيراً تنزعوا عما أكره ، وترجموا إلى ما أحب ، تنالوا ما تطلبون ، وتدرکوا ما تأملون »

(تاريخ الطبرى ٦ : ٥١ ، الإمامة والسياسة ١ : ١١٠)

وروى الشريف الرضى هذه الخطبة فى نهج البلاغة بصورة أخرى وهى :

٣٢٠ — صورة أخرى

« أف لكم ، لقد سئمت عتابكم ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً ، وبالذل من العز خلفاً ؟ إذا دعوتكم إلى جهادِ عدوكم دارت أعينكم ، كأنكم من الموت فى غمرة^(١) ، ومن الدهول فى سكرة^(٢) ، يرتج^(٣) عليكم حوارى فتعمهون ! فكأن قلوبكم مألوسة فأنتم لاتعقلون ! ما أنتم لى بثقة سجنس اليالى ، وما أنتم بركن يمال بكم^(٤) ، ولا زوافير^(٥) عز يفتقر إليكم ، ما أنتم إلا كإبل ضل رعاتها ، فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر ، لبس لعمر الله سحر^(٦) نار الحرب أنتم ، تكادون ولا تسكيدون ، وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون^(٧) ، لا ينام عنكم وأنتم فى غفلة ساهون ، غلب والله المتخاذلون ، وإيم الله إنى لأظن بكم أن لو حيس^(٨) الوغى ،

(١) الغمرة : الشدة . (٢) يغلق ، والحوار : المحاورة . (٣) أى يستند إليكم ويمال على

العدو بقوتكم . (٤) جمع زافرة ، والزافرة من البناء : ركنه ، ومن الرجل : عشيرته .

(٥) من سحر النار والحرب : كنع أوقدها مصدر بمعنى اسم الفاعل ، أو هو جمع ساعر ، كقوله : قوم

كظم للغيط جمع كاظم . (٦) أى فلا تغضبون . (٧) اشتد ، وكذا استحر ، وأصل الوغى :

الصوت والجلبة ، ثم سميت الحرب وغى لما فيها من الأصوات والجلبة .

وَأَسْتَحَرَّ الْمَوْتَ ، قَدْ انْفَرَجَتْ عَنْ ابْنِ أَبِي ظَالِبٍ ، انْفِرَاجَ الرَّأْسِ ^(١) ، وَاللَّهُ إِنْ أَمَرَ
يُمْكِنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْزُقُ ^(٢) لَحْمُهُ ، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ ، وَيَقْرِى ^(٣) جِلْدَهُ ، لِعَظِيمِ
عَجْزِهِ ، ضَعِيفُ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ ، أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ ^(٤) فَأَمَّا أَنَا :
فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالشَّرْفِيَّةِ ^(٥) تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشٌ ^(٦) الْهَامِ ، وَتَطْلِيحُ
السَّوَادُ وَالْأَفْدَامُ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ لِيَ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَىَّ حَقٌّ ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ
وَتَوْفِيرُ قِيَمَتِكُمْ عَلَيْكُمْ ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا ، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا ، وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ
بِالْبَيْعَةِ ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ ، وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمْرُكُمْ .
(نهج البلاغة ١ : ٤٢)

وزاد ابن قتيبة في الإمامة والسياسة :

« وَاللَّهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، مَا أَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ إِلَّا ظَاهِرِينَ ^(٧) عَلَيْكُمْ ،
فَقَالُوا : أَيْعَلِمُ تَقُولُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ » فَقَالَ :

« نَعَمْ وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، إِنْ لِيَ أَرَى أُمُورَهُمْ قَدْ عَلَتْ ، وَأَرَى أُمُورَكُمْ
قَدْ خَبَتْ ^(٨) ، وَأَرَاهُمْ جَادِّينَ فِي بَاطِلِهِمْ ، وَأَرَاكُمْ وَانِينَ ^(٩) فِي حَقِّكُمْ ، وَأَرَاهُمْ مُجْتَمِعِينَ ،
وَأَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ ، وَأَرَاهُمْ لِصَاحِبِهِمْ مَعَاوِيَةَ مُطِيعِينَ ، وَأَرَاكُمْ لِي عَاصِينَ ، أَمَّا وَاللَّهِ لَنْ
ظَهَرُوا عَلَيْكُمْ بَعْدِي ، لَتَجِدُنَّهُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ ، كَأَنَّهُمْ وَاللَّهِ عَنْ قَرِيبٍ قَدْ شَارَكُوكُمْ

(١) أى انفراجا لا التثام بعده . (٢) مرق العظم عرقا . أكل ماعليه من اللحم ، كتمزقه .

(٣) يمزق . (٤) الخطاب عام لكل من أمكن عدوه من نفسه . (٥) السيوف ، نسبة إلى

مشارف الشام ، وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف . (٦) عظامها الرقيقة .

(٧) متصيرين . (٨) من خبت النار ، أى سكنت وانطفأت . (٩) من وفى : إذا فتر

في بلادكم ، وحملوا إلى بلادهم منكم ، وكأني أنظر إليكم تَكِشُونَ^(١) كَشِيشَ الضَّبَابِ ، لا تأخذون لله حقاً ، ولا تمنعون له حرمة ، وكأني أنظر إليهم يقتلون صلحاءكم ، ويُحْيِفُونَ علماءكم ، وكأني أنظر إليكم يَحْرِمُونَكم ويَحْجُبُونَكم ، ويُدْنُونَ الناس دونكم ، فلو قد رأيتم الحرمان ، ولقيتم الذل والهوان ، ووقع السيفُ ، ونزل الخوفُ ، لنَدِمْتُمْ وتحسرتُمْ على تفریطكم في جهاد عدوكم ، وتذكّرْتُمْ ما أنتم فيه من الخفض والعافية ، حين لا ينفعكم التذكارُ .

٣٢١ - خطبة أبي أيوب الأنصاري

ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال :

« إن أمير المؤمنين - أكرمه الله - قد أسمع من كانت له أذن واعية ، وقلب حفيظ إن الله قد أكرمكم به كرامةً ما قبلتموها حقَّ قبولها ، حيث نزل بين أظهركم ابنُ عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخير المسلمين وأفضلهم وسيدهم بعده ، يُفَقِّهْكم في الدين ويدعوكم إلى جهاد المُحِلِّين ، فوالله لكانكم صُمٌّ لا تسمعون ، وقلوبُكم غُلْفٌ^(٢) مطبوعٌ عليها ، فلا تستجيبون . عبادَ الله أليس إنما عهدُكم بالجور والعدوان أمسٍ ، وقد شمل العباد وشاع في الإسلام ، فذو حقٍّ تحرومُ مشتومَّ عِرْضُهُ ، ومضروب ظهرُهُ ، وملطوم وجهه ، وموطوء بطنه ، ومُلْتَقَى بالعرَاءِ^(٣) ، فلما جاءكم أمير المؤمنين صدعَ بالحق ، ونشرَ العدل ، وعمل بالكتاب ، فاشكروا نعمة الله عليكم ، ولا تقولوا مُجْرِمِينَ ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ، اشحذوا السيوف ، وجددوا آلة الحرب ، واستعدوا للجهاد ، فإذا دُعِيتُمْ فأجيبوا ، وإذا أُمِرْتُمْ فاطيعوا ، تكونوا بذلك من الصادقين . »

(الإمامة والسياسة ١ : ١١٢)

(١) كش الضب كشيشا : صوت . (٢) جمع أغلف ، وقلب أغلف كأنما غشى غلافا فهو

لا يعى . (٣) العراء : الفضاء لا يستتر فيه شيء .

٣٢٢ - خطبة الامام وقد أغار النعمان بن بشير على عين التمر

وفي سنة ٣٩ هـ فرق معاوية جيوشه في أطراف على ، فبعث النعمان بن بشير الأنصاري في ألفين ، فأتوا عين التمر^(١) فأغاروا عليها ، وبها عامل لعلى في ثلثمائة ، فكتب إلى على يستمده ، فأمر الناس أن ينهضوا إليه فتشاقلوا ، فصعد المنبر فتشهد ثم قال :

« يا أهل الكوفة : كلما سَمِعْتُمْ بِمَنْسِرٍ^(٢) من مناسر أهل الشام أظَلَّكُمْ ، انْجَحَرُوا^(٣) كل امرئٍ مِنْكُمْ في بيته ، وأغلق بابَه ، انْجَحَرَ الضَّبُّ في جُحْرِهِ ، والضَّبُعُ في وِجَارِهَا^(٤) ، المُرُور من غَرَرْتُمُوهُ ، وَلَمْ نَ فاز بكم فاز بالسهم الأَخِيب ، لا أحرارٌ عند النداء ، ولا إخوانٌ ثَقَّةٌ عند النِّجَاءِ^(٥) ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! ماذا مُنِيت به منكم ؟ عُيٌّ لا تبصرون ، وَبُكْمٌ لا تنطقون ، وَصُمٌّ لا تستمعون ! إنا لله وإنا إليه راجعون ! » .
(تاريخ الطبري ٦ : ٧٧)

وروى الشريف الرضي في نهج البلاغة هذه الخطبة بصورة أخرى وهي :

٣٢٣ - صورة أخرى

مُنِيت^(٦) بمن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يجيب إذا دعوت ! لا أَبَالَكُمْ ، ما تنتظرون بنصركم رَبِّكُمْ ؟ أَمَا دِينَ يُجْمَعُكُمْ ، ولا نَحْيَةَ تُحْمَشِكُمْ^(٧) ؟ أقوم فيكم مُسْتَضْرِحًا ، وأناديكم مُتَعَوِّثًا^(٨) ، فلا تسمعون لي قولاً ، ولا تُطِيعون لي أمراً ، حتى تَكْشَفَ الأمور

(١) بلد على الفرات شمال الكوفة . (٢) المنسر : قطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير .

(٣) من انْجَحَرَ الضَّب : أى دخل جحره . (٤) الوجار بالكسر والفتح : جحر الضبع وغيرها .

(٥) النجاء : المُرعة في السير ، نجوت مجاء أى أمرت وسبقت ، وقالوا : النجاء النجاء ، والنجا النجا

فدوا وقصروا . (٦) بليت . (٧) تفضيكم . (٨) قاتلا واغوثا .

عن عواقب المساء ؟ فما يُدركُ بكم نأر ، ولا يُبلغُ بكم مَرَام ؟ دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ ، فَجَرَّجَرْتُمْ ^(١) جَرَّجَرَةَ الْجَلِّ الْأَسْرِّ ^(٢) وَتَنَاقَلْتُمْ تَنَاقُلَ النَّضْوِ ^(٣) الْأَذْبَرِ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ^(٤) ضَعِيفٌ ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ .
(نهج البلاغة ١ : ٤٦)

٣٢٤ — خطبة الامام وقد أغار الضحّاك بن قيس على الحيرة ^(٥)

وجه معاوية الضحّاك بن قيس فأغار على الحيرة وغنم أموال أهلها ، وبلغ ذلك عليّاً فاستصرخ الناس ، فتقاعدوا عنه ، فقام فيهم خطيباً فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ الْجَمْعَةُ أَبْدَانُهُمْ ، الْمُخْتَلَفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ ، كَلَامُكُمْ يُوهِي الصَّمَّ ^(٦) الصَّلَابَ ، وَفَعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمْ الْأَعْدَاءَ ، تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ كَيْتَ وَكَيْتَ ^(٧) ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قَلِمَ حَيْدِي حَيَادٍ ^(٨) ، مَا عَزَّتْ دَعْوَةٌ مِنْ دَعَاكُمْ ، وَلَا اسْتَرَحَ قَلْبٌ مِنْ قَاسَاكُمْ ، أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلٍ ^(٩) ، دَفَاعَ ذِي الدِّينِ الْمَطُولِ ^(١٠) ، هِيَهَاتَ لَا يَمْنَعُ الضَّمِيمَ الدَّلِيلُ ، وَلَا يُدْرِكُ

-
- (١) الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرتة ، وأكثر ما يكون ذلك عند الإعياء والتعب .
(٢) المصاب بداء السرر (بالتحريك) ، وهو وجع في الكركرة (رضى زور البعير) .
(٣) النضو : البعير المهزول ، والأدبر : المدبور أى المجروح . (٤) جنيد : تصغير جند ، ومتذائب : أى مضطرب من قولهم : تذاابت الرياح ، أى اضطرب هبوبها ، ومنه سمي الذئب ذئباً لاضطراب مشيته . (٥) شمال الكوفة . (٦) يوهى : يشق ويخرق ، والصم : جمع أصم ، وهو الحجر الصلب المصمت . (٧) بفتح آخرهما ويكسر : أى كذا وكذا . (٨) حيدى حياذ : كلمة يقولها الحارب الفار ، من حاد حيدانا بمعنى مال وانحرف ، أى ابتعدى وتنجى عن أيتها الحرب ، وهى نظيرة قولهم (فيبى فباح) أى اتسبى . (٩) الأضاليل : جمع أضلولة بالضم ، وهى الضلال ، وفى كتب اللغة : العلالة « بالضم » والتعلة (كتحية) ، والعلة (بالفتح) ما يتمل به « ولم أجد فيها كلمة أعاليل ولا مفردتها ولا بد أن تكون جمع أعلولة بالضم : كأضاليل وأحاجيب والأعيب . . . الخ . والمعنى إن أقوالكم هذه تعمل بأباطيل لاجدوى لها . (١٠) مبالغة فى مامل .

الحقُّ إلا بِالْجِدِّ ، أَيْ دار بعد داركم تمنعون ؟ ومع أى إمام بعدى تقاتلون ؟ المفرور والله مَنْ غَرَّرْتُمُوهُ ، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الأَخْيَب ، ومن رَمَى بكم فقد رمى بأفوقِ ناصِلٍ^(١) ، أَصَبْتُ والله لا أَصْدُقُ قَوْلَكُمْ ، ولا أَطْعِمُ فى نَصْرِكُمْ ، ولا أُوعِدُ العَدُوَّ بكم ، مَا بِالْكُمْ ؟ مَا دَوَّوْكُمْ ؟ مَا طَبَّكُمْ ؟ الْقَوْمُ رَجَالُ أَمْثَالِكُمْ ! أَقُولُ لَا بَغِيرَ عِلْمٍ ، وَغَفْلَةٍ مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ ، وَطَمَعًا فى غَيْرِ حَقِّ ! » .

وزاد ابن قُتَيْبَةَ فى الإمامة والسياسة :

« فَرَّقَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَأَعَقَبَنِي بِكُمْ مِنْ خَيْرٍ لِي مِنْكُمْ ، وَأَعَقَبَكُمْ بِعَدِي مَنْ شَرَّ لَكُمْ مِنِّي ؛ أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بعدى ذُلًّا شاملاً ، وَسِيفًا قَاتِلًا ، وَأَثَرَةً يَتَخَذُهَا الظَّالِمُونَ بعدى فِيكُمْ سُنَّةً ، تَفَرِّقُ جَمَاعَتَكُمْ ، وَتُبْسِكِي عِيُونََكُمْ ، وَتُدْخِلُ الْفَقْرَ بِيُوتَكُمْ ، تَتَمَبَّوْنَ والله عندها أَنْ لَوْ رَأَيْتُمُونِي وَنَصَرْتُمُونِي ، وَسَتَعْرِفُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ .

اسْتَفْتَرْتَكُمْ فَلَمْ تَنْفِرُوا ! وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا ! وَأَسْمَعْتَكُمْ فَلَمْ تَعْمُوا ، فَأَنْتُمْ شُهُودٌ كَأَغْيَابٍ ، وَصُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ ، أَتْلُو عَلَيْكُمْ الْحِكْمَةَ ، وَأَعْظَمُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ النَّافِعَةَ ، وَأَحْكَمُكُمْ عَلَى جِهَادِ الْمُحْلِلِينَ^(٢) ، الظَّالِمَةِ الْبَاغِينَ ، فَمَا آتَى عَلَى آخِرِ قَوْلِي ، حَتَّى أَرَأَيْتُمْ مَتَفَرِّقِينَ ، وَإِذَا تَرَكْتُمْ عِدْتُمْ إِلَى مَجَالِسِكُمْ حَلَقًا^(٣) عِزِينَ^(٤) ، تَضْرِبُونَ الْأَمْثَالَ ، وَتَنَاشِدُونَ الْأَشْعَارَ ، تَرَبَّتْ^(٥) أَيْدِيكُمْ ، وَقَدْ نَسِيتُمْ الْحَرْبَ وَاسْتَعْدَادَهَا ، وَأَصْبَحَتْ قُلُوبُكُمْ فَارِغَةً عَنْ ذِكْرِهَا ، وَشَغَلَتْكُمْهَا بِالْأَبَاطِيلِ وَالْأَضَالِيلِ » .

(نهج البلاغة ١ : ٣٩ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١١١ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢٦)

(١) سهم أفوق مكسور الفوق (يضم الفاء) والفوق : مدخل الور من السهم ، والناصرل : المارل عن النصل . (٢) أى الذين خرجوا على إمامهم واستحلوا قتاله . (٣) الحلقة : مجموعة من الناس . (٤) جمع عزة (بالكسر) : وهى الطائفة من الناس . (٥) دعاء عليهم : أى خسرتهم ولا أصبتم خيرا ، وأصله من ترب الرجل : أى افتقر كأنه لصق بالتراب .

٣٢٥ - خطبة الإمام

وقد أغار سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار

وجه معاوية سُفيان بن عَوْف الغامدي في جيش ، فأغاروا على الأنبار^(١) وقتلوا عامل علىّ عليها وهو حَسَّان بن حسان البكري ، واحتملوا ما كان في الأنبار من الأموال وأموال أهلها ، وانتهى الخبر إلى علىّ فخرج مُغَضِّباً حتى أتى النخيلة ، واتبعه الناس فرقَ رَبَاوَة^(٢) من الأرض ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أما بعد : فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصّة أوليائه ، وهو لباسُ التقوى ، ودِرْعُ الله الحصينة ، وجَنَّتُهُ^(٣) الوثيقة ، فمن تركه رغبةً عنه ، ألبسه الله ثوبَ الذل ، وشمله البلاء ، ودِيَتْ^(٤) بالصغار والقمأة^(٥) ، وضُرِبَ على قلبه بالإسهاب^(٦) ، وأدبِلَ^(٧) الحقُّ منه بتضييع الجهاد ، وسِمَ الخسف^(٨) ، ومُنِعَ النّصف^(٩) ، ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم اغزؤهم من قبل أن يغزؤكم ، فوالله ما غزى قوم قَطُّ في عُمرٍ^(١٠) دارهم إلا ذلّوا ، فنخاذلهم

(١) بلد على الفرات . (٢) الربوة والرباوة مثلثين : ما ارتفع من الأرض . (٣) وقايته .

(٤) ذل ، وأصله من داث الشيء من باب باع : لان وسهل ومنه الديوث ، وهو الرجل الذي لاغيرة له على أهله ،

والصغار : الذل . (٥) قأ : كجمع وكرم ، قاءة : ذل وصغر . (٦) هكذا في رواية ابن أبي الحديد ،

من أسهب بالضم : أي ذهب عقله ، وفي نهج البلاغة : (طبع الشام) بالأسداد . (٧) من أداله الله من عدوه :

أي نصره عليه ، والباء في قوله « بتضييع الجهاد » للسببية . (٨) أي أولى الذل والضم ، وفي رواية

المبرد « وسيمى الخسف » بالإضافة ، والسيمي : العلامة . قال المبرد : هكذا حدثونا وأظنه سيم الخسف :

من قول الله عز وجل « يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ » (٩) النصف بالكسر ويثقل ، والنصف

والنصفه محركين الإنصاف . (١٠) وسطها وأصلها .

وتوا كلمت وتُمل عليكم قولى ، واتخذتموه وراءكم ظهيرياً ، حتى شذت^(١) عليكم الغارات ، ومُلِكت عليكم الأوطانُ ، هذا أخو غامد^(٢) قد وردت خيله الأنبار ، وقتل حسان ابن حسان البكرى ، ورجالاً منهم كثيراً ونساء ، وأزال خيلكم عن مسالحها^(٣) .

والذى نفسى بيده ، لقد بلغنى أنه كَان يُدْخِل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهدة^(٤) ، فَيَمْنَزَعُ حِجْلَهَا^(٥) وَقُلُوبَهَا^(٦) ، وَقَلَانِدَهَا وَرُعْثَهَا^(٧) ، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع^(٨) والاسترحام ، ثم انصرفوا وأفرين^(٩) ، مانال رجلاً منهم كلم^(١٠) ، ولا أريق لهم دم ؛ فلو أن امرأ مسلماً مات من دون هذا أسفاً ، ما كَانَ عندى فيه ملوماً ، بل كَانَ به عندى جديراً .

يا عَجَباً كُلَّ الْعَجَبِ ! عَجَبٌ يُمِيت القلب ، وَيَشْغَلُ الفهم ، وَيُكْثِرُ الأحزان ! من تَضَافَرِ^(١١) هَؤُلَاءِ القوم على باطلهم ، وفَشَلَكُم عن حَقِّكم ، حتى أَصْبَحْتُمْ غَرَضاً^(١٢) تُرْمَوْنَ وَلَا تَرْمَوْنَ ، وَيُعَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُفَيِّرُونَ ، وَيُعْضَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فيكم وترضون ، إِذَا قُلْتُمْ لَكُمْ اغزَوْهم في الشتاء ، قُلْتُمْ هَذَا أَوْانُ قُرٍ^(١٣) وَصِرَ ، وَإِنْ قُلْتُمْ لَكُمْ اغزَوْهم

(١) شن الغارة عليهم : صلبها من كل وجه ، من شن الماء على رأسه إذا صبه .

(٢) يريد سفيان بن عوف الغامدى قائد الحملة على الأنبار . (٣) جمع مسلحة بالفتح : وهى الثغر .

(٤) المعاهدة : ذات العهد ، وهى النعمة . (٥) الحجل بالكسر والفتح : الخللخال ؛ وصمى القيد

حجلاً لأنه يكون مكان الخللخال . (٦) القلب : سوار المرأة . (٧) الرعثة بالفتح : للقرط ،

والجمع رعاث بالكسر ، وجمع الجمع رعث بضمين . (٨) قول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٩) أى تامين ، وفى رواية المبرد : « موفورين » أى لم ينل أحداً منهم بأن يرزأ فى بدن ولا مال .

(١٠) جرح . (١١) تعاون وتناصر . (١٢) وفى رواية نهج البلاغة : « فقبحا لكم وترحاً

حين صرتم غرضاً يرى » وزادت رواية الجاحظ بعد ذلك : « وفيثا ينهب » والترج : محرقة الهم ،

والغرض : الهدف . (١٣) القر مثلثة القاف : البرد ، والصر : شدة البرد . وفى النهج : « وإذا

أمرتكم بالسير إليهم فى الشتاء ، قلم هذه صبارة القر ، أمهلنا : ينسلخ عنا البرد » وصبارة الشتاء بتشديد

الراء : شدة برده .

في الصيف ، قلم هذه حماره^(١) القَيْظ ، أَنْظِرْنَا^(٢) يَنْصَرِمِ الحر عنا ، فإذا كنتم من الحر والبرد تفرّون ، فأنتم والله من السيف أفرّ ! يا أشباه الرجال ولا رجال ، وَيَا طَعَامَ^(٣) الأحلام ! وَيَا عقول رَبَّاتِ الحِجَالِ^(٤) ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لم أركم ولم أعرفكم ، مَعْرِفَةُ اللهِ جَرَّتْ نَدْمًا ، وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا^(٥) ! قَاتِلْكُمْ اللهُ ! لقد ملأتم قلبي قَيْنَحًا^(٦) ، وشحنتم صدرى غَيْظًا ، وَجَرَّ عَثْمُونِي نُغْبُ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا^(٧) ، وأفسدتم على رأى بالعصيان واخْذِلْآن ، حتى لقد قالت قریش : إن ابن أبى طالب رجل شجاع ، ولكن لا رأى له في الحرب ! اللهُ دَرَمٌ^(٨) ! ومن ذا يكون أعلم بها منى ، أو أشد لها مِرَاسًا ؟ فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، ولقد نَيْفْتُ^(٩) اليوم على الستين ، ولكن لا رأى لمن لا يطاع (يقولها ثلاثًا) .

فقام إليه رجل ومعه أخوه^(١٠) فقال :

« يا أمير المؤمنين أنا وأحى هذا ، كما قال الله تعالى : (رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي

(١) شدة الحر . (٢) أى أمهلنا حتى ينسلخ الحر ، وفي رواية النهج « أمهلنا يسبخ عنا الحر » بتشديد الباء المفتوحة : أى يخف ويسكن ، وكل من خفف عنه شيء فقد سبخ عنه ، ومنه قولهم : اللهم سبخ عنى الحمى : أى خففها . (٣) أوغاد الناس ومن لا عقل له ولا معرفة عنده . والأحلام المقول : جمع حلم بالكسر ، ويجمع أيضا على حلوم ، وفي رواية النهج : « حلوم الأطفال » . (٤) الحجال : جمع حجلة بالتحريك ، وهى القبة ، وموضع يزين بالستور والثياب للعروس - كناية عن النساء . (٥) السدم : الهم ، أو مع ندم ، أو غيظ مع حزن . (٦) القينح : ما يكون فى القرحة من صديدها ، وشحنتم : ملأتم ، وفي رواية الكامل : « ولقد ملأتم جوفى غيظا » . (٧) النغب : جمع نغبة بالفتح والضم ، وهى الجرعة ، والتهمام : الهم ، وأنفاسا أى جرعة بعد جرعة ، يقال : اكرع فى الإناء نفسين أو ثلاثة . (٨) لله دره : أى عمله ، والدر أيضا : اللبن ، أى لله الشئ الذى رضعه ، وهو تعجب أريد به التهكم ، وفي رواية النهج : « لله أبوهم » ! (٩) نيفت : زدت ورواية النهج : « وهأنذا قد ذرفت على الستين » أى زدت أيضا . (١٠) الرجل وأخوه : يعمران بابن عفيف من الأنصار .

وَأَخِي (فَمَرُّنَا بِأَمْرِكَ ، فَوَاللَّهِ لَنَنْتَهِيَنَّ إِلَيْهِ ، وَلَوْ حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ جَرَّ الْغَضَا^(١)) ، وَشَوْكَ الْقَتَادِ^(٢) » فدعا لهما بخير ، ثم قال لهما : « وأين تقعان مما أريد ؟ » ثم نزل .

(نهج البلاغة ١ : ٣٥ ، الكامل للمبرد ١ : ١١ ، البيان والتبيين ٢ : ٢٥ ، والأغانى ١٥ : ٤٣)

٣٢٦ — خطبة للحسن بن علي في يوم الجمعة

اعتلّ الإمام علي كرم الله وجهه يوماً ، فأمر ابنه الحسن رضي الله عنه أن يصلي بالناس يوم الجمعة ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن الله لم يبعث نبياً إلا اختار له نفساً ورهطاً وبيتاً ، فوالذي بعث محمداً بالحق ، لَا يَنْتَقِصُ مِنْ حَقِّنا أَهْلَ الْبَيْتِ أَحَدٌ ، إِلَّا نَقَصَهُ اللَّهُ مِنْ عَمَلِهِ مِثْلَهُ ، وَلَا يَكُونُ عَلَيْنَا دَوْلَةٌ إِلَّا وَتَكُونُ لَنَا الْعَاقِبَةُ ، وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ » .

(مروج الذهب ٢ : ٥٣)

٣٢٧ — خطبة معاوية وقد بلغه هلاك الأشتر

ولما نَمَى إلى معاوية هلاك الأشتر النخعي^(٣) ، قام في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

(١) شجر جمره يبق طويلاً . (٢) شجر صلب له شوك كالإبر .

(٣) هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي توفي سنة ٣٨ هـ . روى المؤرخون أنه مات مسموماً سمه معاوية ، وذلك أن الإمام علياً كان قد ولي على مصر محمد بن أبي بكر ففسدت عليه ، وخرجت عليه بها خوارج ، فبعث إليها الأشتر وأنت معاوية عيونه فأخبروه بولاية الأشتر ، فغظم ذلك عليه ، وقد كان طمع في مصر ، فلم أنه إن قدمها كان أشد عليه من ابن أبي بكر ، فبعث إلى الجايستار (رجل من أهل الخراج) ، فقال له : إن الأشتر قد ولي مصر ، فإن أنت كفيته لم آخذ منك خراجاً ما بقيت ، (وقيل قال له أترك خراجك عشرين سنة) فاحتل له بما قدرت عليه ، وخرج الأشتر من العراق إلى مصر ، فلما انتهى =

« أما بعد : فإنه كانت لعل بن أبي طالب يدان يمينان ، قُطِعَت إحداهما يوم صفين .
(يعنى عمار بن ياسر) ، وقُطِعَت الأخرى اليوم (يعنى الأشتر) » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٥٤)

= إلى القلزم استقبله الجايستار ، فقال : هذا منزل وهذا طعام وعلف ، وأنا ورجل من أهل الخراج ، فنزل به
الأشتر ، وسأل الدهقان : أى الطعام والشراب أحب إليه ؟ قيل العسل ، فأهدى له عسلا قد جعل فيه سما
وقال : إن من شأنه كذا وكذا ، فتناول منه شربة ، فا استقرت في جوفه حتى قلف ، وأتى من كان معه
عل الدهقان ومن معه ، فبلغ ذلك عليا ، فقال : « للدين والقيم » وبلغ معاوية ، فقال : « إن لله جنودا
منها العسل » .

فتنة البصرة

تسيير معاوية عبد الله بن عامر الحضرمي إليها ومقتله

لما قُتل محمد بن أبي بكر بمصر وظهر معاوية عليها (سنة ٣٨ هـ) دعا عبد الله ابن عامر الحضرمي ، فقال له : « سِرْ إِلَى البصرة فَإِنَّ جُلَّ أَهْلِهَا يَرُونَنَا فِي عُمَانَ ، وَيُعْظِمُونَ قَتْلَهُ ، وَقَدْ قُتِلُوا فِي الطَّلَبِ بِدَمِهِ ، فَهُمْ مَوْتُورُونَ حَفِيقُونَ لِمَا أَصَابَهُمْ ، وَذُؤَا لَوْ يَجِدُونَ مِنْ يَدْعُوهُمْ وَيَجْمَعُهُمْ ، وَيَنْهَضُ بِهِمْ فِي الطَّلَبِ بِدَمِ عُمَانَ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ كِتَابًا ، وَأَمَرَهُ إِذَا قَدِمَ أَنْ يَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ ^(١) ، فَضَى حَتَّى نَزَلَ البصرة فِي بَنِي تَمِيمٍ ، فَسَمِعَ بِقُدُومِهِ أَهْلَ البصرة ، فَجَاءَهُ كُلُّ مَنْ يَرَى رَأْيَ عُمَانَ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ رُءُوسُ أَهْلِهَا .

(١) وكان الذي سدد لمعاوية رأيه في تمريح ابن الحضرمي كتاب كتبه إليه عباس بن صهار العبدي ، وفيه : « أما بعد : فقد بلغنا وسمعتك بأهل مصر الذين بغوا على إمامهم ، وقتلوا خليفتهم طمعا وبغيا ، ففرت بذلك العيون ، وشفيت بذلك النفوس ، وبردت أئدة أقوام كانوا لقتل عثمان كارهين ، ولعدوه مفارقين ، ولحكم موالين ، وبك راضين ، فإن رأيت أن تبعث إلينا أميرا طيبا ذكيا ذا عفاف ودين إلى الطلَبِ بِدَمِ عُمَانَ فَعَلْتُ ، فَإِنِّي لَا إِخَالَ النَّاسِ إِلَّا جَمْعِينَ عَلَيْكَ ، وَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ غَائِبٌ عَنِ الْمَصْرِ وَالسَّلَامِ » فكتب إليه معاوية « أما بعد : فقد قرأت كتابك ، فمرفت نصيحتك ، وقبلت مشورتك . رحلك الله وسددك ، أثبت هداك الله على رأيك الرشيد ، فكأنك بالرجل الذي سألت قد أتاك ، وكأنك بالجيش قد أطل عليك ، فمررت وحييت والسلام » .

٣٢٨ - خطبة عبد الله بن عامر الحضرمي

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس : فإن إمامكم إمام الهدى عثمان بن عفان ، قتله على بن أبي طالب ظلماً ، فطلبتم بدمه ، وقاتلتهم من قتله ، فجزاكم الله من أهل مصر خيراً ، وقد أصيب منكم الملاء الأخيار ، وقد جاءكم الله بإخوان لكم ، لهم بأسٌ يُتَّقَى ، وعددٌ لا يُحصى ، فلقوا عدوكم الذين قتلوكم ، فبلغوا الغاية التي أرادوا صابرين ، ورجعوا وقد نالوا ما طلبوا ، فاليوم^(١) وساعدوهم ، وتذكروا ثأركم ، ليشفوا صدوركم من عدوكم . »

٣٢٩ - خطبة الضحّاك بن عبد الله الهلالي

فقام إليه الضحّاك بن عبد الله الهلالي فقال :

« قَبِّحَ اللهُ ما جِئْتَنَا به ، وما دعوتنا إليه ، جئتنا والله بمثل ما جاء به صاحبك : طلحة والزبير ، أتينا وقد بايعنا علينا واجتمعنا له ، فكلّمنا واحدة ، ونحن على سبيل مستقيم ، فدعوانا إلى الفرقة ، وقاموا فينا بِزُخْرُفِ القول ، حتى ضربنا بعضنا ببعض عدواناً وظلماً ، فاقتتلنا على ذلك ، وإيم الله ما سلّمنا من عظيم وبالٍ ذلك ، ونحن الآن مُجْمِعُونَ على بيعة هذا العبد الصالح ، الذي أقال العثرة ، وعفا عن السيء ، وأخذ بيعة غائبنا وشاهدنا ، أفأثمّرنا الآن أن نختلع أسيافنا من أعماقها ، ثم يضرب بعضنا بعضاً ، ليكون معاوية أميراً ، وتكون له وزيراً ، ونعدّل بهذا الأمر عن عليّ ؟ والله ليؤمّن من

(١) ساعدوهم .

أيام على مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، خيرٌ من بلاء معاوية وآل معاوية ، لو بقوا في الدنيا ، ما الدنيا باقية^(١) .

فقام عبد الله بن حازم السلمى ، فقال للضحاك : « اسكت فلست بأهل أن تتكلم في أمر العامة » ثم أقبل على ابن الحضرمي ، فقال : « نحن يدك وأنصارك . والقول ما قلت ، وقد فهمنا عنك ، فادعنا أنى شئت » فقال الضحاك لابن حازم : « يا ابن السوداء^(٢) ، والله لا يعزُّ من نصرت ، ولا يذلُّ بخذلانك من خذلت » فذاتما .

٣٣٠ — خطبة عبد الرحمن بن عمير القرشي

فقام عبد الرحمن بن عمير بن عثمان القرشي التميمي فقال :

« عباد الله : إنا لم ندعكم إلى الاختلاف والفرقة ، ولا نريد أن تفتلوا وتتنازوا^(٣) ولكننا إنما ندعوكم إلى أن تجمعوا كلتكم ، وتوازرُوا إخوانكم الذين هم على رأيكم ، وأن تلقوا شعثكم ، وتصلحوا ذات بينكم ، فهلاً مهلاً رحمكم الله ، استمعوا لهذا الكتاب ، وأطيعوا الذى يقرأ عليكم . »

فلما قرئ عليهم الكتاب ، قال معظمهم : « سمعنا وأطعنا » وقال الأحنف بن قيس : « أما أنا فلا ناقة لي في هذا ولا جمل^(٤) » ، واعتزل أمرهم ذلك ، وقال عمرو بن مرحوم من عبد القيس : « أيها الناس ، الزموا طاعتكم ، ولا تنكثوا ببيعتمكم ، فتقع

(١) ما : ظرفية ، أى مادامت الدنيا باقية . (٢) وكانت أمه سوداء حبشية يقال لها عجل .

(٣) التبز : معركة اللقب ، والتناز : التعار والتداعى بالألقاب . (٤) أصل المثل للحارث

ابن عباد البكرى حين قتل جساس بن مرة كليياً ، وهاجت الحرب بين بكر وتغلب (حرب البسوس) وكان الحارث قد اعتزلهما ، والقصة مشهورة .

بكم واقعة ، وتصيبيكم قارعة^(١) ، ولا يكن بعدها لكم بقية ، ألا إني قد نصحت لكم ولكن لا تحبثون الناصحين .

* * *

ثم إن الناس أقبلوا إلى ابن الحضرمي وكثر تبعه - وكان الأمير بالبصرة يومئذ زياد ابن أبيه استخلفه عبد الله بن عباس وقدم الكوفة على علي عليه السلام يعزيه عن محمد ابن أبي بكر - فأفزع ذلك زيادا وهاله ، وخلى قصر الإمارة ، واستجار بالأزد فأجاروه ، وكتب إلى ابن عباس بالأمر ، وطلب إليه أن يرفع ذلك إلى أمير المؤمنين ، ليرى فيه رأيه ، وغلب ابن الحضرمي على مايليه من البصرة وجباها ، وأجمعت الأزد على زياد ، وأعدوا له منبراً وسريراً وشُرطاً .

٣٣١ - خطبة زياد بن أبيه

فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا معشر الأزد : إنكم كنتم أعدائي ، فأصبحتُم أوليائي وأولى الناس بي ، وإني لو كنت في بني تميم ، وابن الحضرمي فيكم ، لم أطع فيه أبداً ، وأنتم دوني ، فلا يطمع ابن الحضرمي فيّ وأنتم دوني ، وليس ابن آكلة الأكباد - في بقيّة الأحزاب وأولياء الشيطان - بأدنى إلى الغلبة من أمير المؤمنين في المهاجرين والأنصار ، وقد أصبحتُ فيكم مضموناً ، وأمانة مؤداة ، وقد رأينا وقيمتكم يوم الجمل ، فاصبرُوا مع الحق صبركم مع الباطل ، فإنكم لا تُحمدون إلا على النجدة ، ولا تُعذرون على الجبن . »

٣٣٢ - خطبة شيان الأزدي

فقام شيان الأزدي - ولم يكن شهد يوم الجمل وكان غائباً - فقال :

« يا معشر الأزد : ما أبقت عواقب الجمل عليكم إلا سوء الذكر ، وقد كنتم أمس على علي عليه السلام ، فكونوا اليوم له ، واعلموا أن إسلامكم^(١) له ذلّ ، وخِذْلَانُكُمْ إياه عار ، وأنتم حتىّ مضاركم الصبر ، وعاقبتكم الوفاء ، فإن سار القوم بصاحبهم فسيرُوا بصاحبكم ، وإن استمدّوا معاوية فاستمدّوا عليّاً عليه السلام ، وإن وادعوك فوادعوم » .

٣٣٣ - خطبة صبرة بن شيان

ثم قام صبرة ابنه ، فقال :

« يا معشر الأزد : إنا قلنا يومَ الجمل نمنع مصرّنا ، ونطيع أماننا ، ونطلب دم خليفتنا المظلوم ، نجدّ دنا في القتال ، وأقمنا بعد انهزام الناس ، حتى قُتِلَ منا مَنْ لا خير فينا بعده ، وهذا زيادٌ جاركم اليوم ، والجار مضمون ، ولسنا نخاف من عليٍّ ما نخاف من معاوية ، فهبّوا لنا أنفسكم ، وامنعوا جاركم ، أو فأبلفوه مآمنه » .
فالت الأزد : إنما نحن لكم تبع فأجبروه .

٣٣٤ - خطبة الإمام علي

واستنفر عليّ بنى تميم أياماً لينهض منهم إلى البصرة مَنْ يكفيه أمر ابن الحضرمي ، ويردّ عادية بنى تميم الذين أجاروه بها ، فلم يجبه أحد فخطبهم وقال :

« أليس من العجب أن ينصرني الأزدي^(١) ، وَتَحْذَلْنِي مُضَرٌ ؟ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ تَقَاعُدُ تَيْمِ الْكُوفَةِ بِي ، وَخِلَافُ تَيْمِ الْبَصْرَةِ عَلَيَّ ، وَأَنْ أَسْتَجِدَّ بِطَائِفَةٍ مِنْهَا تَشْخَصَ إِلَى إِخْوَانِهَا فَتَدْعُوهُمْ إِلَى الرَّشَادِ ، فَإِنْ أَجَابَتْ وَإِلَّا فَلَمُنَابَذَةٍ وَالْحَرْبِ ، فَكَأَنِّي أَخَاطِبُ ضَمًّا بَكُمْ ، لَا يَفْقَهُونَ حِوَارًا ، وَلَا يُجِيبُونَ نِدَاءً ، كُلُّ هَذَا جُبْنًا عَنِ الْبَاسِ ، وَحُبًّا لِلْحَيَاةِ ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا ، وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا^(٢) ، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ، وَمُضِيًّا عَلَى الْإِلَهِ^(٣) ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَعَاوَلَانِ^(٤) تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ يَتَخَالَسَانِ^(٥) أَنْفُسَهُمَا ، أَيُّهُمَا يَسْقَى صَاحِبَهُ كَأْسَ الْيُمُونِ ، فَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا ، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا السَّكْبَتَ^(٦) ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ^(٧) ، وَمَتَّبِعُونَا أَوْطَانَهُ ، وَلِعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ ، وَلَا اخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ ، وَإِيْمَ اللَّهُ لَتَحْقِيبُهَا دَمًا^(٨) ، وَلَتَنْجِيعُهَا نَدْمًا .

فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْيُنُ بْنُ ضُبَيْعَةَ الْمُجَاشِعِيُّ^(٩) فَقَالَ :

« أَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَكْفِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الْخَطْبَ ، وَأُنْكَفِلُ لَكَ بِقَتْلِ ابْنِ الْخَضْرَمِيِّ ، أَوْ إِخْرَاجِهِ عَنِ الْبَصْرَةِ » فَأَمَرَهُ بِالتَّهْيِئِ لِلشَّخْصِ ، فَشَخَصَ إِلَى الْبَصْرَةِ .

(١) هم من العرب اليمانيين . (٢) قتلهم الأقارب في ذات الله كثير ، قتل على عليه السلام الجهم الغفير من بني عبد مناف وبني عبد الدار في يوم بدر وأحد وهم عشيرته وبنو عمه ، وقتل عمر بن الخطاب يوم بدر خاله العاص بن هاشم بن المغيرة ، وقتل حمزة بن عبد المطلب شقيقه بن ربيعة يوم بدر وهو ابن عمه ، ومثل ذلك كثير مذكور في كتب السيرة . (٣) لقم الطريق : الجادة الواضحة منها . (٤) التصاول : أن يصول كل من القرنين على صاحبه . (٥) التخالس : التسالب ، أي يبغي كل أن يسلب روح الآخر . (٦) الإذلال . (٧) جران البعير : مقدم عنقه ، وهو كناية عن التمكن كالبعير يلقى جرانه على الأرض . (٨) يقال لمن أسرف في الأمر : لتحتلبن دما ، وأصلها الناقة يفرط في حلبها فيحلب الخالب الدم . (٩) مجاشع بن دارم : أبو قبيلة من تميم ، وأعين بن ضبيعة ، هو الذي عقر الجمل الذي كانت عليه عائشة يوم الجمل .

٣٣٥ - خطبة أعين بن ضبيعة

فلما قدمها دخل على زياد ، وهو بالأزد مقيم فأخبره بأسره ، ثم خرج فأتى رَحْله ، فجمع إليه رجالا من قومه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« يا قوم : على ماذا تقتلون أنفسكم ، وتُهَرِّقون دماءكم ، على الباطل مع السفهاء الأشرار ؟ وإني والله ما جئكم حتى عُيِّيت إليكم الجنود ، فإن تُنْثَبُوا إلى الحق يُقبل منكم وَيُكَفَّ عنكم ، وإن أبيتم فهو والله استئصالكم وبواركم » .

فقالوا بل نسمع ونطيع ، فنهض بهم إلى جماعة ابن الحضرمي ، فخرجوا إليه مع ابن الحضرمي وواقفهم عامة يومه يناشدهم الله ويقول : « يا قوم لا تنكثوا بيعتكم ، ولا تُخَالِفُوا إمامكم ، ولا تجعلوا على أنفسكم سيلا ، فقد رأيتم وجربتم كيف صنع الله بكم عند نكثكمُ بَيْعَتكم وخِلَافِكم » .

فكفوا عنه وهم في ذلك يشتمونه وينالون منه فانصرف عنهم ، فلما أوى إلى رحله تَبِعَهُ عشرة نَفَرٍ يظن الناس أنهم خوارج فقتلوه ، وكتب زياد إلى الإمام بذلك ، فأشخص إليهم جارية بن قدامة .

٣٣٦ - خطبة جارية بن قدامة

فلما دخل البصرة بدأ بزياد ، فناجاه ساعة وساءله ، ثم خرج من عنده ، فقام في الأزد فقال :

« جزاكم الله من حَيٍّ خَيْرًا ، ما أعظم غَنَاءكم ^(١) ، وأحسن بِلَاءكم ، وأطوعكم

(١) أي كفايتكم ونفعكم .

لأُميركم ، لقد عرفتم الحق إذ ضَيَّعْتُهُ مِنْ أَنْكَرِهِ ، ودعوتهم إلى الهدى إذ تركه من لم يعرفه «
ثم قرأ عليهم كتاب عليّ عليه السلام ، فقام صَبْرَةَ بن شيمان ، فقال : « سمعنا وأطعنا ،
ونحن لمن حارب أمير المؤمنين حَرْبٌ ، ولمن سالم سَلِمٌ ، إن كفيت يا جارية قومك بقومك
فذاك ، وإن أحببت أن ننصرَكَ نصرناكَ » وقام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك ، فلم
يأذن لأحد منهم أن يسير معه ، ومضى نحو بني تميم .

٣٣٧ — خطبة زياد

فقام زياد في الأزْد فقال :

« يا معشر الأزْد : إن هؤلاء كانوا أَمْسِرَ سلماً ، فأصبحوا اليوم حرباً ، وإنكم
كنتم حرباً فأصبحتم سلماً ، وإني والله ما اخترتكم إلا على التجربة ، ولا أقت فيكم إلا
على الأمل ، فما رَضِيتُمْ أَنْ أَجْرَتُمُونِي ، حتى نَصَبْتُمْ لِي مَنِيْرًا وسريراً ، وجمَلْتُمْ لِي شُرْطًا
وأعوانًا ، ومُنَادِيًا وُجْعَةً ، فما فقدتُ بحضرتكم شيئًا إلا هذا الدرهم لا أُجِيبُهُ اليوم ، فإن لم
أُجِبهِ الْيَوْمَ أُجِبهِ غَدًا إن شاء الله ، واعلموا أن حربكم اليوم معاويةَ أيسرُ عليكم في الدنيا
والدين من حربكم أَمْسِرَ عليًّا ، وقد قَدِمَ عايِكم جاريةُ بن قُدَّامة ، وإنما أرسله عليّ لِيَصْدَعَ
أمر قومه ، والله ما هو إلا أمير المطاع ، ولو أدرك أَمَلُهُ في قومه لرجع إلى أمير المؤمنين ، ولكان
لِي تَبَعًا ، وأنتم الهامةُ العظيمةُ ، والجمرةُ الحاميةُ ، فَقَدَّمُوهُ إلى قومه ، فإن اضْطُرَّ إلى
نصركم ، فسيروا إليه إن رأيتم ذلك » .

٣٣٨ - خطبة أبي صبرة شيان

فقام أبو صبرة شيان فقال :

« يا زياد ، إني والله لو شهدت قومي يوم الجمل رجوت ألا يقاتلوا علياً ، وقد مضى الأمر بما فيه ، وهو يوم بيوم ، وأمر بأمر ، والله إلى الجزاء بالإحسان أسرع منه إلى الجزاء بالسّيئ ، والتوبة مع الحق ، والعفو مع الندم ، ولو كانت هذه فتنةً لدعونا القوم إلى إبطال الدماء ، واستئناف الأمور ، ولكنّها جماعةٌ ، دماؤها حرام ، وجروحها قصاصٌ ونحن معك نحبُّ ما أحببت . »

فمجب زياد من كلامه ، وقال : « ما أظنُّ في الناس مثل هذا » .

٣٣٩ - خطبة صبرة بن شيان

ثم قام صبرة ابنه فقال :

« إنا والله ما أصبنا بمصيبة في دين ولا دنيا ، كما أصبنا أمس يوم الجمل ، وإنا لنرجو اليوم أن يُمَحَّصَ^(١) ذلك بطاعة الله وطاعة أمير المؤمنين . وأما أنت يا زياد ، فوالله ما أدركت أملك فينا ، ولا أدركنا أملنا فيك ، دون ردك إلى دارك ، ونحن رادوك إليها غداً إن شاء الله تعالى ، فإذا فعلنا فلا يكن أحد أولى بك منا ، فإنك إلا تفعل لم تأت ما يُشبهك ، وإنا والله نخاف من حرب عليّ في الآخرة ، ما لا نخاف من حرب معاوية في الدنيا ، فقدّم هواك ، وأخر هوانا ، فنحن معك وطوعك » .

(١) من حصّ الذهب بالنار كقطع : أخلصه مما يشوبه .

٣٤٠ - خطبة خنفر الحماني

ثم قام خنفر الحماني فقال :

« أيها الأمير : إنك لو رضيت منا بما ترضى به من غيرنا ، لم نرضَ ذلك لأنفسنا ، سربنا إلى القوم إن شئت ، وإيم الله ما لقينا يوماً قط إلا اكتفينا بمفونا^(١) دون جُهدنا ، إلا ما كان أمس . »

أما جارية فإنه كلم قومه فلم يجيبوه ، وخرج إليه منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه ، فأرسل إلى زياد والأزد يستصرخهم ، فسارت الأزد بزياد ، وخرج إليهم ابن الحضرمي وعلى خيله عبد الله بن حازم السلمي ، فاقتتلوا ساعة ، فالبثوا بني تميم أن هزموم ، وحسروا ابن الحضرمي في إحدى دور البصرة ، في عِدَّة من أصحابه ، وحرق جارية الدار عليهم ، فهلك ابن الحضرمي في سبعين رجلاً ، وسارت الأزد بزياد حتى أوطنوه قصر الإمارة ومعه بيت المال ، وقالوا له : هل بقي علينا من جوارك شيء ؟ قال : لا ، فانصرفوا عنه ، وكتب زياد بذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام .

(شرح ابن أبي الحديد : ١ ص ٣٤٨ ، ونهج البلاغة ١ : ٥٣)

٣٤١ - صعصعة بن صوحان ومعاوية

أرسل على تكريم الله وجهه إلى معاوية بالشام كتاباً صُحِّبَهُ صُعَصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ ، فسار به حتى أتى دمشق ، فأتى باب معاوية ، فقال لِأَذْنِهِ ، اسْتَأْذِنْ لِرَسُولِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ - وبالباب جماعةٌ من بني أمية - فأخذته النعال والأيدى ، لقوله « أمير المؤمنين » ، وكثرت عليه الجلابة ، فاتَّصَلَ ذلك بمعاوية ، فأذن له ، فدخل عليه ،

(١) المفو : الزيادة .

فقال : السلام عليك يا ابن أبي سفيان ، هذا كتاب أمير المؤمنين ، فقال معاوية : أما إنه لو كانت الرسل تُقتلُ في جاهلية أو إسلام لقتلتك ، ثم اعترضه معاوية في الكلام ، وأراد أن يستخبره ، ليعرف طبعاً أو تكلفاً ، فقال له ممن الرجل ؟ قال من نزار ، قال وما كان نزار ؟ قال كان إذا غزا انكش^(١) ، وإذا لقي افترش^(٢) ، وإذا انصرف احترش^(٣) ، قال فمن أى أولاده أنت ؟ قال من ربيعة ، قال وما كان ربيعة ؟ قال : كان يطيل النجّاد^(٤) ، ويعول العباد ، ويضرب ببقاع الأرض العمّاد . قال فمن أى أولاده أنت ؟ قال من جديلة ، قال وما كان جديلة ؟ قال كان في الحرب سيفاً قاطعاً ، وفي المكرّمات غيثاً نافعاً ، وفي اللقاء لهباً ساطعاً ، قال فمن أى أولاده أنت ؟ قال من عبد القيس ، قال وما كان عبد القيس ؟ قال كان حسنًا أبيض^(٥) وهاباً ، يقدم لضيّفه ما وجد ، ولا يسأل عما فقّد ، كثير المرق ، طيب المرق ، يقوم للناس مقام الغيث من السماء ، قال ويحك يا ابن صوحان ! فما تركت لهذا الحمى من قريش مجداً ولا فخراً ؟ قال بلى والله يا ابن أبي سفيان ؟ تركت لهم ما لا يصلح إلّا لهم ، تركت لهم الأحمر والأبيض والأصفر^(٦) ، والسرير والمنبر^(٧) ، والملك إلى المحشر . ففرح معاوية ، وظن أن كلامه يشتمل على قريش كلها ، قال : صدقت يا ابن صوحان ، إن ذلك لكذلك ، فعرف صمصمة ما أراد ، فقال : ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد^(٨) ، بعدّتم عن أنف^(٩) المرعى ، وعلوتم عن عذب الماء ، قال ولم ذلك ؟ ويلك يا ابن صوحان ! فقال الويل لأهل النار ،

(١) انكش وتكش : أسرع ، والكيش : الرجل السريع . (٢) افترش فلانا : غلبه وصرعه .

(٣) احترش الشيء : جمعه وكسبه . (٤) حائل السيف ، وهو كناية عن طول القامة .

(٥) أى أبيض اللون كناية عن أنه حر لارقيق ، أو أبيض العرض فقيه . (٦) الأحمر : الذهب ،

والأبيض : الفضة (والسيف أيضاً) والأصفر : الذهب . كناية عن الغنى والثروة (وقد كان لقريش

في الجاهلية مركز تجارى هام) . (٧) كناية عن الملك والمقدرة الخطابية . (٨) أورد إبله الماء

وأصدرها : ردها وأرجعها . (٩) روضة أنف : لم ترع .

ذلك لبني هاشم ، قال قم ، فأخرجوه . فقال صعصعة : الوعد ببني وبينك لا الوعيد ، من أراد المناجزة ، يقبل المناجزة^(١) ، فقال معاوية لشيء ما سؤده قومه ، ودِدْتُ أنى من صلبه ، ثم التفت إلى بنى أمية فقال : هكذا فلتسكن الرجال !

(صبح الأعشى ١ : ٢٥٤ ، ومروج الذهب ٢ : ٧٧)

٣٤٢ - صورة أخرى

وروى أبو على القالى هذا الخبر فى الأمالى بصورة أخرى ، قال :

« دخل صَفْصَعَةُ بن صُوحان على معاوية أَوَّلَ ما دخل عليه - وقد كان يَبْلُغُ معاوية عنده فقال معاوية : مِمَّن الرّجل ؟ فقال رجل من نِزار ، قال وما نزار ؟ قال : كان إذا غزا انحوش^(٢) ، وإذا انصرف انكش ، وإذا لَبِىَ افترش ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من ربيعة ، قال : وما ربيعة ؟ قال كان يغزو بالخليل ، ويُغِيرُ بالليل ، ويجود بالنَّيل ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من أمهر^(٣) ، قال : وما أمهر ؟ قال : كان إذا طلب أفضى^(٤) ، وإذا أدرك أَرْضَى ، وإذا آب أنضى^(٥) قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من جَدِيلَةَ قَالَ : وَمَا جَدِيلَةُ ؟ قال : كَانَ يُطِيلُ النِّجَادَ ، وَيُعِدُّ الجِيَادَ ، وَيُجِيدُ الجِلَادَ ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من دُعَيْيَ ، قال : وما دُعَيْيَ ؟ قال : كَانَ ناراً ساطعاً ، وشرّاً قاطعاً ، وخيراً نافعاً ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من أفضى

(١) وفى مروج الذهب : « من أراد المشاجرة قبل المحاورة » والوارد فى الأمثال : « المناجزة قبل المناجزة » أى المسالمة قبل المعالجة فى القتال ، يضرب لمن يطلب الصلح بعد القتال . (٢) لم أجد هذه الكلمة فى كتب اللغة ، وأرى أنها محرفة عن (احترش) كما ورد فى رواية صبح الأعشى ، وإن اختلف تأليف الجمل فى الروایتين . (٣) وفى نسخة : « من أسد ، قال وما أسد ؟ » . (٤) أفضى إلى الشيء : وصل إليه . (٥) أنضى بغيره : هزله ، وأنضى الثوب : أبلاه .

قَالَ : وَمَا أَفْصَى ؟ قَالَ كَانَ يَنْزِلُ الْقَارَاتُ ^(١) ، وَيَكْثُرُ الْغَارَاتُ ، وَيَحْتَجِي الْجَارَاتُ ، قَالَ :
 فَمِنْ أَىٍّ وَلَدَهُ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ قَالَ : وَمَا عَبْدُ الْقَيْسِ ؟ قَالَ : أَبْطَالٌ ذَادَةٌ ^(٢) ،
 جَحَاجِحَةٌ ^(٣) سَادَةٌ ، صِنَادِيدُ قَادَةٍ ، قَالَ : فَمِنْ أَىٍّ وَلَدَهُ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ أَفْصَى ، قَالَ : وَمَا
 أَفْصَى ؟ قَالَ : كَانَتْ رِمَاحُهُمْ مُشْرِدَةً ^(٤) وَقُدُورُهُمْ مُتْرَعَةً ^(٥) ، وَجِفَانُهُمْ مُفْرَعَةً ، قَالَ :
 فَمِنْ أَىٍّ وَلَدَهُ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ لُسْكِيْزٍ ، قَالَ : وَمَا لُسْكِيْزٌ ؟ قَالَ : كَانَ يَبَاشِرُ الْقِتَالَ ،
 وَيَمَانِقُ الْأَبْطَالَ ، وَيُبَدِّدُ الْأَمْوَالَ ، قَالَ : فَمِنْ أَىٍّ وَلَدَهُ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ عَجَلٍ ، قَالَ :
 وَمَا عَجَلٌ ؟ قَالَ : اللَّيْثُ الضَّرَّاعِمَةُ ^(٦) ، الْمَلُوكُ الْقَمَاقِيَّةُ ^(٧) ، الْقُرُومُ الْقَشَاعِمَةُ ^(٨) ، قَالَ :
 فَمِنْ أَىٍّ وَلَدَهُ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ كَعْبٍ ، قَالَ : وَمَا كَعْبٌ ؟ قَالَ : كَانَ يُسَمَّرُ ^(٩) الْحَرْبَ ،
 وَيُجِيدُ الضَّرْبَ ، وَيَكْشِفُ الْكَرْبَ ، قَالَ : فَمِنْ أَىٍّ وَلَدَهُ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ مَالِكٍ ،
 قَالَ : وَمَا مَالِكٌ ؟ قَالَ : هُوَ الْهُبَامُ لِلْهَمَامِ ، وَالْقَمَقَامُ لِلْقِمَامِ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ . مَا تَرَكْتُ لِهَذَا
 الْحَيِّ مِنْ قَرِيْشٍ شَيْئًا ، قَالَ : بَلْ تَرَكْتُ أَكْثَرَهُ وَأَحَبَّهُ ، قَالَ : وَمَاهُو ؟ قَالَ : تَرَكْتُ لَهُمُ
 الْوَبَرَ وَالْمَدَرَ ^(١٠) وَالْأَبْيَضَ وَالْأَصْفَرَ ، وَالصَّفَا وَالْمَشْعَرَ ^(١١) ، وَالْقُبَّةَ وَالْمَفْخَرَ ، وَالسَّرِيرَ
 وَالْمَنْبَرَ ، وَالْمُلْكَ إِلَى الْمَحْشَرِ ، قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ يَسُوءُنِي أَنْ أَرَاكَ أَسِيرًا قَالَ : وَأَنَا
 وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ يَسُوءُنِي أَنْ أَرَاكَ أَمِيرًا ، ثُمَّ خَرَجَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ ، فَرُدَّ ، وَوَصَلَهُ وَأَكْرَمَهُ .
 (الْأَمْوَالُ ٢ : ٢٣٠)

* * *

-
- (١) القارات : جمع قارة ، وهى الجبيل الصغير . (٢) جمع ذائد ، وهو المدافع .
 (٣) جمع جحجج : وهو السيد ، كالجججاج . (٤) مسددة . (٥) ملوذة .
 (٦) جمع ضرغام ، وهو الأسد . (٧) جمع ققام بالفتح ويضم ، وهو السيد .
 (٨) القروم ، جمع قرم : كشمم ، وهو السيد ، والقشاعة : جمع قشعم ، كجعفر ، وهو الرجل
 الممن (كناية عن كثرة التجربة) والأسد . (٩) سمر الحرب : كنع ، وسمرها : أوقدها .
 (١٠) كناية عن البادية ، والمدر : المدن والحضر . (١١) شعار الحج بالكسر : مناسكه وعلاماته ،
 والشعيرة والشعارة بالفتح ، والمشمع موضعها ، والمشمع الحرام : بالمزدلفة .

وروى المسعودى فى مروج الذهب قال :

« قال معاوية يوماً وعنده صمصمة ، وكان قدِمَ عليه بكتاب على ، وعنده وجوه الناس : « الأرض لله ، وأنا خليفة الله ، فما آخذُ من مال الله فهو لى ، وما تركت منه كان جازراً لى » فقال صمصمة :

نَمْنِيكَ نَفْسُكَ مَالاً يَكُونُ جَهْلًا ، مُعَاوِيَ لَا تَأْتَمُ.

فقال معاوية : يا صمصمة تملئت الكلام ، قال : العلم بالتعلم ، ومن لا يعلم يتجهل ، قال معاوية : ما أحوجك إلى أن أذيقك وبَالَ أَمْرِكَ ، قال : ليس ذلك بيدك ، ذلك بيد الذى لا يؤخّرُ نفساً إذا جاء أجلها ، قال : ومن يحول بينى وبينك ؟ قال : الذى يحول بين المرء وقلبه ، قال معاوية : اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير ، قال : اتسع بطن من لا يشبع^(١) ، ودعا عليه من لا يجمع^(٢) .

(مروج الذهب ٢ : ٧٩)

(١) يمرض بمعاوية إذ كان مبطانا (أى أكولا) وكان أيضا بطينا (أى عظيم البطن) ، وقد قال فيه سيدنا على فى وقعة صفين :

أضربهم ولا أرى معاوية الجاحظ العين العظيم الخاوية
(والخواوية ماتحوى من الأمعاء أى العظيم البطن) .

(٢) دعا عليه : معطوف على لا يشبع : أى اتسع بطن من دعا عليه من لا يجمع ، والمراد بمن لا يجمع النبى عليه الصلاة والسلام ، وقد دعا على معاوية بالنهم وعدم الشبع ، ومعنى لا يجمع أى لا يجمع الدنيا ولا يجمع إليها ، وهو تريض آخر بمعاوية . أما دعاء رسول الله عليه فقد روى ابن الأثير فى أسد الغابة - ٤ : ٣٨٦ - قال : « عن ابن عباس رضى الله عنه قال : « كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواريت خلف باب ، قال فجاء ، فحطاني حطاة - والخطو : تحريك الشيء مزعزعا - وقال اذهب فادع لى معاوية ، قال فجئت فقلت هو يأكل ، ثم قال : اذهب فادع لى معاوية ، قال : فجئت فقلت هو يأكل ، فقال : لا أشبع الله بطنه » أخرج مسلم هذا الحديث بعينه لمعاوية .

٣٤٣ - تَمَّةٌ فِي الْحَكْمِ^(١)

من كلام أبي بكر الصديق رضى الله عنه :

« إِنْ لَمْ يَلِدْ لَمْ يَمُتْ وَعَدَهُ بوعيده لِيَكُونَ الْعَبْدُ رَاغِبًا رَاهِبًا . لَيْسَتْ مَعَ الْعَزَاءِ مُصِيبَةٌ . الْمَوْتُ أَهْوَنُ مِمَّا بَعْدَهُ وَأَشَدُّ مِمَّا قَبْلَهُ . ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ : الْبَنِيُّ ، وَالنَّكَتُ ، وَالْمَكْرُ . ذَلَّ قَوْمٌ أَسْنَدُوا أَمْرَهُمْ إِلَى امْرَأَةٍ ، لَا يَكُونُنَّ قَوْلُكَ لَنْفَوَا فِي عَفْوٍ وَلَا عَقُوبَةٍ . إِذَا فَاتَكَ خَيْرٌ فَأَدْرِكْهُ ، وَإِنْ أَدْرَكَكَ شَرٌّ فَاسْتَبِقْهُ . إِنْ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ عَيْوَنًا تَرَكَ . احْرِصْ عَلَى الْمَوْتِ تُوَهَّبْ لَكَ الْحَيَاةُ - قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى أَهْلِ الرَّدَّةِ - رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً أَعَانَ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ . أَطْوَعُ النَّاسَ لِلَّهِ أَشَدُّهُمْ بَغْضًا لِمُحْصِيَّتِهِ . إِنْ لَمْ يَرِ مِنَ اللَّهِ يَرِ مِنَ بَاطِنِكَ مَا يَرِ مِنْ ظَاهِرِكَ ، إِنْ أَوْلَى النَّاسُ بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ تَوَلِّيًّا لَهُ . لَا تَجْعَلْ سِرَّكَ مَعَ عَلَانِيَتِكَ ، فَيَمْرَجَ^(٢) أَمْرُكَ ، خَيْرُ الْخُلَصَاتِينَ لَكَ أَبْغَضُهُمَا إِلَيْكَ . صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ » .

ومن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

« مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ فِي يَدِهِ . أَشَقَى الْوَلَاةِ مَنْ شَقِيَّتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ . اتَّقُوا مَنْ تَبَغَّضَهُ قُلُوبُكُمْ . أَعْقَلَ النَّاسِ أَعْذَرُهُمُ لِلنَّاسِ . لَا تُؤْجَلْ عَمَلُ يَوْمِكَ لَعْدِكَ . مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ كَانَ جَدِيرًا أَنْ يَقَعَ فِيهِ . مَا الْحَمْرُ صِرْفًا بِأَذْهَبَ لِلْمَقُولِ مِنَ الطَّمْعِ . قَلْبًا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ . مَرُّ ذَوَى الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا ، نَحْمَضُ عَنِ الدُّنْيَا عَيْنَكَ وَوَلَّ عَنَّا قَلْبَكَ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُهْلِكَكَ كَمَا أَهْلَكَتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَصَارِعَهَا ،

(١) فى كتب الحديث الشريف مآثور أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وجوامع كلمه ، وفى نهج

البلاغة ، وشرح ابن أبى الحديد عليه وغيرهما كثير من حكم الإمام على كرم الله وجهه قاتراها هناك .

(٢) يفسد ويختلط .

وعاينت سوء آثارها على أهلها ، وكيف عَرِي من كَسَتْ ، وجاع من أطمعت ، ومات من أحييت . احتفظ من النعمة احتفاظك من المصيبة ، فوالله لى أخوهما عندى عليك أن تستدرجك وتخدعك . الدنيا أمل مختَرَم وأجل منتَقَص ، وبلاغ إلى دار غيرها ، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج ، فرحم الله امرأ فكر في أمره ، ونصح لنفسه ، وراقب ربه واستقال ذنبه . إياكم والبِطْنة فإنها مَكْسَلَةٌ عن الصلاة ، مَفْسَدَةٌ للجوف ، مؤدية إلى السقم . رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى ، أفلح من حَفَظَ من الطمع والغضب والهوى نفسه .

ومن كلام عثمان رضى الله عنه :

« مَا يَزَعُ ^(١) الله بالسلطان أكثر مما يَزَعُ بالقرآن . يكفيك من الحاسد أنه يغم وقت سرورك . أنتم إلى إمام فَمَّال أحوج منكم إلى إمام قَوَّال - قاله يوم صعد المنبر فأرتج عليه . »

ومن كلام ابن عباس رضى الله عنه :

« صاحب المعروف لا يقع ، فإن وقع وجد مُتَّكَا . الْحِرْمَانُ خير من الامتنان . مِلَّاكُ أمرِك الدين ، وزينتكم العلم ، وحصون أعراضكم الأدب ، وعزكم الحلم . وحليتيكم الوفاء . القِرابَةُ تُنْقَطِع . والمعروف يُكْفَر . ولم يُرَ كالمودة . لا تُنْمَارُ سفيها ولا حليما . فإن السفيه يؤذيك . والحليم يَظْلِيكَ ^(٢) . واعمل عمل من يعلم أنه مجزى بالحسنات . مأخوذ بالسيئات . »

ومن كلام ابن مسعود رضى الله عنه :

« مَا أَلْدُخَانُ عَلَى النَّارِ بِأَدَلَّ من الصاحب على الصاحب ، الدنيا كلها غوم ، فما كان منها في سرور فهو ريج . »

ومن كلام المغيرة بن شعبة :

« إن المعرفة لتتفع عند الكلب العقور ، والجل الصئول^(١) ، فكيف بالرجل الكريم ! » .

ومن كلام أبي الدرداء :

« السود اصطناع العشيرة ، واحتمال الجريزة ، والشرف كف الأذى ، وبذل الندى ، والغنى قلة التمتي ، والفقر شره النفس » .

ومن كلام أبي ذر :

« إن لك في مالك شريكين : الحذنان^(٢) والوارث ، فإن قدرت ألا تكون أخسّ الشركاء حظاً فافعل » . (مجمع الأمثال للبدياني ٢ : ٢٧٦ ، ونهاية الأرب ٣ : ٤)

(١) صئول الجمل : واثب الناس أو صار يقتلهم ويمدو عليهم . (٢) حذنان الدهر :

فويه وأحداه .

سقطت هذه الخطب سهوا في أثناء الطبع
فأوردناها في آخر الجزء وهما هي ذى :

خطب الوفود

بين يدى عمر بن الخطاب

لما قدمت الوفود على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قام هلال بن بشر^(١) فقال :

٤٤٤ — خطبة هلال بن بشر

« يا أمير المؤمنين : إنا غرة من خَلَقْنَا من قومنا ، وسادة من وراءنا من أهل مصرنا
ولأنك إن تَصْرِفْنَا بالزيادة في أعطينا ، والفرائض لِعِيَالِنَا ، يَزِدَّ ذلك الشريفُ
تأميلا ، وتسكن لهم أبا وصولا ، وإن تكن مع ما نَمُتْ به^(٢) من وسائلك ، ونُدُلِّي به
من أسبابك ، كالحِذْل^(٣) ، لا يُحَلَّ ولا يُرْتَحَلُ ، نَرْجِعُ بأنوف مصلومة^(٤) ، وجدود

(١) في البيان والتبيين: ابن وكيع . (٢) نتوسل به . (٣) في البيان والتبيين « كالجد »
وفي نهاية الأرب « كالجدل » ولا معنى لهما هنا ، وأرى أن صوابه « كالخذل » بجاء مفتوحة ودال مكسورة ،
وصف من الخذل البعير بفتح الحاء : وهو الذى أشرف أحد عاتقيه على الآخر ، أو المائل العنق من خلقة أو وجع لا يملك
أن يقيمه . وارتحل البعير ورحله : حط عليه الرجل ، وإذا كان البعير حذلا فهو لا يرتحل لعدم توازن
المدلين عليه ، وكذا لا يحل من مبركه ليرتحل فهو إذن لا يستخدم ولا ينتفع به ، فالمعنى أنك إن لم تعطنا تكن
كالبعير الخذل العديم الجدوى . (٤) المقطوعة من أصلها .

عائرة، فِحْمَا^(١) وأهالينا بِسَجَلٍ مُتْرَعٍ^(٢) من سِجَالِكَ المترعة ». .

٣٤٥ - خطبة زيد بن جبلة

وقام زيد بن جبلة فقال :

« يا أمير المؤمنين ، سَوَّدَ الشريفَ ، وأكرم الحسيبَ ، وازرع عندنا من أياديك ما تَسُدُّ به الخِصَاصَةَ ، وتطرد به الفاقة ، فَإِنَّا بِقُفِّ^(٣) من الأرض يابس الأكناف ، مُقَشَّعِرِ الدَّرْوَةِ ، لَا مُتَجَجَّرَ وَلَا زَرْعَ ، وإنا من العرب اليوم إذ أتيناك بمراى ومسمع » .

٣٤٦ - خطبة الأحنف بن قيس

فقام الأحنف فقال :

« يا أمير المؤمنين إن مفاتيح الخير بيد الله ، والحرصُ قَائِدُ الحِرْمانِ ، فاتق الله فيما لَا يُغْنِي عَنْكَ يوم القيامة قِيلاً ولا قَلاً ، واجعل بينك وبين رعيتك من العدل والإنصاف شيئاً يكفيك وفادة الوفود ، واستباحة المَمْتَأَحِ^(٤) ، فإن كل امرئ يجمع في ودائه إلا الأقل ممن عسى أن تقتحمه الأعين فلا يُوفَدُ إليك » .

(نهاية الأرب ٧ : ٢٣٩ ، والبيان والتبيين ٢ : ٧١)

(١) الميح : الإعطاء . (٢) المترع : الدلو المظيمة مملوءة (مذكور) ومترع : مملوء . (٣) ما ارتفع

من الأرض كالقفة . (٤) استباحه : سأله العطاء . والامتياح : الإعطاء .

٣٤٧ - خطبة الأحنف بن قيس

بين يدي عمر بن الخطاب

قدم الأحنف بن قيس التميمي على عمر بن الخطاب رضى الله عنه في أهل البصرة وأهل الكوفة ، فتكلموا عنده في أنفسهم ، وما ينوب كل واحد منهم ، وتكلم الأحنف فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن مفاتيح الخير، بيد الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق ، وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأمم الخالية ، والملوك الجبارة ، ومنازل كسرى وقيصرو بنى الأصفر ، فهم من المياه العذبة ، والجنان المخصبة في مثل حَوْلَاء السَّلَى^(١) وحَدَقَةِ البعير الغاسقة^(٢) ، تأتيمهم ثمارهم غَصَّة قبل أن تتغير ، وإنا معشر أهل البصرة نزلنا أرضاً سَبَخَةٌ هَشَّاشَةٌ ، زَعِقَةٌ نَشَّاشَةٌ^(٣) ، طَرَفٌ في فلاة ، وطَرَفٌ في ملح أجاج^(٤) ، جانبٌ منها منابت القصب ، وجانب سَبَخَةٌ نَشَّاشَةٌ لا يحف ترابها ، ولا ينبت مرعاها ، تأتيننا منافعها في مثل مَرَى النعامة ، يخرج الرجل الضعيف منا يَسْتَعْذِبُ^(٥) الماء من فرسخين ، وتخرج المرأة بمثل ذلك ، تُرَنِّقُ^(٦) ولدها ترنيق العنز تخاف عليه العدو والسبع ، دارنا فُغْمَةٌ^(٧) ، ووظيفتنا ضيقة ، وعددنا كثير ، وأشرافنا قليل ، وأهل البلاء فينا كثير ، ودرهمنا كبير ، وقفيزنا^(٨) صغير ، وقد وسع الله علينا وزادنا

(١) الحَوْلَاء : جلدة خضراء مملوءة ماء تخرج مع الولد فيها أغراس وخطوط حمراء وخضراء ونزلوا في مثل حَوْلَاء الناقة . يريدون الخصب وكثرة الماء والخضرة ، والسلى جلدة فيها الولد (من الناس والمواشي) .
(٢) السَّوداء . (٣) هَشَّاشَةٌ : يسيل ماؤها . سَبَخَةٌ نَشَّاشَةٌ : لا يحف ثراها ولا ينبت مرعاها ، والسبخة بفتح الباء وسكونها أرض ذات نز وملح . (٤) ملح مر . (٥) استعذب : استقى عذبا .
(٦) الترنيق : إدامة النظر . (٧) ممثلة (أى بساكنها) . (٨) مكيال .

في أرضنا ، فوسّع علينا يا أمير المؤمنين ، وزدنا وظيفة تُوظف علينا ونعيش بها ، فإلا ترفع
خديستنا^(١) وتنعش ركيستنا^(٢) وتخبّر فاقتنا وتزد في عيالنا عيالا ، وفي رجالنا رجالا ،
وتصفر^(٣) درهمنا ، وتكبر قفيزنا ، وتأمر لنا بحفر نهر نستعذب به الماء ، هلكنّا .

قال عمر : هذا والله السيد ، هذا والله السيد . قال الأحنف : فما زلت أسمعها بعدها .

(العقد الفريد ١ : ١١٦ ، وشرح العيون ٦٨ وقاربخ الطبري ٤ : ٢٠٩)

انتهى الجزء الأول

ویا پی

الجزء الثاني وأوله : الباب الثالث في خطب ووصايا

العصر الأموي

(١) رفعت من خسيسته: فعلت به فعلا فيه رفعته . (٢) الركن : قلب أول الشيء على آخره ،

(٣) صفرة : صفته بصفرة ، أى تبدلنا بالدرهم الأبيض دينارا أصفر ونجعل فضتنا ذهباً .

فهرس

الجزء الأول

من جمهرة خطب العرب

الباب الأول

الخطب في العصر الجاهلي

رقم الصفحة	رقم الخطبة	الخطبة أو الوصية
٩		إصلاح مرثد الخير بين سبيع بن الحارث وبين ميثم بن مثنوب
١٠	١	مقال مرثد الخير .
١١	٢	» سبيع بن الحارث .
١١	٣	» ميثم بن مثنوب .
١٢	٤	» مرثد الخير .
١٣	٥	طريف بن العاصي والحارث بن ذبيان يتفاخران عند بعض مقاول خير .
١٧		وفود العرب يعززون سلامة ذافائش بابن له مات
١٧	٦	خطبة الملبب بن عوف .
١٨	٧	» جعادة بن أفلح .

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
تساؤل عامر بن الظرب وحممة بن رافع عند أحد ملوك حمير .	٨	١٨
خطبة عامر بن الظرب العدواني وقد خطبت ابنته :	٩	١٩
حديث بعض مقاول حمير مع ابنه ومادار بينه وبينهما من المساءلة حين كبرت سنه .	١٠	٢٠
إحدى ملوك اليمن وخاطبوها .	١١	٢٥
رواد مذحج يصفون ما ارتادوا من المراعى .	١٢	٢٦
مادار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر وبين عامر بن جوين الطائي .	١٣	٢٧
قيس بن رفاعه والحارث بن أبي شمر الغساني .	١٤	٣٣
قيس بن خفاف البرجمي وحاتم طي* .	١٥	٣٢
مقال قبيصة بن نعيم لامرئ القيس بن حجر .	١٦	٣٤
رد امرئ القيس عليه .	١٧	٣٦
خطبة هاني* بن قبيصة الشيباني .	١٨	٣٧
خطبة عمرو بن كلثوم .	١٩	٣٧
أ كثم بن صيفي يعزى عمرو بن هند عن أخيه .	٢٠	٣٧
خطبة قس بن ساعدة الإيادي .	٢١	٣٨
قس بن ساعدة عند قيصر .	٢٢	٣٩
خطبة المأمون الحارثي .	٢٣	٣٩
بين مهلهل بن ربيعة ومرة بن ذهل بن شيبان .	٢٤	٤٠
مناقرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين .	٢٥	٤١
أشراف العرب بين يدي كسرى		٤٦
مقال حذيفة بن بدر الفزاري .	٢٦	٤٦
مقال الأشعث الكندي .	٢٧	٤٧
مقال بسطام الشيباني .	٢٨	٤٧
مقال حاجب بن زرارة .	٢٩	٤٨
مقال قيس بن عاصم السعدي .	٣٠	٤٩

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
وفود العرب على كسرى		٥٠
خطبة النعمان بن المنذر .	٣١	٥١
خطبة أ كثم بن صيفي .	٣٢	٥٦
خطبة حاجب بن زرارة .	٣٣	٥٧
خطبة الحارث بن عباد .	٣٤	٥٧
خطبة عمرو بن الشريد .	٣٥	٥٩
خطبة خالد بن جعفر الكلابي .	٣٦	٦٠
خطبة علقمة بن علاثة العامري .	٣٧	٦٠
خطبة قيس بن مسعود الشيباني .	٣٨	٦١
خطبة عامر بن الطفيل العامري .	٣٩	٦٢
خطبة عمرو بن معد يكرب الزبيدي .	٤٠	٦٣
خطبة الحارث بن ظالم المري .	٤١	٦٣
محاسن بن مزاحم وقاصر بن سلمة عند النعمان بن المنذر .	٤٢	٦٤
ضمرة بن ضمرة عند النعمان بن المنذر .	٤٣	٦٦
ليبد بن ربيعة يصف بقلة .	٤٤	٦٧
كلمات هند بنت الحس الإيادية .	٤٥	٦٨
خطبة كعب بن لؤي .	٤٦	٧٣
خطبة هاشم بن عبد مناف .	٤٧	٧٤
خطبة هاشم بن عبد مناف في قریش وخزاعة .	٤٨	٧٥
خطبة عبد المطلب بن هاشم .	٤٩	٧٦
خطبة أبي طالب في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة	٥٠	٧٧
خطب الكهان		٧٨
الكاهن الخزاعي ينفر هاشم بن عبد مناف على أمية بن عبد شمس .	٥١	٧٨
عوف بن ربيعة الأسدي يتكهن بمقتل حجر بن الحارث .	٥٢	٧٩
كاهن بني الحارث بن كعب يحذرهم غزو بني تميم .	٥٣	٨٠

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
أحمد كهان اليمين يفصل في أمر هند بنت عتبة .	٥٤	٨١
خمسة نفر من طي* يمتحنون سواد بن قارب الدوسي .	٥٥	٨٢
حديث مصاد بن مذعور القيني .	٥٦	٨٦
حديث خنافر بن التوعم الحميري مع رثيه شصار .	٥٧	٨٨
شافع بن كليب الصلبي يتكهن بظهور النبي صلى الله عليه وسلم	٥٨	٩٠
سطيح الذئبي يعبر رؤيا ربيعة بن نصر اللخمي .	٥٩	٩١
شق أنمار يعبر رؤيا ربيعة بن نصر أيضا .	٦٠	٩٣
وفود عبد المسيح بن بقليلة على سطيح .	٦١	٩٤
شق وسطيح يثبتان بأصل ثقيف .	٦٢	٩٧
تنافر عبد المطلب بن هاشم والفقهاء إلى عزى سلمة الكاهن .	٦٣	٩٨
منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية .	٦٤	١٠٠
ما أمر به عبد المطلب بن هاشم ، في منامه من حفر زمزم .	٦٥	١٠٩
خطب الكواهن		١٠٣
الشعفاء الكاهنة تصف سبعة إخوة .	٦٦	١٠٣
طريقة الخير تتكهن بسيل العرم وخراب سد مأرب .	٦٧	١٠٥
حديث زبراء الكاهنة مع بني رثام بن قضاة .	٦٨	١١٠
كاهنة ذى الخلفة تتكهن بما في بطن رقية بنت جشم .	٦٩	١١٢
رأى سلمى الهمدانية في حريم المرادي .	٧٠	١١٣
تنافر العجفاء بنت علقمة وصواحباتها إلى الكاهنة السعدية .	٧١	١١٤
عفراء الكاهنة تعبر رؤيا مرثد بن عبد كلال .	٧٢	١١٥
الوصايا		١١٩
وصية أوس بن حارثة لابنه مالك .	٧٣	١١٩
وصية ذى الإصبع العدواني لابنه أسيد .	٧٤	١٢٠
وصية عمرو بن كلثوم لبنيه .	٧٥	١٢١

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
وصية الحرث بن كعب لبنيه .	٧٦	١٢٢
وصية عامر بن الظرب لقومه .	٧٧	١٢٣
وصية دويد بن زيد لبنيه .	٧٨	١٢٤
وصية زهير بن جناب الكلبي .	٧٩	١٢٦
وصية النعمان بن ثواب العبدى لبنيه .	٨٠	١٢٦
وصية قيس بن زهير لبنى النمر بن قاسط .	٨١	١٢٧
وصية حصن بن حذيفة لبنيه .	٨٢	١٢٩
وصية لأكثم بن صيفى .	٨٣	١٣٠
وصية أكثم بن صيفى لطفى .	٨٤	١٣٣
وصية أكثم بن صيفى لبنيه ورهطه .	٨٥	١٣٤
نصيحة أكثم بن صيفى لقومه .	٨٦	١٣٥
أمثال أكثم بن صيفى وبرز جمهور الفارسي .	٨٧	١٣٦
نصيحة الجمانة بنت قيس بن زهير لجدها الربيع بن زياد .	٨٨	١٤١
وصف عصام الكندية أم إياس بنت عوف بن محم الشيباني .	٨٩	١٤٢
وصية أمامة بنت الحرث لابنتها أم إياس .	٩٠	١٤٥

الباب الثاني

الخطب والوصايا

في عصر صدر الإسلام

خطب النبي صلى الله عليه وسلم وما يتبعها	١٤٧
أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه .	١ ١٤٧
أول خطبة خطبها بالمدينة .	٢ ١٤٨
خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة .	٣ ١٤٨

رقم الصفحة	رقم الخطبة	الخطبة أو الوصية
١٤٩	٤	خطبة له يوم أحد .
١٥١	٥	خطبته بالخيف .
١٥١	٦	خطبة له عليه الصلاة والسلام .
١٥٢	٧	خطبة له عليه الصلاة والسلام .
١٥٢	٨	خطبة له عليه الصلاة والسلام .
١٥٣	٩	خطبة له عليه الصلاة والسلام .
١٥٣	١٠	خطبة له عليه الصلاة والسلام .
١٥٤	١١	خطبته يوم فتح مكة .
١٥٤	١٢	خطبته في الاستسقاء .
١٥٥	١٣	خطبته في حجة الوداع .
١٥٨	١٤	خطبته في مرض موته .
١٥٩	١٥	خطبة أكنم بن صيفي يدعو قومه إلى الإسلام .
١٦١	١٦	وصية أبي طالب لوجوه قريش عند موته .
١٦٣		خطب الوفود بين يديه صلى الله عليه وسلم
١٦٣	١٧	خطبة عطار بن حاجب بن زرارة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم .
١٦٣	١٨	خطبة ثابت بن قيس بن الشماس .
١٦٤	١٩	عمرو بن الأهتم والزرقان بن بدر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم .
١٦٥	٢٠	خطبة طهفة بن أبي زهير النهدي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم .
١٦٦	٢١	رده صلى الله عليه وسلم .
١٦٧	٢٢	خطبة ظبيان بن حداد بين يديه صلى الله عليه وسلم .
١٦٨	٢٣	خطبة مالك بن نمط بين يديه صلى الله عليه وسلم .
١٦٩	٢٤	سفانة بنت حاتم بين يديه صلى الله عليه وسلم .
١٧٠	٢٥	وصية دريد بن الصمة .
١٧١	٢٦	وصية عمير بن حبيب الصحابي لبنيه .
١٧١	٢٧	وصية قيس بن عاصم المنقرى لبنيه .

رقم الصفحة	رقم الخطبة	الخطبة أو الوصية
١٧٣		خطب يوم السقيفة
١٧٣	٢٨	خطبة سعد بن عباد .
١٧٤	٢٩	خطبة أبي بكر رضى الله عنه .
١٧٥	٣٠	نص آخر لخطبة أبي بكر يوم السقيفة .
١٧٦	٣١	خطبة الحباب بن المنذر .
١٧٦	٣٢	خطبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .
١٧٧	٣٣	خطبة أخرى للحباب بن المنذر .
١٧٧	٣٤	خطبة بشير بن سعد .
١٧٩		خطب أبي بكر الصديق ووصاياه
١٧٩	٣٥	خطبته يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم .
١٨٠	٣٦	خطبته بعد البيعة .
١٨١	٣٧	خطبة أخرى له بعد البيعة .
١٨٢	٣٨	خطبة أخرى .
١٨٣	٣٩	خطبة له .
١٨٤	٤٠	خطبة له .
١٨٥	٤١	خطبة له .
١٨٦	٤٢	خطبة له في الأنصار .
١٨٧	٤٣	وصيته لأسامة بن زيد .
١٨٧	٤٤	وصيته لعمر بن العاص والوليد بن عقبة .
١٨٨		خطب الفتوح في عهد أبى بكر
١٨٨	٤٥	وصيته لخالد بن الوليد .
١٨٨	٤٦	خطبة خالد بن الوليد
١٨٩	٤٧	خطبة لأبى بكر في ندب الناس لفتح الشام .
١٩٠	٤٨	فتح الشام — خطبة أبى بكر .

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة عمر	٤٩	١٩٠
خطبة عبد الرحمن بن عوف	٥٠	١٩١
خطبة أبي بكر	٥١	١٩٢
خطبة خالد بن سعيد بن العاص :	٥٢	١٩٢
خطبة ذى الكلاع .	٥٣	١٩٣
وصية خالد بن سعيد بن العاص لأبي بكر .	٥٤	١٩٤
وصية أبي بكر لخالد بن سعيد بن العاص :	٥٥	١٩٥
وصية أبي بكر لعمر و بن العاص .	٥٦	١٩٥
وصية أخرى .	٥٧	١٩٦
وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان .	٥٨	١٩٦
وصية أخرى ليزيد بن أبي سفيان .	٥٩	١٩٧
دعاء أبي بكر .	٦٠	١٩٩
وصيته لشرحبيل بن حسنة .	٦١	١٩٩
وصيته لأبي عبيدة بن الجراح .	٦٢	٢٠٠
وصيته لأبي عبيدة بن الجراح أيضا .	٦٣	٢٠٠
خطبة أبي بكر .	٦٤	٢٠١
وصية أبي بكر لهاشم بن عتبة .	٦٥	٢٠١
خطبة خالد بن الوليد يوم اليرموك .	٦٦	٢٠٢
خطبة أبي عبيدة في وقعة اليرموك .	٦٧	٢٠٣
قصص معاذ بن جبل .	٦٨	٢٠٤
خطبة عمرو بن العاص .	٦٩	٢٠٤
خطبة أبي سفيان بن حرب .	٧٠	٢٠٥
وصية أبي بكر لعمر رضى الله عنهما عند موته :	٧١	٢٠٥
كلامه لعبد الرحمن بن عوف في علته التي مات فيها :	٧٢	٢٠٦
خطبة السيدة عائشة في الانتصار لأبيها .	٧٣	٢٠٧
رثاؤها لأبيها	٧٤	٢١٠

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه		٢١١
خطبته حين ولى الخلافة .	٧٥	٢١١
خطبة أخرى .	٧٦	٢١١
خطبة له .	٧٧	٢١٢
خطبة له .	٧٨	٢١٢
خطبة أخرى .	٧٩	٢١٣
خطبة له .	٨٠	٢١٤
خطبة له .	٨١	٢١٥
خطبة له .	٨٢	٢١٧
خطبة له .	٨٣	٢١٧
خطبة له .	٨٤	٢١٨
خطبة له .	٨٥	٢١٨
خطبته عام الرمادة .	٨٦	٢٢٠
خطبته وقد بلغه أن قوما يفضلونه على أبي بكر .	٨٧	٢٢١
خطب الفتوح في عهد عمر		٢٢٢
في فتح فارس		
خطبة المثني بن حارثة الشيباني .	٨٨	٢٢٢
خطبة عمر .	٨٩	٢٢٢
خطبة له وقد شيع جيش سعد بن أبي وقاص .	٩١	٢٢٣
وصيته لسعد بن أبي وقاص .	٩٢	٢٢٤
وصيته لسعد بن أبي وقاص أيضا .	٩٣	٢٢٤
وصية أخرى كتبها إلى سعد بن أبي وقاص .	٩٤	٢٢٥
وصيته للمجاهدين .	٩٥	٢٢٧
وصية عمر ليعلى بن أمية في إجلاء أهل نجران .	٩٦	٢٢٨
خطبة لعمر .	٩٧	٢٢٨
خطبة جرير بن عبد الله البجلي .	٩٨	٢٢٩

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة سعد بن أبي وقاص يوم أرمات .	٩٩	٢٢٩
خطبة عاصم بن عمرو .	١٠٠	٢٣٠
خطبة طليحة بن خويلد الأسدي .	١٠١	٢٣٠
الخنساء تحرض أولادها على القتال .	١٠٢	٢٣١
خطبة عتبة بن غزوان .	١٠٣	٢٣٢
خطبة لسعد بن أبي وقاص .	١٠٤	٢٣٣
خطبة عمر .	١٠٥	٢٣٣
خطبة لعلی .	١٠٦	٢٣٤
خطبة طامحة بن عبيد الله .	١٠٧	٢٣٥
خطبة عثمان بن عفان .	١٠٨	٢٣٥
خطبة علي بن أبي طالب .	١٠٩	٢٣٦
خطبة النعمان بن مقرن .	١١٠	٢٣٧
خطب رجال من الفاتحين		٢٣٩
بين يدي يزجرجد ملك الفرس وقواده		
خطبة النعمان بن مقرن .	١١١	٢٣٩
خطبة المغيرة بن زراراة .	١١٢	٢٤٠
مقال ربعي بن عامر عند رستم قائد جيش الفرس .	١١٣	٢٤٢
خطبة المغيرة بن شعبه في حضرة رستم .	١١٤	٢٤٢
خطبة المغيرة بن شعبه في حضرة بندار .	١١٥	٢٤٣
خطبة عمر .	١١٦	٢٤٤
خطبة عثمان بن أبي العاص في فتح الشام .	١١٧	٢٤٤
بين الروم ومعاذ بن جبل .	١١٨	٢٤٦
بين أبي عبيدة ورسول الروم .	١١٩	٢٤٩
بين باهان وخالد بن الوليد .	١٢٠	٢٥٠

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
جواب خالد	١٢١	٢٥٢
خطبة عمرو بن العاص .	١٢٢	٢٥٤
خطبة عمر .	١٢٣	٢٥٥
خطبة عمر .	١٢٤	٢٥٥
خطبة عمر .	١٢٥	٢٥٦
خطبة عمر .	١٢٦	٢٥٦
وصية أبي عبيدة للمسلمين وقد أصابه طاعون عمواس .	١٢٧	٢٥٧
خطبة معاذ بن جبل .	١٢٨	٢٥٨
رثاء معاذ بن جبل لأبي عبيدة .	١٢٩	٢٥٨
ابن العاص ومعاذ والطاعون .	١٣٠	٢٥٩
وصية لمعاذ بن جبل .	١٣١	٢٥٩
وصية لمعاذ بن جبل أيضا .	١٣٢	٢٦٠
خطبة عبادة بن الصامت .	١٣٣	٢٦١
خطبة شداد بن أوس .	١٣٤	٢٦١
خطبة أبي الدرداء .	١٣٥	٢٦٢
خطبة يزيد بن أبي سفيان .	١٣٦	٢٦٢
وصية العباس بن عبد المطلب .	١٣٧	٢٦٣
وصية عمر للخليفة من بعده .	١٣٨	٢٦٣
خطب يوم الشورى		٢٦٦
خطبة عبد الرحمن بن عوف .	١٣٩	٢٦٦
خطبة عثمان بن عفان .	١٤٠	٢٦٧
خطبة الزبير بن العوام .	١٤١	٢٦٧
خطبة سعد بن أبي وقاص .	١٤٢	٢٦٨
خطبة علي بن أبي طالب .	١٤٣	٢٦٩

رقم الصفحة	رقم الخطبة	الخطبة أو الوصية
٢٧٠		خطب عثمان بن عفان رضى الله عنه
٢٧٠	١٤٤	خطبته حين بايعه أهل الشورى .
٢٧١	١٤٥	خطبته بعد البيعة .
٢٧١	١٤٦	خطبة أخرى .
٢٧١	١٤٧	خطبة لعثمان .
٢٧٢	١٤٨	خطبة لعثمان .
٢٧٣	١٤٩	خطبته حين نقم عليه الناس .
٢٧٤	١٥٠	خطبته التي نزع فيها وأعطى الناس من نفسه التوبة .
٢٧٥	١٥١	خطبته في الرد على الثوار .
٢٧٦	١٥٢	خطبته وقد اشتد عليه الحصار .
٢٧٦	١٥٣	آخر خطبة خطبها عثمان .
٢٧٧	١٥٤	خطبة الوليد بن عقبة .
٢٧٨	١٥٥	خطبة سعيد بن العاص حين قدم الكوفة واليا عليها .
٢٧٨	١٥٦	خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح إفريقية .
٢٨٠	١٥٧	خطبة عبد الله بن مسعود .
٢٨١	١٥٨	أبو زبيد الطائي يصف الأسد .
٢٨٥		خلافة الإمام دلى كرم الله وجهه
٢٨٥	١٥٩	وصية على لقيس بن سعد .
٢٨٥	١٦٠	خطبة لقيس بن سعد .
٢٨٦		فتنة أصحاب الجبل
٢٨٦	١٦١	خطبة طلحة .
٢٨٦	١٦٢	خطبة السيدة عائشة بالمربد .
٢٨٧	١٦٣	خطبة لعلى .
٢٨٨	١٦٤	خطبة لعلى .

الخطبة او الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة اعلی .	١٦٥	٢٨٩
خطبة عدی بن حاتم .	١٦٦	٢٨٩
خطبة زفر بن زید :	١٦٧	٢٩٠
خطبة علی بالربذة :	١٦٨	٢٩١
خطبة سعید بن عبید الطائی .	١٦٩	٢٩٢
خطبة الحسن بن علی .	١٧٠	٢٩٣
خطبة الحسن بن علی .	١٧١	٢٩٣
خطبة عمار بن یاسر .	١٧٢	٢٩٤
خطبة أبی موسى الأشعری .	١٧٣	٢٩٥
صورة أخرى .	١٧٤	٢٩٦
صورة أخرى .	١٧٥	٢٩٧
خطبة زید بن صوحان .	١٧٦	٢٩٧
خطبة القعقاع بن عمرو .	١٧٧	٢٩٨
خطبة سیحان بن صوحان .	١٧٨	٢٩٨
خطبة الحسن بن علی .	١٧٩	٢٩٩
وفادة القعقاع بن عمرو إلى أصحاب الجمل .	١٨٠	٢٩٩
خطبة علی بن أبی طالب .	١٨١	٣٠١
خطبة علی بن أبی طالب .	١٨٢	٣٠٢
خطبة علی .	١٨٣	٣٠٣
خطبة الأشتر .	١٨٤	٣٠٤
خطبة السيدة عائشة .	١٨٥	٣٠٥
خطبة علی .	١٨٦	٣٠٥
خطبة السيدة عائشة يوم الجمل .	١٨٧	٣٠٦
خطبة زفر بن قیس .	١٨٨	٣٠٧
خطبة جریر بن عبد الله البجلي .	١٨٩	٣٠٨

رقم الصفحة	رقم الخطبة	الخطبة أو الوصية
٣٠٨	١٩٠	خطبة زياد بن كعب .
٣٠٩	١٩١	خطبة الأشعث بن قيس .
٣٠٩	١٩٢	خطبة جرير بن عبد الله البجلي .
٣١٠	١٩٣	خطبة معاوية .
٣١٢		فتنة معاوية
		استطلاع الإمام عليّ كرم الله وجهه آراء أصحابه
		وقد أراد المسير إلى الشام
٣١٢	١٩٤	خطبة الإمام علي .
٣١٢	١٩٥	خطبة هاشم بن عتبة .
٣١٣	١٩٦	خطبة عمار بن ياسر .
٣١٣	١٩٧	خطبة قيس بن سعد بن عبادة .
٣١٤	١٩٨	خطبة سهل بن حنيف .
٣١٤	١٩٩	خطبة الإمام علي .
٣١٥	٢٠٠	خطبة الأشتر النخعي .
٣١٦	٢٠١	مقال من ثبوتوه عن المسير .
٣١٦	٢٠٢	رد الإمام عليهم .
٣١٧	٢٠٣	خطبة عدي بن حاتم الطائي .
٣١٨	٢٠٤	خطبة زيد بن حصين الطائي .
٣١٨	٢٠٥	خطبة أبي زينب بن عوف .
٣١٩	٢٠٦	خطبة زيد بن قيس الأرجبي .
٣١٩	٢٠٧	خطبة زياد بن النضر .
٣٢٠	٢٠٨	خطبة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي .
٣٢١	٢٠٩	أدب الإمام علي وكرم خلقه .
٣٢١	٢١٠	مقال عمرو بن الحمق .

رقم الصفحة	رقم الخطبة	الخطبة أو الوصية
٣٢٢	٢١١	مقال حجر بن عدى .
٣٢٢	٢١٢	مقال هاشم بن عتبة .
٣٢٤	٢١٣	خطبة الإمام على .
٣٢٥	٢١٤	خطبة الحسن بن على .
٣٢٥	٢١٥	خطبة الحسين بن على .
٣٢٦	٢١٦	خطبة عبدالله بن عباس .
٣٢٧	٢١٧	خطبة معاوية .
٣٢٨		وفد علىّ على معاوية
٣٢٨	٢١٨	خطبة بشير بن عمرو .
٣٢٩	٢١٩	خطبة شعث بن ربیع .
٣٢٩	٢٢٠	خطبة معاوية .
٣٣١		وفد علىّ على معاوية .
٣٣١	٢٢١	خطبة عدی بن حاتم .
٣٣١	٢٢٢	جواب معاوية .
٣٣٢	٢٢٣	خطبة يزيد بن قيس .
٣٣٢	٢٢٤	خطبة معاوية .
٣٣٥		وفد معاوية إلى على
٣٣٥	٢٢٥	خطبة حبيب بن مسلمة :
٣٣٦	٢٢٦	خطبة على بن أبی طالب .
٣٣٨		التحريض على القتال من قبل معاوية
٣٣٨	٢٢٧	خطبة عمرو بن العاص .
٣٣٨	٢٢٨	خطبة أخرى .
٣٣٩	٢٢٩	خطبة معاوية يحرض أهل الشام .
٣٤٠	٢٣٠	خطبة ذی الكلاع الحمیری .
٣٤٣	٢٣١	خطبة يزيد بن أسد البجلي .

رقم الصفحة	رقم الخطبة	الخطبة أو الوصية
٣٤٥		التحريض على القتال من قبل الإمام على
٣٤٥	٢٣٢	خطبة الإمام على .
٣٤٦	٢٣٣	خطبة أخرى له .
٣٤٧	٢٣٤	ومن كلام له كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين .
٣٤٨	٢٣٥	خطبة أخرى للإمام على .
٣٤٩	٢٣٦	خطبة للإمام على .
٣٥٠	٢٣٧	خطبة أخرى له .
٣٥٠	٢٣٨	خطبة عبد الله بن عباس .
٣٥٢	٢٣٩	خطبة عبد الله بن بديل الخزاعي .
٣٥٢	٢٤٠	خطبة أبي الهيثم بن التيهان .
٣٥٣	٢٤١	خطبة للإمام على .
٣٥٤	٢٤٢	خطبة سعيد بن قيس ؓ
٣٥٥	٢٤٣	خطبة يزيد بن قيس الأرحبي .
٣٥٦	٢٤٤	خطبة هاشم بن عتبة المرقال .
٣٥٧	٢٤٥	خطبة عمار بن ياسر .
٣٥٨	٢٤٦	خطبة الأشعث بن قيس .
٣٥٩	٢٤٧	خطبة الأشتر النخعي .
٣٦٠	٢٤٨	خطبة الأشتر النخعي في المنهزمين من الميمنة .
٣٦١	٢٤٩	خطبة أخرى له فيهم .
٣٦٢	٢٥٠	خطبة على فيهم وقد عادوا إلى مواقفهم .
٣٦٣	٢٥١	خطبة خالد بن معمر .
٣٦٣	٢٥٢	خطبة عقبة بن حديد النمرى .
٣٦٤	٢٥٣	خطبة خنثر بن عبيدة بن خالد .
٣٦٥	٢٥٤	تحريض معاوية أيضا :
٣٦٦	٢٥٥	ماخطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد في وقعة صفين ؓ

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
جواب قيس بن سعد .	٢٥٦	٣٦٧
خطب الشيعة في وقعة صفين		٣٦٨
خطبة عكرشة بنت الأطرش .	٢٥٧	٣٦٨
خطبة أم الخير بنت الحريش .	٢٥٨	٢٦٩
خطبة الزرقاء بنت عدى الهمدانية .	٢٥٩	٢٧٣
اختلاف أهل العراق في الموادة		٣٧٥
خطبة الإمام على .	٢٦٠	٣٧٥
خطبة كردوس بن هاني .	٢٦١	٣٧٥
خطبة سفيان بن ثور .	٢٦٢	١٧٦
خطبة جريث بن جابر .	١٦٣	٣٧٦
خطبة خالد بن معمر .	٢٦٤	٣٧٦
خطبة الحصين بن المنذر .	٢٦٥	٣٧٧
خطبة عثمان بن حنيف .	٢٦٦	٣٧٧
خطبة عدى بن حاتم .	٢٦٧	٢٧٩
خطبة عبدالله بن خجل .	٢٦٨	٣٨٠
خطبة صعصعة بن صوحان .	٢٦٩	٣٨٠
خطبة المنذر بن الجارود .	٢٧٠	٣٨١
خطبة الأحنف بن قيس .	٢٧١	٣٨١
خطبة عمير بن عطار .	٢٧٢	٣٨٢
خطبة علي بن أبي طالب .	٢٧٣	٣٨٢
مقال عدى بن حاتم .	٢٧٤	٣٨٢
مقال الأشتر النخعي .	٢٧٥	٣٨٣
مقال عمرو بن الحمق .	٢٧٦	٣٨٣
مقال الأشعث بن قيس .	٢٧٧	٣٨٣
مقال عبد الرحمن بن الحارث .	٢٧٨	٣٨٤
مقال عمار بن ياسر .	٢٧٩	٣٨٤

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
التحكيم بين علي ومعاوية		٣٨٦
كلام عبد الله بن عباس لأبي موسى الأشعري .	٢٨٠	٣٨٦
وصية شريح بن هانئ لأبي موسى الأشعري .	٢٨١	٣٨٧
وصية الأحنف بن قيس لأبي موسى الأشعري .	٢٨٢	٣٨٨
وصية معاوية لعمر بن العاص .	٢٨٣	٣٨٩
رد عمرو بن العاص عليه .	٢٨٤	٣٨٩
مقال شرجيل بن السمط لعمر :	٢٨٥	٣٩٠
خطبة أبي موسى الأشعري .	٢٨٦	٣٩٠
خطبة عمرو بن العاص .	٢٨٧	٣٩١
خطبة الإمام بعد التحكيم .	٢٨٨	٣٩١
خطبة الحسن بن علي .	٢٨٩	٣٩٢
خطبة عبد الله بن عباس .	٢٩٠	٣٩٣
خطبة عبد الله بن جعفر .	٢٩١	٣٩٣
خطبة علي .	٢٩٢	٣٩٤
خطبة عبد الله بن عباس .	٢٩٣	٣٩٤
خطبة علي .	٢٩٤	٣٩٥
خطبة علي .	٢٩٥	٣٩٦
خطبة معاوية .	٢٩٦	٣٩٧
وصية معاوية لعمر بن العاص .	٢٩٧	٣٩٧
خطبة محمد بن أبي بكر .	٢٩٨	٣٩٨
خطبة محمد بن أبي بكر .	٢٩٩	٣٩٨
خطبة علي وقد استصرخه محمد بن أبي بكر .	٣٠٠	٣٩٩
خطبة علي وقد بلغه مقتل محمد بن أبي بكر .	٣٠١	٤٠٠

رقم الصفحة	رقم الخطبة	الخطبة أو الوصية
٤٠١		فتنة الخوارج
٤٠١	٣٠٢	مناظرة عبد الله بن عباس لهم .
٤٠٢	٣٠٣	مناظرة الإمام على لهم .
٤٠٤	٣٠٤	صورة أخرى .
٤٠٦	٣٠٥	مناظرة ابن عباس لهم .
٤٠٨	٣٠٦	خطبة يزيد بن عاصم المخاربي .
٤٠٨	٣٠٧	خطبة عبد الله بن وهب الراسبي .
٤٠٩	٣٠٨	خطبة حرقوص بن زهير السعدي .
٤٠٩	٣٠٩	خطبة حمزة بن سنان الأسدي .
٤١٠	٣١٠	خطبة شريح بن أوفى .
٤١١	٣١١	مقال زيد بن حصين الطائي .
٤١٢	٣١٢	خطبة على في تخويف أهل النهروان .
٤١٤	٣١٣	صورة أخرى .
٤١٥	٣١٤	خطبة المستورد بن علفة .
٤١٧		خور أصحاب الإمام وتقاعسهم عن نصرته
٤١٧	٣١٥	خطبة عبد الله بن عباس في أهل البصرة .
٤١٨	٣١٦	خطبة الإمام وقد أراد الانصراف من النهروان .
٤١٨	٣١٧	مقال الأشعث بن قيس .
٤١٩	٣١٨	خطبة الإمام على بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج يستنفر الناس لقتال معاوية .
٤٢٠	٣١٩	خطبة له أيضا في استنفرهم لقتال معاوية .
٤٢١	٣٢٠	صورة أخرى .
٤٢٣	٣٢١	خطبة أبي أيوب الأنصاري .
٤٢٤	٣٢٢	خطبة الإمام وقد أغار النعمان بن بشير على عين التمر .
٤٢٤	٣٢٣	صورة أخرى .

رقم الصفحة	رقم الخطبة	الخطبة أو الوصية
٤٢٥	٢٢٤	خطبة الإمام وقد أغار الضحّاك بن قيس على الحيرة .
٤٢٧	٣٢٥	خطبة الإمام وقد أغار سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار :
٤٣٠	٣٢٦	خطبة للحسن بن علي في يوم جمعة .
٤٣٠	٣٢٧	خطبة معاوية وقد بلغه هلاك الأشتر .
٤٣٢		فتنة البصرة
٤٣٣	٣٢٨	خطبة عبد الله بن عامر الحضرمي .
٤٣٣	٣٢٩	خطبة الضحّاك بن عبد الله الهلالي :
٤٣٤	٣٣٠	خطبة عبد الرحمن بن عمير القرشي .
٤٣٥	٣٣١	خطبة زياد بن أبيه .
٤٢٦	٣٣٢	خطبة شيّمان الأزدي .
٤٢٦	٣٣٣	خطبة صبرة بن شيّمان .
٤٢٦	٣٣٤	خطبة الإمام علي .
٤٣٨	٣٢٥	خطبة أعين بن ضبيعة .
٤٣٨	٣٣٦	خطبة جارية بن قدامة .
٤٣٩	٣٣٧	خطبة زياد :
٤٤٠	٣٣٨	خطبة أبي صبرة شيّمان .
٤٤٠	٣٣٩	خطبة صبرة بن شيّمان .
٤٤١	٢٤٠	خطبة خنفر الحماني .
٤٤١	٣٤١	صعصة بن صوحان ومعاوية .
٤٤٣	٣٤٢	صورة أخرى .
٤٤٦	٣٤٣	تتمة في الحكم .
٤٤٩		خطب الوفود بين يدي عمر بن الخطاب
٤٤٩	٣٤٤	خطبة هلال بن بشر :
٤٤٩	٣٤٥	خطبة زيد بن جبلة .
٤٥٠	٣٤٦	خطبة الأحنف بن قيس .
٤٥٠	٣٤٧	خطبة الأحنف بن قيس .

فهرس أعلام الخطباء

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل خطيب بأرقام الصفحات التي وردت فيها خطبه

الأحنف بن قيس : ٣٨١ - ٣٨٨ - ٤٥٠

الأشتر النخعي : ٣٠٤ - ٣١٥ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٨٣

الأشعث بن قيس الكندي : ٤٧ - ٣٠٩ - ٣٥٨ - ٣٨٣ - ٤١٨

أعين بن ضبيعة : ٤٣٨

أكم بن صيفي : ٣٧ - ٥٦ - ١٣٠ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٢٦

١٥٩

أمامة بنت الحرث : ١٤٥

أم الخير بنت الحريش : ٢٦٩

امرؤ القيس : ٣٦

أوس بن حارثة : ١١٩

(ب)

بسطام الشيباني : ٤٧

بشير بن سعد : ١٧٧

بشير بن عمرو : ٣٢٨

(١)

أبو أيوب الأنصاري : ٤٢٣

أبو بكر الصديق رضي الله عنه : ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١

١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥

١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩

١٩٠ - ١٩٢ - ١٩٥ - ١٩٦

١٩٧ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١

٢٠٥ - ٢٠٦

أبو زبيد الطائي : ٢٨١

أبو الدرداء : ٢٦٢

أبو زينب بن عوف : ٣١٨

أبو سفيان : ٢٠٥

أبو طالب بن عبدالمطلب : ٧٧ - ١٦١

أبو عبيدة بن الجراح : ٢٠٣ - ٢٤٩

٢٥٧

أبو موسى الأشعري : ٢٩٥ - ٢٩٦

٢٩٧ - ٢٩٠

أبو الهيثم بن التيهان : ٣٥٢

(ث)

ثابت بن قيس بن الشماس : ١٦٣

(ج)

جارية بن قدامة : ٤٣٨

جرير بن عبد الله البجلي : ٢٢٩ -

٣٠٨ - ٣٠٩

جماعة بن أفلح : ١٨

الجمانة بنت قيس : ١٤١

(ح)

حاجب بن زرارة : ٤٨ - ٥٧

الحارث بن ذبيان : ١٣ - ١٦

الحارث بن ظالم المرى : ٦٣

الحارث بن عباد : ٥٧

الحارث بن كعب : ١٢٢

الحباب بن المنذر : ١٧٦

حبيب بن مسلمة : ٢٣٥

حجر بن عدي : ٣٢٢

حذيفة بن بدر الفزاري : ٤٦

حرب بن أمية : ١٠٠

حرقوص بن زهير : ٤٠٩

حريث بن جابر : ٣٧٦

الحسن بن علي : ٢٩٣ - ٢٩٩ - ٣٢٥ -

٣٩٢ - ٤٣٠

الحسين بن علي : ٣٢٥

حصن بن حذيفة : ١٢٩

الحصين بن المنذر : ٣٧٧

خمزة بن ستان : ٤٠٩

حممة بن رافع الدومى : ١٨

(خ)

خالد بن جعفر الكلابي : ٦٠

خالد بن سعيد بن العاص : ١٩٢ - ١٩٤

خالد بن معمر : ٣٦٣ - ٣٧٦

خالد بن الوليد : ١٨٨ - ٢٠٢ - ٢٥٠ -

٢٥٢

خنافر بن التوءم : ٨٨

خنسر بن عبيدة : - ٣٦٤

الخنساء : ٢٣١

خنفر الحداني : ٤٤١

(د)

دريد بن الصمة : ١٧٠

دويد بن زيد : ١٢٤

(ذ)

ذوالأصبع العدواني : ١٢٠

ذوالكلاع الحميري : ١٩٣ - ٣٤٠

(ر)

ربيع بن عامر : ٢٤٢

(ز)

زبراء الكاهنة : ١١٠

الزبير بن العوام : ٢٦٧

الزرقاء بنت عدى : ٣٧٣

زفر بن زيد : ٢٩٠

زفر بن قيس : ٣٠٧

زهير بن جندب الكلبي : ١٢٦

زياد بن أبيه : ٤٣٥ - ٤٣٩

زياد بن كعب : ٣٠٨

زياد بن النضر : ٣١٩

(ص)

صبرة بن شبمان ٤٣٦ - ٤٤٠
صمصعة بن صوحان : ٣٨٠ - ٤٤١ -
٤٤٣

(ض)

الضحاك بن عبد الله الهلالي : ٤٣٣
ضمرة بن ضمرة : ٦٦

(ط)

طريف بن العاصي : ١٣ - ١٦
طريفة الكاهنة : ١٠٥
طلحة بن عبيد الله : ٢٣٥ - ٢٨٦
طليحة بن خويلد الأسدي : ٢٣٠
طهفة بن أبي زهير النهدي : ١٦٥

(ظ)

ظبيان بن حداد : ١٦٧

(ع)

عائشة رضي الله عنها : ٢٠٧ - ٢١٠ -
٢٨٦ - ٣٠٥ - ٣٠٦
عاصم بن عمرو : ٢٣٠
عامر بن جوين : ٢٧
عامر بن الطفيل : ٤١ - ٦٢
عامر بن الظرب : ١٨ - ١٩ - ١٢٣
عبادة بن الصامت : ٢٦١
العباس بن عبد المطلب : ٢٦٣
عبد الرحمن بن الحرث : ٣٨٤
عبد الرحمن بن عمير : ٤٣٤
عبد الرحمن بن عوف : ١٩١ - ٢٦٦

زيد بن جبلة : ٤٤٩

زيد بن حصين الطائي : ٣١٨ - ٤١١

زيد بن صوحان : ٢٩٧

(س)

سبيع بن الحرث : ١١
سطيح الذئبي : ٩١ - ٩٤ - ٩٧
سعد بن أبي وقاص : ٢٢٩ - ٢٣٣ -
٢٦٨

سعد بن عبادة : ١٧٣
سعيد بن العاص : ٢٧٨
سعيد بن عبيد الطائي : ٢٩٢
سعيد بن قيس : ٣٥٤
سفانة بنت حاتم : ١٦٩
سفيان بن ثور : ٣٧٦
سلمى الهمدانية : ١١٣
سهل بن حنيف : ٣١٤
سواد بن قارب : ٨٢
سيحان بن صوحان : ٢٩٨

(ش)

شافع بن كليب الصديقي : ٩٠
شيث بن ربيع : ٣٢٩
شداد بن أوس : ٢٦١
شرحيل بن السمط : ٣٩٠
شريح بن أوفى : ٤١٠
شريح بن هاني : ٣٨٧
للشعناء الكاهنة : ١٠٣
شق أنمار : ٩٣ - ٩٧
شيمان الأزدي : ٤٣٦ - ٤٤٠

علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

٢٢٤ - ٢٣٦ - ٢٦٩ - ٢٨٥ -

٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩١ -

٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٥ -

٣١٢ - ٣١٤ - ٣١٦ - ٣٢٤ -

٣٣٦ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ -

٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥٣ -

٣٦٢ - ٣٧٥ - ٣٨٢ - ٣٩١ -

٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٩ -

٤٠٠ - ٤٠٢ - ٤٠٤ - ٤١٢ -

٤١٤ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ -

٤٢١ - ٤١٤ - ٤٠٥ - ٤٢٧ -

٤٣٦

عمار بن ياسر : ٢٩٤ - ٣١٣ - ٣٥٧ -

٣٨٤

عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ١٧٦ -

١٩٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ -

٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٧ - ٢١٨ -

٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ -

٢٢٤ - ٢١٥ - ١٢٧ - ٢٢٨ -

٢٢٣ - ٢٤٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ -

٢٦١

عمرو بن الأهمم : ١٦٤

عمرو بن الحمق : ٣٢١ - ٣٨٣

عمرو بن الشريد : ٥٩

عمرو بن العاص : ٢٠٤ - ٢٥٤ -

٣٣٩ - ٣٨٩ - ٣٩١

عمرو بن كلثوم : ٣٧ - ١٢١

عمرو بن معد يكرب الزبيدي : ٦٣

عبد الله بن بديل بن ورقاء : ٢٢٠ -

٣٥٢

عبد الله بن جعفر : ٣٩٣

عبد الله بن حجل : ٣٨٠

عبد الله بن الزبير : ٢٧٨

عبد الله بن عامر الحضرمي : ٤٣٣

عبد الله بن عباس : ٣٢٦ - ٢٥٠ -

٣٨٧ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٤٠١ -

٤٠٦ - ٤١٧

عبد الله بن مسعود : ٢٨٠

عبد الله بن وهب : ٤٠٨

عبد المطالب بن هاشم : ٧٦ - ١٠٠ -

١٠١

عتبة بن غزوان : ٢٣٢

عثمان بن أبي العاص : ٢٤٤

عثمان بن حنيف : ٣٧٧

عثمان بن عفان رضي الله عنه : ٢٣٥ -

٢٦٧ - ٢٧٠ - ١٧١ - ٢٧٢ -

٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ -

عجفاء بنت علقمة : ١١٤

عدي بن حاتم : ٢٨٩ - ٣١٧ - ٣٣١ -

٣٧٩ - ٣٨٢

غزى سلمة : ٩٨

عصام الكندي : ١٤٢

عطارد بن حاجب بن زرارة : ١٦٣

غبراء الكاهنة : ١١٥

عقبة بن حديد النمرى : ٣٦٣

عكرشة بنت الأطرش : ٣٦٨

علقمة بن علاثة : ٤١ - ٦٠

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : ١٤٧ -

١٤٨ - ١٤٩ - ١٥١ - ١٥٢ -

١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٨ -

١٦٦

مخالس بن مزاحم : ٦٤

مرة بن ذهل : ٤٠

مرثد الخير : ١٠ - ١٢

المستورد بن علفة : ٤١٥

مصاد بن مذعور القيني : ٨٦

معاذ بن جبل : ٢٠٤ - ٢٤٦ - ٢٥٨ -

٢٥٩ - ٢٦٠

معاوية بن أبي سفيان : ٣١٠ - ٣٢٧ -

٣٢٩ - ٣٣١ - ٣٣٩ - ٣٦٥ -

٣٨٩ - ٣٩٧ - ٤٣٠

المغيرة بن زرارعة : ٢٤٠

المغيرة بن شعبة : ٢٤٢ - ٢٤٣

الملبب بن عوف : ١٧

المنذر بن الجارود : ٣٨١

مهلهل بن ربيعة : ٤٠

ميثم بن مثنوب : ١١

(ن)

النعمان بن بشير : ٣٦٦

النعمان بن ثواب العبدى : ١٢٦

النعمان بن مقرن : ٢٣٧ - ٢٣٩

النعمان بن المنذر : ٥١

نفيل بن عبد العزيز :

عمير بن حبيب : ١٧١

عمير بن عطار : ٣٨٢

عوف بن ربيعة الأسدي : ٧٩

(ق)

قاصر بن سلمة : ٦٤

قيصة بن نعيم : ٣٤

قس بن ساعدة : ٣٨ - ٣٩

القعقاع بن عمرو : ٢٩٨ - ٢٩٩

قيس بن خفاف البرجمي : ٣٢

قيس بن رفاعة : ٣٢

قيس بن زهير : ١٢٧

قيس بن سعد بن عبادة : ٢٨٥ - ٣١٣ -

٣٦٧

قيس بن عاصم السعدي : ٤٩

قيس بن عاصم المنقري : ١٧١

قيس بن مسعود الشيباني : ٦١

(ك)

كاهن بن الحارث بن كعب : ٨٠

كاهن ذو الخلصة : ١١٢

الكاهن الخراعي : ٧٨

الكاهن اليمني : ٨١

كردوس بن هاني : ٣٧٥

كعب بن أوى : ٧٣

(ل)

لبيد بن ربيعة : ٦٧

(م)

المأمون الحارثي : ٣٩

مالك بن نط : ١٦٨

المنفي بن حارثة الشيباني : ٢٢٢

محمد بن أبي بكر : ٣٩٨

(و)

الوليد بن عقبة : ٢٧٧

(ى)

يزيد بن أبي سفيان : ٢٦٢

يزيد بن أسد البجلي : ٣٤٣

يزيد بن عاصم المحاربي : ٤٠٨

يزيد بن قيس : ٣١٩ - ٣٣٢ - ٣٥٥

(هـ)

هاشم بن عبد مناف : ٧٤ - ٧٥

هاشم بن عتبة : ٣١٢ : ٣٢٢ - ٣٥٦

هانيء بن قبيصة الشيباني : ٣٧

هلال بن بشر : ٤٤٩

هند بنت الحنيس الإيادية : ٦٨